رسائل جامعية (٥٤)

إدارة الوقت

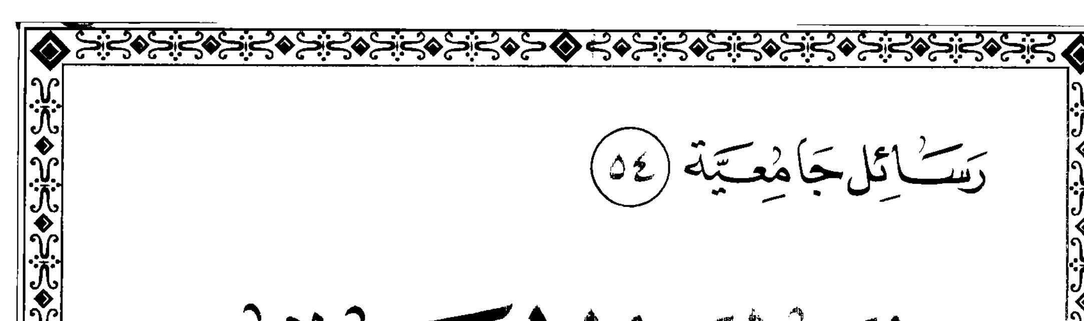
بين التراث والمعاصرة

كيف تنجح في إدارة وقتك.. وبالتالي حياتك!؟

تأليف

د. محمد أمين شحادة

دار ابن الجوزي



رسائل جامعية (٥٤)



إدارة الوقت

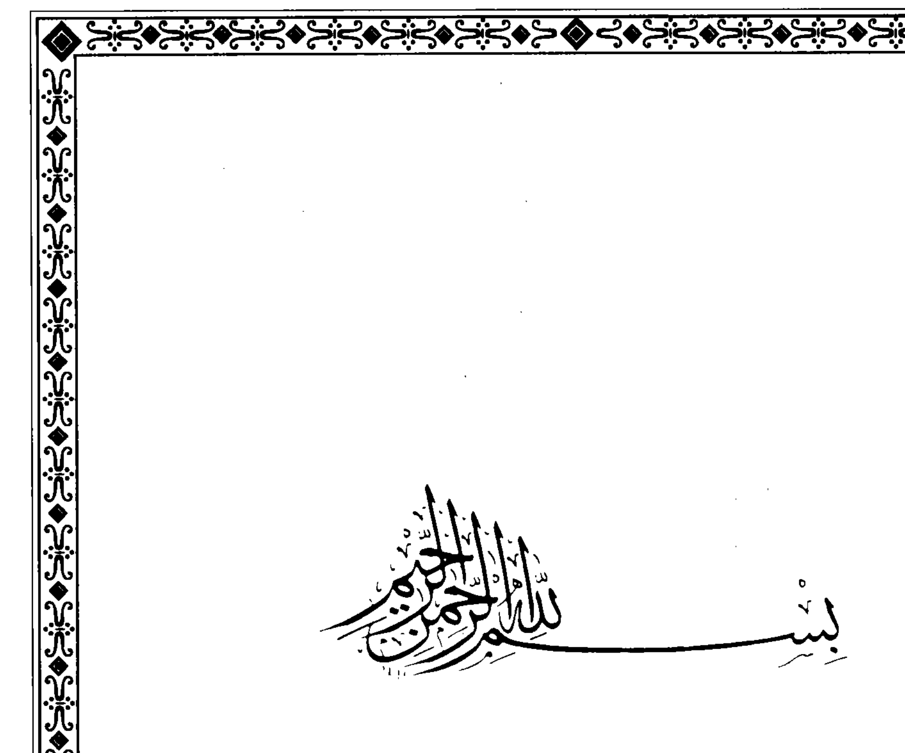
بين التراث والمعاصرة

كيف تنجح في إدارة وقتك.. وبالتالي حياتك؟!

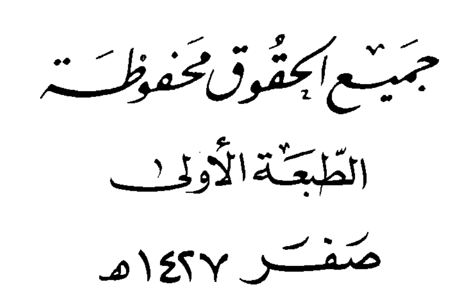
تأليف

د. محمد أمين شحادة

دار ابن الجوزي



أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه
حائزة على تقدير «إمتياز مع مرتبة الشرف الأولى» من
الجامعة الأمريكية العالمية
كلية الإدارة والإعلام
فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية
عام ٢٠٠٥م





دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - الهفوف
- شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٥٠٤٨٨٢ - ٦٨١٣٧٠٦ - **بيروت** - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - **القاهرة** - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠
البريد الإلكتروني: **aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com**

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفّقني لإتمام هذا العمل، فإليه يرجع الفضل كله، أحمده حمد الشاكرين لنعمه الظاهرة والباطنة، أما بعد:

فقد لزمني في مستهل هذه الرسالة أن أشكر ـ بعد حمد الله وشكره والثناء عليه بما هو أهله ـ كل من أسهم في هذا العمل، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[1]. وإنَّ عملاً كهذا ـ وخاصة الجزء **العملي منه، المتعلق بالدراسة الميدانية** ـ لم يكن ليقضى بجهد فردي، بل يحتاج إلى قدرات مؤسسات دولية متخصصة.

أشكر أولاً الألوف الذين شاركوا في الدراسة الميدانية من ثلاثين بلداً، وأدلوا بالمعلومات الأساسية عن صرف أوقاتهم في الأعمال اليومية المختلفة، وعن توجهاتهم واهتماماتهم الحياتية، والمشاكل التي تواجههم في إتقان أعمالهم، بصدق وسعة صدر. ثم أخص منهم الذين أعانوني بالنصح وطيب الكلام على إتمام هذا العمل، سواءً أكان ذلك مشافهة، أو بالرسائل الإلكترونية، أو بالمكالمات الهاتفية، أو بالفوائد المدونة على هوامش الاستبانات.

ولا يمكنني أن أحصي المداخلات الطيبة التي وردتني، فأذكر منها ما كتبه مدرس جامعي في المغرب يشيد بالدراسة قائلاً: «إنها أخطر بحث يعالج فتور الأمة في هذا العصر»، وقال آخر: «إنها واحدة من أفضل الدراسات لتشخيص مصاب الأمة»، وذكر باحث جامعي أن دراسة كهذه لم يُتناول موضوعها بمثل هذه الطريقة من قبل في عالمنا الإسلامي والعربي، وقال آخر بعد قراءة بعض مواد الدراسة النظرية: «إنها بلا ريب فتح رباني»! ولقد درس شاب الاستبيان ولم يملأه، فصارحني وهو يكاد يبكي، يقول: «عندما حاولت الإجابة عليه علمت أنني ليس لي رسالة أحيا من أجلها، ولا أهداف، ولا توجه واضح. علمت أنني لا أحيا لشيء، فغيّر ذلك حياتي بالكلية».

هذه المداخلات الإيجابية وغيرها أعانتني على متابعة الدراسة وإتمامها بعون الله

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: في شكر المعروف، حديث رقم ٤٨١١.

وفضله. ومع ذلك، فإنَّ مراحل الدراسة لم تخل من مصاعب جمّة، فقد قال بعضهم عن الاستبيان: «هذا عمل الاستخبارات»، وقال آخرون: «إنَّ ما تطلبه أمور خاصة لا أبوح بها». وقد توقف البحث مراراً لأسباب قاهرة حتى قدَّر الله أمراً.

أخص بالشكر الجزيل والدي، الشيخ أمين شحادة رَحِمَهُ اللهُ، قاضي المحاكم الشرعية في محافظة جبل لبنان، الذي حثّني على دراسة الدكتوراه بعد أن اطّلع على ما كتبت في هذا الموضوع، ثم تابعه بكل شغف موجهاً وناصحاً. كما أشكر د. فاضل عباس الحسب رَحِمَهُ اللهُ، أستاذ الدراسات العليا في كلية الإدارة والاقتصاد في جامعة بغداد وفي معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، على توجيهه وإشرافه، وكذلك د. نجم الدين الشيخلي على قراءة الدراسة كاملة وإبداء ملاحظاته ونقده البنّاء، ود. محمد الزعبي، ود. عبد الكريم ثامر الجبوري، والأخ محمد بن مجاهد، والشيخ مصطفى شحادة، والشيخ غالب شحادة، والسيدة شروق النقدي على إرشاداتهم الطيبة.

كما أشكر الأخ الفاضل حازم أمين الذي كان كيَدي اليمنى في مساعداته الفنية، إذ كتب البرنامج الإلكتروني لجمع المعلومات والبيانات الإحصائية وتخزينها ثم تحليلها، منفقاً في ذلك أياماً من وقته، أحسبها في سبيل الله تعالى. كما أشكر الأخوين اللذين صمَّما صفحة الاستبيان على الشبكة الدولية، وكذلك الأخ أمين بن زيَّان على معاونته في تحليل البيانات وحل بعض المشكلات الفنية. كما أشكر رشيدة الخضراوي وليلى الحيبوبي وزوجتي «أم أمين» على بذلهن جهداً مضنياً في إدخال كل معلومة من كل عينة إحصائية في المنظومة الإلكترونية، وهذا ما استغرق شهوراً عديدة لإتمامه. كما أشكر الشيخ أحمد مكاوي من «دار ابن الجوزي» في بيروت على نصحه في مجال صف المادة، والأخ غسان البابا من «مؤسسة السنابل للصف الإلكتروني» على إخراجها بمظهرها اللائق.

أشكر كذلك الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية على الشبكة الدولية، إذ ساهمت في إشهار هذا العمل وحثَّت القراء على المشاركة في الدراسة. أذكر منها: مجلة «المجتمع» الكويتية، وصحيفة «الوطن» الكويتية، ومجلة «الجمعة» الصادرة بالإنكليزية في أمريكا وبريطانيا، وصحيفة «الزيتونة» الصادرة بالعربية في أمريكا، ومجلة «الآفاق الإسلامية» الصادرة بالإنكليزية عن الجمعية الإسلامية في أمريكا، ومجلة «العصر» الإلكترونية، شاكراً من أعان على نشر الاستبيان في وسائل الإعلام، ومنهم الإخوة الأفاضل: محمد الكندري، وعمر عبد الله، وحسن ليدي، وخالد حسن، وغيرهم.

ثم أخص بالشكر الجزيل أشهر موقع إسلامي على الشبكة الدولية في أمريكا

«المدينة الإسلامية» (www.Islamicity.com)، والقائمين على إدارته الإخوة: داني الدويك وشكيل سيِّد. فقد قبل هؤلاء الإخوة بصدر رحب تخصيص صفحة للاستبيان على الموقع الذي يزوره ما يزيد على ١٧ ألف زائر يومياً، بل كان من كرم إدارة الموقع أن عرضت تخفيضاً قدره ٥٪ على مشتريات الموقع لمن يشارك في الاستبيان، وكان ذلك محفزاً كبيراً لزوار الموقع من أنحاء العالم.

وأخيراً أشكر كل من أعانني على جمع مادة العينة الإحصائية، وأذكر منهم الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من أمريكا: د.أحمد الدبَّاغ، وزوجته، وعمر الخطيب، ود.سامر وتَّار، وزوجته، ورشيد بلبشير، ومروان حداد، وإسلام المرابط، وعبد الرحمٰن خليل، وكمال عاتق، وأحمد مقصود، وأدهم حسونة، وربيع حداد، ود.أحمد مبروك، وحازم جابر محمد، ومحمد بركة الله، وبسام الصياد، وحسن الريّاس، وعامر عاتق، وزوجته د.إنغرد ماتسون، ومحمد مبيض، ومحمد السيّد، ونجيب الغوش، وكمال الناجي، وهشام الدوري، ود.أيمن عَمْر، وزوجته مريم عَمْر، وسمير المنلة، ومازن عليان، ونصير أحمد، وعلاء فهمي، ود.جمال عطا الله، وغسّان طبارة، وأيمن جروان، وأحمد أسطة، وسهيل لاهر، والشيخ جمال سعيد، ود.أسعد الحروب، ود.بسام جودة، وعفَّت خان، وثائر مالك، وخليل محمد... وغيرهم كثير.

ومن أوروبا: الشيخ سالم الرافعي من ألمانيا، وغالب كالاجي من إسبانيا، ونبيل صيادي من بلجيكا. ومن لبنان: إخوتي محمود، وأحمد ـ رحمه الله ـ وإبراهيم، وخليل، وعبد الرحمٰن، ومصطفى، وغالب، وعمي عبد الفتاح شحادة، وخالتي إنصاف شحادة من منطقة جبل لبنان، والشيخ غازي حنينة من صيدا، ومحمد العريس، ومحيي الدين مراد، وفادي بدران، ود.محمد عكره، وزوجته من بيروت.

ومن المغرب: أنسابي: الحاج علي الحيبوبي، والحاجة مليكة الحيبوبي، ورضوان الحيبوبي، وحليمة الخضري، ومصطفى أبو السرور، ومحمد علي. ومن السعودية: د.زين يماني، ود.صوفي رياضي، وحسين العلي. ومن الأردن: أسامة الناعم، وخليل السيّد.

ومن العراق: د.فاضل عباس الحسب من بغداد، ود.صلاح عزيز، ومحمد شريف، وعدنان قادر، ودانا علي من السلمانية باللغة الكردية ثم ترجمتها إلى الإنكليزية. ومن الكويت: محمد الكندري على مبادرته الذاتية وجهده المنقطع النظير

في جمع عينات من الإمارات العربية والسعودية أيضاً، ومن ولاية فرجينيا الأمريكية. ومن السودان: جمعية مهيرة الخيرية، والقائمات عليها لعونهن الفعَّال.

ومن الباكستان: محمود أحمد، وأحمد والي على جمعهما عينات باللغة الفارسية ثم ترجمتها إلى الإنكليزية، وعبد الرحمن عثماني على جمعه عينة أخرى بالأردية. ومن بنغلادش: الشيخ يمين فرحات الذي ترجم الاستبيان إلى البنغالية، وجمع منه عينة ثم ترجمها إلى الإنكليزية. ومن تركيا: محمد كوسا الذي ترجم الاستبيان إلى التركية وجمع المادة، وخليل دامير على مساعدته في ترجمتها إلى الإنكليزية.

كما أشكر الجامعة الأمريكية العالمية التي احتضنت هذه الرسالة، ويسّرت بفضل الله إجراءات مناقشتها، وأخص بالذكر فضيلة المشرف الأستاذ الدكتور الحسين بن محمد شواط، والمناقشين الكريمين أحمد شليبك والدكتور بشير بن مولود على ما بذلوه من جهد ووقت، نسأل الله تعالى أن يجعل جميع ذلك في موازين حسناتهم، والله سبحانه الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

هذا كله غيض من فيض، فجزى الله كل من أسهم في إتمام هذه الدراسة، راجياً الله أن تكون هذه الجهود خالصة لوجهه تعالى، وصدقة جارية نرى أثرها في هذه الحياة الدنيا ويوم القيامة... آمين.





الإهداء

إلى أبي الذي أحيا الله قلبه بنور العلم والمعرفة، فلم يزل راغباً فيه ينهل من نبع الكتاب والسنّة ويلزم نفسه الكلم الطيب والعمل الصالح، فأحسبه ـ ولا أزكي على الله أحداً ـ من أهل العلم والعمل معاً، ومن أهل التقوى والورع الذين لا يشقى بهم جليسهم. وأما فضله في خروج هذا الكتاب بعد فضل الله تعالى وتوفيقه، فإنه لم يكن العمل فيه ليبدأ أولاً، ولا لينتهي، إلا بدوام حثه إياي عليه، ودعائه المتواصل[1].

إلى أمي.. الشمس التي تشع رأفة وحناناً، والأمل المشرق بالإيثار والإيمان، الصابرة المحتسبة على غربتي عنها في طلب العلم، أجد محياها في خاطري كلما أهمتني الخواطر، فأستمد منه النور والطمأنينة، وأرى بركة دعائها قد صبغت كل فقرة في هذا الكتاب.

إلى زوجتي التي أقر الله تعالى بها عيني بما أنعم عليها من خصال الوفاء والمودة، وزانها بالإيمان والخلق الحسن، شاركتني الحياة حلوها ومرها، فشقت من أجل راحتي ولم تكل في عوني.

إلى كل عامل أهمه أمر هذه الأمة ولم يقنط من رحمة الله بها، فتزود بالبصيرة والتوكل، وشد رحال العزائم، ثم خرج يحدو «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل، راجياً من الله القبول وطامعاً بعد في رحمته بالنجاة من النار والفوز بالجنة، وأخرى أحبها: أن ينفع به المسلمين ويجزي خير الجزاء من أسهم فيه أو أخذه بحقه.. آمين.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) بعد الإنتهاء من مسودة الكتاب هذا، قام والدي رحمه الله بقراءتها بشغف، ثم كتب لي رسالة يصف شعوره، لكن توفاه الله بعد زمن قصير قبل أن يرى إهدائي هذا، مما أحزنني كثيراً، فأحببت ضم رسالته التي أعتز بها إلى كتابي، ونصها كاملةً في الصفحتين الآتيتين.



رسالة والدي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالقِ الذي به يحقق ما نريد، حيث بذكره يلينُ الحديد، ويظهر بالاضطراب بلا سكون أثرُ سرٍّ الكاف والنون.

والصلاة والسلام على صاحب الخُلُق المكنون، وعلى آله وأصحابه حملة الشأن المصون.

وبعد،

ولدنا النجيب:

فقد قرأت ما دنا من فكري، وغاص في شِغاف قلبي من كتابِك، **إدارة الوقت** فوجدت نفسي كمن سما به اليقين، وانطوى أمامَه عالمُ الزمان والمكان ليصبحَ أقربَ إلى روح الجِنان.

وكَمَن حرَّكه عُلُو الهمّة فتحوّلت فيه الإرادةُ إلى قوةٍ زَوَى أمامَها العالمُ الأكبر، فَغَدت تَجُوب من طبَقٍ إلى طبق تعزِّز روحَ الإيمان والعمل، وتهدِّئ من ثورة ترابِ الأرض لتنهضَ بنفحةِ اليقين.

ولدنا الحبيب:

نفحاتٌ هي كلماتك، وعطاءٌ مغيَّب في صرير قلمك، أنوارٌ هي أفكارُك، نتائجُ سَحَرٍ مبارك في ميقاتِ فجرٍ قرآنُه مشهود، والعابدُ فيه محمودٌ والفكرُ بالنفحاتِ مَجدُود.

كلماتٌ هي في مبناها سوادٌ محبّر، وفي معناها جَدَدٌ منوَّر، ثورةٌ على الدَّعَةِ والراحة، دعةٌ إلى العمل الجِد بروحِ المثابَرة.

ولدنا الأريب صاحبَ الفكرِ الخصيب:

طوبى لك وحسنُ مآب، وما ينتظرك عند الله مع الحُسنى من زيادة في الثواب، فيك تحقَّقت آمالُ الربَّانيين، وشعرتُ أنا بالذات بأن الله سبحانه جعلك عليَّ نعمةً سابغةً كي أبقى بعد وفاتي موصولَ العملِ الناجعِ بصدقتك الجارية وبعلمك النافع وبدعائك الصالح، كما أنعم عليّ بإخوتك وعلى الخصوص حملة العلمِ الشريفِ حتى فاض لسانيَ ينوبُ عن ألسنتكم بقولي:

فأهنأ بطيبِ الذكرِ يا أبتي فخيرُ الذكرِ علمٌ وأرفعُ التيجانِ عِمَّة

فالله تعالى أسأل أن يزيدك يقيناً وعلماً نافعاً، ويُعلِي ذكرَك في العالمين، ويفتحَ عليك فتوحَ العارفين.

والدك
خادم العلم الشريف
وقاضي الشرع الحنيف
الشيخ أمين محمد شحادة
٢٠ من ذي الحجة ١٤٢١هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لا ريب أن الإدارة الفعَّالة على اختلاف تفرعها ظاهرةٌ بارزة في المجتمعات الحديثة، وبما أن الوقت يعد أعظم الموارد المتاحة للإنسان، فإنَّ إدارته بمثابة القاعدة التي لا يقوم بنيان إداري بدونها، وهو سيزداد تأكداً بعد ما سأبينه في مقدمة هذه الدراسة من الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع، وأخص منها دافعين: تجربتي الشخصية في الإدارة، وربما بسطت في الحديث عنها لتأثيرها الكبير على دراستي، وأهمية الموضوع والحاجة إليه، ثم أناقش المقاصد الأساسية التي استهدفتها في هذه الرسالة، وهي على ثلاثة محاور: بيان مفهوم الوقت وإدارته من منطلق علمي، وتوجيه الموضوع من منظور إسلامي، ودراسة حال المسلمين المعاصرة في تعاملهم مع أوقاتهم، ثم أختم بكلمة حول أسلوب الدراسة ومراجع الموضوع وبعض الصعوبات التي واجهتني في إعدادها.

I ـ دوافع اختياري للموضوع:

١ ـ تجربتي الشخصية:

يعود اهتمامي بموضوع إدارة الوقت إلى أيام كنت طالباً جامعياً في أمريكا، وقد كنت أيضاً رئيساً لجمعية طلابية نشطة في الجامعة، ومتطوعاً في العمل الخيري، ومشاركاً في النشاطات الشبابية الرياضية والثقافية والترفيهية، ومع كل ذلك كنت أعمل لكسب قوت يومي، فتزاحمت المسؤوليات والمهام في الليل والنهار حتى قلت ساعات النوم وكثر العناء.

في هذه الفترة التي طالت بهذا الشكل تلقيت دورة تدريبية ليوم واحد في إدارة الوقت، وكانت مقدمة اهتمام كبير لي بهذا العلم، فتعلمت من خلالها مبادئ إدارية مفيدة جداً، كما تابعت بشغف كبير القراءة والتدريب في الإدارة بشكل عام وإدارة الوقت بشكل خاص. وكنت أجرب ما أتعلم، فأجد تغيُّراً ملموساً وإنجازاً أكبر وراحة نفسية، إذ ملكتُ زمام وقتي، فلا يكاد شيء يضيع أو يُنسى، وكل شيء مسجَّل ومخطط له، فصرت أدرك أين أنا، وماذا أنجزت، وماذا سأنجز بإذن الله ومتى وكيف؟

تابعتُ البحث في هذا العلم وحرصت على مشاركة الغير في هذا الخير للإفادة منه. وبُعيْد تخرجي من الجامعة بشهادة الماجستير انتقلت إلى مدينة شيكاغو لتأسيس مؤسسة إغاثية مع بعض الزملاء، ومنذ ذلك الحين وحتى كتابة هذه السطور مضى قرابة عشر سنوات كنت فيها أكثر انشغالاً من سنين الجامعة. خلال هذه الفترة نمت المؤسسة وشمل عملها بلداناً شتى، فتزاحمت مشاغل يومي بشكل لا يطاق، ومع متابعة شؤون المكتب الرئيس والمكاتب الإقليمية وحقول العمل، ومع تعدد الأزمات التي تتفاعل المؤسسة معها في آن واحد، أزمات الحروب والكوارث الطبيعية وما تخلفه من عوز ولاجئين، تزاحمت الاجتماعات على وقتي وتعدَّدت التقارير والوثائق الواردة إلى مكتبي، وكذلك المكالمات الهاتفية إلى درجة أنني لو أجبت كل مكالمة منها لما وسعني القيام بأي شيء آخر.

أضف إلى ذلك نشاطي الخارجي في عضوية مجلس إدارة مؤسسة أخرى، وعضوية لجنتها التنفيذية وثلاث لجان مختصة، وكذلك انشغالي بطلب العلم. وإلى جانب كل هذا مطالب الحياة الأخرى، ومسؤولية العائلة والارتباطات الاجتماعية وغير ذلك. ولم تكن هذه المسؤوليات يسيرة دوماً، بل كانت الصعوبات والمعيقات تتراكم، ولم يكن بد من التفاعل معها وتذليلها.

لقد استوجب عملي مديراً لتلك المؤسسة تخطيطاً دقيقاً، فالمشاريع

أنواعها متعددة وأماكنها متفرقة في أنحاء العالم، وعليّ أن أتابع شؤون الإدارة اليومية بحيث لا أغفل عن أي حدث مهما صَغُر، ولا أفقد التوجه الكلي للعمل مهما كَبُر. لقد تطلب العمل بفريق نشط ومثابر أن نقوِّم الواقع والظروف بين الحين والآخر، ونحدِّد الأولويات، ونرسم الخطط، ونعمل على تمويل عجز الميزانيات، ونشرف على تنفيذ المشروعات. في وقت كانت الخبرات قليلة والموارد المالية والبشرية أقل، فكان علينا أن نتعلم ونعمل في آن واحد، وفي وقت تعددت فيه مجالات العمل: تنفيذ المشاريع الإغاثية العاجلة والتنموية التأسيسية طويلة المدى، ومتابعة الموظفين، والعلاقات العامة، والأمور القانونية والمحاسبية، والتخطيط المالي، والعمل الإعلاني المقروء والمرئي، ونظام المعلوماتية، والشبكة الدولية، وغير ذلك كثير.

لم أرَ أحداً أشد مني حاجة إلى ذلك العلم في تلك الفترة، فدفعني هذا إلى مزيدٍ من البحث فيه والنظر والتجربة، فحسن الإدارة وخاصة إدارة الوقت لم تصبح مجرد أداة لتنظيم العمل بل محور بقائه واستمراره. وكما يُقال: الحاجة أم الاختراع، فتعلمت الكثير من المبادئ والآليات الفعَّالة لإدارة وقتي وعملي، وابتدعتُ أساليب جديدة لذلك، ثم وجدتُ بعد سنوات أحد أكبر المراكز التدريبية يتبنى بعضها. هذا كله جعلني أهتم أكثر بهذا العلم وأشعر بضرورة إفادة الغير منه ونقله إلى من يحتاجه من خلال كتابات ودورات أقدمها، حتى آل بي الأمر ـ مع حثِّ والدي جزاه الله خيراً ـ إلى متابعة الدراسة لنيل درجة الدكتوراه في هذا العلم.

٢ ـ أهمية الموضوع والحاجة له:

إنَّ حاجة أمتنا الإسلامية والعربية اليوم لموضوع هذه الدراسة عظيمة، ذلك أننا نرى بوضوح ما آل إليه واقعنا من إهدار العمر والحياة. فحين نجد العالم الغربي يشتد حرصه على الوقت اغتناماً وتنظيماً، نجد أبناء أمتنا يبدعون في تضييعه. ولعل ذلك من أهم أسباب انحطاط أمتنا اليوم، فاضطرب الإنتاج

وضَعُف عطاء الفرد وتراجع المجتمع بأسره، حتى أضحى الأمر وكأنَّ مسيرة الزمن لدينا قد توقفت، فنجد عبارة «قتل الوقت» سائدة على لسان الناس، حتى أصبح الوقت يمضي فيما لا فائدة منه بل ربما يملأ بما يضرّ في الدنيا والآخرة أو بمجرد الفراغ، فانعدم تقييمه وضبطه وتنظيمه، وعمَّت الفوضى واضطربت المواعيد، وأضحت السنين تمر غير تاركةً أثراً إيجابياً لها.

ولقد كان المسلمون في قرونهم الأولى شديدي الحرص على أوقاتهم، فخلفوا حضارة سادت العالم، وكانت الحواضر الإسلامية قبلة للعلم والمعرفة، وبلغوا بذلك زمام القيادة من الأمم الأخرى، خلاف حالنا اليوم في ذيل الأمم.

فالوقت إذاً هو أهم عناصر الإنتاج، لذا نرى الشركات تتنافس على أساس سرعة الإنتاج وعدم تضييع وقت الزبائن، فنرى شركة «جيفي لوب» الأمريكية لصيانة السيارات تطلق حملتها الإعلامية أن صيانة السيارة تتم في أقل من نصف ساعة. وتفخر بعض مطاعم «البيتزا» بأنها تضمن لزبائنها إيصال الطلب في أقل من نصف ساعة أينما كانوا وإلا فالطلب مجاني، وظهرت شركات السرعة في كل شيء: غسل الملابس خلال ساعة، وتغيير زيت السيارة خلال ٢٠ دقيقة، وإيصال البريد لأي عنوان داخل المدينة خلال ساعتين، وإصلاح الآليات عند أي عطل خلال ٢٤ ساعة... حتى أصبح توفير الوقت محور نجاح الاستراتيجيات التسويقية.

لذلك فمن الأمور المحفزة على هذه الدراسة أنَّ حاجتنا عظيمة لمعالجة كبوة الأمة وانحرافها عن المنهج السوي، وذلك من خلال تصحيح نظرتها للوقت وتعاملها مع الحياة.

ولعل تصحيح مفهوم المقصد من خلق الإنسان ومركزه في الوجود ومسؤوليته في الحياة هو البداية لاغتنام وقته، وإنَّ واقع الأمة المعاصر يشير إلى أن هذه المفاهيم لم تتبلور في أنفس أبنائها بعد، لذا تخبَّط الركب وتخلَّفت القافلة، وتراجع الإنسان المسلم عن قيادة البشرية. فإذا أراد

المسلمون أن يكسبوا في المنافسة الحضارية المستقبلية، فعليهم توظيف الوقت لطي سنوات الفشل الحضاري الذي أصابهم خلال عصور الغفلة والسبات الفائتة، فإنَّه من السهولة بمكان أن نرد فشلنا أو تقصيرنا إلى عوامل خارجية قاهرة، لكن هذه الدراسة دعوة إلى النظر في داخل أنفسنا، حيث إنَّ سبباً ضخماً لعدم فاعليتنا يرجع إلى عدم معرفتنا ماذا نريد فعلاً وكيف نحقق ما نريده، ثم عدم استعدادنا لدفع ثمن ذلك من أوقاتنا وجهودنا للوصول إليه، وهذا ما سأعرضه بتفصيل في دراستي.

II ـ مقاصد الدراسة ومواطن الجدّة والإبداع فيها:

١ ـ بيان مفهوم الوقت وإدارته:

أهم مقاصد هذا البحث عرض مبادئ إدارة الوقت الأساسية بشكل علمي متكامل، حيث إنّه مع توفر بعض الكتابات العربية والإسلامية في هذا المجال، إلَّا أنها في غالبيتها تتحدث عن أهمية الوقت، وقليل منها يشير إلى كيفيّة حفاظ سلفنا الصالح عليه، ونادراً أن تجد دراسة تعالج كيفية إدارته بطريقة منهجية معاصرة. أود في هذه الدراسة معالجة ثلاثة محاور حول إدارة الوقت: ماذا وكيف ولماذا؟!

- ماذا نعني بالوقت ومفهوم إدارته؟
- وكيف نديره بصورة منهجية علمية وعملية؟
- ولماذا نفعل ما نقوم به؟

ذلك أن بعض الناس يدركون ماذا يعني وقتهم لهم، لكن إذا عرفوا ذلك قد لا يعلمون كيفية إدارته، وإذا علموا ذلك أيضاً، قد لا يدركون بوعي ماذا يودون القيام به من أهداف، وما هو دورهم في الحياة ولماذا؟ لذلك سأعالج في هذه الدراسة هذه الأمور الثلاثة:

ماذا:

إنَّ تصحيح نظرتنا نحو الوقت ومفهوم إدارته أمرٌ لازمٌ وضروريٌ

لحسن اغتنامه، فالجميع يعلم أن المال يقدِّم ثمناً لشراء العديد من السلع المتاحة، فيتخيَّر صاحبه ما يريده، ويصرف ماله المحدود محافظاً عليه وجاهداً في عدم تضييعه فيما لا ينفعه من السلع، وكذلك الوقت فإنَّه أغلى ما أعطيه الإنسان إذ هو الحياة نفسها، وهو ثمن لكل إنجاز، فلا يستطيع فرد بلوغ شيء من غير أن يصرف وقتاً فيه.

لكن بينما يشكل الوقت أثمن ما يملك الإنسان لأنّه عمره وحياته، نراه أكثر ما يساء فهمه واستعماله. فالوقت عنصر في كل نشاط بشري واغتنامه شرط لكل نجاح، والكون كله في خلقه وعرضه وتدبيره وتسييره وكل ما يقع فيه من حوادث مقرون بالوقت، وإنَّ مسيرة الحياة البشرية تبدأ بالوقت وتنتهي بالوقت، فعمر الإنسان نفسه موقوت بزمن لا يتعداه، وأحداث حياته كلها مؤقتة. وإنَّ الشيء الذي يشترك فيه كل البشر أنَّ كلاًّ منّا لديه ٢٤ ساعة يومياً، وسبعة أيام في الأسبوع، و٥٢ أسبوعاً في العام، ومع ذلك يتباين بشكل كبير عطاء الناس وإنتاجهم، والعامل الأعظم ـ بعد توفيق الله ـ في ذلك هو نسبة الانتفاع به واستثماره، حيث باغتنامه تتحقق مصالح الدنيا والآخرة، فهو إطار نشاط الإنسان ووعاء كل عمل. وهنا يكمن الفرق بين من عُمِّرَ طويلاً ولا يُرى لنتاج حياته أثر من الأعمال والإنجازات، ومن عَمَّر قصيراً وخلَّف وراءه من العطاء ما بلَّغه السعادة في الدارين.

والوقت يمر على الجميع بسُنَّة كونية لا علاقة للإنسان بها، لكن كيف ندير ما لا تحكم لنا به؟ والجواب على ذلك: أننا لا نستطيع أن نصنع أو ندير الوقت، بل لنا الإرادة والحرية فيما نقوم به خلال ما وهب الله وخصص لنا من الأوقات. فإذا كانت الإدارة تُعنى بتوظيف الموارد المتاحة لتحقيق الأهداف، فإنَّ إدارة الوقت هي عملية تتعلق بتوظيف مادة حياة الإنسان لبلوغ مراده، وهذه المادة هي فسحة عمره من ولادته إلى وفاته. ومن هذا المنطلق فإن إدارة الوقت تتعلق بإدارة مسيرة الحياة، وما تشتمله من أهداف نصبو لها وسلوكيات عملية توصلنا إليها.

كيف:

بعد تبيان حقيقة الوقت ومفهوم إدارته، ننتقل إلى دراسة المنهجية العلمية في كيفية إدارته مشكلاً بذلك الإطار العملي في تعاملنا مع الوقت. فبعض الناس ليس لديهم أحلام أو أهداف يحيون من أجلها، ولدى آخرين أهداف لكنها لا تخرج لعالم الواقع لأنَّهم لا يعلمون كيف يحققونها، هذه الدراسة تساعد كلا الفريقين، الأوَّل في تحديد أحلامه والثاني في إرشاده إلى كيفية الوصول لها. لذلك فإن هذه الدراسة تساعد الفرد أيّاً كان على تحقيق النجاح الذي يراه هو نجاحاً بغض النظر عمّا هو، أولاً عن طريق مساعدته في تحديد ما يراه نجاحاً من المنطلق النظري، ثم مساعدته على بلوغه من المنطلق العملي. لذلك سأتناول الآلية التي بواسطتها يستطيع الفرد إدارة وقته وتحكمه بالحدث المستقبلي في حياته، وذلك من خلال العملية الذهنية التي تسبق ذلك، وتدعى «التخطيط»، وحيث إنَّ التخطيط يُعنى بكيفية الوصول لمبتغى ما، فسأتعرض لموضوع «الأهداف»، فالتخطيط لبلوغ الأهداف علمٌ له سلوكياته الإدارية المنهجية، إضافة إلى سلوكياته التنفيذية الفعَّالة، وهذا ما سأتعرض له في الفصل الثالث.

كما سأتناول أساليب ومبادئ إدارية عالمية في استخدامها وصحتها، بلا حدود جغرافية أو مهنية لها، صالحة للبيت والمدرسة والجامعة، وللشركة والمؤسسة والدولة، وللرجل والمرأة، وللكبير وللصغير، وللرئيس والمرؤوس، وللتاجر ولطالب العلم. كلٌّ بإمكانه استخدامها للوصول لما يريد تحقيقه في حياته. ذلك لأنها ليست مجرد نظريات حول ماهية إدارة الوقت، بل إنها توفِّر الإجراءات العملية التطبيقية لتعاملنا مع أوقاتنا.

لماذا:

خلال بحثي في موضوع إدارة الوقت والقيام بالدورات التدريبية في ذلك، ومناقشة الموضوع مع المهتمين وأهل الاختصاص، وجدت أن علاج إدارة أوقاتنا لا تتوقف عند بيان ماذا نعني بإدارة الوقت وكيف نديره،

بل لماذا أريد تحقيق هدف ما؟ لذلك تطورت دراستي لتشتمل على هذا الموضوع لاعتقادي أهميته، ولقد أفردت له الفصل الثاني. وهذا الموضوع نَدُر تناوله في الدراسات الغربية والعربية.

هذا البعد في الدراسة يشير إلى أنَّ ثمة أسئلة عقلية عميقة وملحة توفِّر لنا المنطلق الوجداني في تعاملنا مع أوقاتنا. فهل مجرد المحافظة على الدقائق والساعات، والتحكم بالأحداث الحياتية خلالها، وملء اليوم والذي يليه بالنشاطات المبرمجة ضمن خطط دقيقة سيوصلني للفعالية والنجاح في حياتي؟! وهل تحديدي للأهداف التي أحلم بإنجازها، ومن ثم العمل الدؤوب على تحقيقها في عالم الواقع يعد فعلاً نجاحاً؟ ليس بالضرورة ذلك. فإنَّ النجاح في تحديد ما تريده ابتداءً لا يقل أهمية عن النجاح في كيفية الوصول إليه، وذلك من خلال تأكدك أنك لا تدير وقتك فحسب، بل تقود حياتك على بصيرة قبل ذلك نحو الاتجاه الصحيح.

وإذا كان حديثنا عن الوقت يستدعي حديثنا عن الحياة، فطبيعيٌّ أن أعالج ههنا معنى الحياة والمقصد من وجودي. وبما أنَّ إدارة الوقت تعنى بإدارة الذات، والقيادة تسبق الإدارة، لزم تبيان توجهي في الحياة، وأين أريد أن أقود مسيرة حياتي، ثم يتبع ذلك كيفية ذلك عن طريق الإدارة. لذلك لا بد من النظر في من أنا وإلى أين أسير؟ وهل لي مهمة خاصة ودور أعيش من أجله؟ وما هي رسالتي في الحياة؟ لذلك سأتعرض للأصل الذي لا يقوم بنيان سلوكي بدونه، وهو المنظومة العقيدية التي تشكّل بحقيقتها مرآة الأفعال. سأتناول أثرها في بناء رسالة الإنسان في الحياة، وتصوره نحو الوجود، ذلك أنني على يقين أنَّ مجرد عرض الكيفيات العملية لإدارة الوقت لن تكون ناجعة دون معالجة ما بداخل النفس من اعتقادات ومفاهيم وأفكار، منبهاً في دراستي إلى ضرورة التجديد في بناء رسالة المسلم وتوجهه الواضح في الحياة.

٢ ـ التوجيه الإسلامي لإدارة الوقت:

من مقاصد دراستي هذه أيضاً إبراز التوجيه الإسلامي لإدارة الوقت، ذلك أنَّ الحاجة شديدة للتجديد في هذا الباب وإحياء مفاهيم إسلامية أصيلة أضحت غريبة عن ثقافتنا حول الوقت وإدارته. إننا نرى أنَّ الأمة الإسلامية وقعت في الفصام بين العقيدة والسلوك الحياتي، فأصبح صاحب العقيدة الإسلامية هو نفسه صاحب ثقافة غربية في جانب كبير من جوانب تفاعله مع وقته.

إنَّ التوجيه الإسلامي للثقافة يقوم على ضرورة تأسيسها على أصول الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومنهج حياة، وفي ضوء معارف وإنجازات المجتمعات الإسلامية السابقة، وفي ضوء معرفة خلفيات الثقافة الغربية وحقيقتها وظروف نشأتها وأهدافها بعيداً عن مجرد الانبهار بها. ذلك أنَّ طلب العلم وكسب المعارف أضحى اليوم مساوياً لمجرد النقل والاقتباس للقناعات الغربية بعيداً عن محاولة الفهم والاجتهادات الشخصية للمتعلِّم، وأصبح انتماؤنا إلى المعاصرة العلمية والثقافية إنما هو بالولاء الأعمى للثقافة الغربية وتقليدها، وما هو سوى ترجمات أو في أحسن حالاته إعادة صياغة بالمضامين نفسها، وأخص بالذكر العلوم الإنسانية والاجتماعية.

وإننا حينما نتكلم عن إدارة الوقت، فإنَّ ذلك متصل بالإنسان: عقيدته وسلوكه وتفاعله في الحياة، ذلك الإنسان الذي يشكل العنصر الأساس في بناء أي حضارة.

فإذا كانت الرؤية الإسلامية لحياة الإنسان على أنَّها ممرٌّ، وأنَّ انقضاء وجوده على الأرض ليس انتهاءً لحياته، وأنَّ ثمة حياة بعدها تتعلق بها. هذه الرؤية تغيِّر من وجهة الفرد في حياته، أهدافه وسلوكياته اليومية، بخلاف الرؤية العلمانية إلى هذه الحياة على أنها بداية ونهاية وجود الإنسان[١].

---

(١) عدنان محمد زرزور، التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف ـ مفهومه وأهدافه، بيروت، =

لذلك كان من الضروري إعادة صياغة العقول في هذا المجال، وذلك من خلال تصحيح نظرة الإنسان المسلم المعاصر نحو الكون والحياة، ومن ثمَّ تصحيح تفاعله مع وقته، بما يتلاءم وثقافته الإسلامية والعربية. بذلك تنسجم المفاهيم الإيمانية مع السلوك العملي مشكلة الشخصية المسلمة المتكاملة والمتجانسة.

كما أنني سأستعرض الفوارق الأساسية بين المنهج الإسلامي والمنهج الغربي لإدارة الوقت، وبيان التباين في تفاعل الناس مع وقتهم تبعاً لذلك. كما سأوضِّح كيف نظَّم الإسلام الأعمال على مدار الساعة، وكيف تفاعل المسلمون مع الوقت خلال عصور نهضتهم، مبرزاً مفهوماً قرآنياً في إدارة الوقت هو مبدأ السباق والمسارعة، مستعرضاً مفهومه ومادته والغاية منه.

وحيث إن «الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»[1]، سأتناول في هذه الدراسة أهم النظريات والمبادئ المعاصرة التي توصل إليها الباحثون في إدارة الوقت، مقوّماً لها، وقابلاً منها ما وافق روح الإسلام، ورافضاً أو مصححاً ما خالفه. ومن منطلق التوجيه الإسلامي لهذا العلم وضعت أنموذجاً أطلقت عليه «شجرة الحياة» ممثلاً نظرة متكاملة لإدارة الوقت وهو أصح من الأنموذج الغربي «الهرم الإنتاجي». وكذلك نماذج أخرى عملت على أسلمتها بحيث لا تتناقض مع أصول شريعتنا، وثوابت تراثنا الإسلامي والعربي.

٣ ـ استقراء واقع المسلمين المعاصر:

هذا القسم يشكل الدراسة الميدانية من البحث، وذلك من خلال

= مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص٧ ـ ٤٩. والشيخ عثمان عبد القادر الصافي، أسلمة العلوم الإنسانية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص١٣، ٩٠.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٨٧، وأشار الترمذي إلى تضعيفه.

استبيان استقرائي لقياس مدى فاعلية المسلم في اغتنام وقته في عالمنا المعاصر، وكيف يختلف هذا بحسب الجنس والعمر والبيئة والتحصيل العلمي وعوامل أخرى. تطلبت هذه الدراسة جمع المادة الإحصائية، ثمّ تحليلها بطريقة علمية بغية الوصول إلى تشكيل واقع معاصر للفرد المسلم في تعامله مع وقته لمعرفة المواطن التي تتطلب إصلاحاً ليركِّز عليها المربون.

سأتناول في الدراسة الاستقرائية كيف يصرف الفرد وقته في نشاطاته اليومية المختلفة، ودرجة إنتاجيته اليومية، وما هي المشكلات التي تقف أمام عطاء أكبر. كما سأتناول أهداف المشتركين في الدراسة، ومدى استخدامهم للمهارات والآليات اللازمة لتحقيق أهدافهم الحياتية.

ولقد بحثت موضوعي هذا من خلال أربعة فصول، ثلاثة للدراسة النظرية والأخير للدراسة الميدانية، وهي على النحو الآتي:

- الفصل الأوّل: مفهوم إدارة الوقت... وهو حول الجزء النظري المتعلق بالسؤال: ماذا؟

- الفصل الثاني: رسالة المسلم في الحياة.. وهو حول الجزء النظري المتعلق بالسؤال: لماذا؟

- الفصل الثالث: التخطيط لبلوغ الأهداف... وهو حول الجزء النظري المتعلق بالسؤال: كيف؟

- الفصل الرابع: استقراء واقع المسلمين المعاصر.. وهو حول الجزء المتعلق بالدراسة الميدانية.

ثم خلصتُ في نهاية دراستي هذه إلى جملة من التوصيات للمربين والأفراد، الأولى تهدف إلى كيفية حمل الجيل الصاعد على اغتنام وقته للنهوض بالمجتمع، والثانية تقدم خطوات منهجية واضحة لنجاح الفرد في إدارة وقته.

III ـ أسلوب الدراسة ومراجعها:

لعله من الملاحظ أن أسلوب هذه الدراسة ليس ما عهدته البحوث الأكاديمية من الجفاف النظري، ذلك أنني لم أردها أن تكون مجرد عمل أكاديمي لنيل درجة الدكتوراه، بل رميت أيضاً إلى أن تجد تأثيراً عملياً في النفوس، وقد انعكس هذا المطلب بوضوح في أسلوب الرسالة. لكن ذلك لا يعني بحال أنها ليست عملاً أكاديمياً وبحثاً علمياً رصيناً وجادّاً، بل إنها تضمنت صفات ذلك بكل وضوح.

برغم ذلك فهو كتاب تطبيقي عملي، يهدف إلى تغيير سلوك الفرد في تعامله مع وقته، فهو يبدأ بالقارئ وينتهي به، مشتملاً على مفاهيم إن أُخذت بجدية فإنها تغيِّر حياة الفرد من السلبيّة وعدم الفاعلية إلى الإيجابية والفاعلية في الحياة، فهو يركز على مجال التنمية الذاتية، بحيث يساعد الفرد على أن يقود نفسه نحو التغيير.

ولقد عرضت تلك المفاهيم والنظريات في أسلوب يشاركه الخطاب، فيقرِّب النظريات إلى مفهومه، فقمت أحياناً بمحاورته مخاطباً الضمير والعواطف الوجدانية المتمثلة في أسلوب «العقل الأيمن»[1] الذي ينظر فيما يريده الفرد وفلسفته الحياتية، وأحياناً أخرى مخاطباً القارئ بأسلوب التعليل والتحليل المتمثل بأسلوب «العقل الأيسر» في المنهجية العلمية في إدارة الوقت.

لذلك تأرجح أسلوب الدراسة بين اللغة العلمية والخطاب العقلي، وبين المرونة، ومحاورة الوجدان أحياناً أخرى بما يلائم الطرح. ذلك أن دراستي هذه اشتملت على خلاصة تطور هذا العلم ومدارسه، وهو بحث

(١) يتألف الدماغ من جزأين نصف كرويين، كلٌّ مختص بوظائف مختلفة، العقل الأيمن وهو مختص بالإبداع والاعتقاد والمشاعر، والعقل الأيسر وهو مختص بالتفكير التحليلي وتكمن فيه حاسة الوقت. انظر: ص٢٣١ ـ ٢٣٢ من هذا الكتاب.

في الواقع المعاصر لتعامل المسلمين مع أوقاتهم، كما تضمنت أيضاً تجارب وقصصاً شخصية تربط تلك المفاهيم بالواقع.

كما أن طبيعة مراجع الدراسة قد عكست أسلوبها أيضاً، فقد اشتملت على مراجع شرعية وتراثية قديمة وكتب حديثة؛ سواء أكانت في مجال التنمية الذاتية أو دراسات أكاديمية جادة، وباللغتين العربية والإنكليزية. ذلك أنَّه قد واجهتني صعوبة نُدرة المراجع العربية المختصة في موضوع إدارة الوقت، فجعلت أنظر في أمهات الكتب الإسلامية والتراثية لأقتنص المفاهيم الإسلامية في الموضوع، كما استفدت من الكتب الحديثة مع قلَّتها. هذا وقد رجعت في دراستي إلى العديد من الدراسات الغربية، وذلك لكثرتها ولكوني موجوداً في أمريكا خلال إعداد الدراسة حيث تزداد قلة المراجع العربية.

وأَلفتُ النظرَ إلى أن أي نقلٍ من المصادر باللغة الإنكليزية كان بترجمتي، فأينما وضعت في الحواشي مرجعاً أجنبياً، فإن كان النص المنقول بين قوسين فهو ترجمتي الدقيقة للأصل باللغة الإنكليزية، وحينما لا أضعه بين قوسين فهو ترجمتي للفكرة بتصرف. ولقد أشرت في الحواشي إلى المراجع الأجنبية المعرَّبة. وبالرغم من الصعوبات التي واجهتني في مصادر الدراسة النظرية، فلقد رجعت إلى ما يزيد على ٣٠٠ مرجعٍ باللغتين العربية والإنكليزية.

وأخيراً، أحمدُ الله عزَّ وجل أن وفقني لإتمام هذه الدراسة، فإليه يرجع الفضل كله في تذليل ما واجهني من الصعوبات المتنوعة، سواء في قلة المراجع ابتداءً، أو في جمع المادة الإحصائية من العديد من الدول حول العالم، ولقد حرصت على إتقان هذا العمل مهما تطلب ذلك من جهد ووقت، فتطورت الدراسة واختُصرت ونُقِّحت مرات عدة، ولا زلت أزيد فيها وأنقص منها حتى إعداد هذه السطور. وهي كأي عملٍ بشري لا تخلو من النقص وتحتاج إلى التصويب، وخاصة أنها اجتهاد، هو الأوَّل

من نوعه فيما أعلم، بشهادة العديد من المتخصصين، فما أصبت فيه فمن الله وما أخطأت فيه فمن نفسي، لذلك أرجو من القارئ الكريم موافاتي بالنقد البنَّاء، راجياً الله المثوبة، وطالباً دعاء كل من استفاد من هذا الجهد المتواضع، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

محمد أمين شحادة/ شيكاغو
في ٥ ربيع الأوَّل ١٤٢٦هـ
١٤/٤/٢٠٠٥

الفصل الأول

مفهوم إدارة الوقت

الفصل الأوَّل
مفهوم إدارة الوقت

مقدمة الفصل الأوّل

ما وُجد عملٌ إلّا وكانت الإدارة سبباً أساساً ومقدمة لا بد منها لنجاحه، فربُّ الأسرة يحتاج إلى إدارة أسرته، والتاجر يحتاج إلى إدارة تجارته، والزارع يحتاج إلى إدارة مزرعته، ورئيس الشركة يحتاج إلى إدارة شركته، ورئيس الدولة يحتاج إلى إدارة حكومته ومجتمعه، هذا إنْ كان النجاح مطلباً لدى هؤلاء جميعاً. ويجمع هؤلاء وغيرهم حاجتهم قبل ذلك إلى إدارة أنفسهم، فكل فرد مسؤول عن نفسه أولًا، ويُطلق على هذا النوع من الإدارة «**إدارة الوقت**».

إنّ الإدارة الفعّالة على اختلاف تفرُّعها ظاهرةٌ بارزةٌ في المجتمعات الحديثة، وتأتي إدارة الوقت كالقاعدة التي لا يقوم بنيان إداريٌّ بدونها. والباحث في واقع أمتنا المعاصر يجد أنّ أحد أهم أسباب انحطاطها عدم اغتنام الوقت، إنّه يمضي لدى أفراد الأمة في ضياع تام، فلا يستثمر في عمل دنيا ولا في عمل آخرة، فاضطرب التحصيل العلمي، وضعُف عطاء الفرد على اختلاف المستويات، وتراجع المجتمع ككل في عالم الفعّالية والإنتاج، وأضحت الأعمار تُهدَر في عبث، حتى كأن مسيرة التاريخ قد توقفت عندنا.

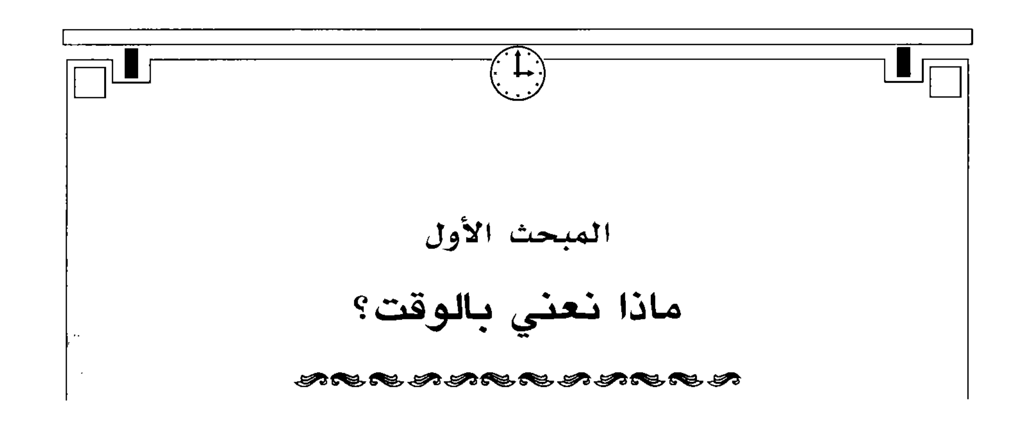
في هذا الفصل سأتعرض إلى مفاهيم أساسية حول الوقت وإدارته، ولقد قسَّمته إلى أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: ماذا نعني بالوقت؟ حيث سأدرس ماهية الوقت وعلاقته بمُضي الزمن، وعلاقته بحياة الإنسان وحركته في الكون، مشيراً إلى أنَّ تحقق مصالحه في الدنيا والآخرة متوقف على حسن اغتنامه.

المبحث الثاني: قياس الوقت: هنا سأستعرض ارتباط حياة الإنسان ونهضته عبر التاريخ بالوقت، وكيف قام بقياسه منذ القدم وحتى عصرنا هذا، متعرضاً إلى مفهومي التقويم والتوقيت في قياسه لمرور الزمن.

المبحث الثالث: مقارنة بين المنهجين الإسلامي والغربي في تفاعلهما مع الوقت: في هذا المبحث سأتناول أهم الفوارق لدى أصحاب المنهجين في تعاملهما مع الوقت، كما سأتعرض للوقت في المنهج الإسلامي من حيث ماهية وجوده ومسؤولية المسلم تجاهه، وكيف نظَّم الإسلام الأعمال على مدار الساعة. وسأناقش منهجية السباق في إدارة الوقت كما عرضها كتاب الله، من حيث مفهومه ومادته والغاية منه.

المبحث الرابع: مفهوم إدارة الوقت: سأتناول هنا مفهوم الوقت من منظور إداري عملي، مستعرضاً العلاقة بين إدارة الوقت والتحكم بالأحداث الحياتية، وكيف يصل الإنسان إلى ما يريد من أهداف، وكيف يحقق خلال عمره أعمالاً مميزة وعطاءً فعالاً إن شاء الله؟.



المبحث الأول

ماذا نعني بالوقت؟

مقدمة المبحث الأوّل

ما هو الوقت؟ سؤال قد يجيب عليه كل فرد بجواب يختلف عن الآخر!

عند تأمّلك في هذا السؤال قد يذهب تفكيرك نحو التقويم السنوي بأشهره الاثني عشر، وهو يشير إلى بداية الشهر ونهايته وأيامه، لكن هذا ما يسمى التقويم، وربما تظن المقصود عقارب الساعة، وهي تدور حول الميناء الذي قسمه البابليون والآشوريون إلى اثنتي عشرة وحدة زمنية سُميت كلٌّ منها ساعة، لكن هذا يسمى التوقيت، ويختلف باختلاف البلد، فإذا كان التوقيت في مكة المكرّمة ٣:٣٠ عصراً، فهو في الوقت نفسه ١٢:٣٠ ظهراً في لندن، و٨:٣٠ صباحاً في شيكاغو.

إن بحثنا في إدارة الوقت يتطلب فهمنا لحقيقة الوقت ابتداءً. في هذا المبحث سأتعرض لمفهوم الوقت والزمن، وعلاقته بحياة الإنسان وعمره مشيراً إلى أنَّ اغتنام الوقت هو اغتنامٌ لفسحة الحياة، وبه تتحقق مصالح الدنيا والآخرة، وبتضييعه خسرانٌ لكل شيء.

تمهيد:

علاقة الوقت بالزمن

الوقت ليس الزمن، فالزمن أعم من الوقت، جاء في لسان العرب للعلَّامة ابن منظور: «الوقت مقدار من الزمن معلوم»، وقال ابن سيدة: «الوقت المقدار من الدهر معروف»[1]، وبذلك قال مجد الدين الفيروزآبادي: «الوقت مقدار من الدهر»[2]، وكل شيء قدَّرت له حيناً فهو مؤقت، وجاء في التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[3]، أي: مؤقتاً مقدَّراً، وقيل: أي كُتبت عليهم في أوقات مؤقتة، قال ابن الأثير: التوقيت والتأقيت أن يُجعل للشيء وقت يختص به، وهو بيان مقدار المدة[4]. وجاء في لسان العرب: «كل شيء قدّرت له حيناً فهو مؤقّت»[5]. لذلك يتبيّن لنا من تلك التعريفات أنّ الوقت هو جزءٌ معرّف من الزمن.

المطلب الأوّل: وقت الإنسان حياته

إذا كان الوقت ليس الزمن كله، الذي هو امتداد العصور والآجال في هذه الدنيا منذ بدء خلق الله ﷻ لهذا العالم وحتى يشاء الله، وإذا كان الوقت جزءاً من الزمن معلوماً ـ كما سبق ذكره ـ فإنني أعني بالوقت ذلك

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م، مادة: وقت، ج ١٣ ص١٠٧.

(٢) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، القاهرة، دار مصطفى الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م، مادة: وقت، ج ١٠ ص١٦٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة: وقت، ج ١٣ ص١٠٧.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة: وقت، ج ١٣ ص١٠٨.

الجزء الذي تعيش خلاله في هذه الدنيا، إنه عمر الإنسان ومادة حياته، فما حياة الإنسان الدنيوية سوى الوقت الذي يقضيه من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، إنها تلك السنوات والأشهر والأيام التي تعيش في الدار الدنيا على كوكب يسمى الأرض لقدرٍ معيّن من الزمن.

وقد قيل في تشبيه العمر: «ما العمر إلّا كتاب دفتاه: الولادة والموت، وصفحاته الأيام، وبانقضاء كل يوم تُطوى صفحة من صفحاته يُدوّن فيها أحد أمرين لا ثالث لهما: خير وصلاح تُثاب عليه، أو فسوق وعصيان تجازى عليه، كل صفحة تُطوى تدنيك من الخاتمة، حتى إذا وصلتها كان الرزق قد اكتمل، والعمر قد نفد، وأزف الرحيل»[١]. وقال الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك»[٢].

وقال الشاعر في مسيرة العمر عبر الأيام والأشهر[٣]:

وما المرء إلا راكب ظهر عُمره ... على سفرٍ يفنيه باليوم والشهر

يبيتُ ويضحى كلَّ يوم وليلةٍ ... بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر

لذلك حينما أطلق كلمة الوقت إنما أعني وقت الإنسان، أي: عمره الذي يعيشه. قال الإمام ابن القيم: «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة»[٤]. وبما أن الوقت هنا هو العمر، فحديثنا عن الحياة، وليست أي حياة، إنما هي حياتك، ولا عجب أن يفسر صاحب القاموس المحيط «العُمْرُ» بالحياة، فيقول: «العمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة»[٥].

---

(١) المجتمع، مجلة أسبوعية تصدر من الكويت، العدد ١٢١٠، ١٤ ربيع الأول ١٤١٧هـ ـ ٣٠ تموز ١٩٩٦م.

(٢) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص٥١.

(٣) المرجع السابق، ص٢١.

(٤) ابن قيِّم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، القاهرة، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ص٢٠٨.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة: عمر.

وكذلك جاء في لسان العرب: «العَمْر والعُمُر والعُمْر: الحياة»[١]، وقد قال الأستاذ حسن البنا: «من عرف حق الوقت، فقد أدرك الحياة، فالوقت هو الحياة»[٢]، وصدق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حين أطلق على الزمن عبارة «ميدان الحياة»، وقال أيضاً: «الزمن هو عُمرُ الحياة، وميدانُ وجود الإنسان، وساحةُ ظِلِّهِ وبقائِهِ ونفعِهِ وانتفاعه»[٣].

فالوقت هو عمرنا من حيث المادة ومن حيث العنصر النفسي. يلاحظ ألكسيس كاريل في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» أننا نقيس عمرنا «بحركة عقارب الساعة حول الميناء، ونشبهه بمرور هذه العقارب في فترات متساوية هي الثواني والدقائق والساعات، ويطابق زمن الساعة حوادث متناسقة مثل دوران الأرض حول محورها وحول الشمس، فعمرنا إذن يعبر عنه بوحدات من الزمن الشمسي ويتألف من حوالي ٢٥,٠٠٠ يومٍ»[٤].

وينقل ألكسيس كاريل عن برغسون قوله: إنّ «الزمن هو مادة الحياة السيكولوجية نفسها.. وأنّ العمر ليس لحظة تأخذ مكان أخرى.. فالعمر هو التقدم المستمر للماضي الذي ينهش المستقبل ويتورم كلما تقدم.. وتكدس الماضي فوق الماضي يستمر دون تراجع.. وفي الحقيقة إنّ الماضي يحفظ نفسه آلياً ومن المحتمل أن يتبعنا بكليته في كل لحظة.. ولا شك بأننا نفكّر بقسم صغير فقط من ماضينا»[٥]. ويوضّح ألكسيس كاريل هذه العبارات بقوله: «إننا تاريخ، وطول هذا التاريخ يعبر عن غنى حياتنا الداخلية أكثر مما يعبر عنه عدد سنوات حياتنا، ونحن نشعر بشكل

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة: عمر.

(٢) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٧.

(٤) ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص١٨٥.

(٥) المرجع السابق، ص١٩٠.

غامض أننا لسنا اليوم مثلما كنا عليه بالأمس، إذ يبدو كأنّ الأيام تطير بسرعة أكثر فأكثر، إلا أنه لا يوجد بين هذه التغييرات ما هو دقيق أو مستمر إلى درجة كافية بحيث يمكن قياسه»[1].

ولعل ما ذهب إليه الدكتور محمد عثمان صالح من تصويب عبارة «الوقت هو الحياة» بأنّ «الحياة هي وقت» فيها وجهة نظر واقعية، حيث إنّ حركة الكائن الحي تنتهي بانتهاء أجله الذي يعيش، فانقضاء حياته نتيجة مباشرة لانتهاء المدة الزمنية المتاحة له في هذه الدنيا[2].

ويلاحظ أيضاً أنّ مفهوم الوقت قريب من مفهوم الأجل[3]، فهو الزمن الموقت والأجل المضروب، وأشمل منه الدهر والزمن والأبد والأزل، وحركة الزمان تشمل القرون والسنين والشهور والأسابيع والأيام والساعات إلى أن تصل إلى اللحظات. فكل فرد له أجل لا يجاوزه، وهو قدر من الزمن متاح له، ثم يرتحل إلى دار البقاء، قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[5]، فعمر الفرد محدود وأجله مكتوب: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[6].

لذلك لعل إطلاق صفة «الحياة» على قتلة أوقاتهم إطلاق خاطئ، بل إنّ من الأموات من تبقى ذكراهم مخلدة على مر القرون لما خلّفوا من

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٠.

(٢) محمد عثمان صالح، العبادات وأثرها في ضبط الوقت، مجلة أبحاث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو/ أيار ١٩٩٩م، ص٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٤) سورة المنافقون: الآية ١١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٤.

(٦) سورة فاطر: الآية ١١.

بعدهم من إنتاج، ألم يُخلّد ذكر الإمام الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك وابن تيمية والشوكاني والأوزاعي وابن المبارك وابن حزم وابن كثير ممّن قد لا يمر بعد موت أحدهم يوم إلّا وهنالك من يذكر اسمهم ويتّعظ بنهجهم وينهل من إنتاجهم؟ بينما هنالك «أحياء» بمعنى أنّهم فوق التراب، لكنّهم في الحقيقة كالأموات التي تستطيع أن تأكل وتشرب وتنام، تجد صفحات أيامهم بيضاء لا في عمل دنيا ولا في عمل دين، ولسان حالهم يقول: «إننا نقتل وقتنا»، وهذا القول صحيح، فإذا كان القلب صمام الحياة ـ كما يُقال ـ فإنّ الوقت مادة الحياة، وقتله إهدار لتلك الحياة، حيث يعيش المرء انتحاراً بطيئاً.

ولتقريب هذا المفهوم، افترض أنّ لديك حساباً مصرفياً يشترط عليك شروطاً: الشرط الأوّل: أنه يعطيك ١٤٤٠ دولاراً كل صباح، والشرط الثاني: عليك استخدام المبلغ بحسب ما تريد، والشرط الثالث: أنّ أي مال لم يُصرف ذاك اليوم يضيع عليك، فلا يتراكم المال من يوم لآخر. ذلك الحساب المصرفي هو الوقت، والمال هو تلك الدقائق المتاحة لك كل يوم، لديك ١٤٤٠ دقيقة تُصرف لك كل صباح، وماذا تفعل خلالها؟ هو سؤال يتعلق بإدارة الوقت.

فالاعتبار بمضي الأيام والعمل الدؤوب خلالها هو شأن الحريص على وقته حرصه على عمره وحياته الدنيا وكذا حرصه على حياته الأخرى، ذلك لأنّ رصيده في «مصرف أعماله» الذي نماه في أيامه تتوقف عليه حياته بعد نفاد «مصرف أيامه».

لذا فإن أهمية الوقت تنبع من أهمية حياتك التي تعيشها، فإن كانت تلك الحياة أثمن ما تقيّم، فحفظ الوقت حفظٌ لها، وقتله إهدارٌ لمعيشتك التي أتاحها الله لك. يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «إن قضية الوقت ليست إحدى قضايا حياة المسلم، بل هي على رأس هذه القضايا فما

الوقت إلا «الحياة»، وما هذه الدقائق والثواني فضلاً عن الساعات والأيام إلا العمر الإنساني وإلا الحياة الإنسانية»[1]. وإنّ إضاعة هذه الأجزاء من الوقت مهما قلّت إضاعة لعمر الإنسان كله أو بعضه بحسب ما يضيع من ذلك، ولعل الفرد يستصغر تضييع ساعات قليلة، لكنّ الساعات تتبعها الساعات، فتشكّل أياماً تضيع سدى جارفة أمامها العمر بأكمله. قال برادلي ماكري: «إذا أضعْتُ دقيقةً، فإنني أُضيّع ساعة، وإذا أضعتُ ساعةً فإنني أضيّع يوماً، وإذا أضعت يوماً فقد أضعتُ الحياة»[2].

المطلب الثاني: ماذا تعني ساعة من حياتك؟

إنّ ساعة من حياتك تعني حصول أربعة آلاف انقباض لعضلات قلبك يضخ خلالها ما يقرب من ثلاثمائة لتر من الدم إلى جميع أنحاء جسدك، وهي تعني أن عضلات التنفس لديك قد انقبضت وانبسطت حوالي ألف مرة لتستنشق من الهواء قرابة ٥٠٠ لتر من أجل توفير الأكسجين لجسدك، كما تعني تلك الساعة انطلاق البلايين من الإشارات العصبية من الجهاز العصبي المركزي إلى جميع أجزاء الجسم، وتعني أيضاً موت البلايين من خلايا الجسد وولادة ما يحل محلها، هذا بالإضافة إلى تفاعلات كيميائية لا تحصى داخل خلايا الجسد وأجهزته وأعضائه المختلفة... إلخ[3].

خلال الساعة نفسها أنت في حركة دائمة، فتدور مع الأرض حول محورها مسافة حوالي ألف كيلومتر (٦٨٢ ميلاً) خلالها، وتدور مع الأرض حول الشمس بسرعة هائلة تصل إلى مليون وستمائة ألف كيلومتر (٩٠٩ ألف ميل) في الساعة، وأنت أيضاً تسير في حركة مستمرة ضمن مجرة درب التبانة

---

(١) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص٣.

(٢) Bradley C, McRae, Practical Time Management, North Vancouver, Canada, self-Counsel Press, 2nd Edition, 1992, P.20.

(٣) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٢١ ـ ٢٢.

في فلك الله الواسع بسرعة خيالية لا تُتصور، فالساعة من الزمن تعني حركة لك على الأرض ومع الأرض ومع المجموعة الشمسية ثم مع المجرة داخل هذا الكون الذي لا يعرف منتهاه، غير خالقه سبحانه وتعالى[1].

يحصل هذا كله من دون شعور منك ولا حتى خيار لك في حدوثه، لكن هذه الساعة من الزمن قد تعني أيضاً لبعض الناس عملاً مميزاً وإنجازات هامة، ولكنها قد لا تعني شيئاً للآخرين، فتضيع في جلسات لهو أو نوم أو ما شابه ذلك، واغتنام هذه الساعة أو إضاعتها هو خيارك الأوحد. وهذا هو الفرق بين الفعّالية واللافعّالية، وبين الإيجابية والسلبيّة في صرف تلك الساعة من الوقت، فالساعة بالنسبة للإنسان الفعّال لها قيمتها المتميزة، لا يدعها تمضي من دون أن ينتفع منها. والساعة من الزمن هي نفسها لكل البشر، لكنّها بالنسبة للإنسان الفعّال لحظات تنبض بالحيوية والنشاط والإنجازات، وليست لحظات خامدة ميتة لا أثر لها بعد مضيها، وهذا يعتمد على اختلاف تثمين الوقت لدى البشر.

المطلب الثالث: جميع المصالح منوطة بالوقت

إن جميع المصالح تتأتى من خلال حسن الإفادة من الوقت، فطلب العلم يحتاج للوقت الطويل، أليس نيل الشهادة الجامعية الأولى يحتاج إلى استثمار ستة عشر عاماً من عمرك تقضيها في الدراسة؟ وطلب الرزق يحتاج إلى الوقت، أليس التاجر في محله يظن بأنه قد يبيع ويربح أكثر إن كان يومه ٦٠ ساعة بدل تلك الـ٢٤ ساعة؟ بالمقابل إن لم يستغل الإنسان وقته لم يحصل على علم نافع ولا تجارة رابحة ولا عبادة مأجور عليها. لا شك أنك إن لم تداوم على العمل في وظيفتك في الأوقات المحددة ستضيع وظيفتك، وإن لم تصلِّ الفجرَ في وقته بلا عذر سيضيع أجره، وإن لم تسجل في الجامعة وتدرس وتداوم على الحضور لما حصلت على شهادة جامعية.

---

(١) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٢٨ ـ ٢٩.

قال أحد الحكماء: «أعز الأشياء قلبك ووقتك، فإذا أهملت قلبك وضيّعت وقتك فقد ذهبت منك الفوائد»[1]، ويقول ابن القيم[2]: «أعلى الفِكَرِ وأجلُّها وأنفعُها ما كان لله والدار الآخرة، فما كان لله فهو أنواع. . . ، النوع الخامس: الفِكرةُ في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهَمِّ كله عليه، فالعارفُ ابنُ وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالِحُهُ كلّهَا، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبداً!».

وإن إحصاء كل لحظة والاستفادة منها في عمل نافع دليل رجاحة العقل وحسن فهم الحياة التي إن جزأتها وجدتها لحظات تبع بعضها بعضاً. يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيِّع منه لحظة في غير قُربة، ويُقدّم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل»[3]، وكان يتحسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الوقت الذي يصرفه في بعض المباح مثل الأكل بقوله: «والله إنني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز»[4]. وإنّه «لما حافظ المسلمون على أوقاتهم، وعرفوا دورهم في الحياة سعدوا وسعدت الدنيا بهم، وطيبوا بقاع الأرض بأقوالهم وأفعالهم، وصحف التاريخ ملأى بتلك المآثر الحميدة والأعمال الرشيدة، فقد كانوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار، طلبوا الآخرة فذلت لهم الدنيا وأتتهم وهي صاغرة، لم يتركوا ميدانَ سبْقٍ إلى الخير إلّا استبقوا إليه فسبقوا»[5].

---

(١) ابن الجوزي، الحدائق، جـ ٣ ص٢٣٥، نقلاً عن جاسم محمد بدر المطوِّع، الوقت عمار أو دمار، الجزء الثاني، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٣٣.

(٢) ابن قيِّم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، مرجع سابق، ص٢٠٨ - ٢٠٩.

(٣) ابن الجوزي، صيد الخاطر، دمشق، دار الفكر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، جـ ١ ص٤٦.

(٤) الكناني، تذكرة السامع والمتكلّم، ص٧٢، نقلاً عن جاسم محمد بدر المطوِّع، الوقت عمار أو دمار، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص٩٤.

(٥) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، فضائل الأوقات، تحقيق عدنان عبد الرحمٰن مجيد=

وإنني أعتقد أنّ من أهم أسباب تراجع أمتنا الإسلامية عدم اغتنام فسحة الوقت، حيث لا يستغل في عمل دنيا ولا في عمل آخرة، فأصبحنا في ذيل الأمم بعد أن كنّا في مركز الريادة منها على مختلف الأصعدة، فأصبحت أعمار المنتسبين لهذه الأمة تضيع هباءً منثوراً، وكأنّ عجلة الزمان توقفت علينا في بلادنا الإسلامية، الجميع يتقدم نحو هدف ما، ونحن في موكب لا يسير ولا ينهض من مكانه، لذلك يتساءل الكاتب المصري أحمد أمين في أحد مقالاته حيث يقول: «إذا كان الزمن ـ الذي نعيش ـ هو المادة الخامة لاستغلال المال وتحصيل العلم وكسب الصحة، فكم أضعنا من كل ذلك؟! وكم أعمار تضيع في عبث؟! لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة؟!»[1].

ويرى الدكتور أحمد صقر عاشور أنّ تقييم الوقت سمة أساسية للنظر في تقدّم الأفراد وللدلالة على تطور المجتمع، ولأهمية دراسته أنقل ما ذكره بإسهاب، يقول: «يمكن تحليل الشخصية القومية من حيث بعد الزمن فيها من ناحيتين: فهناك مدى تقدير الأفراد لقيمة الوقت ودرجة اهتمامهم به، وهناك المدى الزمني الذي تغطيه تصرفاتهم وتخطيطهم لحياتهم. فمن حيث قيمة الوقت، يلاحظ وجود تفاوتٍ شديدٍ بين المجتمعات في القيمة المعطاة للوقت. ففي المجتمعات الصناعية المتقدمة، بحكم طبيعة الحياة الاقتصادية، وطبيعة التكنولوجيا، يمثل الوقت مورداً نادراً، حيث يسعى أفراد المجتمع إلى استغلاله والاستفادة به إلى أقصى درجة. وينعكس ذلك على المقاييس الزمنية التي يستخدمها أفراد المجتمع، ودرجة حرصهم على الوقت، وأيضاً درجة التزامهم بالاتفاقات التي يكون الزمن عنصراً فيها.

= القيسي، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، المقدمة، ص١٠.

(١) أحمد أمين، فيض الخاطر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، (د.ت)، جـ ٣ ص٦٧.

فالوقت في هذه المجتمعات يقاس بالساعة والدقيقة، وهو أيضاً ذو قيمة، يحاول الأفراد الاستفادة به وتحقيق منافع منه، وهو أيضاً شيء يحرص الأفراد على الوفاء به عندما يكون موضوعاً لالتزام أو اتفاق. وعكس ذلك يحدث في المجتمعات الزراعية المتخلفة، ففي هذه المجتمعات الأخيرة يقاس الزمن بوحدات إجمالية كبيرة مثل الشهر أو الأسبوع، ولا يدققون كثيراً في قياس جزئياته، والوقت فيها لا يمثل عنصراً ذا قيمة، فضلاً عن أنّ التزاماتهم التي تتعلق به لا تمثل شيئاً يُعنى به الأفراد أو يحرصون جادين على الوفاء به.

ولا شك أنّ قيمة الوقت تلعب دوراً هاماً في التأثير على أداء المنظمات الحكومية وفي تطبيع سلوكها. فحيث تكون قيمة الوقت عالية في المجتمع، فإنّ ذلك غالباً ما ينعكس على المعايير التي يقيّم أداء المنظمات الحكومية على أساسها، وغالباً ما ينعكس على أنماط السلوك السائدة بين العاملين في هذه المنظمات. فالمجتمع الذي يهتم بالوقت غالباً ما يقيس أداء منظماته العامة، من حيث ما تقوم به من برامج وما تنجزه من مهام على أساس الوقت الذي استغرق في القيام بهذه البرامج والمهام، وغالباً ما تعكس سلوكيات العمل التي يقوم بها العاملون في هذه المجتمعات إحساساً قوياً بقيمة الوقت، وتقديراً كبيراً لأهميته...

أمّا حين تكون قيمة الوقت منخفضة، فإنّ الكفاءة الزمنية لأداء المنظمات العامة لا تكون محوراً هاماً للتقييم، ولا تمثل بعداً رئيسياً في برامج هذه المنظمات. وفي هذه الحالة، تشيع سلوكيات التسيّب الزمني للعاملين، وتتعدد ظواهر البطء في الإجراءات والأداء، وتكثر حالات التأجيل والتسويف من قبل العاملين في علاقاتهم بالعمل والمنظمة وعلاقتهم بالجمهور»[1].

---

(١) أحمد صقر عاشور، الإدارة العامة ـ مدخل بيئي مقارن، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

إنّ المصالح الدنيوية والأخروية متعلقة بحسن استغلال الوقت، فهو العنصر الحتمي الوجود في كل نشاط بشري، فلا يتم عمل بدونه، سواء أكان ذلك إنتاجاً زراعياً أو صناعياً أو تجارياً أو علمياً، أو كان رقياً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، كله يتطلب الإفادة منه وحسن برمجته وإدارته. وإنّ من أهم سبل نجاح الإنتاج الزراعي والصناعي عنصر الوقت، ابتداءً بعملية التخطيط للإنتاج النباتي والحيواني، يقول الدكتور التاج فضل الله في بحثه إدارة الوقت في الإنتاج الزراعي: «وفي الزراعات التجارية الحديثة الواسعة يكون المحرك لكل العمليات هو إيجاد التمويل اللازم لتوفير المدخلات وقضاء العمليات الفلاحية في ميعادها. وكثير من أحوالنا الصعبة التي نعيشها مردها إلى سوء إدارة الزمن في الإنتاج، ندرة شديدة، وغلاء لسلع غذائية في بعض الأحيان، وفائض إنتاج كبير وكساد وخسارة للمنتجين في أحيان أخرى، واضطراب في موازنة العرض والطلب، مما ينتج عنه ضياع جهد المنتجين بل وإخراجهم من دائرة الإنتاج»[١].

كما يضيف الدكتور التاج فضل الله في مجال الإنتاج الصناعي أنّ «المشكلة التي تعاني منها صناعاتنا الوطنية بالسودان الآن ومنذ زمن، كلها متعلقة بعدم الكفاءة في إدارة الوقت، وكل المشاكل التي تعاني منها الصناعة: انعدام الطاقة والتمويل وكفاءة المستخدم والمدخلات والتعبئة والتسويق والتصدير... إلخ، كلها مؤشرات لعدم الالتزام بالتخطيط والجداول الزمنية لعمليات الإنتاج والتوزيع... ولا زالت العمالة في العالم الثالث لا تكترث للوقت... فالاهتمام بأوقات الدوام دخولاً وخروجاً والالتزام بتوقيت العمليات الإنتاجية والالتزام بمواعيد التعاقدات، كل ذلك يكون في مصلحة الإنتاج ويدعم استمراريته وكفاءته»[٢].

---

(١) التاج فضل الله، إدارة الوقت في الإنتاج الزراعي والصناعي، مرجع سابق، ص١٠ - ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥.

ويؤكد هذا المعنى الدكتور عبد الحليم محمد حامد قائلاً: «فالإنتاج الصناعي أو الزراعي أو التجاري لا يتم إلّا في إطار وقت أو زمن بل ربما كان الوقت هو الشرط الذي لا بد من توفره لذلك، كما هو الشأن في تحديد مواسم الزراعة والصناعة. والإنتاج الفكري والعلمي لا يتم كذلك إلّا في إطار وقت».

ثم يضيف قائلاً: «وقد رأينا أمماً كثيرة في التاريخ البشري كانت غنية بأبنائها المفكرين والعلماء في فروع المعرفة كافة، علومها وفنونها وتخصصاتها المتنوعة في مجالات الحياة، فإذا ثقافة تلك الأمم قد ارتقت وعقول أبنائها قد اتسعت، وحياتها قد ارتقت، وسبل العيش فيها قد تيسّرت وازدهرت، وحينذاك شعر الناس بواجبهم في غذاء عقولهم كما يغذون أجسادهم، وأحسُّوا بأنّه لا حياة لهم بدون ذلك الغذاء، ولا غذاء بدون المحافظة على الزمن والوقت والإفادة منه على نحو يرتقي فيه المجتمع وأهله فكراً وعلماً وصناعةً وإنتاجاً وعطاءً»[1].



(١) عبد الحليم محمد حامد، إدارة الوقت في الإنتاج الفكري، مجلة أبحاث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو/ أيار ١٩٩٩م، ص٤٢.

خلاصة المبحث الأوّل

إنّ أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

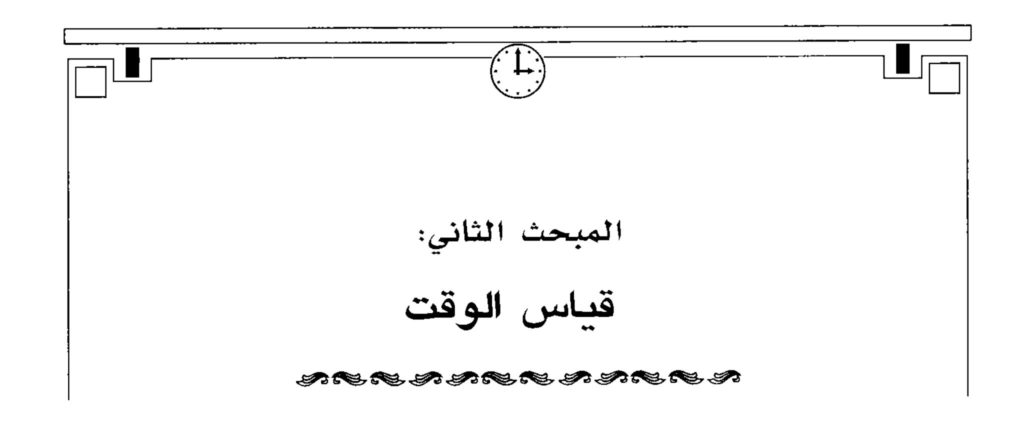
١ ـ الوقت هو مقدار من الزمن، ووقت كل فرد هو ذلك المقدار المحدّد بعمره، وإدارة الوقت تُعنى بإدارة حياة الإنسان، فهو مادة حياته وميدان نشاطه.

٢ ـ إن أهمية الوقت تنبع من أهمية حياتك التي تعيش، فحِفظُهُ حفظٌ لها، وقتله إهدار لمعيشتك، لذلك كانت إضاعة الساعات تلو الساعات إضاعة لعمر الإنسان وحياته.

٣ ـ إن الساعة من الزمن هي نفسها لكل البشر، لكنّها بالنسبة للإنسان الفعَّال لحظات تنبض بالحيوية والنشاط والإنجازات المميزة، أمّا بالنسبة لغير الفعَّال فما هي سوى لحظات خامدة ميتة لا أثر لها بعد مضيّها، وستكون حسرة عليه في الدنيا والآخرة.

٤ ـ الوقت لا يثمّن بأي مادة، ولا يملك الإنسان أنفس منه، ذلك لأنّ أجزاءه من أيام وأشهر وأعوام تشكل عمر الإنسان، وإنّ إهدار الوقت إهدارٌ للحياة، واغتنام ساعاته وأيامه اغتنام لفسحة العمر.

٥ ـ للإنسان الإرادة والمقدرة على الإفادة من وقته، فجميع المصالح إنّما تتأتى من خلال اغتنامه، فهو وعاء كل عمل، وهو ميدان كل عطاء، وهو النعمة التي خلقها الله تسخيراً للإنسان ليعمر الأرض.



المبحث الثاني:

قياس الوقت

مقدمة المبحث الثاني

لقد ارتبطت حياة الإنسان بحركة الزمن منذ وجوده على الأرض، فلاحظ تتابع الفصول وتعاقب أشكال القمر، فكان مفهوم اليوم والشهر والسنة أمراً طبيعياً له.

ومع نهضته عبر العصور وجد في نفسه اهتماماً أكبر بقياس مرور الوقت لحاجته لتأريخ الأحداث الحياتية وتوقيت نشاطه، فارتبطت نهضة الإنسان من الهمجية إلى مدنية العصر برغبته المتزايدة في قياس الوقت وضبط أقل درجات التفاوت، ذلك ليُدير نشاطاته بشكل دقيق ومنتظم.

في هذا المبحث سأتعرض لنبذة تاريخية عن ارتباط حياة الإنسان بالوقت، وكيف قام بقياسه منذ القدم وحتى العصر الحاضر، متعرضاً إلى مفهومَي التقويم والتوقيت في قياسنا لمرور الزمن.

تمهيد:

ارتباط حياة الإنسان بالزمن

بدأ اهتمام الإنسان بالزمن منذ وجوده على الأرض متمثلاً في توالي الأيام وتتابع الفصول من شتاء وربيع وصيف وخريف، وسبب هذا الاهتمام ارتباطه بالزراعة ونزول الأمطار وفيضان الأنهار وسقوط الجليد ومواسم الجفاف، ولاحظ الإنسان تعاقب أشكال القمر من هلال يتزايد حجمه حتى يصبح بدراً ثم يتناقص ليصير هلالاً مرة أخرى، فمنذ مرحلة مبكرة جداً لاحظ هذا الإنسان مرور الوقت من مشاهدته للظواهر الطبيعية المختلفة، فكان مفهوم اليوم والشهر والسنة أمراً طبيعياً، وكان ذلك ملاحظاً في عصور أقدم بكثير مما يسجله التاريخ، وكان الزمان يقاس ابتداء من أحداث أقل تواتراً كتعاقب الأجيال أو وقوع كارثة خطيرة كاحتراق غابة أو فيضان أو كسوف[1].

لقد أدرك الإنسان ارتباط الحياة بالزمن حين تابع حركة الكون والأشياء من حوله، وأدرك أن كل ما في الكون متغير وفق نظم وقوانين ندرك بعضها ونجهل معظمها، «فالإنسان يتغير من جنين إلى مولود إلى طفل فشاب فكهل فهرم خلال فترات زمنية تواكب تغيرات الكون من حوله من تتابع ليل ونهار وصيف وشتاء، وكل شيء في الكون من المخلوقات له دورة زمنية من ميلاد فنمو ونشاط وانتهاء»[2]. وتابع الإنسان منذ البداية في

---

(١) جون كرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص٨٩.

(٢) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، بيروت، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ص٩.

بحثه عن القوت دورة الزمن، فحينما تطور من مرحلة الصيد إلى مرحلة جمع الثمار، لاحظ أن النباتات تزهر وتثمر في وقت محدّد، ويتوافر له ما يستطيبه منها لقوته في ذلك الوقت المحدّد، ولاحظ أيضاً أنّ ما يرميه من بذور بعد أكله الثمار يُنبت ويزهر أيضاً في وقت محدّد، وهكذا في دورة منتظمة للزمن[١].

ومع نهضة الإنسان عبر العصور ارتبطت حياته بالوقت بشكل أوسع، ووجد في نفسه اهتماماً أكبر بقياس مروره لحاجته لتأريخ الأحداث وتوقيت سلوكه ونشاطه. يرى جون كرانت أنّه «من المعايير التي يمكن أن نقيس بها نهضة الإنسان من الهمجية إلى مدنية العصر الحاضر رغبته المتزايدة في قياس مرور الوقت متوخياً أقل درجات التفاوت المسموح بها، وحرصه على جدولة السنين، ومعرفة الوقت المضبوط من اليوم أينما شاء. ولم يكن الإنسان البدائي، ساكن الكهف في عصور ما قبل التأريخ، يجد في نفسه اهتماماً أو فهماً للساعات والدقائق والثواني. كان ينهض مع الفجر، ويقضي يومه سعياً وراء الصيد الكافي والبحث عن الطعام الذي يمكن أسرته من البقاء، ليأوي إلى مضجعه عند مغرب الشمس حتى يولي الليل أدباره. ومع أنه كان يدرك ـ بلا ريب ـ أن نقطة الشمس العليا تشطر النهار شطرين، إلا أنه لم يحاول أن يقيس تقدم النهار إلا بعد أن شرع في جدولة تراكمات الأيام، أو بعبارة أخرى: ظهرت التقاويم قبل الساعات»[٢].

المطلب الأول: التقويم

التقويم هو نظام تقسيم الزمن إلى وحدات، وتقسيم السنة إلى أشهر، والأشهر إلى أسابيع وأيام، وهو يتبع أنظمة كثيرة اختلفت باختلاف

---

(١) التاج فضل الله، إدارة الوقت في الإنتاج الزراعي، مجلة بحوث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو ١٩٩٩م، ص٤٧.
(٢) جون كرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، مرجع سابق، ص٨٩.

الحضارات عبر التاريخ، ولقد حاول الإنسان تقويم الزمن منذ عهود قديمة، حيث تشير الدلائل إلى معرفة الإنسان التقويم بشكل أو بآخر منذ وجوده على الأرض، فقد علم أجزاء من الزمن وأطلق عليها أسماءً مختلفة، وقاسها بطرق مختلفة[١].

ويمثل التقويم سجلاً زمنياً لتدوين الوقائع والأحداث الطبيعية والبشرية، «ومثل هذا السجل لا بدّ وأن تتجلى فيه صفات تمنحه إمكانية القيام بدوره التأريخي والتنظيمي، والمتمثلة في إيجاد نقطة بداية، واختيار وحدة الزمن الأساسية ذات التواتر باضطراد وبانتظام وبدورية ثابتة»[٢].

فالتقويم عبارة عن نظام زمني وضعي يكون دليلاً ومنظماً لحياة الإنسان. فقد اعتاد الناس في العصر الحاضر اعتماد تقويم زمنيٍّ لسنة أو عدة سنوات[٣] تتضمن بيانات عن شهور السنة وأيامها وفق بداياتٍ مختلفة، وتحوي سجل الأعياد والمناسبات، وما شابه ذلك.

ولقد تابع الإنسان حركة الشمس والقمر وترجمها إلى قياس الزمن، وبمتابعته لتعاقب الليل والنهار اعتبر أنّ الشهر يتكون من عدد معيّن من الأيام. لقد أشار الله تعالى في محكم كتابه إلى هذه الظواهر الطبيعية التي خلقها الله لمعرفة مرور الزمن وحسابه، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[٤].

لقد ارتكز الإنسان منذ القديم في تحديده الزمن على مقاييس طبيعية أساسية متمثلة في:

أ ـ حركة الأرض حول نفسها، وهي الحركة اليومية الظاهرية للشمس.

---

(١) علي حسن موسى، التوقيت والتقويم، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص٩٥.
(٢) المرجع السابق، ص٩٧.
(٣) مثال ذلك: المفكرات والتقاويم والرزنامات وآليات إدارة الوقت.
(٤) سورة يونس: الآية ٥.

ب ـ حركة الأرض حول الشمس، وهي الحركة السنوية الظاهرية للشمس.
جـ ـ حركة القمر حول الأرض.

وكان ارتباط مرور الزمن بحركات الأجرام ثابتاً عبر التاريخ وفي الشريعة الإسلامية، حتى فسّر الإمام محمد بن خليفة الأُبيّ والإمام محمد السنوسي الحسني «الزمان» بأنّه حركات الأفلاك[1]، وذلك في شرحهما لحديث الرسول ﷺ: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض...»[2].

١ ـ وحدات الزمن:

إنّ حركة الأرض حول محورها وحركتها حول الشمس هما الأساس في حساب الوقت اليومي وفي تحديد الأيام والشهور وفصول السنة وعدد أيامها.

*** اليوم:**

اليوم هو أقدم وحدة زمنية عرفها الإنسان، وذلك أنه نتيجة طبيعية لنظام تتابع الليل والنهار. واليوم يشكل الوحدة الزمنية الرئيسة للأسبوع، وهو جزء من الشهر والسنة. ويمثل اليوم المدة التي تستغرقها الأرض كي تكمّل دورة واحدة حول محورها. وبما أنّ الأرض تدور حول محورها من الغرب إلى الشرق، فإننا نرى حركة ظاهرة للشمس بالاتجاه المعاكس من الشرق إلى الغرب. فالأرض بحركتها الدائرية تقطع ٣٦٠ درجة، أي دائرة كاملة. ووحدات الوقت التي تشكل أجزاءً من اليوم هي الساعة، حيث تشكل جزءاً واحداً من ٢٤ جزءاً من اليوم، والدقيقة وهي جزءٌ واحد من

---

(١) محمد بن خليفة الأُبيّ، ومحمد بن محمد السنوسي، شرح الأُبيّ والسنوسي على صحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، جـ ٦ ص١١٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم ١٦٧٩.

٦٠ جزءاً من الساعة، وكذلك الثانية التي تمثل أحد ٦٠ جزءاً من الدقيقة.

*** الأسبوع:**

الأسبوع هو وحدة زمنية مستقلة، وليس له أي علاقة بالشمس أو بالقمر، ولا يوجد مدلول فلكي له، ولا يُعلم بدقة نشأته، لكن يُرجع البعض بداية نشأة الأسبوع إلى اليهود، حيث قالوا: بأنّ الله قد خلق الخلق في ستة أيام واستراح في اليوم السابع ـ تعالى الله عن ذلك ـ[١]، وسموا ذلك اليوم السابع بالسبت، من السبات، أي الراحة والسكينة، وسموا الأيام الأخرى بحسب الأرقام. وتختلف بداية الأسبوع بحسب الأديان، فعند اليهود أوّل أيام الأسبوع هو يوم الأحد، وعند النصارى هو يوم الاثنين، وعند المسلمين هو يوم السبت.

كما يُظن أنّ الأسبوع قد وجد نتيجة للاعتقاد الذي كان سائداً لدى الأقدمين بأن أيام الأسبوع متعلقة بالكواكب التي كانت معروفة وقتذاك غير الشمس والقمر، لذلك سميت الأيام بأسماء تلك الكواكب، ثم تغيرت تلك الأسماء فيما بعد حينما ترجمت للغات مختلفة[٢]. لكنّ الراجح والله أعلم أنّ نشأة الأسبوع سابقة لليهود، بل إنّ الله تعالى هو الذي جعل الأسبوع ميقاتاً، وتوارثه البشر عن أبيهم آدم عليه السلام، حيث دلّ الوحي أنّ الله خلق السموات في ستة أيام، وجاء في الحديث الصحيح: «إنّ الله تعالى خلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة، وهو اليوم السابع»، والله أعلم.

وكانت أيام الأسبوع لدى العرب تسمى بأسماء غير التي نعرفها اليوم، حيث كانت تسمى كالتالي: أول (الأحد)، وأهون (الاثنين)، وجُبار (الثلاثاء)، ودُبار (الأربعاء)، ومؤنس (الخميس)، ثم عروبة (الجمعة)، فشبار (السبت)، وقد جمعها أحد شعراء الجاهلية في بيتين من الشعر هما[٣]:

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ سورة ق: الآية ٣٨.

(٢) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٨.

أؤمل أن أعيش وأن يومي بأول أو بأهون أو جُبار
أو التالي دُبار، فإن أفته فمؤنس أو عروبة أو شبار

*** الشهور:**

لقد عرفت شهور السنة الاثنا عشر بأسماء وبمقادير مختلفة عند شعوب الأرض، فهنالك الشهور القبطية، والشهور الرومانية، والشهور السريانية، والشهور العبرية، والشهور الفارسية، والشهور العربية، والشهور الهجرية. . . إلخ، لكن الرقم ١٢ كان دوماً هو الممثل لوحدات السنة الرئيسة، شمسية كانت أو قمرية، حيث قيل: بأنّ لذلك جذوراً دينية، وهذا ما أكده قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1]. وجاءت أسماء الأشهر في الإسلام محددة بدقة وبترتيب، وذلك لأنه تُبنى عليها أحكام شرعية وعبادات كما في الأشهر الحرم، وكذلك وقّتت بها فريضتا الصوم والحج. قال رسول الله ﷺ: «إنّ الزمانَ قد استدار كهيئتِهِ يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشرَ شهراً، منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثةٌ متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمُحرّم ورجب مُضر الذي بين جُمادى وشعبان»[2].

وتقسم السنة إلى ١٢ شهراً، وأشهر السنة الشمسية هي التالية: كانون الأول (يناير) وطوله ٣١ يوماً، وشباط (فبراير) وطوله ٢٨ يوماً في السنين العادية و٢٩ يوماً في السنين الكبيسة، وآذار (مارس) وطوله ٣١ يوماً، ونيسان (إبريل) وطوله ٣٠ يوماً، وأيار (مايو) وطوله ٣١ يوماً، وحزيران

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩). والبخاري، كتاب العلم، باب: قول النبي ﷺ: «رُبّ مبلّغ أوعى من سامع». ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج ٨ ص٣٢٥.

(يونيو) وطوله ٣٠ يوماً، وتموز (يوليو) وطوله ٣١ يوماً، وآب (أغسطس) وطوله ٣١ يوماً، وأيلول (سبتمبر) وطوله ٣٠ يوماً، وتشرين الأوّل (أكتوبر) وطوله ٣١ يوماً، وتشرين الثاني (نوفمبر) وطوله ٣٠ يوماً، وكانون الأول (ديسمبر) وطوله ٣١ يوماً.

كذلك قسّمت السنة إلى ١٢ شهراً قمرياً، طول الشهر ٢٩ أو ٣٠ يوماً، وقد استخدم المسلمون السنة القمرية لتقويمهم، وهو ما عُرف بالتقويم الهجري، وشهوره القمرية في عرف المسلمين هي: محرم، صفر، ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، وذو الحجة.

*** السنة:**

بينما تدور الأرض حول نفسها، فهي أيضاً تدور حول الشمس دورة كاملة كل سنة، وتعد السنة وأجزاؤها من أكثر وحدات الزمن استخداماً لتأريخ الأحداث. والسنة بحسب قياسها أنواع، منها:

أ ـ السنة النجمية[١]: وهي المدة التي تقضيها الشمس في دورانها دورة ظاهرية كاملة حول الأرض ورجوعها إلى النجم الذي بدأت منه دورتها ثانية، وهذه هي المدة الحقيقية التي تقضيها الأرض في دورتها حول الشمس. ويستغرق ذلك ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و٩,٥ ثانية.

ب ـ السنة الشمسية: وهي المدة المنقضية بين مرورين متتاليين للشمس من نقطة الاعتدال الربيعي، وينقص طولها قرابة ٢٠ دقيقة عن طول السنة النجمية.

ج ـ السنة القمرية: وهي تمثل ١٢ شهراً قمرياً، أي اثنتي عشرة دورة للقمر حول الأرض، لذلك ينقص طولها عن السنة الشمسية ١٠ أيام و١٢ ساعة و١٠ ثوان[٢].

---

(١) وتسمى أيضاً السنة النجومية.

(٢) د. علي حسن موسى، التوقيت والتقويم، مرجع سابق، ص٦٩ ـ ٧٠.

٢ ـ نسبية قياس الزمن:

من خلال المفاهيم السابقة ندرك أنّ قياس الزمن مرتبط ارتباطاً أساسياً بحركة الأرض والقمر حول الشمس، فاليوم والشهر والسنة تعني الحركات الدورية لتلك الأجرام، وأنّ وجودنا على الأرض يجعلنا نرتبط بدورانها، لكن إذا انتقلنا إلى ما يجاورنا من كواكب المجموعة الشمسية الأخرى لتغير قياس الزمن لدينا تماماً، يوضّح لنا هذا المفهوم الدكتور السيّد سلامة السقّا قائلاً: «اليوم يتغير تغيراً كبيراً من كوكب إلى كوكب، وكذلك السنة، وكمثال فإن اليوم على الأرض يعني دورة كاملة للأرض حول محورها، بينما تعني السنة دورة كاملة للأرض حول الشمس، والسنة تعادل ٣٦٥ يوماً وربع اليوم، فإذا انتقلنا إلى كوكب عطارد فإنه خلال دورانه حول الشمس دورة كاملة، أي سنة من سنوات عطارد، يكون قد دار حول نفسه نصف دورة، أي إن السنة من سنوات عطارد تعادل نصف يوم من أيام ذلك الكوكب. . . وبينما نجد أن كوكب المشتري عندما يدور حول الشمس دورة كاملة يكون قد دار حول محوره تسعين ألف مرة، أي إن السنة على كوكب المشتري تعادل ٩٠ ألف يومٍ من أيام المشتري»[1].

وإذا انتقلنا خارج المجموعة الشمسية إلى خارج مجرتنا ـ مجرة درب التبانة ـ لوجدنا أنّ لها دورة، وقد استطاع العلماء أن يقدروا الفترة الزمنية التي تكمل خلالها مجرتنا دورة كاملة حول محورها، وأطلقوا عليها اسم «السنة الكونية»، وتقدر بـ٢٢٥ مليون سنة من سني الأرض. ولو خرجنا بعيداً عن المجرات، حيث لا كواكب ولا دوران كما نعهده، بل سباحة في الفضاء بعيدةً سنوات ضوئية عديدة عن أقرب النجوم إلينا، فإنه لن يكون هنالك حساب ولا إدراك للزمن كما نعرفه، وسيختلف مفهوم الزمن اختلافاً لا يمكننا تخيله[2].

---

(١) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠.

إن الله تبارك وتعالى حين يقرر في القرآن الكريم أن هناك أياماً بعضها يعادل اليوم الواحد منها ألف سنة مما نعده من سنوات الأرض، وهنالك يوم آخر يعادل خمسين ألف سنة مما نعرفه، فإنه يبين لنا مفاهيمَ زمنية تغاير ما تعودنا عليه، فيقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾[2]، فما هي هذه السنين المقصودة في الآيات؟ هل هي السنين الشمسية أو السنين القمرية أو السنين الضوئية أو السنين الكونية، فكلها سنين مما نعد في هذا العصر. لذلك نقول: إنّ حسابنا للزمن وقياسنا للأيام والسنوات مرتبط تماماً بواقعنا على الأرض ووجودنا عليها، وأن الزمن ليس قيمة مطلقة وإنما هو قيمة نسبية تتغير بتغير المخلوق والمكان وعوامل أخرى لا يعلمها إلا الله[3].

٣ ـ اختلاف التقاويم:

لقد استخدم الإنسان عبر التاريخ وحدات زمنية مختلفة في تقاويمه، فقد اعتمد على حركة الشمس الظاهرية حول الأرض، أو على حركة القمر حول الأرض، أو جمع بينهما، لهذا تعدَّدت التقاويم وتنوّعت.

هنالك أكثر من نظام استُخدم لتقسيم الزمن، لكن أكثر التقاويم شيوعاً هي التقاويم الشمسية، فقد اعتمد عليها عبر التاريخ التقويم المصري، والتقويم اليولياني، والتقويم الغريغوري، والتقويم السرياني والتقويم الفارسي والتقويم الصيني وغيرها، ولقد اعتمد العرب وشعوب ما بين النهرين من سومريين وبابليين وغيرهم التقويم القمري. ولقد اتخذت مجموعة من الشعوب تقويماً يعتمد في آن واحد على السنة الشمسية

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٧.

(٢) سورة المعارج: الآية ٤.

(٣) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٤١.

والشهور القمرية، هذا ما فعله الإغريق القدماء والعبرانيون وغيرهم[(١)].

كما عُرف التقويم الروماني ويرجع إلى ثلاثة آلاف سنة مضت وكان عشرة أشهر، ثم تمَّت إضافة شهرين في القرن السابق لميلاد عيسى عليه السلام، وكان هذا تقويماً قمرياً يعتمد على دورة القمر حول الأرض، وكان التقويم الروماني يعتبر أن متوسط الشهر ٢٩ يوماً ونصف اليوم، فكان تعداد الأشهر ٢٩ يوماً عن شهر ثم ٣٠ يوماً عن الشهر التالي، وكانت السنة ٣٥٥ يوماً، ثم جاء التقويم المسيحي، الذي يُطلق عليه أيضاً التقويم الميلادي، ليعتبر معدل الشهر ٣٠ يوماً ونصف اليوم، وجاء بعد ذلك التقويم الجريجوري واليولياني والروسي والمايي والسرياني والقبطي واليهودي والفارسي والتقويم الهجري الذي بدأ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٢)]، حيث اتخذ من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة نقطة بداية للتقويم الإسلامي، واعتمد على السنة القمرية، حيث تتراوح أطوال الشهور بين ٢٩ و٣٠ يوماً[(٣)].

٤ ـ التقويم الإسلامي:

اعتمد العرب قبل الإسلام في تأريخهم حوادث تاريخية محددة كبناء الكعبة من قِبل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل، قرابة عام ١٨٥٥ق.م،

---

(١) علي حسن موسى، التوقيت والتقويم، مرجع سابق، ص٩٩ ـ ١١٤.

(٢) هذا وذكر صاحب التراتيب الإدارية محمد عبد الحي الكتاني الفاسي أنه مع كون «المعروف أنّ التأريخ بالهجرة النبوية حدث في خلافة عمر بن الخطاب، ولكن حكى أبو جعفر بن النحاس في كتابه صناعة الكتابة، وحكاه عنه القلقشندي في صبح الأعشى صفحة ٢٤٠ من الجزء السادس عن محمد بن جرير، أنه روى بسنده إلى ابن شهاب: أنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة وقدمها في شهر ربيع الأول أمر بالتأريخ. قال القلقشندي: وعلى هذا يكون ابتداء التأريخ في عام الهجرة». محمد عبد الحيّ الكتاني، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الثانية، (د.ت)، جـ١ ص٢٧١.

(٣) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص١٥٥ ـ ١٨٠.

وانهيار سد مأرب في اليمن عام ١٢٠ق.م.، وعام الفيل، وهو العام الذي وُلد فيه الرسول ﷺ وذلك سنة ٥٧١م. كما استخدم العرب قبل الإسلام أسماء مختلفة للأشهر القمرية تختلف باختلاف القبائل. ولقد استمر العرب المسلمون فترة من الزمن على ما كانوا عليه يؤرخون بالأحداث الهامة، حيث أعطيت السنوات أسماء بحسب الحوادث التي وقعت فيها، فالسنوات العشر التالية للهجرة وحتى وفاة الرسول ﷺ أخذت الأسماء التالية(١):

السنة الأولى: سنة الإذن، أي الإذن بالهجرة.

السنة الثانية: سنة الأمر، أي الأمر بالقتال.

السنة الثالثة: سنة التمحيص.

السنة الرابعة: سنة الترفئة.

السنة الخامسة: سنة الزلزال.

السنة السادسة: سنة الاستئناس.

السنة السابعة: سنة الاستغلاب.

السنة الثامنة: سنة الاستواء.

السنة التاسعة: سنة البراءة.

السنة العاشرة: سنة الوداع.

ثم كان من الضروري للمسلمين إيجاد نظام ثابت للتقويم، فاتفق الصحابة على أن يتخذوا من هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة منطلقاً لتأريخهم، فاتفقوا على أن يكون أول شهر محرم من عام الهجرة مبدأ للتأريخ الإسلامي. لذلك عُرف التقويم الإسلامي بالتقويم الهجري أيضاً، والسنة خلاله سنه قمرية، تمثل اثنتي عشرة دورة للقمر حول الأرض.

---

(١) علي حسن موسى، التوقيت والتقويم، مرجع سابق، ص١١٦ ـ ١١٨.

المطلب الثاني: التوقيت

لقد اختلف التوقيت بين بلد وآخر لسببين أساسيين: الأوّل، لاستخدام أساليب مختلفة لضبط الوقت. والثاني، لطبيعة اختلاف الوقت فعلياً بحسب المنطقة على سطح الأرض، وكان لا بد من اتفاق عالمي ينظم ذلك، وبقي ذلك الاختلاف في التوقيت حتى عام ١٨٨٤م، حيث عقد مؤتمر دولي في مدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية ضم ممثلين لست وعشرين دولة، وذلك للاتفاق على وضع نظام عالمي للتوقيت يقوم على أساس تقسيم الأرض إلى ٢٤ منطقة دولية، تضم كل منطقة ١٥ خطاً من خطوط الطول، حيث إنّ الكرة الأرضية كانت قد قسّمت إلى ٣٦٠ خطاً طولياً تلتقي جميعها في نقطتي القطبين الشمالي والجنوبي. وبذلك فإن كل منطقة يختلف التوقيت فيها عن المنطقتين المجاورتين لها بمقدار ساعة واحدة تقديماً أو تأخيراً.

١ ـ التوقيت الاصطلاحي:

بهذا الاجتماع تم تقسيم سطح الكرة الأرضية إلى ٢٤ منطقة تسمى مناطق التوقيت[١]، حيث يتوسط كل منطقة خط طول معروف ويعتبر هو خط الزوال لتلك المنطقة، ولكل منطقة توقيتها الخاص الذي يعتمد على قياس الوقت عند خط زوال المنطقة. وتم اعتبار خط الطول المار بقرب قرية جرينتش في إنجلترة هو خط الطول القياسي حيث يتم ترقيم مناطق التوقيت بالنسبة له، فالمناطق الموجودة شرق جرينتش تُعطى علامة «+» بينما تُعطى المناطق غرب غرينتش علامة «ـ». ويختلف التوقيت في مختلف المناطق حسب بعدها شرقاً أو غرباً عن قرية جرينتش، فالمنطقة التي تلي جرينتش شرقاً يكون التوقيت فيها أكثر ساعة من جرينتش، بينما يكون التوقيت في المنطقة التي تلي جرينتش غرباً متأخرة ساعة عن جرينتش،

---

(١) Time Zones.

فمثلاً عندما تكون الساعة في جرينتش الثانية عشرة ظهراً فإنها تكون في القاهرة التي تبعد عن جرينتش أربع مناطق شرقاً الرابعة مساءً[١].

٢ ـ أجهزة قياس الوقت:

كان الإنسان يعتمد في بداية الأمر على تكرار الظواهر الطبيعية لقياس الزمن، من ذلك: تعاقب الليل والنهار والشهور القمرية، لكنه احتاج فيما بعد لمعرفة الوقت بصورة أدق، فاستخدم العديد من الأجهزة، منها[٢]:

*** المزولة الشمسية:**

وهي أبسط ما استخدم لقياس الوقت، وتعتمد على قياس ظل عمود مثبت في الأرض، ولقد عُرفت المزاول منذ آلاف السنين، ويُظنّ أن أوّل من استخدمها هم المصريون القدماء.

*** الساعات الرملية:**

وهي ساعة بسيطة مكونة عادة من قارورتين من الزجاج ألصقت فوهة إحداهما بفوهة الأخرى بعد ملء إحداهما بالرمل، بحيث يبقيان بشكل رأسي فوق بعض، والمدة الزمنية المقاسة بهذه الطريقة هي التي يستغرقها مرور الرمل من الوعاء الأعلى إلى الأسفل.

*** الساعات المائية:**

تشبه هذه الآلية عمل الساعات الرملية، لكنها تتكون عادة من عدة أوعية زجاجية أو حجرية أو معدنية، تملأ بالماء وتحتوي على منافذ لتسرب المياه بمعدلات منتظمة بين وعاء وآخر. وقد استخدمت الساعات المائية لتنظيم مدة الخطابات التي كانت تُلقى في الاجتماعات والمحافل الرسمية في الصين.

---

(١) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) علي حسن موسى، التوقيت والتقويم، مرجع سابق، ص٧٨ ـ ٧٩. السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٢٤ ـ ٢٥، ١٢١ ـ ١٤٠.

*** الساعات النارية:**

وهي تعتمد على مبدأ احتراق مواد معينة في فترات زمنية محددة، وقد استخدمت لتحديد فترات العمل لعمال المناجم، وأشهر أنواعها: استخدام الشمع بأشكاله المختلفة لقياس الوقت. وقد استخدم أغنياء روما شموعاً مدرجة لتحديد الوقت.

*** الساعات الميكانيكية:**

شكلت الساعات الميكانيكية قفزةً كبيرة في قياس الوقت، وهي تعتمد على حركة منتظمة يقطعها عقرب الساعة على مينائها الدائري الذي قُسّم إلى اثنتي عشرة وحدةً، تشكل كل وحدةٍ منها ساعة زمنية واحدة، فعقرب الساعات يدور دورة كاملة في النهار وأخرى مماثلة في الليل، وعقرب الدقائق يدور ٦٠ دورةً لكل دورة يدورها عقرب الساعات، بينما يدور عقرب الثواني ٣٦٠٠ دورةً في الوقت نفسه. وهنالك عدة أنواع من الساعات الميكانيكية، منها ساعة الثقل، وساعة الرقّاص، والساعة الزنبركية.

*** الساعات الكهربائية:**

استخدمت الطاقة الكهربائية لتشغيل الساعات، بحيث يتحوّل التيار الكهربائي إلى حركة العقارب الدائرية المنتظمة كما هو في الساعات الميكانيكية.

*** ساعات حديثة أخرى:**

بما أنّ الساعات الميكانيكية والكهربائية لا تصلان إلى الدقة المطلوبة لكثير من الأغراض العلمية، حيث تتأثران بالحرارة وغيرها، فقد توصل العلماء إلى وسائل أكثر دقّة لضبط الوقت، منها بلّورة الكوارتْز التي تتذبذب بمعدل ثابت لا يتغيّر إذا مرّ فيها تيار كهربائي، وعلى هذا استخدمت بلورات الكوارتز بشكل واسع لقياس الوقت في هذا العصر. ثم اكتشفت الساعات الذرية التي تستخدم ذبذبات ذرات مادة السيزيوم لضبط الوقت،

وهي أدق أجهزة قياس الوقت، حيث إنّها لا تتجاوز نسبة الخطأ في هذه الساعة ثانيةً واحدة كل ألف سنة، وهي تستخدم في ميادين البحث العلمي[1].

---

(١) هنري مطر، الوقت والتوقيت، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٢٤ ـ ٣٧.

خلاصة المبحث الثاني

إنّ أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

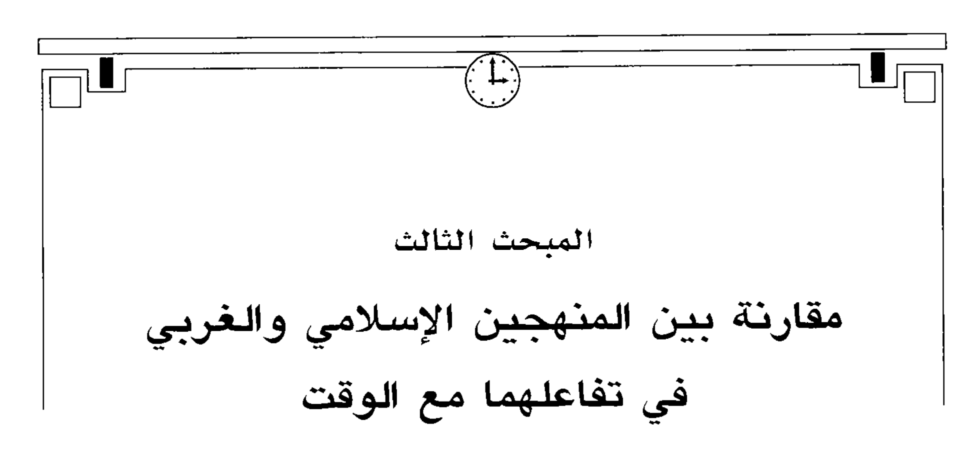
١ ـ لقد ارتبطت حياة الإنسان بحركة الزمن منذ وُجد على الأرض، فتابع توالي الأيام وتتابع الفصول وحركة الكون من حوله، وقاس الإنسان الوقت بآليات شتى ابتداءً بالمزولة الشمسية وصولاً إلى الساعة الذرية، وكانت نهضته عبر التاريخ مرتبطة باهتمامه بمسيرة الزمن وحسن اغتنام الوقت.

٢ ـ إنّ أهم مرتكزات قياس الوقت حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس وحركة القمر حول الأرض، مخلفة توالي الأيام والشهور والفصول والأعوام. ولقد اختلفت التقاويم عبر التاريخ، لكنها اشتركت في كونها دليلاً نسبيّاً لكل أمة لتسجيل الوقائع والأحداث وتنظيم حياة الإنسان.

٣ ـ إن حسابنا للزمن وقياسنا للأيام والسنوات مرتبط بوجودنا على الأرض؛ ذلك لأنه يتعلق بحركة الأرض والقمر حول الشمس، لذلك ليس للزمن قيمة مطلقة، بل قيمته نسبية، فاليوم يتغير من كوكب إلى آخر ومن مجرة إلى أخرى.

٤ ـ استخدم الإنسان أجهزة عديدة لضبط الوقت، ابتداء بالمزولة الشمسية، فالساعات الرملية والمائية والنارية، ثم الساعات الميكانيكية فالكهربائية فالذرية، متوخياً بذلك أقل درجات التفاوت. وهذا الحرص على دقته في قياس الوقت ارتبط ارتباطاً ملحوظاً بنهضته عبر التاريخ.

٥ ـ لم يوجد نظام عالمي موحَّد للتوقيت على سطح الأرض حتى العام ١٨٨٤م، حينما وُضع التوقيت الاصطلاحي على أساس تقسيم الأرض إلى ٢٤ منطقة دولية تضم ١٥ خطاً من خطوط الطول، بحيث يختلف التوقيت في كل منطقة بمقدار ساعة واحدة تقديماً أو تأخيراً عن المنطقتين المجاورتين.



المبحث الثالث

مقارنة بين المنهجين الإسلامي والغربي في تفاعلهما مع الوقت

مقدمة المبحث الثالث

بالرغم من أنَّ الوقت يمر على الجميع بصورة تلقائية لا تختلف بين فرد وآخر، إلَّا أن تعامل الناس معه يختلف اختلافاً جوهرياً. هذا التباين في تفاعل الناس مع الوقت يتعلق باختلاف نظرتهم إليه. وإنَّ ثمة منهجين أساسيين في تفاعل الناس مع وقتهم: المنهج الغربي أو العلماني، والمنهج الإسلامي.

في هذا المبحث سأتناول أهم الفوارق لدى أصحاب المنهجين، وذلك من حيث البعد الزمني الذي تغطيه إدارة الوقت، والبعد المادي الذي يمثل مادة الأهداف التي يُراد تحقيقها خلاله، كما سأقارن تقويم الوقت لدى أصحاب المنهجين.

سأتعرض في هذا المبحث أيضاً إلى مفهوم الوقت في المنهج الإسلامي من حيث ماهية وجوده، ومسؤولية المسلم تجاهه، وكيف نظَّم الإسلام الأعمال على مدار الساعة، وكيف تعامل المسلمون معه خلال عصور نهضتهم.

كما سأناقش منهجية السباق والمسارعة في إدارة الوقت كما أمر بها كتاب الله، مستعرضاً مفهوم هذا السباق ومادته والغاية منه.

المطلب الأول: الفوارق الأساسية بين المنهجين

إنَّ للإسلام منهجاً أسبق من المنهج الغربي في إدارة الوقت، كما أنَّه جاء كاملاً لتحقيق التوازن في اغتنام الحياة الدنيا وإعمارها بشكل فعَّال مع عدم غفلته عن الحياة الآخرة، وإنَّ حال المسلمين اليوم لا يدل على عدم كفاءة منهجهم هذا، إنَّما سببه بعدهم عن ذلك المنهج. ولقد جاءت أسبقية الإسلام لكل النظم والمنطلقات الغربية في حسن اغتنام الوقت ـ كما سأشير إليه لاحقاً عند حديثي عن رسالة المسلم في الحياة وكيفية إدارة الوقت ـ وهذه الإرشادات والنظم في المنهج الإسلامي لإدارة الوقت جاءت جلية في كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة صحابته وقرون النهضة العلمية الإسلامية. لكن توجد فوارق أساسية بين منهج الإسلام وغيره في إدارة الوقت، منها ما يتعلق **بمفهوم الوقت وقيمته**، ومنها ما يتعلق **بالغايات والأهداف** التي يُوَظَّف الوقت من أجلها، ومنها ما يتعلق **بالكيفية** التي يُدار الوقت بها لتحقيق الأهداف.

وإنَّ عرض وجهات الالتقاء والمقارنة بين المنهج الوضعي والمنهج الإسلامي واضحة في ثنايا هذا البحث بأكمله، لكنني أود ههنا طرح أعظم الفوارق الأساسية بين المنهجين لتأكيد مخاطر الاقتداء الأعمى بالمنهج الغربي، وجعله رائداً في حياة المسلم بحسناته وسيئاته. فنرى أهم الفوارق العامة هي الآتية:

١ ـ البعد الزمني في تفاعل الإنسان مع الوقت:

إنَّ فاعلية إدارة الوقت في الإسلام تتمثل في آثار العمل خلال حياة الفرد الدنيوية وكذا الحياة الآخرة، أمّا البعد الزمني لإدارة الوقت في المنهج الغربي فتكون عادة لفترات وجيزة لا تتعدى سني العمر، بينما نرى الإسلام يتخطى تلك النظرة القاصرة إلى ما بعد الموت، فتكون الحياة الدنيا بمثابة الحقل الذي تزرعه لتقطف الثمر في الحياة الآخرة.

وإنَّ ديمومة فاعلية الأعمال إلى ما بعد الموت لهي أهم الفوارق بين المنهجين، فبينما يركِّز الغرب على كم وكيف يُستثمر الوقت للكسب المادي

في أسرع وقت ممكن، نرى القرآن يركِّز بشكل متكرِّر للتأكيد على البعد الزمني للأعمال، بحيث يكون العائد على استثمار الوقت ليس منحصراً في الدنيا فقط، بل نراه يربط دوماً الأعمال باليوم الآخر، محرضاً على اكتساب فرصة الحياة الدنيا ـ الوقت الذي لا يعود ما مضى منه ولا يتكرر ـ للفوز بالآخرة. فللوقت إذاً فاعليته في ظل المفهوم الإسلامي يطول إلى يوم القيامة، والكيِّس هو الذي يدرك هذه الحقيقة، كما ذكر الرسول ﷺ[1]: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»، وهذا المفهوم يغيب عمَّن لا تتعدى نظرته القشور، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾[2].

٢ ـ البعد المادي في تفاعل الإنسان مع الوقت:

إن منهج الغرب لإدارة الوقت من حيث مادة الأعمال والأهداف التي يستثمر فيها تشير بوضوح واختصار إلى أنَّ أصحابه يدركون قيمة الساعة من الناحية المادية البحتة ويجهلون قيمة الحياة، وهذا حال المنهج الوضعي على اختلاف توجهاته. إننا نرى أصحاب ذلك المنهج يستثمرون أوقاتهم بالعاجل من المتاع الزائل والسعادة الكاذبة، مثمنين قيمة الساعة بعددٍ من الدولارات يبيع الفرد وقته من أجلها، فتصبح حياته عبداً للدرهم والدولار.

ومع كون المال مهماً في حياة الناس، فهو بمثابة الطاقة التي تحرك حياتهم وتنشط أعمالهم وتسهم في تقدمهم، نجد أن الوقت يفوق أهمية المال بكثير، فلولاه لما استُثمرت الأموال ولما كانت الأرباح، ولما كان التقدم والتطور في الحياة. لقد أدرك الغرب قيمة الوقت فجعله العنصر

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة (٢٤٥٩). وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في «جامع الأصول» (١١/١٣): «وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف ومدار الحديث عليه»، ومع ذلك فقد قال الترمذي: حديث حسن. ا.هـ.

(٢) سورة الروم: الآية ٧.

الأساس الفعَّال في استثمار الأموال، فارتبطت مصالح أهله بالوقت، وجُعل العائد على الفرد من المال بقدر استغلاله لوقته، لقد أدركوا قيمة الوقت من منظار المادة والربح والعائد المالي فحسب.

إنَّ أصحاب المنهج الوضعي ينظرون للوقت نظرة الملهوف العطشان إلى الماء، ينظرون له نظرة مادية صرفة: كيف يستفيدون من الوقت لتحقيق أكبر ربح ممكن لهم؟ هذا هو مفهوم الوقت لديهم، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الحكومات، إنها حركة صباحاً ومساءً، ليلاً ونهاراً، بهدف الحصول على المال للتمتع بالحياة على اختلاف أنواع المتع، إنها تدور حول «المادة»، وكأنَّ المادة هي الطاقة المحركة لهم للاستفادة من أوقاتهم. أمَّا القيم والأخلاق فتأتي في مرتبة متأخرة جداً، ذلك أنَّ هذا المنهج استباح كل الحرمات في سبيل تحصيل المادة التي يُضحى من أجلها بكل شيء.

هذا هو نتاج الوقت عند أهل الدنيا، أصحاب المناهج الوضعية لإدارة الوقت، فالوقت مادة والوقت متعة، ولقد غابت عنهم معرفة قيمة الوقت بالمعيار الإيماني واستثماره ليكون نتاجه رصيداً لهم عند الله في موازين أعمالهم. فإنَّ الحقيقة الفعلية لقيمة الوقت عند من ادعوا معرفتهم لقيمة الوقت مجهولة غير مدركة، إنها معرفة العميان للشيء يدركونه باللمس والإحساس المادي، أمَّا الرؤية الحقيقية الساطعة فليس لهم معرفة فيها، مثلهم كمن قال الله فيهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1].

أمَّا الوقت في المعيار الإسلامي ففيه تحقيق التأمين والأمن في الدنيا والآخرة، فهو الحياة المسخرة من الله لفعل الخيرات التي تشكل الرصيد الحي في موازين الأعمال عند الله تعالى الذي يعود على صاحبه بالخير في دنياه وفي أخراه، وإن في اغتنامه بحسب المنهج الرباني تحقيقاً للسعادة وصلاح الدارين، بخلاف استثماره مادياً فقط، حيث جلب البلاء والشقاء

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

والحروب والبغضاء على مستوى الأفراد كما حصل من استغلال الأغنياء للفقراء في العصور القديمة.

وكذلك الحال على مستوى الدول، حيث نرى شقاء دولنا الإسلامية والعربية، كما ندرك ما حصل للدول الإفريقية التي أطلق عليها القارة السوداء، من تجارة الرقيق إلى استغلال شعوبها وحكوماتها من أجل مصالح الدول الغنية، وفي طليعتها بريطانيا سابقاً وأمريكا حالياً. وإننا نرى حالياً ما ولده المنهج الرأسمالي من مشاكل وخاصة نظام العولمة، فأصبحت الشركات الكبرى تستغل ليس الشعوب والحكومات والدول فقط، بل أصبحت تستغل حياتهم كلها، وتستغل خامات البلاد، وتلوّث من جرّاء ذلك حياة البشر كما تلوث بيئتهم بالأوبئة والأمراض النفسية والاجتماعية، إضافة إلى تلوث الهواء مما سبَّب ضرراً كذلك على طبقة الأوزون المعروفة، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال[1]: «تعس عبد الدينار والدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش».

أمَّا إدارة الوقت في الإسلام فالغاية منها الاستثمار في فعل الخيرات التي أَذِنَ الله بها، تلك الخيرات التي يعود نفعها على الفرد الفاعل لها وعلى الشركات القائمة بها وعلى الناس المستهلكين لها، حتى تعم الجميع في الدنيا وكذلك في الآخرة.

وينطبق مسمى عبيد المال على من يبيع حياته في سبيل المادة، فأهل الدنيا يحرصون على الانشغال بقيمة الساعة في سبيل تحصيل المال، بينما هم مضيعون للعمر جاهلون قيمة الحياة.

فتقوم النظريات وتُفتح المدارس ومعاهد التدريب لتعليم الناس كيف يحصل الفرد على مزيدٍ من المال؟ فالرأسمالية تدرس كيف يستغل الفرد أخاه، وكيف تستغل الدول دولاً أخرى، منطلقةً دوماً من الهدف الأساس: من أين سنجلب مزيداً من المال؟ كيف سنستفيد من الوقت في سبيل الحصول عليه؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم الحديث ٢٨٨٧.

فالكسب والآثار والنتائج المترتبة عليه، وإن كانت تحقق للأفراد والجماعات مصالح محدودة فهي تنحصر في حياتهم الدنيا في مجال المتع الزائلة، التي غالباً ما تعود عليهم بالضرر في دنياهم أيضاً، مخلفة الأمراض النفسية والبدنية المستعصية، ومتسببة في شيوع الحقد والكراهية بين الشعوب، ومؤدية إلى الحروب والكوارث والدمار... وأمَّا ما يقربهم إلى الله زلفى فلا يلتفت إليه. وهذا هو مفترق الطرق بين المنهج الإسلامي في إدارة الوقت وغير الإسلامي.

٣ ـ قيمة الوقت لدى المنهجين:

(أ) ـ تقدير الوقت بالمال لدى الغرب:

إن المجتمع الغربي ينظر للوقت نظرة مادية بحتة، فالمثل الشائع لديهم «الوقت هو المال»، يراد به أهميته، لأن المال أهم ما يسعون إليه، وتلك مقولة فرانكلن[(١)]، وقد سبقه من قبل ريتشارد باكستر[(٢)] الذي عاش في القرن السابع عشر، صاحب القول المشهور: «الوقت من ذهب»[(٣)]. إنّ إعطاء قيمة محددة تثمِّن بها بعض وقتك أمر في غاية الصعوبة، لكن تثمين الغربيين للوقت مسألة حسابية مالية، فأحد المعاهد الأمريكية للتدريب الإداري يقول: بما أن «أيام العمل في العام ٢٤٠ يوماً، أي ١٩٢٠ ساعة إنتاجية طوال العام، فإن كان راتبك السنوي ٢٢,٠٠٠ دولاراً، فقيمة ساعة من وقتك هي ١١,٤٥ دولاراً، وإنَّ تضييع ساعة واحدة يومياً لمدة أسبوع هو تضييع لـ٥٧,٢٥ دولاراً، ولمدة سنة هو تضييع لـ٢٧٥٠ دولاراً. أما إذا كان راتبك ٣٨ ألف دولار سنوياً، فقيمة ساعتك ١٩,٧٩ دولاراً، مما يعني أن تضييع ساعة يومياً لمدة أسبوع هو تضييع لـ٩٨,٩٥ دولاراً، ولمدة سنة

---

(١) Richard I. Winwood, Time Management, An Introduction to the Franklyn System, Utah, U.S.A, Franklyn International Institute, 1990, P.XI.

(٢) Richard Baxter.

(٣) جون كرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، مرجع سابق، ص٤٤.

هو تضييع لـ ٤٧٤٩ دولاراً!!»[١]. هذا وإنّ الأمم المتقدمة تحسب تكلفة السلع من خلال ساعات العمل التي تنفقها فيها، إذ لا تختلف قيمة الوقت عن قيمة المواد الأولية المستخدمة في صناعة تلك السلع.

أعتقد أنّ هذه النظرة المادية للوقت فيها استهانة به، فكيف يمكنني أن أضع ثمناً ما على جزء من حياتي؟! إن الوقت عزيزٌ غالٍ لا يثمن بدرهم أو ذهب، فإن الذهب يعوَّض وإذا أضعت درهماً قد تعوضه ألفاً، أما إذا أضعت يوماً من حياتك فلو اجتمعت طاقات الإنس والجن على إعادته لك لعجزوا جميعاً، كيف لا وهو مادة حياتك وعمرك الذي تحياه في الدنيا، إنه لا يثمّن بشيء نفاسةً وغلاءً، فكيف يقال إذن: «الوقت هو المال»؟!

(ب) الوقت خلاف المال:

الفرق شاسع بين الوقت وبين المال أو الذهب بحسب الآتي.

١ ـ الوقت لا يعوض بخلاف المال:

إنّ ما مضى من الوقت لا يعوض خلاف المال الذي تستطيع تعويض أو استرجاع ما ضاع منه أو خسرته، لكن أي يوم يمضي لا تستطيع تعويضه مهما بذلت في سبيل ذلك. والمقولة الشائعة: «التاريخ يعيد نفسه» غير واقعية، بل هي مجازية تتعلق بوقائع التاريخ والعبر منه، والإمام علي ﷺ قال مقولة هي جوهرة في ميزان الشرع تبين قيمة الوقت فقال: «الدنيا ثلاثة أيام: يوم مضى ليس لك منه شيء، ويوم آت لا تدري أتدركه أم لا، ويوم أنت فيه فاغتنمه».

كل يوم من حياتك خلق جديد ثم يمضي ويأتي غيره فيقرِّبك إلى أجلك، وهذا ما عبر عنه الحسن البصري بقوله: «ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوَّد مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة»[٢].

---

(١) Managing Multiple Projects, Objectives, and Deadlines, Kansas, USA, Skill Path Inc., 1994, P.17.

(٢) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص١٢.

٢ ـ الوقت لا يدَّخر:

كذلك الوقت لا يدّخر، بل سريع الانقضاء بعكس المال، إنه يمر مرَّ السحاب، ومهما طال العمر في هذه الدنيا فهو أيام تمضي، ألا ترى كيف مرت آخر ٥ سنوات من حياتك، ومنذ أن كنت في المرحلة الابتدائية من دراستك، ومنذ ولد لك أول طفل؟! ألا ترى أنها مجرد أيام مرَّت، وهكذا العمر كله، إنه سريع الانقضاء مهما طال. «الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، فهو سيلٌ جارف لا يقف أبداً ولا يرحم أحداً، فاللحظة الزمنية لا تكاد تولدُ حتى تتلاشى في لمحةِ بصر في غياهب الماضي، هكذا تتسابق اللحظات الزمنية نحو فنائها»[(١)].

يُحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام: «أنه جاءه ملَك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده، فسأله: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان، دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر!»[(٢)]، ويتراءى للإنسان قصر الوقت وسرعان انقضائه عند الحشر، يقول تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾[(٣)]، وقوله في آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[(٤)].

قال الوزير الصالح يحيى بن هبيرة ـ شيخ ابن الجوزي[(٥)]:

الوقت أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه   وأراهُ أسهلَ ما عليك يضيعُ!

ويصف الدكتور هشام الطالب الوقت بقوله: «لو تساءلنا: ما هو الشيء الأطول والأقصر في آن واحد، والأسرع والأبطأ في آن واحد معاً، والذي نهمله جميعاً، ثم نأسف عليه، ولا شيء يمكن أن يتم بدونه، وهو يبتلع كل صغير وكبير، وينمي كل ما هو عظيم، لكان الجواب: إنّه

---

(١) هنري مطر، الوقت والتوقيت، مرجع سابق، ص٧.
(٢) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص١١.
(٣) سورة النازعات: الآية ٤٦.
(٤) سورة يونس: الآية ٤٥.
(٥) ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، جـ ١ ص٢٨١.

الوقت!»[1]، فالوقت هو الأطول لأنّه قياس الخلود، والأقصر حينما يتعلّق بعمر الإنسان، وهو الأسرع بالنسبة إلى السعداء، والأبطأ بالنسبة إلى التعساء. فالوقت أشبه بالزئبق يصعب القبض عليه، ويتفلّت بشكل سريع، وخاصة تلك الأوقات التي لا نلقي لها بالاً، تذكر بعض الإحصاءات أرقاماً طريفة عمّا نقضيه في بعض الأنشطة، فتشير إلى أنّ المرء ينام في حياته نحواً من ٢٠ عاماً، ويمضي في مشاهدة التلفاز قرابة ١٠ سنوات. إنّ اقتناص نصف ساعة كل يوم لإنجاز عمل ما سيعود على الفرد خلال خمس سنوات بنحو ٩٠٠ ساعة عمل، وهي كافية لتأليف كتاب متوسط، وكافية لأن يصبح المرء مرجعاً أو خبيراً في قضية ما[2].

٣ ـ الوقت ليس سلعة:

ومن الفروقات أيضاً بين الوقت والمال أنّ الوقت ليس سلعة يُتداول بها، فإنه لا يمكنك أن تعطي منه أو تسترجع منه شيئاً، ذلك لأنّ الإنسان لا يملك الوقت، إنما يملكه الخالق ﷻ، هذا مع حرية اختيار الإنسان التصرف والعمل خلاله.

كذلك لا يوجد ثمة طريقة لحفظه أو توفيره، قال ابن القيم: «الوقت منقضٍ بذاته منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرّمت أوقاته، وعظم فواته، واشتدّت حسرته، فكيف حاله إذا علم عند تحقّق الفوت مقدار ما أضاع، وطلب الرُّجعى فحيل بينه وبين الاسترجاع، وطلب تناول الفائت، فكيف يُردُّ الأمس في اليوم الجديد؟»[3]، هل تستطيع إيقافَ عقارب الساعة بحيث يتوقف دوران الزمن عليك؟ بالطبع لا! لأن الوقت لا يدّخر بل ينقضي على

---

(١) هشام الطالب، دليل التدريب القيادي، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص١٩٣.

(٢) عبد الكريم بكّار، مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية، بيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص١٨٨ ـ ١٨٩.

(٣) ابن القيّم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العزّي، جدة، دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الأولى، (د.ت)، ص٥٢٩.

الجميع بالسرعة نفسها، حتى ولو أوقفت عقارب ساعتك، فلن تستطيع إيقاف حركة الليل والنهار! هل تستطيع ادِّخار ساعتين من يومك هذا لتستخدمها يوم الخميس القادم حيث حاجتك ماسة لمزيد من الوقت آنذاك، على سبيل المثال؟! الوقت يمر تبعاً لسُنَّة كونية وبرعاية إلهية من غير أي تحكم منا بذلك، فهو ماض استفدنا منه أم لم نستفد. وقد لخّص هذا المفهوم الأستاذ أحمد بركات بقوله: «إنّ حركة التاريخ لا تنتهي، ومسيرته لا تتوقف ولا يمكن حجبها أو إعاقتها، ولا يستطيع أحد قطع طريقها»[1].

في كتابه الوقت في حياة المسلم، يقول الشيخ يوسف القرضاوي: «ولما كان الوقت سريع الانقضاء، وكان ما مضى منه لا يرجع ولا يعوض بشيء، كان الوقت أنفس وأثمن ما يملك الإنسان، وترجع نفاسة الوقت إلى أنه وعاء لكل عمل وكل إنتاج، فهو في الواقع رأس المال الحقيقي للإنسان فرداً أو مجتمعاً. إن الوقت ليس من ذهب كما يقول المثل الشائع، بل هو أغلى في حقيقة الأمر من الذهب واللؤلؤ والماس، ومن كل جوهر نفيس، وحجر كريم»[2].

(ج) إجلال الوقت في كتاب الله:

من المعروف لدى المفسرين أن الله تبارك وتعالى إذا أقسم بشيء من خلقه فذلك لينبهنا إلى إجلاله ونفاسته وعظيم منفعته وللحض على الاستفادة منه. وتتجلى قيمة الوقت في أنّ الله قد أقسم في مطالع سور عديدة من كتابه العزيز بأجزاء منه وبأطواره المختلفة، فأقسم سبحانه بالليل والنهار، والضحى، والفجر، والصبح، والعصر... إلخ. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ

---

(١) أحمد قائد بركات، التخلّف... لماذا؟ والتقدّم... لِمَ لا؟ دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص٣٤.

(٢) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص١٣.

(٣) سورة الليل: الآيتان ١، ٢.

أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴿٢﴾﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾﴾[(٦)].

ولعل الله تبارك وتعالى قد أقسم بالعصر في سورة العصر الجامعة لسبل النجاة لينبهنا على قيمة الوقت وإجلاله، قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره[(٧)]: «أقسم الله تعالى بالعصر، لما فيه من الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، ولأن العمر لا يقدَّر بشيء نفاسة وغلاءً».

وتفسير العصر: «هو الزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم من خير وشر»[(٨)]، وبهذا قال ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ويقول الإمام ابن القيّم في بيان الحكمة من القسم بالعصر: «أقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة والآية فيه، فإنّ مرور الليل والنهار على تقدير قدرة الله العليم منتظم لمصالح العالم على أكمل ترتيب ونظام... وانقسام العصر إلى القرون، والسنين، والأشهر، والأيام، والساعات وما دونها، آية من آيات الرب تعالى، وبرهان من براهين قدرته وحكمته. فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها»[(٩)].

---

(١) سورة المدثر: الآيتان ٣٣، ٣٤.
(٢) سورة التكوير: الآيتان ١٧، ١٨.
(٣) سورة الانشقاق: الآيتان ١٦، ١٧.
(٤) سورة الفجر: الآيتان ١، ٢.
(٥) سورة الضحى: الآيتان ١، ٢.
(٦) سورة العصر: الآيتان ١، ٢.
(٧) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، القاهرة، المطبعة البهية المصرية، (د.ت)، جـ ٣٢ ص٨٤.
(٨) أبو الوفاء إسماعيل بن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الثامنة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، جـ ٣ ص٦٧٤.
(٩) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص٥٢ - ٥٣.

ويقول النيسابوري في قسم الله بالعصر: «لا شيء أنفس من العمر، وفي تخصيص القسم به إشارة إلى أن الإنسان يضيف المكاره والنوائب إليه، ويحيل شقاءه وخسرانه عليه، فإقسام الله تعالى به دليل على شرفه، وأن الشقاء والخسران إنما لزم الإنسان لعيب فيه لا في الدهر، ولذلك قال ﷺ: «لا تسبّوا الدهرَ فإنّ الله هو الدهر»[(١)].

د ـ تفاوت الأوقات في الفضل:

للوقت لدى المسلمين مكانة عالية ومنزلة رفيعة ومقام سام، وليست الأوقات المختلفة متساوية في قيمتها، بل تتباين بحسب الأحداث الحاصلة فيها أو النسك التعبدية المفروضة خلالها.

فإنَّ قيمة الوقت في المعيار الإسلامي لا تُقاس بمجرد الكم الزمني فحسب، وإنّما بفاعلية ذلك وبمدى ما يحقق من نفع وفائدة. قال تعالى معبراً عن ذلك المعنى ومشيراً لتلك الحقيقة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾، ذلك بما حققته هذه الليلة من نفع للإنسان، فتلك الليلة تعدل عمر الإنسان إذا طال[(٢)]، فقيمتها مستمدة من نزول القرآن فيها، ولعل أي وقت يُتلمس خلاله القرآن فهماً وعلماً وتطبيقاً تفوق قيمته آلاف السنين، ذلك أن الخير لا يتحقق إلا في ظل تعاليم الله ﷻ المنبثقة من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فبينما نجد أنَّ قيمة الوقت عند غير المسلمين ماديةٌ ثابتة، نرى أنَّ

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٦٤٢٢). يقول النووي في شرحه على صحيح مسلم: «هو مجاز، وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك، فيقولون: يا خيبة الدهر، ونحو ذلك من ألفاظ سب الدهر، فقال ﷺ: «لا تسبّوا الدهر، فإنّ الله هو الدهر»، أي لا تسبوا فاعلِ النوازل، فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السبُّ على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها». انظر: يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، جـ ١٥ ص٣.

(٢) ١٠٠٠ شهر تساوي ٨٣,٣ سنة.

الأوقات عند المسلمين تختلف في قيمتها، وذلك على مستوى اليوم، حيث نجد أنَّ أوقات الصلوات الخمس لها قدسية خاصة، وعلى مستوى الأسبوع نجد أن يوم الجمعة له قدسية خاصة، وكذلك على مستوى العام نجد لشهر رمضان قدسيته الخاصة، وليلة القدر أفضل أيامه، كما تُعطى أشهر الحج قيمة خاصة لا سيما العشر الأولى من ذي الحجة، وفيها يوم عرفة ويوم عيد الأضحى، وبهذا تختلف قيمة شهر عن آخر، ويوم عن آخر، وساعة عن أخرى.

هـ ـ تفضيل أوقات خاصة لأعمال خاصة:

لقد جعل الله تعالى لكل وقت عمله، وفضّل الله هذه الأوقات على غيرها، وجعلها مواسم أعمال خاصة، فكثير من الأعمال لا يتحقق قبولها إلا وفق شروط الزمان، وجعل الله الأجر عظيماً لأعمال خاصة في أوقات معينة، إن فعلها العبد خارج تلك الأوقات لم ينل الأجر، وروي: أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ لله في دهركم نفحات فتعرَّضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً»[1]، وقال ابن رجب في مقدمة كتابه لطائف المعارف: «فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات»[2].

لقد ألّف الإمام البيهقي كتاباً في فضائل الأوقات يقع في ثلاثة وثلاثين باباً وأربعة فصول، وبلغ عدد أحاديثه ثلاثمائة وثمانية أحاديث، جمع فيه الأحاديث النبوية في ذلك، بدأها بفضل شهر رجب، وذلك لعظمته وحرمته، ثم بفضل شعبان ورمضان وشوال وذي الحجة والمحرم، ثم بفضل يوم الجمعة، ويوم الاثنين إلى الخميس، وختمها بالأيام البيض. وقال عدنان القيسي الذي حقق هذا الكتاب: «إنه الكتاب الوحيد ـ من بين العلماء

(١) رواه الطبراني من حديث محمد بن مسلمة مرفوعاً.

(٢) ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف. ص٦ ـ ٧.

المتقدمين ـ الذي أفرد هذا الموضوع بمصنف مستقل»[1]، وأضاف قائلاً: «لم أقف في أثناء بحثي على تصنيف مستقل جامع لفضائل الأشهر والأيام مثل كتاب البيهقي هذا رَحِمَهُ اللَّهُ»[2]. والكتاب في مجمله يتحدث عن فضائل أعمال معينة في أوقات معينة، مثال ذلك ما أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، أي الصوم أفضل؟ قال: «صوم شعبان تعظيماً لرمضان»، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «صدقة في رمضان»[3].

فكما فضّل الله بعض الأماكن على بعض فجعل مكة أكرم بقاع الأرض وأحبها إليه، كذلك فضّل سبحانه بعض الأوقات على بعض، يقول الدكتور سلامة السقّا: «وهكذا نرى أنّ الإسلام قد حدّد أشهراً معينة خلال العام وفضّلها على غيرها، وهي شهر رمضان والأشهر الحرم، وحدّد أياماً من الأسبوع وخصها بفضل عن غيرها وهي يوم الجمعة، ثم الاثنين والخميس، وحدّد أوقاتاً من اليوم وجعل لها فضلاً وميزة عن غيرها، وهي الثلث الأخير من الليل، ثم بعد النداء للصلاة من يوم الجمعة وحتى انقضاء الصلاة، والفجر والضحى، وقد خصّ الله سبحانه وتعالى بعض تلك المواقيت بأفضال عظيمة فخص شهر رمضان بالصيام وبليلة القدر، وشهر ذي الحجة بالحج والوقوف بعرفة، وخص الأشهر الحرم بتحريم الصيد، ويوم الجمعة بالصلاة الجامعة، ويوم عيد الفطر بالصلاة الجامعة وزكاة الفطر، ويوم عيد الأضحى بالأضحية»[4]. ومثال اجتهاد رسول الله ﷺ في مواسم خاصة اجتهاده في العشر الأواخر من رمضان، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر في رمضان ما لا يجتهد في غيرها»[5].

---

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، فضائل الأوقات، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٥٤٠.

(٣) أخرجه الترمذي، باب: فضل الصدقة (٢/ ٢٥). وأخرجه البيهقي، كتاب الصيام (٤/ ٥٠٢). وأخرجه البغوي، شرح السنّة، كتاب الصيام، باب: صوم شعبان (٦/ ٩٢٣).

(٤) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٢٧٠.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الاعتكاف، باب: الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان.

ويرى سلطان العلماء العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام في مصالح الأنام أنّ تفضيل بعض الأوقات إنما هو تفضيل ديني راجع إلى أنّ الله يجود على عباده فيها بتفضيل أجر العاملين، كتفضيل صوم رمضان على صوم سائر الشهور، وكذلك يوم عاشوراء وعشر ذي الحجة، ويوم الاثنين والخميس، وكذلك فضل الثلث الأخير من كل ليلة راجع إلى أنّ الله يعطي فيه من إجابة الدعوات والمغفرة وإعطاء السائل ما لا يعطيه في الثلثين الأولين من الليل[1]. لذلك نرى أنّ تفضيل أوقات خاصة ليس مجرداً عن أعمال خاصة نؤديها خلالها، فلا استفادة من تفضيل الثلث الأخير من الليل إن لم نقمْه، ولا استفادة من تفضيل شهر رمضان إن لم نصمْه ونقمْه، ولا استفادة من تفضيل يوم عاشوراء إن لم نصمْه.

المطلب الثاني: الوقت في المنهج الإسلامي

لقد ربط الإسلام الكون والحياة بالوقت، فجعل حياة الفرد مرتبطةً به، وعبادته مؤقتة خلاله، وأجلّ الله الوقت في كتابه، وخلقه لابن آدم لينعم به ويستثمره لإصلاح دنياه وآخرته، وجعله محاسباً عليه يوم القيامة. وأكثر من ذلك لقد قرن الله في كتابه الكريم الكون كله بالوقت ـ خلقه وتقديره وتدبيره وتسخيره، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[2].

وبعض مزايا الوقت في المنهج الإسلامي هي الآتية:

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، جـ ١ ص٣٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة فصلت: الآيات ٩ ـ ١٢.

١ ـ الوقت مخلوق:

بما أنّ الزمن والوقت عبارة عن نتائج لحركة الأجرام المخلوقة، فالزمن بطبيعة الحال مخلوق، وهو مخلوق بسنة كونية مفادها أنّ مرور الوقت مرتبط بحركة الكواكب ودورانها مخلفة الليل والنهار، وهذه السنّة أوجدها الله تبارك وتعالى، حيث كان ولم يكن قبله شيء، ويبقى بعد فناء تلك الأجرام، حينما تقف عجلة الزمن.

يقول الدكتور السيد سلامة السقا في كتابه الزمن: «إن الزمن مخلوق، من مخلوقات الله لا وزن له ولا صفات ملموسة تجعل إخضاعه للتجربة العملية والبحث المعملي ممكناً، إنه ظاهرة ترتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً، ففي تركيب كل مخلوق إحساس فطري بالزمن، وتوالي الحادثات داخل الأجسام الحية مرتبط بفترات زمنية محددة. وإن إحساسنا بالزمن مرتبط بما ندركه من حركة في الكون من حولنا. والحركة مستمرة رغماً عنّا فلا يملك مخلوق تغيير حركة الكون أو التحكم فيها، وبالتالي لا يملك الزمن أو من الزمن شيئاً فلا يقدر كائن ما كان من المخلوقات إيقاف الزمن أو إسراعه أو إبطاءه...

إن الزمن مخلوق من مخلوقات الله تعالى، ولا يعلم بدايته إلا الله، فقد كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء فهو سبحانه «الأول»، وحين تنتهي الدنيا وينتهي الزمان كما نعرفه يبقى الخالق سبحانه وتعالى فهو «الآخر»، فلا شيء قبله ولا شيء بعده وله سبحانه وتعالى الأمر «من قبل ومن بعد»، وحين تطوى صفحات الكون وتنتهي تلك العلامات التي نحصي بها الزمن، لن يكون زمان (بمقياس أهل الدنيا المنتهية)، ولهذا يشير القرآن الكريم في قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[1]، حينها تنتهي الدنيا بسننها ومقاييسها وأبعادها وزمانها، ويقف الجميع أمام الله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ الذي بيده ملكوت كل شيء من مكان وزمان...

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

الله سبحانه وتعالى هو خالق الزمان ومالك الزمان، وخالق نواميس الزمان ومالك أمرها، فهو وحده الذي يستطيع أن يوقف الزمن، وهو وحده الذي يتحكم في الزمن بأي شكل أراد، وهو وحده الذي لا يقف الزمان حاجزاً أمام علمه سبحانه، فما كان وما هو كائن وما سيكون أمام الله سبحانه وتعالى سواء، فلا حاجز مكان ولا حاجز زمان أمام خالق الزمان والمكان»[1].

فالوقت خلق الله وملك الله، ولا يسعنا سوى أن نستغله ونستخدمه كنعمة أنعمها الخالق علينا، فهو تسخير للإنسان ليحياه بحركته على الأرض.

٢ ـ الوقت مسخَّر:

إن شرف الوقت وعزته تنبعان من كونه منحة ونعمة امتنَّها الله على الإنسان، والله تبارك وتعالى في معرِض بيان عظيم فضله على عباده في تسخير الوقت لمنفعة الإنسان ذكرنا بنعمة الليل والنهار، وهما أجزاء من الوقت: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[2]، وقال تعالى مؤكداً على عظم هذه النعمة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[4].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»[5]، فالوقت نعمة كبرى، لا يعلمها ولا يستفيد منها إلا القلة، كما أشار إلى ذلك لفظ الحديث الشريف الذي أفاد أنَّ الكثير مفرط فيه. قال ابن الخازن: «النعمةُ ما يتنعّم به الإنسان

---

(١) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٨٥ ـ ٨٦.
(٢) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٣، ٣٤.
(٣) سورة النحل: الآية ١٢.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٦٢.
(٥) رواه البخاري، كتاب الرقائق (٦٤١٢).

ويستلذه، والغبن أن يشتري بأضعاف الثمن، أو يبيع بدون ثمن المثل. فمن صحّ بدنه، وتفرّغ من الأشغال العائقة ولم يسعَ لصلاح آخرته فهو كالمغبون في البيع. والمقصود بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ، بل يصرفونهما في غير محالِّهما، فيصير كل واحد منهما في حقهم وبالاً، ولو أنّهم صرفوا كل واحدٍ منهما في محلِّه لكان خيراً لهم، أيّ خير»[1].

وعكس ذلك الغبن أن يغتنم الإنسان تلك النعمة، فيستثمر فرصة تسخير العمر ليسعد في الدنيا وينجو في الآخرة، عن ابن عباس رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابَكَ قبل هرمك، وصِحتك قبل سقمك، وغِناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلك، وحياتَك قبل موتك»[2].

٣ ـ وجوب اغتنام الوقت:

واجب المسلم نحو وقته أن يدرك أولًا أن وقته هو حياته، فيحفظه ويحصي كل ساعة منه، فيصرفها بعمل ينفعه في دينه ودنياه، ويحرص على عمارة أوقاته بالعمل الصالح لينجو يوم القيامة، حيث إنّ الفوز بالجنة سببه ما أسلف العبد في أيامه الخالية، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[3]، أي: بما قدمتم في أيام الدنيا[4]، وقال الإمام النسفي: «بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية»[5]. وقال الله تعالى

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، الهامش، ص٢٢.

(٢) رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، (د.ت)، جـ ٤ ص٣٠٦.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ١٨ ـ ٢٤.

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)، جـ ١٨ ص٢٧١.

(٥) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دمشق، المكتبة الأموية، (د.ت)، جـ ٣ ص٥٧٩.

معاتباً من أراد العودة للدنيا ليقوم بما فاته: قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[1].

ولقد ضرب الله الأمثال في تتابع الليل والنهار ليتدبر العقلاء ويعتبروا بمرور الأيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[3].

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: «إنّ مضي الزمن واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يمر بالمؤمن وهو في ذهول عن الاعتبار به والتفكير به، ففي كل يوم يمر، بل في كل ساعة تمضي، بل في كل لحظة تنقضي، تقع في الكون والحياة أحداث شتى، منها ما يُرى وما لا يُرى، ومنها ما يُعلم وما لا يُعلم، من أرض تحيا، وحبة تُنبت، ونبات يُزهر وزهر يُثمر، وثمر يُقطف، وزرع يُصبح هشيماً تذروه الرياح، أو من جنين يتكون، وطفل يولد، ووليد يشب، وشاب يكتهل، وكهل يشيخ وشيخ يموت! ومن أحوال تدور على الناس كلما دار الفلك من فوق أو دارت الأرض من تحت، بين يُسر وعُسر، وغنى وفقر، وصح وسقم، وسرور وحزن، وشدة ورخاء، وسراء وضراء، وفي كل ذلك آية لمن كان له لب، وذكرى لمن كان له قلب، وعبرة لمن كان له بصر»[4].

فالوقت مسؤول عنه العبد يوم القيامة، وإنّ كل مكلف سيسأل يوم القيامة عن أربع أساسيات في حياته: عمره وشبابه وماله وعلمه، اثنتين منهما تتعلقان بالوقت، عن معاذ بن جبل: أن النبي ﷺ قال: «لن تزولَ قدما عبد يوم

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٧.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١٩٠، ١٩١.

(٣) سورة النور: الآية ٤٤.

(٤) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص١٠ ـ ١٢.

القيامة، حتى يُسألَ عن أربع خصال: عن عُمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلّا فقراً مُنسِياً، أو غِنًى مُطغِياً، أو مرضاً مُفسِداً، أو هرماً مفنِّداً[٢]، أو موتاً مُجهِزاً[٣]، أو الدجّالَ ـ فشرُّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعةَ ـ فالساعةُ أدهى وأمرّ»[٤].

ولقد أعذر الله لعبده متى عمّره في الدنيا لفترة من الزمن، كلفه فيها بالأعمال الصالحات، ونبّهه عن الغفلة، ورغّبه بالتوبة، ورهّبه بالمعصية، وفي هذا يسأل الله تعالى عباده مؤنباً على ضياع أعمارهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[٥]، وفي الحديث الصحيح: «أعذر الله إلى امرئ أخّرَ أجله حتى بلّغه ستين سنة»[٦]. والمعنى أنّ الله لم يترك للعبد سبباً في الاعتذار يتمسك به[٧].

واعتبر العلماء أن من العقوق إضاعة الوقت، كما جاء في فيض القدير: إنّ «من أمضى يومه في غيرِ حقٍّ قضاه، أو فرض أدَّاه، أو مجد أثله، أو حمدٍ حصّله، أو خير أسَّسه، أو علم اقتبسه، فقد عقَّ يومه وظلم نفسه»[٨].

فالمسلم لا يهدر وقته، بل يملؤه بالعمل النافع كما كان حال سلف الأمة، كانوا شديدي الحرص على عدم تضييع الوقت بدون عمل نافع.

---

(١) رواه الطبراني بإسناد صحيح في المعجم الكبير، ٢٠/ ٦٠ ـ ٦١.

(٢) الفَنَدُ: ضعف العقل والفهم والتخليط في الكلام من الهرم، نقلاً عن خلدون الأحدب، سوانح وتأملات في قيمة الزمن، بيروت، الدار الشامية، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، هامش ٢ ص٥٧.

(٣) مجهزاً: سريعاً عاجلاً، المرجع السابق، هامش ٣ ص٥٧.

(٤) رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ﷺ، وقال: حسن غريب، كتاب الزهد، باب: ما جاء في المبادرة بالعمل (٢٣٠٦).

(٥) سورة فاطر: الآية ٣٧.

(٦) رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الرقائق (٦٤١٩).

(٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، جـ ١١ ص٢٤٠.

(٨) المُناوي، فيض القدير، مرجع سابق، جـ ٦ ص٢٢٨.

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي»[1].

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «إنّ الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما»[2]. ويُنسب إلى الحسن البصري قول بليغ: «ما من يوم ينشق فجره إلّا وينادي: يا ابن آدم، أنا خلقٌ جديد وعلى عملك شهيد، فتزوّد منّي فإني إذا مضيتُ لا أعود إلى يوم القيامة»[3].

٤ ـ توقيت الأعمال على مدار الساعة:

(أ) ـ توقيت الشعائر التعبدية:

لقد أرسل الله نبيّه بأحكام شرعية لها أوقاتها ومواعيد أدائها، فجعل لكل شعيرة توقيتاً لا يتم كمالها إلا خلاله، فجاءت العبادات والآداب ومختلف الأعمال مربيةً العبد على استشعار أهمية الوقت وتنظيم أعماله خلاله والاتعاظ بمروره، فجعل الله أعمال العبد المكلف تسير مع حركة الكون بتوقيت محدد دقيق. جاء في وصية أبي بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه: «إنّ لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، ولله في الليل حقاً لا يقبله بالنهار»[4].

وحيث إنّ الإنسان معرّض للغفلة والجهل وإيثار العاجل على الآجل، كان لا بدّ من مذكِّر ينبهه بمسيرة الزمن، ولا أرى أكثر من منهج العبادة في الإسلام هادفاً لذلك، والعبادة بمفهومها العام تشمل الشعائر التعبدية والمعاملات، وكافة حركة الإنسان في الحياة. وإنّ تطبيق الشعائر التعبدية بأكملها يتطلب أن يكون المسلم متنبهاً دوماً لمسيرة الزمن، فهو يراقب وقته خلال ليله ونهاره، وينتبه لحركة الزمان من حوله طيلة حياته، على مستوى

---

(١) نقلاً عن عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٢٧.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧.
(٣) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص١٤.
(٤) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٥٦ ـ ٥٧.

اليوم والأسبوع والشهر والعام طالما هو على قيد الحياة[1].

* **على مستوى اليوم: الصلوات الخمس:**

أهم الشعائر التعبدية هي الصلاة، قال الله تعالى فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[2]، ومعنى كتاباً: أي: فرضاً مكتوباً، ومعنى موقوتاً: أي: في أوقات محددة، أي: جعل الله الصلاة فرضاً مكتوباً في أوقات مخصوصة. فالصلاة مؤقتة على مدار اليوم والليلة، وكأنها الضابط والمنبه المستمر للمسلم بمرور الزمن.

واعتبار المسلم بالوقت يتأتى من أنه يفتتح يومه بالصلاة، صلاة الفجر، ويختتمه بالصلاة، صلاة العشاء، وبين الصلاتين وقفات أخرى تنبّه من غفل عن مسيرة الزمن، وذلك كلما سمع الأذان شعر بتقدم الوقت، ومع هذه الفرائض تأتي النوافل في أوقات شتّى من الليل والنهار، بعضها موقت كصلاة الضحى ونوافل الصلوات المكتوبة.

وذكر العلّامة محمد الكتاني الفاسي في كتابه التراتيب الإدارية[3] أنّ بلالاً كان المؤقت في حياة النبي ﷺ، فكان يحفظ الوقت ويكلؤه للقيام بالصلوات، ففي الموطّأ عن شهاب عن سعيد بن المسيّب: أنّ رسول الله ﷺ حين قفل من خيبر أسرى، حتى إذا كان آخر الليل عرّس، وقال لبلال: «إكلأ لنا الصبح»[4].

وإنّنا نرى حاجة المسلم في الوقت الحاضر لاستخدام الساعة لكي يؤدي الصلوات على وقتها، ولاستخدام المنبّه ليستيقظ لأداء صلاة الفجر، ولديه جداول دقيقة لأوقات الصلوات يقف عندها خمس مرات في اليوم،

---

(١) محمد عثمان صالح، العبادات وأثرها في ضبط الوقت، مجلة أبحاث الإيمان، مرجع سابق، ص٣٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٣) محمد عبد الحيّ الكتّاني، التراتيب الإدارية، مرجع سابق، ج ١ ص١٢٦.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، رواية أبي مصعب الزهري، باب: ما جاء في النوم عن الصلاة، حديث رقم ٢٩.

وذلك لحرصه على أداء الصلاة في وقتها، حيث جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ العملِ أحبّ إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»[1]، أي: عند أول وقتها.

وهذه الصلوات المؤقتة ليست منبهاً لمرور الوقت فحسب، بل هي عامل على تنظيمه، فالمسلم يبدأ نشاط يومه باكراً بعد صلاة الفجر، ويأخذ قسطاً من الراحة وسط النهار لصلاة الظهر وتناول طعام الغداء والقيلولة، ويتابع عمله حتى صلاة العصر، ليقف مرة أخرى في عبادة وراحة، ثم صلاة المغرب، وينهي يومه بصلاة العشاء، حيث يخلد بعده للنوم باكراً لكي يغتنم يومه القادم من أوّله، حيث شجّع رسول الله ﷺ صحابته على الاستفادة من النهار من أوّله. فعن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: «اللّهم بارك لأمتي في بكورها»[2]، وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان إذا بعث تجارة بعثهم أول النهار، فأثرى وكثر ماله[3].

والصلاة تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، لذلك أي مسلم يقوم بالصلوات على أوقاتها يظل متنبهاً لمسيرة الزمن، مراقباً مرور الوقت، وفي ذلك تربية له على ممارسات عملية منتظمة لا يسهو فيها عن وقته، والصلوات الخمس كلها مؤقتة، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنّ جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ بعد أن فُرضت الصلوات الخمس، يعرفه أوقاتها، ويضبط له وقت كلٍّ منها ابتداءً وانتهاءً. والحديث الذي بيَّن فيه رسول الله ﷺ للمسلمين بالقول والفعل، والذي يجمع مواقيت الصلوات

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم ٥٢٧. ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل من الأعمال، حديث رقم ٨٥، بشرح النووي.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجهاد (٢٦٠٦). وحسّنه الترمذي، كتاب البيوع (١٢١٢). وقد اعتنى الحافظ المنذري بجمع طرقه فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين. والبكور: أوّل النهار.

(٣) الكتّاني، التراتيب الإدارية، مرجع سابق، جـ ٢ ص١٩.

الخمس ما رواه مسلم وغيره عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه أتاه سائلٌ يسأَلُه عَنْ مواقيت الصلاة فلم يَرُدَّ عليه شيئاً. وفي رواية أخرى قال: «اشْهَدْ مَعَنَا الصَّلَاةَ». قال: فأقام الفجر حين انْشَقَّ الفَجْرُ، والناس لا يكاد يعرفُ بعضهم بعضاً، ثم أمره فأقام بالظهر حين زَالَتِ الشَّمْسُ، والقائلُ يقولُ: قَدِ انْتَصَفَ النَّهَارُ وهو كان أعلم منهم، ثم أمرهم فأقام بالعصرِ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، ثم أمره فأقام بالمغرب حين وَقَعَتِ الشَّمْسُ، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشَّفَقُ.

ثم أخَّر الفجر من الغد، حتى انصرَف منها والقائلُ يقولُ: قد طلعت الشمس أو كادَتْ، ثم أخر الظهر حتى كان قريباً من وقت العصر بالأمس، ثم أخّر العصر حتى انصرف منها والقائل يقول: قَدِ احْمَرَّتِ الشَّمْسُ، ثم أخَّر المغرب حتى كان عند سقوط الشَّفقِ، ثم أخّر العشاء حتى كان ثلث الليل الأول. ثم أصبح، فدعا السائل فقال: «الوَقْتُ بَيْنَ هَذَيْنِ»[1]. وبيان تفصيل أوقات الصلوات ما يلي[2]:

الفجر: يدخل وقته بظهور الفجر الصادق ويمتد إلى طلوع الشمس، قال رسول الله ﷺ: «وقتُ صلاةِ الصبح من طلوع الفجرِ ما لم تطلُع الشمس»[3].

الظهر: يبدأ وقته بانحراف الشمس عن منتصف السماء نحو الغروب، ويسمى الزوال، حيث يظهر للشاخص عندئذ ظل يسير يبدأ بالامتداد نحو جهة الشرق، ويسمى ظل الزوال، ويمتد وقته إلى أن يصير طول ظل الشيء مثله، علاوة على ظل الزوال الذي كان علامة على أول وقت الظهر، قال رسول الله ﷺ: «وقتُ الظُّهرِ إذا زالتِ الشمس، وكان ظِلُّ الرجُلِ كطوله، ما لم يحضُر العصر»[4].

---

(١) رواه مسلم (٦١٤)، ورواه أبو داود (٣٩٣)، ورواه الترمذي (١٤٩).

(٢) مصطفى الخن، علي الشربجي، مصطفى البُغا، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دمشق، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، جـ١ ص١٠٤ - ١٠٧.

(٣) رواه مسلم (٦١٢).

(٤) رواه مسلم (٦١٢).

العصر: يبتدئ وقته بنهاية وقت الظهر، ويستمر حتى تغرب الشمس، دلّ على ذلك قوله ﷺ: «ومن أدرك رَكعةً من العصرِ قبل أنْ تغربَ الشمسُ فقد أدرَكَ العصر»[1]، ولكن الاختيار أن لا يؤخرها المصلي عن مضي ظل الشيء مثليه علاوة على ظل الزوال لقوله ﷺ: «ووقتُ العصرِ ما لَمْ تصفَرّ الشمس»[2]، وهو محمول على الوقت المختار.

المغرب: يبتدئ وقته بغروب الشمس، ويمتد حتى يغيب الشفق الأحمر ولا يبقى له أثر في جهة الغرب[3]، فإذا أطبق الظلام وامتد إلى الأفق الغربي، وزال أثر الشفق الأحمر، فذلك يعني انتهاء المغرب ودخول وقت العشاء، قال رسول الله ﷺ: «وقتُ المغربِ ما لم يغِبِ الشفق»[4].

العشاء: يدخل وقته بانتهاء وقت المغرب، ويستمر إلى منتصف الليل وقيل: إلى ظهور الفجر الصادق[5]، والاختيار أن لا تؤخر عن الثلث الأول من الليل كما جاء في حديث الرسول ﷺ الذي سبق ذكره: أنه أقام العشاء حين غاب الشفق في اليوم الأول، ثم أخّره حتى كان ثلث الليل الأول في اليوم الثاني، وقال للسائل: «الوقت بين هذين»[6].

وبسبب حاجة المسلمين للتوقيت، وخاصة توقيت الصلوات، وانتباههم لمرور الساعات، فقد كان اهتمامهم هذا له أثر فريد في اللغة العربية، حتى إننا لا نجد في لغة أخرى مفردات تعبر عن كل ساعة من ساعات النهار والليل، كما هو في لغة الإسلام ـ اللغة العربية، فقد ذكر الثعالبي في كتابه «فقه اللغة وأسرار

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٠٨).
(٢) رواه مسلم (٦١٢).
(٣) الشفق الأحمر: بقايا من آثار ضوء الشمس، يظهر في الأفق الشرقي عند الغروب، ثم إنّ الظلام يطارده نحو الغروب شيئاً فشيئاً.
(٤) رواه مسلم (٦١٢).
(٥) الفجر الصادق: ضياء ينتشر ممتداً مع الأفق الشرقي، وهو انعكاس لضوء الشمس تقبل من بعيد، ثم إنّ هذا الضياء يعلو نحو السماء شيئاً فشيئاً إلى أن يتكامل بطلوع الشمس.
(٦) رواه مسلم (٦١٤).

العربية» نقلاً عن حمزة بن الحسن ٢٤ اسماً لساعات النهار والليل كما يلي[1]:

ساعات النهار: تشتمل على التوالي: الشروق، فالبكورة، فالغدوة، فالضحى، فالهاجرة، فالظهيرة، فالرواح، فالعصر، فالقصر، فالأصيل، فالعشي، ثم الغروب.

ساعات الليل: تشمل على التوالي: الشفق، ثم الغسق، فالعتمة، فالسدفة، فالفحمة، فالزلة، فالزلفة، فالبهرة، فالسحر، فالفجر، فالصبح، فالإصباح.

* على مستوى الأسبوع: صلاة الجمعة:

كما أنّ المسلم يظل متنبهاً لمرور الساعات خلال ليله ونهاره، وذلك لحاجته لتأدية الصلوات اليومية على وقتها، فهو أيضاً يتنبه لمرور الأيام، حيث إنه مطالب بتأدية صلاة خاصة كل يوم جمعة، ولصلاة الجمعة موعد محدد، فإنها في يوم خاص وفي وقت خاص.

* على مستوى العام: الصيام والزكاة:

شرع الله صيام شهر رمضان، حيث جعله موسم الخير، يبدأ الصيام برؤية هلال شهر رمضان ويختتم برؤية هلال شوال، وهذا توقيت دقيق من كل عام. والصوم ضابط العام، فالمسلم الذي يصوم يراعي الوقت كل يوم في إفطاره تعجيلاً وفي سحوره تأخيراً، كما أشارت السنة بقوله ﷺ: «إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل إفطارنا ونؤخر سحورنا»[2]. وقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر»[3]. كما أنّ صيام النوافل يتطلب ترقب الأيام البيض من كل شهر، وأيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، وهكذا حتى يبقى المسلم متنبهاً لمسيرة الزمن من حوله.

---

(١) الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، حديث ٢٦٥٤، ص٣٤٦.

(٣) البخاري، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار، رقم ١٩٥٧.

وشرع الله الزكاة وهي أحد أركان الإسلام، وإنّ تعريفها يدلنا على أهمية الوقت في أدائها، فهي واجبة على الحر العاقل البالغ المسلم إذا ملك نصاباً ملكاً تاماً وحال عليه الحول[1]. فهي تُؤدى مرة كل عام، واشتراط الشارع لوجوب الزكاة حلول الحول، أي مرور عام هجري كامل على امتلاك النصاب، مما يستوجب مراقبة مرور الزمن توقيتاً لتأدية الزكاة، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[2].

*** على مستوى العمر: الحج:**

والحج هو ضابط العمر، فالمؤمن يظل مترقباً الوقت الذي يستطيع أن يؤدي فيه هذا الفرض، فإنه ينتبه لمضي العمر وحلول الضعف والشيخوخة. ولقد فرض الله على كل قادر أن يؤدي الحج، وهي عبادة مؤقتة أيضاً تؤدى في وقت محدد، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، وأحكام الحج بتفصيلاتها جميعها مؤقتة، لذا فإن هذه العبادة تحتاج ضبطاً للوقت لتأديتها على أكمل وجه.

من خلال هذا العرض يتبين لنا أن أركان الإسلام العملية كلها موقتة بأوقات محددة، وهي مرتكزة على عنصر الوقت، حيث لا تصلح تأديتها بدون الانتباه لهذا العنصر، فيصبح للوقت في حياة المسلم خاصية هامة، فهو مطالب بضبطه لكي يؤدي ما أوجبه الله عليه من طاعات، وفي ذلك ترويض للمسلم على أن يُنظّم أعماله ونشاطاته خلال وقته، لذلك نرى أنّ الانضباط في المواعيد وتنظيم الأعمال بحسب أوقاتها من شيم الشخصية الإسلامية، أو هكذا يجب أن تكون!.

لذلك لا غرابة أن نرى أن بعض السلف كانوا يسمون الصلوات

---

(١) شيخ الإسلام برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، الهداية شرح بداية المبتدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، جـ ١ ص١٠٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤١.

الخمس «ميزان اليوم»، ويسمون الجمعة «ميزان الأسبوع»، ويسمون رمضان «ميزان العام»، ويسمون الحج «ميزان العمر»، فتأدية الصلوات على أكمل وجه في أوقاتها، وكذا صيام رمضان وحج البيت، كله عامل أساس على إصلاح الحياة.

(ب) ـ توقيت الأحكام الشرعية:

ليس التوقيت أمراً مطالباً به لتأدية الشعائر التعبدية فحسب، بل إنّ أحكام الشريعة المؤقتة كثيرة جداً عن أن تحصى في وريْقات، وذلك يشمل أبواب العبادات، والمعاملات، والمعاوضات، والأحوال الشخصية، والآداب. . . إلخ. فزكاة الفطر مؤقتة، والأضحية مؤقتة، والمسح على الخفين مؤقت، والطلاق مؤقت، والعدة مؤقتة، والتيمم مؤقت، والرهن مؤقت، والحيض مؤقت، والنفاس مؤقت، والرضاعة مؤقتة، والنفقة مؤقتة، والسفر مؤقت، وغيرها.

والتكليف بشكل عام جعله الله مؤقتاً بالبلوغ وهو بلوغ عمر معيّن للشاب وللفتاة، والشارع الحكيم قد ربط الأعمال بالتوقيت المحدد والمناسب لكل عمل ليرشد الإنسان إلى أهمية الوقت ويحثه على المحافظة عليه وينبهه إلى الاعتبار بمرور الأيام، وذلك يستمر من أول يوم بلغ فيه العاقل إلى يوم وفاته.

٥ ـ اغتنام علماء المسلمين للوقت:

إنّ البحث في قيمة الوقت وحثّ الإسلام على اغتنامه لا يكتمل بدون النظر في سيَر علماء المسلمين، حيث كانوا نماذج عملية نادرة لحسن اغتنام فسحة العمر، فلقد قاموا بإنجازات كبيرة وأعمال عظيمة خلال حياة يسيرة، وكأنها ضرب من الخيال، حتى إننا نجد أنّ أحدهم قد عاش حياةً أخرى بعد وفاته وأدى رسالةً للأحياء وهو في قبره، وترك من الإنتاج العلمي العظيم الذي لم يكن ليحصل إلا بحفظ الوقت وحسن استغلاله.
من تلك النماذج الفريدة:

ابن جرير الطبري[1]: لقد خلَّف في مصنفاته ما يقرب من ٣٥٠ ألف ورقة، حتى قال عنه الفقيه محمد الحسن الحجوي الفاسي رحمه الله تعالى: إنه «أعظم مؤلف في الإسلام»، وتلاميذ ابن جرير قد أحصوا له مجموع ما صنفه بنحو ٣٥٨ ألف ورقة، «وقد اعتبروا كلاً من تاريخه وتفسيره نحو ثلاثة آلاف ورقة، فيكون الكتابان مجموعهما نحو سبعة آلاف ورقة أو ثمانية آلاف ورقة، وقد جاء التاريخ مطبوعاً في أحد عشر جزءاً كبيراً، وجاء التفسير مطبوعاً في ثلاثين جزءاً من الأجزاء الكبار التي يكون كل جزء منها مجلداً، فاحسُب حساب الباقي من أوراق مصنفاته، وهو ٣٥١ ألف ورقة، لتعرف كم تبلغ مؤلفات هذا الإمام الذي كان في علومه بمثابة مجمع علمي واسع الفنون، وفي كثرة تآليفه بمثابة دار للنشر، وهو فرد واحد بنفسه، يكتب بقلمه لنفسه، ويؤلف على ورقه بنفسه، ويُخرج للناس فكره وعلمه عسلاً مصفّى وزُبداً شهياً، وما كان ليكون له كل ذلك لولا أنه كان يكسب وقته ويدري كيف يملؤه بالاستفادة والتأليف»[2]. يقول محمد كرد علي في كتابه كنوز الأجداد[3]: «أُثر عن ابن جرير الطبري أنه ما أضاع دقيقة من حياته إلّا في الإفادة والاستفادة».

الخوارزمي[4]: وهو محمد بن أحمد المكنى بأبي الرّيحان البيروني،

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، جـ ١٤ ص٢٦٧ - ٢٨٢. والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد بيروت دار الكتاب العربي، جـ ٢ ص١٦٢ - ١٦٩. وابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، جـ ١١ ص١٥٦ - ١٥٨.

(٢) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٤٣ - ٤٤.

(٣) عبد الحليم محمد حامد، إدارة الوقت في الإنتاج الفكري، مجلة أبحاث الإيمان، مرجع سابق، ص٨٢.

(٤) انظر: قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات، دار القلم، ط ٣، ١٣٨٢هـ، ص٣١٠ - ٣٢١، ومعجم البلدان، جـ ٣ ص٤٧٤.

كان جامعاً لأشتات العلوم، أتقن خمس لغات: العربية والسريانية والسنسكريتية والفارسية والهندية، وترك من المؤلفات في علوم الفلك والطب والرياضيات والآداب واللغة والتاريخ وغيرها ما زاد على ١٢٠ مؤلفاً. قال فيه المستشرق الكبير سخاو: «إنه أكبر عقلية عرفها التاريخ»[١]. وقال فيه المستشرق المشهور سارطون: «كان البيروني من أعظم عظماء الإسلام، ومن أكبر علماء العالم»[٢].

ابن عقيل[٣]: لقد صنّف تصانيف كثيرة في أنواع العلوم، أحدها كتاب الفنون، قال الحافظ الذهبي فيه: «لم يصنّف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مائة»، وقال ابن رجب: «قال بعضهم هو ثماني مائة مجلد». وكان ابن عقيل يقول: «إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطّل لساني عن مذاكرة أو مناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح، فلا أنهض إلّا وقد خطر لي ما أسطره»[٤].

ابن تيمية[٥]: عاش ٥٧ عاماً وصنّف نحو ٥٠٠ مجلداً، وكان لا

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٤٩ ـ ٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩ ـ ٥٠.

(٣) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، بيروت، دار المعرفة، جـ ٣ ص١٤٢ ـ ١٦٤. والذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، جـ ١٩ ص٤٤٣ ـ ٤٥١. وأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، بيروت، دار المعرفة، جـ ٢ ص٢٥٩.

(٤) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، ص٥٣ ـ ٥٤.

(٥) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، بيروت دار الفكر، ط ٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، الجزء المفقود، ترجمة رقم ٦٧٣٦، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤. وابن كثير، البداية والنهاية، القاهرة مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٨٨م، جـ ١٤ ص١٤١ ـ ١٤٦. وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مصر أم القرى للطباعة والنشر، جـ ١ ص١٥٤ ـ ١٧٠.

يمكن أن يفوّت من وقته ساعة دون تعليم أو تأليف أو عبادة. وقد ألّف تلميذه الإمام ابن القيم في أسماء كتبه رسالة بلغت صفحاتها ٢٢ صفحة! وذكر فيها ما يقارب ٣٥٠ مؤلفاً، وقال الحافظ ابن رجب: «وأما تصانيفه فقد امتلأت بها الأمصار، وجاوزت حد الكثرة، فلا يمكن لأحد حصرها»[١].

ابن الجوزي[٢]: لقد أربت تآليفه على ٥٠٠ مؤلف بحفظه للوقت، وقد نقل الذهبي أنه وُصف بأنه «كان لا يضيّعُ من زمانه شيئاً»[٣].

من هذه النماذج السابقة يتضح لنا أنّ أسلافنا كانوا شديدي الحرص على أوقاتهم تنظيماً لها وإفادة منها، فخلّفوا لنا من الإنتاج الفكري والعلمي ما يندر مثيله في عالمنا المعاصر. وأمثال هؤلاء كثير، حيث حفل تاريخ أمتنا بمئات النماذج كهؤلاء العلماء، ولقد ألّف الأستاذ جميل العظم كتاباً أسماه: «عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمئة فأكثر»، ذكر منهم الإمام النووي وابن القيم وعلي القاري والمناوي وآخرين ممن زادت مؤلفات الواحد منهم على مائة كتاب أو على الخمسين كتاباً. وهذا يدل بكل وضوح على شدة حفظهم لوقتهم وحسن إدارتهم له وعدم إضاعة أي ساعة منه بغير فائدة، ولقد أخبرنا عن أمثالهم الحسن البصري فقال: «أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه»[٤].

وبعد دراسته لسير العلماء الأعلام لقرابة عشرين عاماً، يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: «شهدنا في هذه الصفحات غلاء الوقت وقيمة الزمن عند العلماء السابقين، فقد قسّموا أوقاتهم تقسيماً دقيقاً، للطعام والمنام،

---

(١) ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، جـ ٢ ص٤٠٣.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، جـ ٢١ ص٣٦٥ ـ ٣٨٤. وابن خلكان، الوفيات، بيروت، ١٩٨٧م، جـ ٣ ص١٤٠. وابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، جـ ٣ ص٣٩٩ ـ ٤٣٣.

(٣) الذهبي، سِير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، جـ ٢ ص٣٧٧.

(٤) البغوي، شرح السنة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، جـ ١٤ ص٢٢٥.

ولأداء الفرائض والنوافل، والتهجُّد والقيام، والتحصيل والتعليم، والمطالعة والتأليف، مع تركِ الأشغال اليومية، والأعمال الدنيوية، والرّضا بالعيش الخَشِن، والدّون من الطعام والشراب واللّباس والمسكن. . .، حرصاً على التفرّغ للعلم، وعلى كسب الوقت فيه، لأنّ العلمَ عندهم أعزّ مطلوب وأعظمُ مرغوب»[1].

وبهذا الإنتاج العلمي الذي خلفوه بحفظهم لأوقاتهم يجني الواحد منهم عمراً ثانياً بذكر الناس له بعد مماته، وبمداومة المثوبة من الله طالما انتفع الخلق بعلومهم، وفي ذلك اغتنام للأيام في الدنيا لتحصيل الأجر بعد الموت، كما جاء في الحديث الشريف: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[2]، وكان دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[3]، ويقول أحمد شوقي في ذلك:

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثان

بالمقابل تجد إنساناً يعمّر أكثر من مائة سنة، ولكن رصيده من العمل والإنتاج ونفع العباد قليل، وقد يموت آخر شاباً، ولكنّ رصيده في سنينه القلائل بعد سن التكليف حافل عامر بجلائل الأعمال، يقول صاحب الحكم العطائية: «رُبَّ عمرٍ اتسعت آمادُهُ وقلَّت أمداده، ورُبَّ عمرٍ قليلةٌ آماده كثيرة أمداده»[4]. فحريٌّ بنا أن نتّخذ تلك النماذج من أبناء أمّتنا أسوة حسنة في المحافظة على الوقت، حيث إنّهم بشر مثلنا، لم يصلوا لذلك

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الرابعة، ص٣٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٨٤.

(٤) ابن عطاء الإسكندري، الحكم العطائية، دمشق، وزارة الإعلام السورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، الحكمة ٨ رقم ٢٥٩، ص٧٤.

الإنتاج والعطاء الذي خلّفوه بالمعجزات أو بالكرامات، بل بالإفادة من فسحة العمر، وبالحرص على استثمار الوقت بالعمل والإنتاج، مع ما وهبهم الله من بركة في أوقاتهم لاتِّباعهم السنن المؤدية لها.

المطلب الثالث: منهجية السبق في إدارة الوقت في الإسلام:

لقد أوجد الإسلام منهجاً خاصاً في تعامل الإنسان مع وقته - ميدان حياته في الدنيا -، فجعل الأساس الإيماني لإدارة الوقت أن تكون الغاية من وجهة الفرد في حياته واستثمار وقته هي الفوز بمرضاة الله.

وإنَّ اغتنام الوقت يَعني المبادرة بالعمل في الدنيا قبل الآخرة، وهو على وجهين: المسارعة والسرعة، فالأوَّل يُعنى بالإنجاز المبكِّر للعمل قبل فوات الأوان، والثاني يُعنى بالإنجاز السريع له، وكأنَّ الدنيا حلبة سباق، حيث يدخل في مفهوم السباق المسارعة والسرعة في آن واحد، والمقصد الأساس من السرعة عادةً هو السبق.

وهذا المنهج يظهر جلياً في الدعوة الربانية إلى السباق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[(١)]. ولم ترد لفظة «سابقوا» بصيغة الأمر في كتاب الله في غير هذه الآية، ولو تكررت صيغة الأمر هذه لوُجد تنوع وتعدد في مجال المسابقة، وبذلك تكون هذه الآية قد حدَّدت السباق الأوحد، وهو السباق بالتوجه إلى الله حيث المغفرة والجنة والخلود، فحدَّد الله السبق بصورة واحدة ولهدفٍ واحد حتى يلقى العبد الله، وهذه الدعوة توحِّد كل التوجهات والمنطلقات لتكون الوجهة إلى الله وحده.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢١.

كما تشير لفظة «السباق» إلى التركيز على عنصر الزمن، وهو ميدان حياة الإنسان في الدنيا، وكان ذلك واضحاً في السياق، حيث جاء قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[1] مباشرة قبل الأمر بالسباق، ولم ترد آية «الحياة الدنيا» بعده لتأكيد أهمية الوقت وليكون نصب عين المتسابق، فأساس السباق العنصر الزمني، وهو الحياة الدنيا قبل فوات الأوان وانقضاء سني العمر.

وهذه الدعوة إلى السباق تشير في سياقها إلى عدم الغفلة عن الآخرة، لذا كان طبيعياً أن يسبق هذا الخطاب تبيان حقيقة الدنيا بصورة تشبيهية قريبة من الأفهام في الآية التي سبقتها، مبيناً أنَّ الدنيا ما هي سوى لعب ولهو ومتاع زائل كمثل النبات الذي يكون أخضر جميلاً ثم يصفَرّ ثم يصبح حطاماً. فهذا السباق لم يكن لتلك الدنيا التي وصف، بل إلى الله حيث المغفرة والرضوان والجنة دائمة الخضرة والعطاء، أُعدِّت للذين آمنوا واستجابوا لدعوة الله.

أمّا المسارعة فجاء لفظ «سارعوا» بصيغة الأمر مرة واحدة في كتاب الله أيضاً، وهنا جاء الأمر خاصاً بالمؤمنين فقط، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[2].

فلم يأمر الله سبحانه الناس عامة بالسباق، ثم يتركهم يتسابقون بوجهات مختلفة وأعمال متباينة، بل وحّد وجهة من استجابوا للنداء الأوّل في أمره

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٣٠ ـ ١٣٣.

تعالى لهم بالسباق إليه، ثم أمرهم بالمسارعة في ذلك الاتجاه الأوحد.

ومن اللطائف أن يوجه الله أمر «سارعوا» للمؤمنين فقط وليس للناس جميعاً، وكأنَّ المؤمنين الذين قبلوا الدخول في حلبة السباق ومشوا في وجهته يحتاجون للتشجيع ولشحذ هممهم لمواصلة المسير، ذلك أنَّ ميدان السبق مملوء بالفتن والمكاره والصعوبات.

يقول الإمام النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان: إنَّ لفظ «سابقوا» فيه إشارة إلى أنَّ مراتب المشاركين مختلفة، فبعضها أسبق من بعض كالمسابقة في الخيل، بينما في لفظ «سارعوا» رمز إلى أنَّهم مستوون في القرب أو متقاربون لأنَّ المرتبة العليا واحدة وهي مرتبة السابقين المقربين[1].

كما أنَّ دخول الجنة وتحديد مراتب أهلها يخضع إلى نتيجة ذلك السباق، فيكون الفوز للذين يدخلون الجنة من الأوائل وهم السابقون، بينما يؤخِّر الله دخول العصاة إلى الجنة بعد حسابهم في النار، ذلك أنَّ نتيجة ذلك السباق وتلك المبادرة إلى العمل في الدنيا تكون يوم الحساب.

١ ـ مادة السبق:

لا ريب أن حسن إدارة الوقت من منظور إسلامي لا تقتصر على عنصري المسارعة والسرعة في إنجاز الأعمال، إنَّما تعتمد أيضاً على مادة العمل المنجز، فلم يأمر الله ﷻ الناس عامة «بالسباق» فيقول: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾[2]، ثم يتركهم يتسابقون بوجهات مختلفة وأفعال متباينة يتخبطون خبط عشواء، وكلٌّ يعتقد أنه سابق إلى الله، بل حدَّد القرآن مادة السبق في الآيتين التاليتين بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[3]،

---

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، وفي حاشيته تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للإمام النيسابوري، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، جـ ٢٧ ص١٣٥.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1].

فجعلت هاتين الآيتين «الخيرات» مادة السبق لكل الناس، والخيرات اسم جامع لكل مجالات النفع، وهي العامل المشترك الأكبر الذي يلتقي عليه الناس جميعاً، وأي لفظة غير «الخيرات» يختلف عليها الناس بحسب تعصبهم، فلو قال الله: «سابقوا إلى الإسلام» لعاند اليهود والنصارى وغيرهم، فجُعلت مادة السبق «الخيرات» التي لا يختلف عليها مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا أي ملة من ملل الأرض.

وإنَّ كتاب الله يحاجج الناس انطلاقاً من مادة «الخيرات»، فهل أعمالهم ومشاريعهم محققة لها، فإذا كانت السيئات مادتهم في الحياة الدنيا، فأنى لهم الأسبقية؟! قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾[2]، فالمتوجه إلى الله زاد طريقه الخيرات، أما الذين يعملون السيئات، فحاشا لهم أن تكون وجهتهم إلى الله، وحاشا لله أن يتقبلها منهم.

كما بَيَّنَتِ الآيتان أعلاه أمرين هامين:

١ ـ الابتداء بالخيرات نيةً وتوجهاً وقصداً، وذلك أن يكون للمتسابقين نية السبق إلى الله، فتكون النية الخالصة لله هي الباعث على اختيار وجهة الخيرات، وهذا واضحٌ في الآية الأولى، كما هو واضح في قول الرسول ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنيات»[3].

٢ ـ الشروع في الخيرات مادةً وعملاً ومسلكاً، وذلك بحسب المعطيات المادية المسخَّرة للإنسان من عند الله لكسب الخيرات، وهذا واضح في الآية الثانية.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ١، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، حديث رقم ١٩٠٧.

وبهذين الأمرين يكون الفرد قد حقَّق إسلام النية والتوجه إلى الله وإسلام الأعمال بحسب منهجه، أي أنه حقق شرطي قبول الأعمال، وهما: إخلاص النية، وصواب العمل وصحته بأن يكون كما أمر الله وشرع.

ولقد بشرنا الله ﷻ بنتيجة السباق في الدنيا قبل الآخرة، فجعل السابق الحقيقي الفعلي بالخيرات هو من اتبع محمداً ﷺ، واقتدى به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[1].

٢ ـ فاعلية السبق بالخيرات:

لقد جاء الحض على المسابقة بالخيرات في كتاب الله، لكنَّ فاعلية تلك الأعمال تتباين بحسب ديمومتها من المنطلق الزمني ومدى نفعها، فكلما حققت الأعمال والأهداف نفعاً أدوم، وبلغت المنفعة قاعدة أوسع، كانت محل خيرية وفاعلية أكبر.

نرى في كتاب الله أن التركيز جليٌّ على فاعلية العمل المتمثل في نشاط الإنسان في حياته الدنيا على أن يكون أثره الخيِّر ممتدّاً إلى الآخرة، ذلك أن حياة الجسد تنحصر في الدنيا وتتوقف قدرته على العمل عند الموت، بينما يمتد العصر الزمني لفاعلية الأعمال المكتسبة في الحياة الدنيا إلى ما بعد الموت. فبينما نرى أن من يكرِّس وقته لكسب المادة لمتعة نفسه تنتهي فاعلية وقته بالموت، أمَّا من يكرِّس وقته في الخيرات لعامة الناس، فتبقى له هذه الأعمال رصيداً تمتد بمدى تحقيقه للفائدة كماً وكيفاً وزماناً يطول إلى يوم القيامة.

وإنَّ ميادين العمل الفعَّال الخيِّر كثيرة، أهمها فرائض الأعيان التي يعم نفعها الدنيا والآخرة، ثم تُعطى الأولوية لكل عمل له أثر طويل المدى. من ذلك: الصدقة الجارية، بحيث يوظِّف الفرد وقته وجهده

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

وحركته في الحياة لإفادة غيره من الناس خلال حياته وبعد مماته، وهي تشمل كل مشروع يخدم الناس في معاشهم وفي أمور دينهم. وكذلك العلم النافع، وهو الاستفادة من الوقت في طلب العلم وتعليقه وتوريثه، وخاصة العلم الشرعي الذي يعود على الناس بالنفع في دنياهم وأخراهم، والذي تمتد ديمومة الانتفاع به إلى ما بعد موت صاحبه. وكذلك تربية الولد الصالح، وفي ذلك إشارة إلى تكوين أسرة كريمة وتنشئة الأولاد على خلق ودين، فإذا مات الوالدان خلفهما جيلٌ يحمل منهج الله في قلبه ويقدم الخير للبشرية، كما أنه يدعو لهما طالما حيي. وهذه الأعمال الثلاثة وردت في الحديث الشريف: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولدٌ صالحٌ يدعو له»[(١)].

ومن فاعلية السبق بالخيرات الأعمال التي يستفيد منها عامة الناس، مؤمنين وغير مؤمنين، لتكون وسيلة لعونهم ولهدايتهم ولإنقاذهم من النار، تلك الأعمال لا تكون محدودة بسنين العمر المعدودة، وإنما تبقى خالدة في نفعها إلى ما يشاء الله. وإلى هذا المعنى أشار رسول الله ﷺ في الحديث: «من سنَّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سنَّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[(٢)].

إذن، من حسن إدارة الوقت أن نلتفت بالدرجة الأولى إلى آثار أعمالنا على مستوى البعد الزمني حتى يبلغ أثره الآخرة، وعلى مستوى البعد المنفعي حتى يبلغ أثره عامة الناس. وهذا ما لا نجده عند الوضعيين ممن أبدعوا خططاً للاستفادة من أوقاتهم تنحصر في حدود الكسب المادي الكبير العاجل دون النظر في مادة العمل.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم ١٦٣١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقَة، حديث رقم ١٠١٧.

٣ ـ غاية السبق بالخيرات:

إنَّ تحقيق الإصلاح هو الغاية من فعل الخيرات، كما أنَّ الأعمال الموفقة لا تتحقق إلا بنية الإصلاح، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[1].

والإصلاح لفظة عامة شاملة لكل مجالات الخيرات المتحققة في الحاضر أو في المستقبل، وذلك في إصلاح الحال، وإصلاح الأهل، وإصلاح الأقارب، وإصلاح المسلمين عامة.

ويشمل الإصلاح الجانبين: المادي والمعنوي، كما يشمل الحياتين: الدنيا والآخرة، ويشمل حال الفرد والأسرة، وحال الجماعة والدولة، مما يحقق النهوض والارتقاء إلى وضع أفضل.

---

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

خلاصة المبحث الثالث

أهم ما خلصنا له في هذا المبحث ما يلي:

١ ـ ليس للوقت صفات مادية تخضعه للتجربة المعملية، ولا وزن له ولا رائحة ولا طعم. إنّه لا يُدّخر ولا يُعوّض ما فات منه، ولا يتداول به، وهو سريع الانقضاء. وإنّه منقضٍ بنفسه بسنة كونية تتعلق بحركة الأجرام مخلّفة تتابع الليل والنهار. فلا سيطرة للإنسان على وقته، ولا يملك إيقاف حركته ولا إسراعه ولا إبطاءه سوى الخالق سبحانه.

٢ ـ المسلم مسؤول أمام خالقه عن أوقاته وخاصة عن أوقات شبابه، وجعل الله سبب الفوز بالجنان ما أسلف الإنسان في أيامه الخالية في الدنيا، ولقد فضّل الله أوقاتاً مخصوصة على غيرها، فجعل للعمل خلالها مثوبة خاصة.

٣ ـ إنّ منهج الشريعة الإسلامية بشكل عام والشعائر التعبدية بشكل خاص منبهٌ للإنسان على مسيرة الزمن، فجعل الله أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج تتطلب مراقبة الوقت، وجعل عنصر الوقت أساساً في معظم أحكام الشريعة، وذلك لكي لا يُصاب المسلم بالغفلة عن مضي الزمن في مسيرته إلى الآخرة.

٤ ـ لقد اعتنى المسلمون في أوج حضارتهم بالمحافظة على الوقت، وكانت سير علماء المسلمين نماذج نادرة في حسن اغتنام فسحة العمر واستثمار الوقت، فتركوا إنتاجاً عظيماً من العلم والعمل، بينما نرى أنّ تراجع واقع المسلمين اليوم يرجع إلى إضاعة الوقت وإهدار الأعمار ممّا نزل بهم إلى موقع التخلّف بين الأمم.

٥ - أهم الفوارق بين المنهجين الإسلامي والغربي في النظرة إلى البعد الزمني أن فاعليته لدى المسلمين تتمثل في آثار العمل خلال حياة الفرد الدنيوية وكذلك الأخروية، بينما نجده في المفاهيم الوضعية قاصراً على النظرة الآنية في الدنيا. ومن الفوارق أيضاً البعد المادي، حيث نجد مادة الأعمال التي يستثمر الوقت لتحقيقها تنحصر في النفع المادي حتى أصبح الغربي عبداً للدولار، فشاع الطمع وعمّ البلاء والبغضاء واستغلال الفقراء، وطغت الرأسمالية التي أدت إلى نظام العولمة التي تستعبد الشعوب المستضعفة لمصلحة الأغنياء، فلقد علم الغرب قيمة الساعة لمردودها المادي، لكنه جاهل قيمة الحياة. أمَّا في المنهج الإسلامي فمادة الأعمال غايتها تحقيق الخيرات وصلاح الدارين ليعيش الإنسان السعادة الحقة وليُسعد من حوله أيضاً.

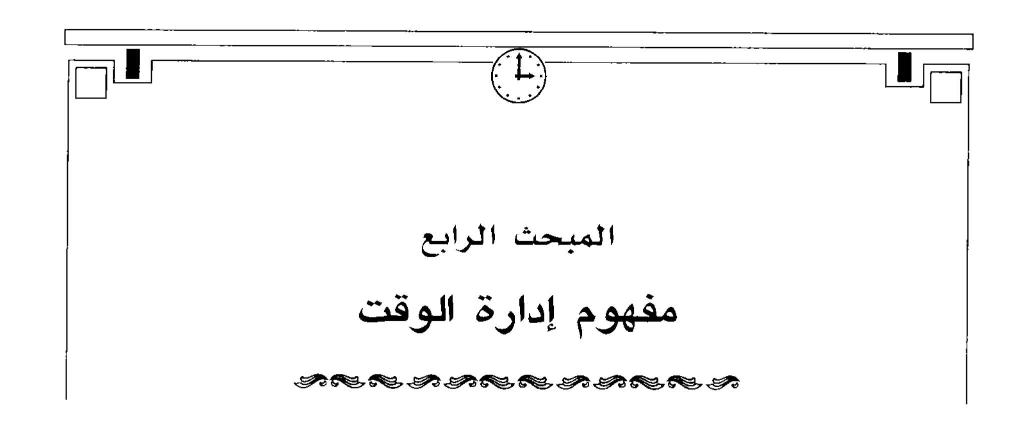
٦ - إنَّ للوقت قدسية خاصة في حياة المسلمين، وقيمته تتباين بحسب الأحداث الحاصلة أو الشعائر التعبدية المفروضة خلاله، فقيمة الوقت في المنظور الإسلامي لا تقاس بمجرد الكم المادي فحسب، بل بمدى الفاعلية الذي يخلف استثماره نفعاً للناس.

٧ - إن الأساس الإسلامي لإدارة الوقت أن تكون الغاية من وجهة الفرد في استثمار وقته هو رضوان الله، وهو منهج يدعو للمبادرة بالعمل في الدنيا لمرضاة الله والفوز في الآخرة، وذلك بالمبادرة بالعمل المبكر والسريع لإنجازه قبل انقضاء سني العمر. وهذا جليٌّ في الدعوة القرآنية إلى السباق إلى الله وكان ذلك للناس عامةً، ثم جاءت الدعوة بالمسارعة إليه للمؤمنين خاصة، حيث إنَّ ميدان السبق مملوء بالفتن والعقبات والمعيقات.

٨ - إنَّ فعل الخيرات هو مادة السبق الذي دعا الله الناس إليه، وإنَّ فاعلية المسابقة بالخيرات والعمل الصالح تتباين بحسب ديمومة ثمرتها ونفعها للناس، فكلما حققت الأعمال منفعة أعم وأدوم كانت

محل خيرية أكبر. لذلك ركّز المنهج القرآني على فاعلية العمل الممتد أثره إلى الآخرة كالنسك التعبدية والصدقة الجارية والعلم النافع. فيرى الإسلام أنَّ حسن إدارة الوقت يعتمد على آثار العمل من حيث بعده الزمني وبلوغ منفعته الناس، وهذا ما لا نجده عند الوضعيين، حيث ينحصر استثمارهم للوقت في حدود الكسب المادي العاجل.

٩ ـ إنَّ غاية السبق بالخيرات هي تحقيق الإصلاح الذي يشمل جوانب الحياة المختلفة: المادي والمعنوي، الدنيوي والأخروي، الفرد، والأسرة، والجماعة، والدولة، والمسلمين وغيرهم، الحاضر والمستقبل، ممَّا يحقق النهوض والارتقاء إلى حال أفضل.



المبحث الرابع

مفهوم إدارة الوقت

مقدمة المبحث الرابع

علمنا من خلال المبحث الأوّل أنّ الوقت يمر على الجميع بسُنَّة كونية وقانون إلٰهي عادل حكيم، لا يملك معه البشر شيئاً، لكن كيف تدير من لا تحكُّم لك به؟ هل تستطيع استبدال ساعة بأخرى، أو أن تجعل يومك ٣٠ ساعة، أو تقوم بتوفير بضع ساعات من اليوم للمستقبل حينما تحتاجها؟! سأتعرض في هذا المبحث إلى مفهوم الوقت من منطلق إداري، وذلك لأنك لا تستطيع التعامل مع الوقت بعينه بل بما تصرفه فيه.

إنّ للإنسان الإرادة والحرية فيما يقوم به خلال وقته، وهذا ما تُعنى به إدارة الوقت، إنها الجواب على السؤال التالي: ماذا أفعل خلال وقتي لأصل إلى ما أريد؟

من هذا المنطلق وبهذا المفهوم فإن إدارة الوقت تتعلق بإدارة مسيرة الحياة، وما تشتمله من أهداف نصبو لها، وسلوكيات عملية توصلنا إليها. وهنا يكمن الفرق بين من عمّر طويلاً ولا يُرى لنتاج حياته أثر من الأعمال والإنجازات، ومن عمّر قصيراً وخلّف وراءه من العطاء ما بلّغه السعادة في الدارين، وإنّ استثمار الوقت في حركة هادفة وعمل فعّال هو الغاية من دراسة إدارة الوقت، وهذا ما سأتعرّض له في هذا المبحث.

تمهيد:

مفهوم الإدارة والمدير

عرف الإنسان الإدارة منذ قديم الزمان، ولكن على الرغم من قدمها إلّا أنها لم تظهر كعلم له أصوله ومبادئه إلّا في العصر الحديث. وتعتبر الإدارة ظاهرة بارزة من ظواهر المجتمعات الحديثة، وكما بيّن الدكتور محمد حسن عبد الهادي البيّاع[1]، فإنّ الإدارة في المجتمعات المتخلفة تعتبر ظاهرة ثانوية غير مؤثرة ولا يُعترف بها كمهنة أو وظيفة تكاد تقترب من المهنة، وهذا ناجم عن التخلف في المفاهيم، أما في المجتمعات الحديثة فالإدارة مهنة لها أصولها وعلومها.

تعريف الإدارة:

لقد اختلف الباحثون في إيجاد تعريف واحد شامل للإدارة، إلّا أنه يمكننا النظر إلى اصطلاح الإدارة من ثلاث زوايا[2]:

١ ـ الإدارة كعملية حيث يمكن تعريفها بأنها: عمل يقوم به شخص معيّن أيّاً كان مستواه الإداري أو مجال عمله، وهذا العمل يتضمن عدداً من الأنشطة يعتمد تنفيذها على مجموعة من المبادئ والأسس والأصول والقواعد الإدارية يستعين بها في تسيير العمل وإدارة شؤونه لتحقيق الأهداف المرجوّة.

---

(١) محمد حسن عبد الهادي البيّاع، التنمية الإدارية ودورها في معالجة المشكلات الإدارية، العراق، دار واسط، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص١٤.

(٢) Robert C. Applibey, Modern Business Administration, London, Pitman Publishing Limited, 3rd Ed., 1984, P.6.

٢ ـ الإدارة كفرع من فروع المعرفة يشتمل على أسس وأصول وقواعد محددة، ويمكن اعتباره مهنة كسائر المهن الأخرى مثل الطب والهندسة والمحاماة.

٣ ـ الإدارة كمجموعة من المديرين المشرفين على تنفيذ الأنشطة الإدارية كافة.

وقد عرّف الدكتور عمر وصفي عقيلي الإدارة بأنها: «عمل ذهني أساساً، يسعى إلى تحقيق الاستخدام الأمثل لعناصر الإنتاج في المنظمة، وهي الموارد البشرية والمادية بأعلى كفاءة وأقل تكلفة ممكنة. وهي عبارة عن عملية إدارية متكاملة يقوم بها شخص يُطلق عليه تسمية المدير، أيّاً كان منصبه الإداري أو مجال عمله. وهذه العملية مكونة من أربع وظائف رئيسية هي: التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة. وتستخدم مجموعة من المفاهيم والمبادئ والأسس التي ثبتت صحتها من خلال التجربة والممارسة، واتفق عليها المفكرون تقريباً ويشملها نظام المعرفة الإدارية، وهي جميعها تعتمد على التنسيق الذي يعتبر محوراً للعمل الإداري، وأساساً لنجاحه في تحقيق الأهداف المنشودة»[1]، لكنني لا أتّفق معه على كون الإدارة عملاً ذهنياً فحسب، حيث إنّ العمل الإداري يشتمل على مراحل ذهنية كالتخطيط، ومراحل تنفيذية كالإشراف على فريق العمل عن طريق الرقابة والاجتماعات الدورية وما شابه، وهذه مراحل عملية بلا ريب.

المدير:

المدير هو الشخص الذي يحدد الأهداف ويعمل على تحقيقها بواسطة فريق العمل، ومن خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة، وقيل: بأنّ من يحدّد الأهداف هو القائد وليس المدير، وهذا يختلف

---

(١) عمر وصفي عقيلي، الوجيز في مبادئ وأصول الإدارة، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص٥.

بحسب هيكلية المنظّمة، لكن لا بد للمدير من صفات قيادية ليقوم بعمله على أكمل وجه، وهذا يُعنى بالقيادة الإدارية، يقول والتر رستون[(١)] مدير ورئيس مجلس الإدارة السابق لمؤسسة سيتي كورب: «القيادة روح الإدارة المعاصرة»[(٢)]. وقد عرّف د.صلاح الشنواني المدير بأنّه: «عبارة عن الشخص المسؤول عن الإشراف على آخرين يعملون تحت إشرافه، ويتلقون التوجيهات منه ويخضعون لرقابته»[(٣)].

وتقسم الوظائف الإدارية على الهيكل التنظيمي لأية منظمة إلى ثلاثة مستويات إدارية[(٤)]:

١ ـ الإدارة العليا والتي تمثل قمة الجهاز الإداري، وهي تعنى بالتخطيط ورسم السياسات الكبرى.

٢ ـ الإدارة الوسطى والتي تعتبر همزة الوصل بين الإدارة العليا والإدارة الدنيا، وتكون مسؤولة عن ترجمة السياسات العامة والأهداف الموضوعة من قبل الإدارة العليا إلى قرارات وبرامج يتم تطبيقها من قبل الإدارة الدنيا.

٣ ـ الإدارة الدنيا أو الإدارة الإشرافية، وهي المستوى الوحيد الذي لا يكون فيه المدراء مسؤولين عن مدراء آخرين، حيث إنهم في هذا المستوى مسؤولون مباشرة عن الوظائف التنفيذية.

إنّ هذا العرض الموجز يتعلّق بالإدارة العامة، لكنّ نوعاً خاصاً من الإدارة يتعلّق بإدارة الذات، ويطلق عليه أيضاً «إدارة الوقت»، وهو يتعلّق

---

(١) Walter Wriston.

(٢) وارن بينيس، القيادة الإدارية، ترجمة هشام عبد الله، عمان، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص١٩.

(٣) صلاح الشنواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية ـ مدخل الأهداف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص١٥٧.

(٤) قيس المؤمن وآخرون، التنمية الإدارية، دار زهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص١٢٩.

بإدارة كل فرد لأعماله ونشاطاته خلال وقته، وهو أساس نجاح أي نوع من أنواع الإدارات المختلفة، كإدارة المنظمة والشركة والمشروع وما شابه ذلك، وعلى هذا النوع من الإدارة يتوقف نجاح الإنسان في حياته بشكل عام، فلا بد للرجل من حسن إدارة ذاته أولاً لينجح في مجالات الحياة المختلفة، ولقد اختصر الدكتور عوض بن محمد القرني هذا المفهوم بقوله: «إنّ أول طريق النجاح في الحياة هو نجاحك في إدارة ذاتك والتعامل مع نفسك بفعالية، وإنّ الفشل مع النفس يؤدي غالباً إلى الفشل في الحياة عموماً وربّما إلى الفشل في الآخرة»[1]. وبعد التعرّض لمفهوم إدارة الوقت بتفصيل أكثر، سأقدّم لهذا الباب من المعرفة تعريفاً محدداً له، حيث إنّني مع دراستي مئات المراجع في هذا الحقل من العلم، لم أقف على تعريف موجز واضحٍ لإدارة الوقت.

المطلب الأول: مفهوم إداري للوقت

لقد علمنا معنى الوقت في المبحث الأوّل من منطلق لغوي، لكننا بحاجة لتوضيح مفهوم الوقت من منطلق إداري عملي أيضاً حتى نحسن إدارته، إنّ تعريف الوقت للبعض محاولة أكاديمية صعبة يقول إنشتاين: «لا وجود منفصل للوقت عن توالي الحوادث التي نقيس الوقت بها»[2]. بينما يقول فيلسوف ألماني عاش في القرن الثامن عشر: «الوقت ليس سوى توالي الحوادث، لا وجود له بنفسه، بعبارة أخرى ليس الوقت مادة كائنة بذاتها لها أي قيمة لوحدها، إنما هو ماذا يحدث خلاله وماذا حدث وسيحدث في المستقبل؟ هذه هي النظرة الواقعية للوقت»[3]. وأحد التعاريف للوقت من هذا المنطلق جاءت في القاموس الأمريكي المشهور

---

(١) عوض بن محمد القرني، حتى لا تكون كلاً، جدة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٥٣.

(٢) Richard I. Winwood, Time Management, P.4.

(٣) Richard I. Winwood, Time Management, P.4.

وابستر[1] الذي يقول بأن: «الوقت هو سلسلة متصلة من أحداث يتبع أحدها الآخر في الماضي مروراً بالحاضر إلى المستقبل». وهذا التعريف الأخير للوقت هو ما اختاره وهو ما يعتمده الكثير من الباحثين في حقل إدارة الوقت.

١ ـ الوقت ذاته لا يُدار:

بعد كل ما سبق ذكره، هل تعلم حقيقة وقتك؟ علمنا أنه مادة حياتك ولا يمكن ادّخاره، ولا يمكن توقيف مروره على أحد، ولا يمكن تعويض الضائع منه، ويصرف بأنصبة متساوية بين البشر: ٢٤ ساعة في اليوم لكل فرد. إذن كيف أدير ما يتصف بهذه الصفات؟! بعبارة أخرى أتساءل: إن كان الوقت الآن يشير إلى الساعة الواحدة ظهراً وأشعر بالنعاس، أأستطيع تغيير هذا الوقت ليكون منتصف الليل، ثم بعد نوم وراحة أُكمل نهاري مثلاً؟! إن ما أعنيه من إدارة الوقت هو بدون شك خلاف ذلك، حيث إنّك لا تستطيع التحكُّم بالوقت ذاته، بل بما تقوم به خلاله، يؤكد صاحب كتاب «كيف تكون عملياً أكثر؟» هذا المفهوم فيقول: «بالطبع الوقت لا يمكنك أن تديره، فالوقت يوجد كمجموعة من المقاييس التي تسجل بدوران الأرض حول محورها وحول الشمس، فمسيرها ثابت لا يتغير، فلا يمكنك تسريعها ولا إبطاؤها ولا توقيفها تماماً، وكما يقال في المثل: إن الوقت لا ينتظر إنساناً، أما الشيء الوحيد الذي يمكننا أن نديره فهو استغلالنا للوقت»[2]، لذلك يقول ماريل دوغلاس: «توقف عن الاهتمام في كيفية توفير الوقت، لكن ركز جهودك في كيفية صرفه»[3].

---

(١) Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language, New York, Gramercy Books, 1st Ed., 1983, P.1485.

(٢) جون همفري، كيف تكون عملياً أكثر؟، ترجمة سامي بن تيسير سلمان، الرياض، مؤسسة المؤتمن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص٣٤ ـ ٣٥.

(٣) Merrill E. Douglass and Donna N. Douglass, Manage your Time, Manage your Work, Manage yourself, New York, American Management Association, 6th Printing, 1980, P.16.

كثيراً ما أسمع العبارة «ليس لدي وقت» اعتذاراً عن عدم القيام بعمل ما، لكن هل هذا صحيح؟ بالطبع لا، ذلك لأنّ الناس جميعاً متساوون في الوقت، فالوقت يصرف إلى كل واحد منا بالتساوي: ٦٠ ثانيةً في الدقيقة، ٦٠ دقيقة في الساعة، و٢٤ ساعة في اليوم، و٣٦٥ يوماً في العام، أي لا شك في أن كلّاً منّا يعيش اليوم نفسه، وبما أنه ليس هنالك فرق بين عدد الساعات في يوم عالم أو جاهل ولا غني أو فقير، إذن، ما هو الفرق والسر وراء ذلك التباين الشاسع في إنجازات البشر في حياتهم، لماذا ترى أن البعض لا ينجزون سوى القليل ومع ذلك يزعمون أنه لا يوجد لديهم وقت، بينما آخرون يقومون بمختلف الأعمال والإنتاجات المدهشة في يومهم ومع ذلك يجدون فسحة في وقتهم؟! أيوم هؤلاء أقل من يوم أولئك؟

من المعلوم بداهة أن عمر الإنسان يختلف بين فرد وآخر، لكن الجميع متساوون في يومهم الذي هو ميدان عطائهم، ومع ذلك فهم متفاوتون في استغلال يومهم تفاوتهم في فهم نفاسة الوقت وحسن إدارته، مما ينتج عنه النجاح أو عدمه في مسيرة حياة كل منا بشكل عام، يقول برادلي مكري: «واحدة من أهم العناصر التي تحدد تقدمك لتصبح الشخص الذي تريد هو مهارتك في إدارة وقتك، إذا كنت تتحكم في كيفية صرف وقتك، تستطيع أن تسيطر على حياتك، ومن أجل استخدام أفضل لمهاراتك في إدارة الوقت يجب عليك أن تعلم بالفعل كيف تصرف وقتك أولاً؟»[١].

وإنّ كيفية صرف الوقت بفعالية عالية للوصول لإنجازات مميّزة علم وفن يكتسب بالتعلم ويسمى إدارة الوقت، فالناجحون إنما يتميزون بحفظهم لوقتهم ومعرفتهم كيف يديرونه، فإدارة الوقت ليست موهبة، بل ملكة ومهارة تكتسب بالنظم والتجربة، إنه إدارة الأعمال والنشاطات خلال الوقت وذلك ما سأبيّنه في الفقرات التالية.

---

(١) Bradley C. McRae, Practical Time Management, P.20.

٢ ـ الوقت وعاء الحدث:

من تلك التعريفات السابقة للوقت يتبين لنا أن العنصر الأساس في فهمنا الواقعي للوقت هو «الحدث»، وأهمية الوقت تكمن بما حدث خلاله، فالوقت الذي جلستُ فيه ساعتين في سهرة مسائية مع أصدقائي نتحدث حول أي شيء أو شاهدت خلالها التلفاز ليس كالساعتين اللتين قضيتهما في بحث علمي قيّم في مختبر الكيمياء في الجامعة، لعل الإنتاج خلال الساعتين الأوليين كان قرابة صفر ـ إن لم يكن سلبياً ـ بينما في الوقت الثاني فقد كان إنجازاً كبيراً أن أُكوِّن التفاعل الكيميائي الذي درسته ولم أفهمه حتى كوّنته بنفسي. عندما نعلم أنّ الوقت متعلق بالحوادث التي نقيسه بها ندرك حينها حقيقة إدارة الوقت.

لذلك فالاستخدام الأمثل للوقت وطريقة صرفه هما عنوان النجاح وشرط أساس لحصوله، في كتابه «وقت للنجاح»، يلخص ماكنزي دراسته قائلاً: «الاستخدام الفعّال للوقت مطلبٌ ضروري للوصول للأهداف، وتحقيق الأهداف أساس النجاح، لذلك على الفرد الذي يريد النجاح في حياته أن يكون مديراً فعالاً لوقته»[١]. هنالك حاجة ماسّة لإدارة أوقاتنا وتنظيمها، لكن ثمّة تخوُّف من البعض من أنّ إدارة الوقت قد تجعل الفرد كالآلة التي تعمل ليل نهار، ويلاحظ الأستاذ خليل فهد سيباني هذا فيشير إلى أن هنالك الكثير من التخوُّف لدى الناس من تنظيم الوقت وإدارته، ففي تصورهم أنّ التسلّح بالتنظيم واللوائح والبيانات قد يقيّدهم في برنامج متصلّب دون وقت للراحة أو المرح، لكن قد يُدهش المرء حين يكتشف العكس، حيث إنّ تنظيم الوقت عامل مريح للنفس ومانح للحرية، إنّه لا يعني أن تزيد وقت عملك اليومي من ست ساعات إلى ثمانٍ أو إلى اثنتي عشرة ساعة، بل يعني أن تعي كيف تقسّم وقتك بين المهام المختلفة بحيث

---

(١) Alec Mackenzie, Time for Success, A Goal-Getter's Strategy, New York, McGraw-Hill Publishing Company, 1989, P.41 - 42.

يمكنك الراحة التامة في أوقات فراغك، لأنّك لن تكون قلقاً حول ما سيأتي به الغد من مفاجآت، فكل ما لديك منظم وحسب جدول محدد[1].

وهذا بلا ريب يعطي الإنسان طمأنينة وراحة داخلية، حينما يدرك ما عليه من واجبات وحقوق ومتى يجب أن يقوم بها وكيف؟ وكل ذلك مفرَّغٌ من ذهنه على آلية لإدارة الوقت كالمفكرة الشخصية وما شابهها.

٣ ـ قيمة الوقت بما يملؤه:

إن قيمة الوقت التي تحدثنا عنها سابقاً تكمن فيما يُملأ به وبالحدث الذي يحصل خلاله، تخيّل معي رجلاً أمضى ما يزيد على نصف قرنٍ من عمره في معصية الله، لا صلاة يقيمها ولا عملاً صالحاً يقدم عليه، بل أمضاها في ارتكاب الكبائر، يسير في ظلمات بعضها فوق بعض، لكن ثمَّةَ حدثاً غَيَّر مجرى حياته رأساً على عقب، حصل وهو في العقد السادس من عمره في يوم الأربعاء من أيام رمضان حيث كان مفطراً، وجاء من يذكره ويعظه، ففتح الله قلب ذاك الفاجر وتاب إلى الله توبة صادقة نصوحاً، ثم بعد شهر واحد توفّاه الله، فأبدل الله سيئاته حسنات وتاب عليه، ثم أخلده في نعيم الجنان! كم قيمة ذلك اليوم ـ الأربعاء؟ أكان كأي يوم في حياته؟ إن الحدث العظيم الذي حصل ذلك اليوم، ذاك اللقاء ثم الهداية، لا يثمن بذهب الأرض وكذا ذلك الوقت، كيف لا وقد توقف عليه نجاة من جحيم وخلود في جنات النعيم، بينما أيام كثيرة مرت كانت هباءً منثوراً لا قيمة لها ولا وزن.

لذلك نرى أنّ قيمة الوقت وتفضيله على غيره يعتمد على ما حصل خلاله ليس لشيء آخر، يؤكد هذا المعنى سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «اعلم أنّ الأماكن والأزمان كلها متساوية، ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما»[2]. وإن أسهل طريقة لتقييم وقتك هي النظر

---

(١) خليل فهد سيباني، إدارة الوقت، بيروت، دار الراتب الجامعية، ص٣١ ـ ٣٢.

(٢) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مرجع سابق، جـ ١ ص٣٦.

في كيفية صرفه، حيث إنّ ذلك متعلقٌ بشكل مباشر بنظرتك لقيمة الوقت، يقول الدكتور عبد الكريم بكّار: «إنّ الطريقة التي نقضي بها أوقاتنا هي نتيجة مؤكدة للطريقة التي ننظر بها إلى الوقت»(١).

ما قيمة دقيقة ما في حياتك؟ قد تقول: لا شيء، لكنها قد تقيّم بأجور عظيمة من الله إنْ قمت خلالها بعمل نبيل. خلال دقيقة ما قد تقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات فتؤجر بذلك أجر قراءة القرآن كاملاً، ويا له من أجر الحرف منه بعشر حسنات. وخلال بضع دقائق قد تذكر الله خلالها مائة مرة بقولك: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شي قدير»، فتؤجر أجراً عظيماً قد بينه النبي ﷺ بقوله: «من قال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرّة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيّئة، وكانت له حرزاً من الشيطان في يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلّا رجلاً عمل أكثر منه»(٢). وخلال دقيقة أخرى قد لا تفعل شيئاً، وليس الفرق بين هذه الدقيقة وتلك سوى الفرق بين ما حصل خلالهما.

من أجل هذا يقاس الوقت بما يحصل فيه من حوادث، عندما أراد المسلمون التأريخ في عهد عمر رضي الله عنه، أشار عليهم عمر أن يكون التأريخ بدءاً بحادثة هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ذلك لأنه كان حدثاً عظيماً أعزّ الله به الإسلام، حيث قامت دولته في المدينة وحُكِّمت شريعته وانطلق الفتح منها للعالم، أكانت قيمة يوم الهجرة كقيمة أي يوم آخر من سنين مضت؟ بالطبع لا.

إن ثمة أوقات يحفظها التاريخ لحوادث كبيرة حصلت خلالها، فتظل أعلاماً لا تُنسى مع مرور السنين: يوم انتصر المسلمون في معركة بدر التي

---

(١) عبد الكريم بكّار، مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل التهليل، حديث رقم ٦٤٠٤. ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم ٢٦٩٣.

فرَّق الله بها بين الإيمان والكفر، ويوم دخل الخليفة عمر ﷺ على دابته يعيد القدس إلى أهلها، ويوم ألغى أتاتورك الخلافة في ٣ آذار عام ١٩٢٤م، ويوم ضربت القوات الأمريكية القنبلة الذرية على هوروشيما، ويوم داست قدما الإنسان أرض القمر، ويوم خسر العرب حربهم مع اليهود عام ١٩٦٧م... إلخ. إنها أيام ليست متساوية من حيث القيمة ونوعية الحدث مع غيرها من الأيام! فرُبَّ حدث اشتهر تاريخه غيَّر وجهة التاريخ نحو الخير والصلاح والنفع العام، ويُذكر أهله بالخير والرحمة والإكبار. ورُبَّ حدث اشتهر تاريخه جلب على البشرية فساداً عريضاً، ويُذكر أهله بالذم على مدار التاريخ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

المطلب الثاني: الغاية من إدارة الوقت

حينما نتكلم عن حدث ما، فإننا نعني حصول عمل أو شيء ما خلال وقتٍ معيّن، ككتابة تقرير لمدير العمل، أو سفرٍ ما، أو قراءة في كتاب، أو لقاء صديق أو تناول طعام الغداء. فالحدث كما يصفه معهد فرانكلن للتدريب الإداري: «هو أي شيء يُقام به أو يحصُلُ في وقت ما، إنه ببساطة حصول شيء ما»[1]، وقد يكون ضخماً كحرب، وقد يكون بسيطاً ككتابة رسالة، فالحدث في هذه اللحظة هو قراءتُك لهذه الكلمات. وبما أنك تتحكم بالأحداث والنشاطات خلال وقتك، فإدارة وقتك ليس سوى إدارتك للأعمال والنشاطات والأحداث خلاله. وهنا يتبلور مفهوم جديد في إدارة الوقت وهو أن التحكم بوقتك يعني التحكم بالحوادث في حياتك.

١ ـ التحكُّم بالحدث:

إن كانت العلاقة بين الحدث والوقت معلومة لديك الآن، فما علاقة إدارة الوقت بالحدث؟ إذا كنا لا نستطيع التحكم بالوقت لصفاته المشار إليها آنفاً[2]، فإننا نستطيع بلا شك التحكم بالحدث خلال الوقت، لذلك

---

(١) Richard Winwood, Time Management, P.4.

(٢) راجع: ص٦٩ ـ ٧٢.

يُقال: إن مهمة إدارة الوقت هي فن التحكم بالحدث. في كتابه «كيف تتحكّم بوقتك وحياتك؟»، يقول ألين لاكين، وهو من كبار المستشارين الإداريين: «التحكم هو المبدأ الأساس لإدارة الوقت»[١]، لكن بماذا يكون التحكم؟ التحكم بالحدث الخاص في الوقت المعيّن، فالوقت يسير على الجميع لا يميّز بين أحد وآخر، وإن اختلاف الإنتاج البشري بين فرد وآخر ناتج عن مدى تحكمهما بالحدث في إدارة أوقاتهما.

التحكُّم بالحدث الخاص في معظم الأوقات يتبعه تحكم عام في مسيرة حياتك وتحقيق أهدافك والوصول للغايات التي تنشد. وهنا أقدم تعريفاً موجزاً لإدارة الوقت على أنه **سلوك إداري يتعلق بتوظيف مادة حياة الإنسان بغية بلوغ مراده**. لذلك عرف ماكينزي إدارة الوقت بأنها «إدارة الذات»[٢]، أي إدارة التصرفات والأعمال الشخصية الخاصة، عكس ذلك أن يكون الفرد في ضياع تام يتعامل مع الحدث حين يحصل كردة فعل له، بحيث إنه لا يصنع الحدث، كل ما حوله يؤثر على مجرى حياته وكأنه ريشة في مهب الريح، تتحكم فيه شتّى العناصر الخارجية ولا يتحكم هو في شيء، لكنَّ كلّاً منّا لديه درجة مختلفة من التحكم بحياته، حيث توجد أحداث كثيرة لا يستطيع الفرد التحكُّم بها، مما يعرفنا بمبدأ جديد هو دائرة التحكم.

* دائرة التحكُّم:

إن أول خطوة لتحسين مستوى الاستفادة من وقتك تكمن في معرفة مدى سيطرتك على وقتك، وما هي الأوقات التي تقع ضمن إطار تحكمك بها؟ لنسمي هذه الأوقات وما يقع خلالها «دائرة التحكُّم»[٣]، وهي تلك الأوقات التي لك حرية اختيار الحدث خلالها، أكانت خلال فترة الوظيفة أو خارجها؛

---

(١) Alan Lakein, How to Get Control of your Time and Life, New York, The New American Liberty, 1974, P.5.

(٢) Alec Mackenzie, Time for Success, P.151.

(٣) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, New York, Simon & Schuster, 1st Ed., 1990, P.81.

لأنّنا نادراً ما نجد من لديه تحكُّم تام وكامل في برنامجه اليومي، وإذا وُجد ذلك التحكم ربما يحصل شيء ما يتطلب أموراً اضطرارية خارجة عن إرادتك، لكن كل فرد لديه بعض التحكُّم ولو جزئيّاً في وقته، وكمّيته أكثر مما يظن.

قسّم البروفسور جاك لوجوي[1] من جامعة أوريغن مصارف الوقت إلى ثلاثة أصناف:

١ ـ **الوقت المُباع**[2]: وهو الوقت الذي تعمل خلاله في وظيفتك، وهذا الوقت تحصل على المال مقابله، وغالباً ما يكون تحكُّمك بالحدث خلاله نسبيّاً أو منعدماً.

٢ ـ **وقت الصيانة**[3]: وهو الوقت الذي تصرفه للحفاظ على معيشتك وتنظيم حياتك، مثال ذلك: وقت الطعام والنوم والتبضُّع ورعاية شؤونك الخاصة وأفراد أسرتك، وهنا تحكُّمك به نسبي أيضاً، ولكنه أكبر من الأول.

٣ ـ **الوقت الحر**[4]: وهو الوقت المتبقّي المتروك لتقدير المرء بحيث يكون حر التصرف خلاله وفقاً لما يراه مناسباً، وللإنسان تحكُّم مباشر فيما يحصل خلاله.

كل فرد لديه قدر مختلف من تلك الأوقات الثلاثة، فالأم التي أنجبت مولوداً جديداً يكون معظم وقتها في «وقت الصيانة»، وذلك في رعاية طفلها، والموظف وقته المباع ٤٠ ساعة أسبوعياً، بينما صاحب الشركة قد يصل ذلك لديه الوقت إلى ٧٠ ساعة أسبوعياً يصرفها في عمله، أو ربما ١٠ ساعات فقط بحسب الحاجة.

أما نتيجة دراسة صاحب هذا التصنيف للوقت فهي أن زيادة الوقت الحر يلزم نقصان وقت الصيانة والوقت المُباع، لكننا لا نستطيع تجاهل

---

(١) Jack Loughway.

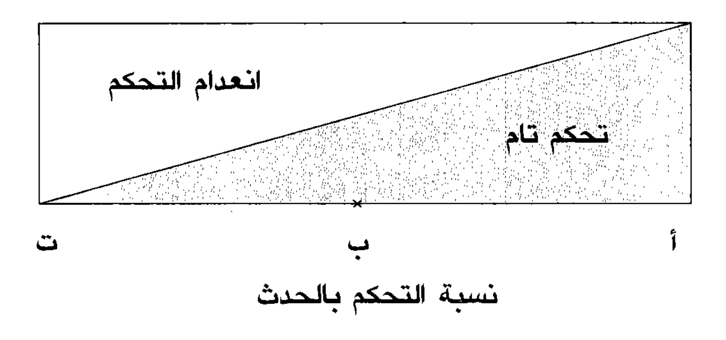
(٢) Sold Time.

(٣) Maintenance Time.

(٤) Discretionery Time.

مأكلنا وملبسنا ومعيشة من نَعُول، لذلك فإن الطريقة الأساسية لزيادة الوقت الحر تكمن في صرف الوقت المُباع ووقت الصيانة بشكل أكثر فعالية، إضافة إلى القيام بالنشاطات المتنوّعة خلاله بأقل وقت ممكن، وذلك للوصول إلى تحكُّم بأكبر قدر ممكن من أوقاتنا[١].

فنرى في الرسم البياني أدناه أنّ نسبة التحكُّم عند الوقت «أ» ١٠٠٪، وهي نسبية عند الوقت «ب»، بينما هي منعدمة عند «ت». إنّ ساعات العمل أو الدراسة تكون معدّة في كثير من الأحيان بحيث يجب أن تُستغل بطريقة محددة، ويجب أن يُقام بالنشاطات والأعمال خلالها من غير وجود سلطة لك عليها، فإن كان لديك محاضرة كل يوم من الساعة العاشرة إلى الثانية عشرة، فأنت لست مخيّراً في مصرف ذلك الوقت بل عليك حضور المحاضرات، وإن كان صباح يوم الاثنين مبرمجاً دوماً لاجتماع إداري في عملك، فلا خيار لك سوى الحضور، ويكون هذا عند نقطة «ت» في الرسم أدناه. لكن في أحيان أخرى لديك الحرية في اختيار ماذا تفعل الآن أو لاحقاً من ضمن المهام والواجبات المناطة بك في عملك، إنك كموظف يجب عليك العمل خلال ساعات الدوام حسب أهداف الشركة، لكن هنالك درجة معينة من التحكُّم بالوقت، أي عند النقطة «ب»، وهذه النسبة قد تكون كبيرة وربما كاملة أحياناً، وقد تكون منعدمة أحياناً أخرى، وإنّ دراسة واقعية لوقتك تبيّن لك أنّ هنالك حوادث كثيرة تستطيع التحكُّم بها، لكنك تعتقد خلاف ذلك.



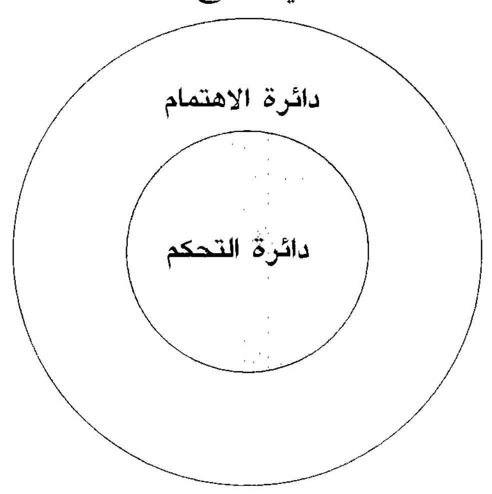
(١) Barrie Hopson and Mike Scally, Time Management: Conquering The Clock, San Diego, Pfeiffer & Company, 1993, P.54-59.

كذلك هنالك أحداثٌ ليست ضمن قدرتنا على التحكُّم بها، بعض الحوادث تحصل لنا رغماً عنّا شئنا أم أبينا، هل نستطيع التحكُّم بصحتنا حين المرض؟ أو التحكُّم بالطقس؟ أو بازدحام المواصلات أو بأحداث فجائية قاهرة غير متوقعة نعجز عنها؟ وهناك أوقات ليس لنا حريّة التصرف خلالها كأوقات صلوات الجماعة، وربما خلال الدوام في وظيفتك وهذا كله عند النقطة «ت» في الرسم أعلاه.

أحد أهم مبادئ علم الإدارة الفعّالة في التعامل مع هذه الحوادث غير المتوقعة هو أن نتعلم كيف نتأقلم معها، ونكيّف مسيرة إدارة أوقاتنا بما يتلاءم مع الواقع، ذلك من غير تعطيل كامل للأعمال الهامة التي نقوم بها في حياتنا، وتركيز اهتمامنا على ما هو ضمن دائرة تحكُّمنا من أحداث ونشاطات.

٢ ـ دائرتا التحكُّم والاهتمام:

كل منّا لديه اهتمامات متعددة في حياته: الشعائر التعبدية، العمل الوظيفي، العلم، وضع الأمة، صحتنا، أولادنا، المشاريع الخيرية والدعوية... إلخ، هذا يجعلنا نوجد إطاراً خاصاً يمثل نطاق اهتمامنا أطلق عليه ستيفن كوفي في كتابه العادات السبع «دائرة الاهتمام»، وإذا نظرنا لتلك الدائرة نجد أن هنالك أشياء يمكننا فعل شيء حولها، أطلق عليها «دائرة التحكم» كما هو مبيَّن في الرسم أدناه، كما توجد أشياء أخرى خارجة عن نطاق تحكُّمنا بها، وهي خارج هذه الدائرة.



إن الطريقة المثلى لتقدير درجة مبادرتك الشخصية تكمن أولاً في اكتشاف مصارف وقتك وطاقتك، إن كنت تصرِّف وقتك داخل «دائرة التحكُّم» وبحسب اهتماماتك وأولوياتك فهذه الطاقة إيجابية مؤثرة، بينما إن كنت تصرف وقتك في الأمور الخارجة عن نطاق قدراتك وتأثيرك، أي خارج «دائرة التحكم»، فهذه طاقة سلبية لا تغيّر من الواقع شيئاً.

إنّ أصحاب الفعالية يصرفون طاقاتهم ضمن ما هو تحت تحكُّمهم المباشر، ويتجنّبون كل نشاط لا يغيّر من واقعهم ولا يفيدهم في الدارين. مثال ذلك: إذا كنت في شركة ما وتعلم أنّ ضعفاً ما حاصل بسبب تقصير زميلك، ولطالما نصحته بالجد أكثر والتغيير إلى الأفضل، لكنه لا يستطيع بسبب ضعف قدراته، فأنت أمام حالتين: الاستمرارية في الضغط عليه وذلك لن يقدّم شيئاً حيث إنه لا تحكُّم لك بذلك، فهو سلبي ضعيف الإرادة، ، أو الجد في عملك الخاص مع نقل صورة الحاصل لرئيسكما لأنّه هو المسؤول، وهذا الأمر باستطاعتك لذا فهو جهد إيجابي.

إنّ دائرة الاهتمام التي لا تحكُّم لنا بها مليئة بـ«لو»: لو كنت غنياً لقمت بكذا، لو كان رئيسي في العمل غير ديكتاتوري لفعلت كذا، لو درست الطب بدل الهندسة لكان وضعي كذا، وربما لا تستطيع فعل شيء حول كل هذا مع كونه ضمن «دائرة الاهتمام» الشخصي، لذلك يجب التعامل مع الواقع كما هو. ونبينا ﷺ نهانا أن نقول: «لو» فقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»[1].

أما «دائرة التحكُّم» فمليئة بـ«أستطيع»: أستطيع أن أكون أكثر تأثيراً، وأستطيع القيام بهذا المشروع الضخم بتخطيط طويل المدى وبجد ونشاط ومثابرة،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم ٢٦٦٤.

وأستطيع نصح رئيسي بالعمل لتغيير سلوكه، وأستطيع تنمية علمي وخبراتي[1].

*** ركّز اهتمامك في دائرة تحكُّمك:**

إنّ ما نواجه من حوادث تنحصر في ثلاثة مجالات[2]:

١ ـ **مجال التحكُّم المباشر**: وهذا يقع في الأحداث المتعلقة بتصرفاتنا الخاصة، وهذا ضمن تأثيرنا المباشر.

٢ ـ **مجال التحكُّم غير المباشر**: وهذا تقع فيه الأحداث المتعلقة بتصرفات الآخرين، وتأثيرنا غير المباشر في هذا المجال يتفاوت تفاوتاً عظيماً، إذ إنّ هنالك فرقاً بين أن يكون ذلك الآخر جاراً أو صديقاً لي، وبين أن يكون شخصاً محتكراً لسلعة ما في قارة أخرى.

٣ ـ **مجال انعدام التحكُّم**: مثال ذلك: تأثيرنا في قضايا ماضية، والمحددات الوراثية التي يرثها الأبناء عن الآباء، والتأثير في المناخ وما شابه ذلك.

وإنّ إعطاء كل محور من هذه المحاور ما يستحقه من الاهتمام أمر مهمّ للغاية، إذ إنّ طاقاتنا محددة، ودوائر اهتمامنا في حالة من الاتساع الدائم، حيث صارت أخبار العالم تلج البيوت دون استئذان، وإنّ تشتيت جهودنا دونما تركيز أو تمييز لهو خطأ كبير في حياة الفرد. وهذا الخطأ الفادح يقع فيه السواد الأعظم من الناس، حيث تجد كثيرين يقضون أوقاتاً طويلة في معرفة أخبار العالم، وأخبار أسعار العملات والكوارث في أنحاء العالم، ويطول الجدال حول ذلك دون أن يقع شيء منه في محور تأثيرنا المباشر أو غير المباشر.

أمّا المجال الثالث الذي لا نملك حياله الكثير، فإننا في حالة نجاحنا في المجالين السابقين قد نستطيع أن نؤثر فيه بعض الشيء، فبالنسبة للماضي

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.89.

(٢) ستيفن كوفي، العادات السبع للقادة الإداريين، ترجمة هشام عبد الله، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص٧٥ ـ ٧٦.

مثلاً، نستطيع فهمه وأخذ العبر منه بشكل أفضل، فنعي مدى تأثيره في تشكيل الحاضر، ونعرف ما كان منه ابتلاءً وامتحاناً ربانياً فنرضى به، وما كان منه متولداً بسبب أخطاء السابقين فنحاول اجتنابها، وهكذا فبتأثيرنا في مجال تحكمنا المباشر يصبح ما يُظن أننا لا نملك أية حيلة تجاهه ضمن تأثيرنا[١].

وإنّ أوقاتنا ونشاطاتنا الخاصة تقع ضمن تأثيرنا المباشر، لذلك نستطيع التحكُّم بها، ومن ثمّ فإعطاؤها الاهتمام الأكبر سيكون ذا فائدة عظيمة. ومهما تكن قدرات الفرد قليلة ومحددة، فإنّ استخدام ذلك القليل في محور التأثير المباشر يؤتي أكله ويكون له ثمرات ظاهرة.

والفعالية تتعلّق بحسن استخدام المتاح من الموارد للوصول لأفضل النتائج. يعرّف أحد الباحثين الفعالية بأنها: «القدرة على تحقيق أقصى إنتاج ممكن باستخدام الموارد المتاحة أحسن استخدام ممكن»[٢]، وبما أنّ فاعلية الناس نسبية، فلا بد للمرء من استثمار إمكاناته والفرص المتاحة له على الوجه الأمثل بحسب قدراته الخاصة والوقت المتاح له، والإنسان الفعّال مرهف الحساسية تجاه وقته؛ لأنه يعلم أنه أثمن الموارد المتاحة لديه لإنجاز الأعمال التي يريد.

لذلك فإنّ الشخص الفعّال في إدارة ذاته يركّز اهتمامه على ما هو ضمن دائرة تحكُّمه المباشر، أي ضمن مجال تأثيره على الأحداث من حوله، وما لا يستطيع التحكُّم به لا يضيّع الوقت والجهد فيه، ولا شك بأنّه لدى كل فرد محور معيّن ينعدم تحكُّمه خلاله وهو محور اللافعالية، أي أحداث لا يستطيع التحكُّم بها لكنه يعتقد بأنه يستطيع، فيضيع الوقت في محاولة المستحيل.

يقول الدكتور عبد الكريم بكّار: «لا بد لمن يريد أن يكون فعّالاً من أن

---

(١) عبد الكريم بكّار، مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص١٧١.

(٢) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، جدة، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، ص٢٢٧.

يتجاوز (العقل المجرد)[1] إلى (العقل العملي)، أي أن يكون لديه في جوار المبادئ الكبرى عددٌ من الأفكار الصغرى التي تنقل القضية من حيّز التمثيل الذهني إلى حيّز الواقع العملي، حيث لا تظهر فاعلية المرء إلا من خلال تجسيد أفكاره في نشاطه العام. وهذا مع الاعتراف بأنّ دوائر النظر تظل أوسع من دوائر الفعل. ونستطيع أن نقول: إنه على مدى التاريخ كانت لدينا أفكار جميلة، لكن لم يكن هنالك برامج لتطبيقها، وكانت لدينا مقترحات وأفكار رائعة لكن لم نفكّر كثيراً في توفير الظروف الملائمة لجعلها واقعاً حياً!»[2].

بالمقابل لك الخيار في السيطرة والتحكُّم بقسط كبير من وقتك، بعض الأمثلة على الأوقات التي تسمح لك بحرية شخصية وبتحكُّم بها: وقت الاستيقاظ من النوم، وقت المساء من الساعة الخامسة حتى لحظة النوم، ومعظم أيام عطل الأسبوع، ألست صاحب الخيار هذا المساء أتشاهد التلفاز لساعات تأخذ جزءاً من حياتك أم تقوم بعمل أسمى قدراً؟ هذا على مستوى الحدث اليومي، أما على مستوى السنة فباستطاعتك أن تخطط لما تريد إنجازه هذه السنة، وتبرمج الأيام والأسابيع والأشهر لبلوغ تلك الأهداف، قد تكون بعض أهداف هذا العام دراسة ٤ مواد من مقرر شهادة الماجستير وحفظ جزء من القرآن، وقد تكون أحد أهدافك اجتياز امتحان رخصة الطبابة، أو تأسيس شركة تجارية، أو دراسة فقه المعاملات المالية في الشريعة الإسلامية، ثم تستثمر الأوقات الواقعة ضمن تحكمك المباشر، فتُنظم نشاطك خلالها لبلوغ تلك الأهداف خطوة خطوة.

٣ ـ التحكُّم بالحدث يتبعه تحكُّم بمسيرة الحياة:

إنّ المقدرة الشخصية على التحكُّم بالوقت من خلال التحكم بالحدث ينتج عنها تحكُّم بمسيرة حياتك بشكل عام، وهذا غاية إدارة الوقت، ذلك

---

(١) لعل استخدام العقل النظري أصح من العقل المجرّد، وذلك للتدليل على الأعمال الذهنية النظرية، بعيداً عن تطبيقاتها العملية.

(٢) عبد الكريم بكّار، مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

لأن الوقت كما أشرت سابقاً هو مادة الحياة، والتحكُّم بمجرى حياتك يعني إنجازات أكثر وبلوغ أهداف أنبل. بالمقابل إذا فشلت في التحكُّم بالأحداث المتعلقة في حياتك فمجرى الأحداث سيتحكم بك، ومسيرة الحياة مستمرة قد تجرفك إلى متاهات لا تريدها، ومسيرة الزمن تجري عليك كما تجري على غيرك، فإما أن تستغل وقتك أو تُجرف في تيار ساحق، وإن «الزمن لا يقف محايداً، فهو إما صديق ودود أو عدو لدود»[١].

إن ثقتك بتوفيق الله ثم بقدراتك الشخصية وبإيمانك الداخلي بأنك في موقع السيطرة على تصرفاتك وأحداث حياتك هو مصدر الإبداع في مسيرة الحياة، وهنالك حاجة بشرية لأن يكون لدى الفرد سيطرة ـ ولو جزئية ـ على حياته الخاصة، وهذا ضروري لصحته العقلية ونجاحه، ولقد أثبتت الدراسات أنه كلما كان الطلاب في المدارس الابتدائية مُسيطَراً عليهم وعلى نشاطهم كلما قلّ حماسهم للتعلم، وأثبت بحث علمي آخر على المسنين في دور العجزة يفيد بأن بقاء سيطرة العجوز على نفسه يمنحه سعادة أكثر ويبقى وعيَه أفضل من أولئك الذين في دور أخرى يسيطر تماماً على حياتهم في كل جوانبها: الطعام والنوم والنشاطات الأخرى[٢].

٤ ـ دوامة التحكُّم بالحدث والثقة بالنفس والإنتاج:

إن مجرد استشعارك بالمقدرة على التحكُّم بمجرى الأحداث في حياتك، إضافة إلى استعانتك بالله تعالى، لهو أساس العمل الإنتاجي الهادف والقيادة الذاتية إن وفّقك الله لذلك، يخبرنا أحد المستشارين الإداريين[٣] أن الذين لديهم ثقة بأنفسهم ويشعرون بأنهم قادرون على

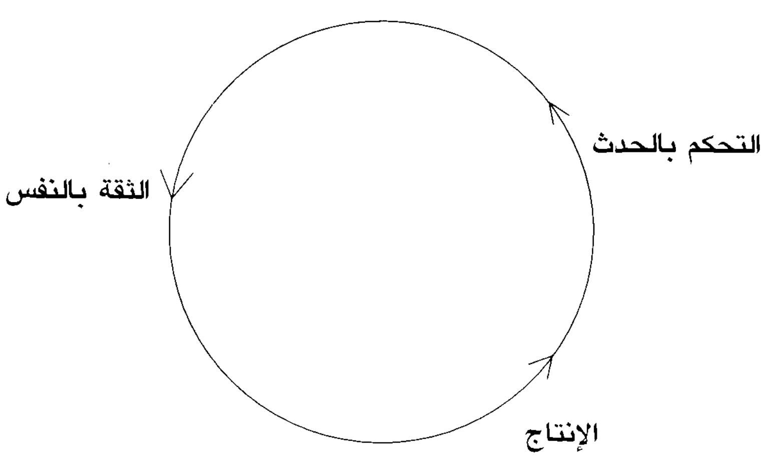
(١) الغزالي، خلق المسلم، ص٢٧٩. نقلاً عن جاسم محمد بدر المطوِّع، الوقت عمار أو دمار، الجزء الأوَّل، مرجع سابق، ص٧٦.

(٢) Richard Winwood, Time Management, P.10-12.

(٣) المرجع السابق، ص١٢.

التحكُّم في حياتهم ينتجون أكثر من غيرهم بدون شك، وإن العلاقة المباشرة بين الإحساس بالكفاءة الشخصية وبين الإنتاج مبدأ جديد في علم الإدارة عامة، لكننا عندما نتكلم عن إدارة الوقت فإنها علاقة مباشرة وهامة جداً، فقد يمتلك شخص ما العديد من الخبرات والطاقات العلمية والعملية والمقدرة على تطبيقها في الواقع، لكن ثقته بقدراته ضعيفة فلا ينتج، بينما ترى آخر واثقاً بنفسه لا يمتلك جزءاً مما يتصف به الآخر من خبرات، لكنه مستعد للتعلُّم والتجربة والمجازفة والجد من غير خوف، فيكيّف نفسه بحسب نمو تجربته حتى يصل لما يريد.

كما أنّ الثقة بالنفس لهي دليل على احترام الذات، وإن لاحترام الذات التأثير المباشر على مقدرتك على إنجاز ما تريد، فاحترامك لذاتك وثقتك بنفسك يقوى أكثر عندما تكون متحكماً بمجريات الأحداث في حياتك والعكس صحيح، فعندما يكون المرء تائهاً بلا تحكُّم في يومه يجري مع الأحداث بشكل عشوائي، يؤثر كل ما في بيئته عليه من غير أن يتحكّم هو بشيء، هذا يُضْعف الثقة بالنفس ويُولّد شعوراً بالفشل، ثم يفتقد احترامه لذاته فيسوء حاله أكثر، . . . وهكذا.



دوامة التحكم والثقة بالنفس والإنتاج

لعلك حاولت في يوم من الأيام ممارسة رياضة جديدة كالسباحة أو الرماية، هل تذكر كيف كانت تجربتك الأولى؟ بالطبع شعرت بالإحباط

وبضعف التحكُّم وقلة الثقة بنفسك. لكن مع التجربة والإخفاق ثم التصحيح نمت ثقتك بقدرتك، فحاولت أكثر فحسن مستوى ممارستك لهذه الرياضة وشعرت بالمقدرة على التحكُّم أكثر ثم أكثر، وهكذا في جميع ميادين الحياة، فالشعور بالمقدرة على التحكم في حوادث حياتك يوماً بعد يوم ينمِّي ثقتك بنفسك فتبرع أكثر وتنتج أكثر، كما هو مبيَّن في الرسم أعلاه، ويا له من شعور جميل أن تعرف ماذا تريد وما هي أهدافك بدقة وأين أنت من تحقيق وإنجاز هذه الأهداف؟ فتخطط لكيفية سير يومك وتتحكّم بنشاطات حياتك يوماً بيوم وشهراً بشهر فتقرب أكثر وأكثر من تحقيق ما تريد، وتشعر بالغبطة في كل يوم حين تقترب من إنجازها فتنتج أكثر، ولا تضيّع أوقاتك في نشاطات جانبية ليس لها علاقة بالأهداف التي تعيش من أجلها، ولا بد قبل ذلك ومعه من الاستعانة بالله، حيث إنّ كل شيء بيده ابتداءً وانتهاءً.

أثبت علماء النفس حقيقةً مفادها أننا إذا قمنا بعمل جيد ينعكس هذا على نفسيتنا فنشعر بالغبطة والرضى والعكس صحيح، وإن مجرد شعورنا بالرضى حول عمل ما يجعلنا نبرع وننتج أكثر، فالعلاقة المباشرة بين التحكُّم بالحدث والإنتاج الشخصي والثقة بالنفس من طبيعة النفس البشرية، وهذه العلاقة كالتالي[1]:

دوامة النجاح:

تحكم بالحدث ⟸ ثقة بالنفس ⟸ إنتاج وعطاء ⟸ ثقة أكبر ⟸ تحكُّم أكثر ⟸ إنتاج أكثر. . . وهكذا.

وبالمقابل دوامة الفشل:

ضعف التحكم بالحدث ⟸ ضعف الثقة بالنفس ⟸ فشل في الإنتاج ⟸ ثقة أقل ⟸ تحكُّم أقل. . . وهكذا.

---

(١) Richard Winwood, Time Management, P.13-14.

الدوامة أعلاه تصور الواقع الشخصي في حالة الإنتاج أو عدمه والنجاح أو الفشل، هذا يعني عندما تكون متحكِّماً بأحداث يومك يرتفع إنتاجك، وحين تفتقد في يومك أي تحكُّم يتبع هذا إنتاج ضئيل وضعف الثقة بالنفس، وهذه الدوامة تنطبق على الحالتين، فالفكرة الأساسية هنا أن تبقى متحكِّماً بأحداث يومك، وإذا وجدت نفسك انحرفت عما رسمته لحياتك وخرجت عن نطاق تحكُّمك في يومك وتلى ذلك فقدان التحكُّم بمجرى حياتك، فما عليك في هذا الحال سوى التوقف ثم إعادة النظر ووضع الأمور في نصابها مرة أخرى، فإنّ الأفراد الذين يشعرون بالنجاح في حياتهم هم الذين يقودون حياتهم نحو مجالات مختلفة من الإنجازات البارزة.

٥ ـ تحطيم الشعور بالعجز أولاً:

توجد أحداث في حياتنا لا نتحكّم بها، وأشياء لا ننجزها، وأهداف لا نحققها، وربما هذا راجع إلى أننا لا نعتقد أننا نستطيع القيام بها. عندما نفرّق فعلاً بين الحقيقة والخيال حول قدراتنا نرى بدون شك آفاقاً واسعة من الفرص والأهداف التي يمكننا التخطيط لها وبلوغها، لذلك حتى تنطلق في حياتك إلى تلك الآفاق لا بد أن تحقق في نفسك أولاً قوة الثقة والإيمان بالقدرات التي وهبك الله إياها، فتشعر أنك إنسان مميّز من بين خلق الله، وهبك خالقك إمكانات ذهنية وبدنية عظيمة.

وإن قدراتك كإنسان عظيمة إن استُغلت بحكمة، وإن العلم الحديث يُظهر لنا كنوزاً من العلوم التي تبيّن عظم الإنسان الذي خلقه الله تعالى بقدرات عقلية وجسدية كبيرة. تقول إحدى الدراسات الحديثة: إن أذكى إنسان بيننا يستعمل ١٥٪ فقط من قدراته العقلية[١]، فما بالك بغيره؟ لعل عدم الطموح والنظرة البعيدة إلى أهداف كبيرة سامية إضافة إلى شعورنا بالعجز وجهلنا بعلم إدارة الوقت هو سبب الرضوخ للواقع الذي نعيش، من

(١) Richard Winwood, Time Management, P.7.

ذل وتبعية وضعف، والقبول به وعدم المسير الجاد لتغييره والنهوض منه. الحقيقة أنك تستطيع فعل الكثير ضمن دائرة التحكُّم بوقتك، لكن الكثير يعتقدون أنهم لا يستطيعون القيام بأشياء كثيرة، وهنا تبرز القيمة العظمى للإيمان بالله والاستقامة على دينه، كمنبّه ذاتي دائم، ومحفز مستمر على السبق إلى معالي الأمور، والقصد في مسيرة الحياة، للفوز بمرضاة الله تعالى والسعادة في الدارين.

يرى أبراهام زيلزنك في دراسته الصادرة عن كلية هارفارد لإدارة الأعمال «المعضلات الإنسانية للقيادة» أنّ من أهم العقبات الإنسانية أمام الإبداع والنجاح معضلة «الخوف من الفشل»، مبيناً أنّ ذلك يبدأ في الغالب عند الأطفال، فيصبح الطفل سلبيّاً وغير راغب في القيام بالأعمال المدرسية والمشاركة في النشاطات الرياضية مع أقرانه، وإنّ حثّ والديه على تفعيل اهتماماته يفاقم الموقف، وهذه العقبة تقتل مواهب الطفل الدفينة وذكاءه الفطري، وحينما يكبر هذا الطفل ويدخل معترك الحياة نشاهد استمرار القصور في تحصيله. ثم يذكر الباحث أنّه بعد دراسة فاحصة للمعضلة المحيطة بالخوف من الفشل وجد أنّ الشخص المعني يكون قد وضع معايير غير واقعية وغالباً مثالية لأدائه، ثم جعل يتنافس مع ذاته للوصول إلى أشياء لا يمكن تحقيقها، ولهذا السبب يقرر ذلك الشخص تجنُّب اللعبة لأنه خسرها قبل أن تبدأ[١].

إن مدربي الفيلة يربطون أحد أرجل الفيل عند الصغر بسلسلة متصلة بقاعدة صلبة، فكلما حاول الانتقال من مكانه عجز بسبب هذه السلسلة، فيحاول مراراً بجهد مضنٍ أن يحرر نفسه ليصبح طليقاً حبّاً منه بالحرية فلا يستطيع، ويستمر على هذه الحال بضعة أسابيع، بعد هذه الفترة يتيقن الفيل أنه لن يستطيع الفرار فتصبح حركته شبه معدومة، ويستمر بهذه الطريقة طوال

(١) جوزيف باور، فن الإدارة، ترجمة أسعد لبدة، عمان، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص٤٠٨ ـ ٤٠٩.

حياته، فالمدربون فيما بعد يربطون نفس الرجل بأي شيء، ولا يبالون هل السلسلة متصلة بالقاعدة أم لا؟ لأن هذا أصبح غير مهم فالاعتقاد المسيطر على هذا الفيل أنه غير قادر على الحركة، ولن يفكر هذا المخلوق الضخم بأنه يستطيع الانطلاق. نحن لسنا فيلة بالطبع بل لنا عقول نفكّر بها، لكن الكثير منّا لديه قناعة خاطئة بأنه لا يستطيع بلوغ هدف ما، بل نحدّ طموحاتنا وأهدافنا بعوائق معينة نجعلها أمتن من تلك السلسلة الحديدية في رجل الفيل الصغير!.

من النماذج الحياتية في عدم الشعور بالإحباط أن تومس أدسن كان في صغره من أكثر الطلبة في صفه حمقاً حتى نعته أستاذه بأنه «بغاية الحماقة ولا يستطيع أن يتعلم شيئاً»، لكنه فيما بعد اكتشف الكهرباء، وإنشتاين لم يستطع القراءة حتى سنّ السابعة ووصفه أستاذه بأنه «بطيء الذهن ويسرح دوماً في أحلامه الغبية»، ثم طُرد من المدرسة، وإسحاق نيوتن كان من أفشل طلاب صفه مع العلم أنه وصل إلى درجة كبيرة من الإنتاج العلمي. لكنّ هؤلاء لم يرضخوا لتثبيط من حولهم، بل تابعوا مسيرة حياتهم بكل ثقة بالنفس، فكانوا أعلاماً في الإنتاج العلمي المتميّز[(١)].

ومن أغرب النماذج في قوة الثقة بالنفس والمثابرة مهما بلغت الصعاب جون كودارد، كان عمره ١٥ عاماً عندما كتب أهدافه تحت عنوان «لائحة حياتي»، تضم اللائحة ١٢٧ هدفاً يود إنجازها خلال حياته، ومرت السنون وهو لا يزال ثابتاً على إنجاز أهدافه، وحتى عام ١٩٩٣م كان قد أنجز ١٠٨ أهداف، لكن لائحة أهدافه ليست بسيطة وسهلة، بل إنّ كل هدف منها شاق وقد يبدو مستحيل المنال، من أهدافه على سبيل المثال دراسة حضارة ٢٠ شعباً حول العالم، وتسلق ٤١ قمة جبلية (منها قمة أفرست)، وزيارة كل دول العالم (بقي عليه ٣٠ دولة)، وإتقان السباحة والغطس والتزلج والركض (قطع ميلاً كاملاً ركضاً خلال خمس دقائق)،

---

(١) Jack Canfield and Mark Victor Hansen, Chicken Soup for the Soul, Florida, Health Communications, Inc., 1993, P.229-230.

وقراءة دائرة المعارف البريطانية وهي من أكبر دوائر المعارف في العالم، ودراسة الطب، والتدريس في إحدى الجامعات، وكتابة كتاب (كتبه حول رحلته لنهر النيل)، وتعلم اللغات الفرنسية والإسبانية والعربية (أصبح يتقن جميعها)، ودراسة الإنجيل بأكمله، وقراءة الإنتاج الأدبي لـ٢٠ فيلسوفاً أو كاتباً أمثال شكسبير وأفلاطون وسقراط، وتعلم استخدام قيادة الطائرة، وتعلم استخدام المسدس والبندقية... إلخ، هذا يمثل جزءاً بسيطاً من أهدافه، ومع هذا اقترب من إنجاز معظمها[١].

هذه النماذج وغيرها تدلنا على أنّه لا بد من تحطيم شعورنا بالعجز والانتصار على أنفسنا أولاً حتى نتمكن من النهوض بواجبنا الذي أراده الله لنا في الحياة.



(١) Jack Confield, Chicken Soup for the Soul, P.191-195.

خلاصة المبحث الرابع

أهم ما خلصت له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ إدارة الوقت تُعنى بإدارة نشاطات الفرد اليومية، وذلك يحصل عبر التحكُّم بالحدث خلال أوقاته.

٢ ـ إنّ قيمة الوقت تكمن في قيمة ما يملؤه من أحداث، وإنّ تفضيل وقت على آخر يعتمد على ما يقع خلالهما.

٣ ـ إنّ التحكُّم بالأحداث الخاصة يتبعه تحكُّم بمسيرة الحياة، فتحكُّم الفرد بما يحصل في ساعاته يجعله يوماً بيوم يتحكم بسنين عمره حتى يلقى الله.

٤ ـ إنّ نسبة التحكُّم بالأحداث اليومية تختلف بين فرد وآخر، لكنْ كلٌّ له قدر ما من الحرية في تحكُّمه في وقته، ويرجع عدم تحكُّم البعض بأوقاتهم إلى عدم شعورهم النفسي باستطاعتهم على ذلك في غالبية الأمر.

٥ ـ إنّ ثمة علاقة هامة تحكم نجاح الإنسان وفعّاليته في حياته، وهي أنّ التحكُّم بالأحداث يمنحه ثقة بنفسه وقدراته، فيبدع في الإنتاج والعطاء، فيتحكم بالحدث أكثر وأكثر وهكذا. وبالمقابل ضعفه في تحكمه بأحداث حياته يكسبه ضعفاً في ثقته بنفسه، ومن ثمّ فشلاً في الإنتاج والعطاء، وتبعاً لذلك يقلّ تحكُّمه أكثر فأكثر، فيفشل في حياته بشكل عام.

خاتمة الفصل الأول

الحياة هي الوقت والوقت هو الحياة، ولا انفصال للوقت عن الإنسان ما دام حيًّا، إنّه ميدان نشاطه، ووعاء كل عمل، والنعمة المسخّرة التي لا مناص من ضرورة اغتنامها لفلاحه عاجلاً قبل ندمه آجلاً.

إنّ إدارة الوقت سلوك إداري لكنها لا تخرج عن نطاق الشخص ذاته، لذلك صُنّفت في إدارة الذات. فإذا كانت الإدارة بشكلها العام عملية توظيف الموارد المتاحة على أمثل وجه لتحقيق الأهداف. فإنّ إدارة الوقت هي عملية إدارية تتعلق بتوظيف مادة حياة الإنسان لبلوغ مراده، وهذه المادة هي فسحة العمر، وقته منذ الولادة إلى الوفاة.

إنّ للإنسان الخيار والحرية في كيفية صرف وقته، فإمّا إعمارٌ للعمر بالعمل والنشاط أو عجز وفشل وإهدار للحياة. وإنّ الفعّالية واللافعّالية لدى كل فرد تتعلق بقدرته على إدارة وقته، وإلّا أصبح ريشة في مهب الريح، عاجزاً عن توجيه حياته الوجهة الحكيمة، فاقداً للسيطرة على أيامه، بينما يسير غيره متحكماً بأحداث حياته ساعة بساعة، يعلم ماذا يريد وكيف يحقق ما يريد؟ يقرب كل يوم من بلوغ أمانيه، شحيحاً في مصارف وقته إلّا فيما يقربه لسعادته في الدارين ونيل رضوان الله تعالى.

أردت في هذا الفصل الانتهاء إلى فكرة أساسية ألا وهي أن حياتك هي عبارة عن مجموعة من الخيارات التي تأخذها بوعي أو بغير وعي، وإذا استطعت التحكُّم بعملية الاختيار هذه تستطيع أن تكون مسيطراً على حياتك متحكماً بمجرياتها، وهذا يمنحك الشعور بطمأنينة داخلية.

إنَّ للإسلام منهجاً أسبق وأكمل من المنهج الغربي في إدارة الوقت،

وهو يحقق التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة، وبين حق الله ﷻ وحق النفس وحقوق العباد.

كما أنَّ فاعلية إدارة الوقت لدى المسلمين تتمثل في آثار العمل خلاله من حيث بُعده الزمني وبلوغ منفعته للناس، وهذا ما لا نجده عند الوضعيين، حيث ينحصر استثمار وقتهم في حدود الكسب المادي العاجل.

وإنَّ الأساس الإسلامي لإدارة الوقت أن تكون الغاية من وجهة الإنسان في اغتنام فسحة عمره هي الفوز بمرضاة الله، وهو منهج يدعو الناس للسبق بالخيرات تحقيقاً لإصلاح جوانب الحياة المختلفة على منهجٍ يرتضيه الله، شاملاً جوانب الحياة المختلفة: المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، الفردية والجماعية، ممَّا يحقق النهوض والارتقاء إلى حالٍ أفضل وإلى السعادة الحقة في الدارين.

وإنّ حرص المسلمين المتميّز على أوقاتهم قد كوّن لهم حضارة إسلامية سادت العالم، وكانت قبلة العلم والمعرفة، فكان لعلماء المسلمين إنتاجٌ علميٌّ فريدٌ لفهمهم لنفاسة الوقت ولحسن اغتنامه، ولا شكّ أن عودة الأمة الإسلامية للصدارة من جديد تتطلّب عودة أبنائها إلى اغتنام حياتهم وفق هدي الشريعة الغراء، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.





الفصل الثاني

رسالة المسلم في الحياة

الفصل الثاني
رسالة المسلم في الحياة

مقدمة الفصل الثاني

لقد تناولت في المباحث الأولى للرسالة حقيقة إدارة الوقت وعلاقته بإدارة الإنسان لأحداث حياته، وأنّ ذلك يتطلّب تحكُّمه بما يقوم به خلال أوقاته. كما علمنا أنّ النجاح في إدارة الوقت يعني أن يغتنم الفرد وقته بالعمل والنشاط يوماً بيوم، بحيث يحقق في عمره إنجازات متميّزة وعطاءً فعالاً، فتكون حركته مخططاً لها في كل آن وحين، فيتمحور حول تحقيق أهدافه الحياتية لتصبح واقعاً يعيشه.

لكن هل مجرد المحافظة على الدقائق والساعات، والتحكُّم بالأحداث الحياتية خلالها، وملء هذا اليوم والذي يليه بالنشاطات المبرمجة ضمن خطط دقيقة سيوصلني فعلاً للفعالية في حياتي؟ وهل تحديدي للأهداف التي أحلم بإنجازها، ومن ثمّ العمل الدؤوب على تحقيقها في عالم الواقع يعد فعلاً نجاحاً؟

هب أنّك منذ ثلاث سنوات جلست وتفكّرت فيما تود إنجازه خلال السنوات القليلة القادمة، ونتج عن ذلك تسجيل بضعة أهداف كبرى، من ضمنها شراء بيت خلال ثلاثة أعوام، والترقية من منصبك في العمل مع نهاية هذا العام، ونيل شهادة الماجستير خلال عامين. بعد ذلك عملت بجد خلال طوال هذه الفترة، حافظت على أوقاتك بشكل دقيق حتى قلّ ضياع الوقت في عملٍ غير مثمر خلال هذه الفترة، وتمحورت حركتك اليومية حول بلوغ هذه الأهداف. لقد بذلت جهوداً مضنية لإثبات نفسك للمدير ووضعت الساعات الطوال في مكتبك لإنتاج أفضل ما يريده منك حتى أقنعته فعلاً بترقيتك لمنصب مدير دائرة المبيعات لدى فرع الشركة في

نيويورك، وكان ذلك فعلاً خلال عام. وكان لا بد خلال هذه الفترة نفسها من توفير المال لشراء بيت، فبحثت عن عمل لزوجتك أيضاً لزيادة المدخول، ثم اضطررت إلى اقتراض مبلغ كبير لتحقيق ذلك، وفعلاً اشتريت بيتاً قبل انقضاء المدة المحددة، أمّا شهادة الماجستير فبعد ترفعك للوظيفة الجديدة تابعت دراستك في نيويورك، وغيّرت تخصصك ليتماشى مع عملك الجديد، فأضعت عاماً في ذلك لكن حصلت في النهاية على الماجستير خلال ثلاث سنوات تقريباً.

هل يعد هذا كله نجاحاً؟ لقد تحققت أهدافك المرحلية وانتقلت من شقة صغيرة بالإيجار إلى بيت واسع تملكه، ولا ريب أنّ عملك الجديد يوفّر لك راتباً أكبر ومنصباً محترماً، وشهادتك تؤهلك لنمو أكبر وربما تتابع الدراسة لنيل الدكتوراه. لكن خلال المرحلة نفسها حصلت أمور جانبية كانت نتاجاً لصعوبة المرحلة، لقد كان تقصيرك ملموساً مع عائلتك، إنّ مطالب العمل في النهار والدراسة في الليل، وكذلك عمل الزوجة جعلكما تتجاهلان احتياجات أولادكما، وخاصة حاجتهم العاطفية والتربوية لوالديهم، لقد تعلم الابن الأكبر عادات سيئة من بعض رفاقه، علمتَ أنّه كان يدخّن سراً وهو لا يزال في سن الثالثة عشرة، وكان يذهب سراً للسينما لمشاهدة أفلام سيئة وأنتما تظنان أنّه في مكتبة المدرسة بعد الدوام، وتغيّرت تصرفاته وساءت أخلاقه حتى أنّه طُرد من المدرسة لعدة أسابيع لتأديبه، كما تأثرت سلبياً علاقتك بزوجتك نتيجة عمل كل منكما.

وخلال المرحلة نفسها اضطررت إلى اقتراض مبلغٍ كبيرٍ من البنك لشراء البيت، مما أثقل كاهلك وجعلك تشعر بحرج كبيرٍ في صدرك تجاه ذلك القرض الربوي المحرَّم، ولا تنسَ تقصيرك في واجباتك تجاه ربك وتجاه مجتمعك الإسلامي طوال تلك السنوات، لقد قصّرت في عبادتك وكانت مشاركتك شبه منعدمة في أي نشاط إسلامي، ولقد قطعت علاقاتك مع أصدقاءٍ كان لهم فضل عظيم عليك، وحتى والداك لم يسلما من ذلك

التقصير، فلم تكتب لهما رسالة منذ قرابة عام كامل، ونادراً أن تتصل بهما إلّا في الأعياد.

برغم ذلك تشعر بأنّك نجحت تماماً في تلك الفترة، لكن وما يدريك أنّ ما حصل ابتداءً من تحديد تلك الأهداف كان فعلاً صائباً؟ وهل شراء البيت والترقية الوظيفية ونيل شهادة الماجستير حققت أهدافاً تستحق بذل الحياة لأجلها؟

في هذا الفصل أودّ التعرُّض إلى ما يسبق النجاح في كيفية الوصول إلى ما تريد، إذ إنّ النجاح في تحديد ما تريد ابتداءً لا يقل أهمية عنه، وذلك عبر تحديد رسالة حياتية تعكس ما تؤمن به، فهي توجه حياتك بالاتجاه المناسب، وتكون أهدافك تبعاً لها، وتكون تصرفاتك تحقيقاً للقيم التي تحملها، عندها تتأكّد أنّك لا تدير وقتك فحسب، بل تقود حياتك على بصيرة قبل ذلك.

كما أنني أريد في هذا الفصل التوجُّه إلى الجماعة المسلمة عامة وليس الفرد خاصة، ذلك أنَّ شأن الجماعة في إدارة الوقت كشأن الفرد، وهكذا الأمة تنهض بأفرادها نحو المعالي وفق منهجٍ حياتيٍّ رتيب منتظمٍ في قاعدته كأسنان المشط، فإنَّ حسن إدارة الأفرادِ لوقتهم بغية الوصول لأهدافهم لا تقف عند حدود الفردية ولا الأنانية، بل توصل إلى فلاح الجماعة التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد.

لذلك لا عجب أن نجعل كلامنا عن إدارة الوقت في هذا الفصل قد انتقل إلى مخاطبة الأمة والجماعة المسلمة، حيث إنَّ الإصلاح في منهجية إدارة الوقت يتطلب عمل الفرد ذاته وتوجيه القادة المربين والمعلمين المصلحين وكذلك تعاون المجتمع برمته.

كما أهدف في هذا الفصل إلى محاولة معالجة كبوة الأمة وانحرافها عن المنهج السوي في إدارة الوقت وترجمة العمر إلى سموٍّ في المقصد وعطاءٍ فعَّال يليق باصطفاء الله لهذا الإنسان، وصولاً إلى تصحيح مفاهيم

شرعية أساسية توفِّر إدراكاً أقوم لمعنى الوجود وفقه الحياة، حيث أصبح جوهر الإيمان في هذا الزمان خاضعاً للمزاج والهوى، فلا غرابة أن يشكل هذا الفصل مفصلاً هاماً في مفهوم إدارة الوقت، وصولاً إلى بناء إرادة هادفة في إدارة الحياة على هدى من منهج الله ليصبح الوقت الذي هو عمر الفرد وعمر الشعوب والأمم وقت حضارة يُمن زاهرة تليق بإنسانية الإنسان ورسالته في الحياة، ومهمة الاستخلاف المناطة به.

ولكي أستعرض هذا الموضوع بشكل متكامل وشامل، قسّمت الفصل إلى خمسة مباحث كالآتي:

المبحث الأوّل: الإنسان في الكون والحياة:

وددت في هذا المبحث دراسة ماهية الوجود الإنساني، مستعرضاً التساؤلات الخالدة التي لا تزال البشرية في جدال حولها: من أنا؟ ومن أين جئت؟ وأين أنا؟ وإلى أين المسير؟ ولماذا وُجدت؟ محاولاً الإجابة عنها من منظور إسلامي ابتداءً من تصحيح التصورات المنحرفة حول خ١٨٥ لق الإنسان، وماهية وجوده، ومركزه في الكون، ودوره في الحياة.

المبحث الثاني: التسخير والاستخلاف:

أريد أن أتعرض في هذا المبحث إلى سيادة الإنسان في الكون وتسخير ما فيه له، كما أود دراسة الغاية من وجوده، متناولاً مسؤولية الاستخلاف التي أوكلها الله إليه.

المبحث الثالث: المنظومة العقيدية وفلسفة التغيير:

هنا أريد دراسة أصل السلوك البشري، حيث إنّ الأعمال مرآة الاعتقاد، ولا سبيل لتصحيح مسار حياة الفرد من غير التجديد والتصحيح في منظومته العقيدية، لذلك سأتعرض لأثر الاعتقاد على السلوك، مما يوجهني بشكل طبيعي لتناول موضوع فقه التغيير، إضافة إلى ضرورة التأكيد

على أسس بناء رسالة المسلم ومفاهيمه وأفكاره قبل التركيز على سلوكه.

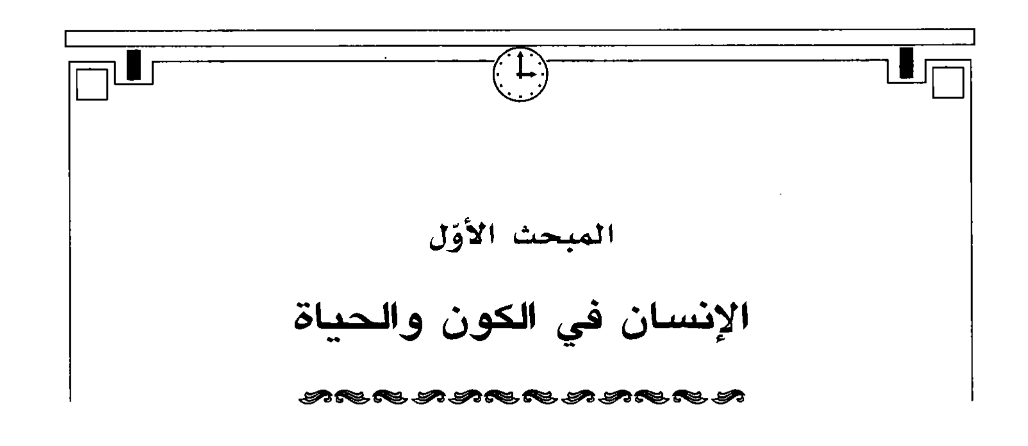
المبحث الرابع: رسالة المسلم الحياتية:

أورد التعرُّض هنا إلى دراسة رسالة المسلم في الحياة، متناولاً موضع القيادة الذاتية من إدارة الوقت، وكيفية تكوين توجه واضح في حياة المرء، مستعرضاً الركائز الحياتية التي يتمحور حولها سلوك البشر، إضافة إلى تناول نماذج عملية لرسائل حياتية خاصة ببعض الناس.

المبحث الخامس: أنموذج شمولي لإدارة الوقت:

في نهاية هذا الفصل سأتناول تطور علم إدارة الوقت، كما سأعرض نظرتي المبتكرة حول «شجرة الحياة» كأنموذج شامل لعلم إدارة الوقت، مستبدلاً الأنموذج الغربي المعروف بـ«الهرم الإنتاجي».

وبهذا أكون قد وفّرت الصيغة التأسيسيّة التي لا بد أن تسبق العمل حتى يكون كل منّا على بصيرة في توجهه والمقصد منه قبل كيفية القيام به.



المبحث الأوّل

الإنسان في الكون والحياة

مقدمة المبحث الأول

لقد قيل: أخبرني كيف تمضي وقتك أقل لك من أنت! لكنّ الوقت في حياة الإنسان المسلم اليوم يمضي سعياً وراء المأكل والمشرب وطلب المتاع، وإنّ هموم وقته من صباحه إلى مسائه تتعلّق بطلب المعاش اليومي، فلننظر ما الذي نقوم به؟ وبماذا نتكلّم؟ وبمَ نشغل بالنا؟ أليس هو في غالب الأمر مجرد ما يفي بإشباع رغبات المادة وطلب حطام الأرض؟ لكن هل يشكل هذا بالفعل وظيفة الوجود الإنساني في هذه الحياة؟

إنّ ثمة أسئلة قديمة حاولت كل فلسفة في الشرق وفي الغرب أن تجيب عنها، بل إن الفكر الفلسفي لا يعد فلسفة إذا أغفل مثل هذه التساؤلات: من أنا؟ ومن أين جئت؟ ومن جاء بي؟ وأين أنا؟ ومن أين جاء هذا العالم الكبير من حولي؟

وإلى أين أسير وأرحل بعد أن أُوجِدت في هذا الكون؟ وإلى أين يسير هذا الكون أيضاً؟ وماذا بعد هذه الصفحات التي أطويها من كتابي الذي يسمى «العمر»؟

ولماذا خُلقت في هذا العالم؟ وهل لي فيه رسالة خاصة ومهمة

متميزة؟ وما هي هذه الرسالة وتلك المهمة؟[1]

موضوع هذا المبحث هو هوية ومقصد الوجود الإنساني، مستعرضاً للتساؤلات المذكورة أعلاه والتي لا تزال البشرية غير المهتدية في جدال حولها.

وحيث إنَّ المدنية الغربية والمفاهيم الفلسفية قد أخفقت في جوابها عليها، ولم تزد الإنسان إلّا ارتكاساً وتدنّياً في قدره، وحيث إنّ واقع الأمة الإسلامية اليوم يشير إلى أنّ الإجابة عليها لم تتبلور بعد في أنفس أبنائها، ولم تصل إلى درجة الرسوخ الإيماني في أعماق أنفسهم، أو هكذا يبدو، لذا تخبط الركب وتخلَّفت القافلة، وتراجع الإنسان المسلم عن قيادة البشرية.

لهذا رأيت أن تكون البداية من قصة خلق الإنسان وماهية وجوده، وذلك بغية تصحيح مركزه في الوجود، واستشعاره بسيادته البشرية والغاية التي خُلق من أجلها.



(١) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، الدار البيضاء، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، ص١٤.

تمهيد:

ماهية الوجود الإنساني

إنّ من أكبر التحديات التي تواجه أمتنا اليوم تصحيح تصوُّر المسلم نحو الكون والحياة ابتداءً من الغاية من وجوده ودوره في الحياة استناداً إلى ثوابت الكتاب والسنّة. وهذه قضية عقيدية أصيلة تسبق التفصيلات المعهود التعرُّض لها في كتب العقيدة. إنّها تتعلق بفهم الإنسان لذاته، والإجابة على التساؤلات الفلسفية التي خاض فيها الفلاسفة ولم يصلوا إلى شيء، لكن منظومة المسلم العقيدية تجيب بكل وضوح على تلك التساؤلات: من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا. . . ؟ لكن ممّا يؤسف له أنّ واقع المسلمين اليوم يشير إلى أنّ تلك الإجابات لم تحسم في وجدانهم بصورة تامة ولم تضرب جذورها في أعماق قلوبهم لتصبح عقيدة لا مجرد معارف دينية يحفظونها عن ظهر قلب، لذلك أقول: لا بد من تجديد مفهوم ماهية وجود الإنسان وحقيقة حياته قبل أي شيء آخر.

إن الجزئيات غير المنتهية لحياتنا اليومية وشغلنا لأنفسنا في الليل والنهار يجعلنا نغفل عن مجرّد التفكُّر في حياتنا، وفي ماهية وجودنا في هذا الكون الفسيح. من أنت؟ وماذا تريد؟ ولماذا؟ تساؤلات لا يوجد لحياة الفرد معنى وقيمة إن لم يجب عليها بطريقة صحيحة، وإنّ ضرورة تكوين رؤيتنا الكلية وتصورنا نحو هذا الوجود من الأهمية بمكان، بحيث إنّه لا بد من وجود صورة واقعية لحياتنا تخرج عن نطاق السطحية وسفاسف الأمور التي تلهينا عن حقيقة الوجود الإنساني.

لقد خلق الله الإنسان وجعل له تصوراً واضحاً نحو الكون والحياة، كما جعل له منهجاً قويماً ودوراً عظيماً في هذا الوجود، وما أصدق عبارة سيد قطب

حينما قال: «إن منهجنا يبدأ من نقطة تصحيح مركز الإنسان في هذا الوجود، وتعيين مكانه ودوره، ووظيفته وحقوقه وواجباته[1]»، لذا من أجل تصحيح تصورنا هذا سأتناول موقع الإنسان وحياته والدور الموكل إليه في هذا الوجود.

المطلب الأول: رحلتي والتساؤلات الملحَّة[2]:

نادراً أن تأتي الفرصة المناسبة التي تجعلنا نخرج بأذهاننا ومخيلاتنا

---

(١) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، بيروت، دار الشروق، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص١٧٤.

(٢) لقد عاينت تجربة شخصية بسيطة، لكنها مكّنتني ولو لوقت يسير من الخروج بمخيلتي من واقع التفصيلات الجزئية اللاهية إلى نظرة كلية نحو الكون والحياة، ولعله من الصعوبة بمكان نقل المشاعر والأفكار بعد حين من حدوثها، لكنني سأحاول مشاركتك بها مع كون ذلك ليس أمراً يسيراً.
لقد حدث يوماً أن كنت في سفر في الطائرة عائداً من ولاية فلوريدا داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت السماء زرقاء صافية كما هو معهود في تلك الولاية، كنت أجلس بجانب النافذة، وأنا في غاية التعب من مشاغل ذلك اليوم وما قبله، وكنت قلقاً من كثرة المهام، أتفكر في مشاغل الغد وبعده، والأسبوع القادم والذي يليه، إنها سلسلة غير متناهية من المتاعب وكثرة المشاغل، وإذا بي أنظر من تلك النافذة إلى المطار المجهّز بأحدث الأجهزة، وكذا طائراته المتنوعة ومدارجه المعقدة، ولم يمض وقتٌ طويلٌ وأنا أتفكر في مغريات الدنيا ومطالب الحياة حتى بدأت الطائرة بالإقلاع، على علو منخفض رأيت بيوتاً ضخمة فارهة، كل بيت يضم حديقة خضراء وبركة سباحة وأمام معظم البيوت سيارات فاخرة، يا لها من بيوت جميلة! كل بيت يختلف في شكله وحجمه ولونه عن غيره، إنّها «فيلّات» يتفنّن في تصميم شكلها الخارجي وألوان سقفها وجنباتها، وذلك التناسق في الورود والشجيرات الصغيرة حول المنزل، وما هي سوى فترة سريعة حتى بدأت الطائرة بالارتفاع، فأصبحت تلك البيوت تتضاءل في حجمها أمام ناظري، وتصغر أكثر فأكثر، وبدأت أفقد تلك النظرة الجزئية للبيت والحديقة والسيارة وبركة السباحة، فأصبحت أرى بيوتاً كثيرة متشابهة في الحجم والشكل واللون.
وعندما ارتفعت الطائرة أكثر، غاب عني ذلك المنظر، وأصبحت أشاهد هضاباً وجبالاً وغابات كثيفة، ثم على ارتفاع ١٠ آلاف قدم أصبحت أرى في ذلك اليوم المشمس الخالي من الغيوم تجمعات سكنية يقطنها الإنسان بين تلك الغابات، هذه التجمعات هي قرى أو مدن، لم أكد أميّز البيوت والمباني والمنشآت بشكل واضح، كلها تبدو كالمكعبات الصغيرة التي كنت ألعب بها في صغري، وكأنّها=

. . . .

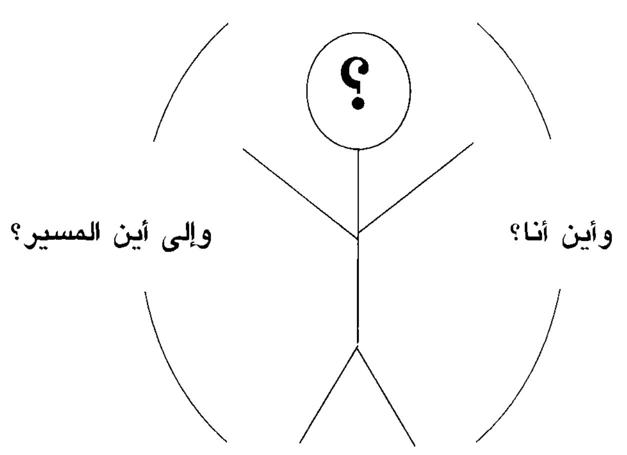
= أطلال لا حياة فيها، ثم عجزت أن أميّز الطريق من النهر، ولا بيت غني من بيت فقير، ولا سيارة فاخرة من أخرى قديمة، إنّها نقاط مترامية على بقعة أرض، ثم بعد ذلك على ارتفاع أعلى ـ ١٨ ألف قدم ـ أصبحت لا أميّز مدينة عن أخرى، أهذا نهر المسيسيبي أم شارع ما؟ أهذه مدينة سانت لُوِيس أم منْفِس؟ هل نحن فوق ولاية ميزوري أم فوق ولاية تَنَسي؟

فقدت الصورة الجزئية للواقع، وانتقلت في عالم الخيال أتفكّر في خلق الله، كيف أن الإنسان يصارع الدنيا ليمتلك أشياءً ضئيلة وتافهة منها! كم يعمل الفرد ويكد لامتلاك بيت يسدّد ثمنه للمصرف لمدة ٣٠ عاماً أو يزيد، ثم يعمل جاهداً ليملأه بالأشياء المختلفة، فيشتري الأثاث والسيارة والمتاع ليفتخر بها أمام غيره! لكن البيت على ارتفاع ليس بكثير يبدو وكأنه قليل من حجارة وخشب، ثم بدا لي بعد ذلك كأنه نقطة من قلم، كيف يجعل الإنسان غايته الأساسية هذه؟! إذا امتلك قطعة أرض صغيرة بأية طريقة كانت يعتقد كأنه امتلك العالم، وما هذه القطعة سوى قليل من تراب! ثم تلك القرى التي رأيت بجانب مدينة تامْبا إذا بحثت عنها في الخريطة لا تذكر لصغر حجمها وهي تضم آلاف البيوت، ثم تلك المدينة تبدو وكأنها نقطة على الخريطة داخل الولاية، وتلك الولاية جزء يسير على خريطة البلد، ثم كم حجم الولايات المتحدة من حجم الأرض، وأين حجم كوكب الأرض داخل مجرة درب التبّانة التي تحتوي على عشرات البلايين من الشموس والنجوم، وأين حجم هذه المجرة من بلايين المجرات في كون الله الفسيح؟! ثم يجعل الإنسان غايته بعض التراب والخشب والأشياء ممّا يحمل هذا الكوكب الصغير ـ الأرض!

وأخذت أتفكّر أين يقع الإنسان من خلق الله الواسع؟ وما دوره ورسالته في حياته في ذلك الوجود، أتكون رسالته مجرد بيت يمتلكه، أو مال يجمعه، أو متعة عاجلة ينالها، أو متاع يتفاخر به؟! لا شكّ أنّ الله قد ميّز هذا الإنسان عن سائر خلقه، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، ثم سخّر له الكون، ووهبه العقل وقوة الإرادة، وأرسل إليه الرسالات، وأحاطه بعناية لم تكن لغيره من المخلوقات، لكن أيكون هذا كله لمجرد أن يحيا الإنسان في الوجود لمجرد العيش؟ يطلب المعاش فيأكل الطيبات ويسكن الدور، وينافس الغير على أشياء في حقيقتها من حطام الأرض، ثم يموت وينتهي الأمر! لكن هذا لعمري ممّا ينزل من قدره ولا يميّزه عن غيره البتة.

لا شك عندما تهبط الطائرة مرة أخرى سأنظر مرة أخرى لسفاسف الأمور، دولارات نحصيها عدداً، وهموم فاتورة الهاتف والكهرباء، وتصليح السيارة، وشراء ثلاجة جديدة. . . =

من مشاغل يومنا وننظر عن بُعد في الكون والحياة وكأننا لسنا جزءاً منهما، حينها يرى الإنسان موقعه في هذا الكون، وحجمه من حجم العالم، وعمره من عمر الوجود، ودوره في الحياة، هذه الفرص نادرة الحدوث في عالمنا المعاصر حيث سيطرت علينا بلادة العادة، واللهث وراء أعراض الدنيا الزائلة وشهواتها المهلكة، لذلك فإنّ هذه الفرص، قد تحصل لفرد بعد وقوع مصيبة ما، كموت عزيز له، أو ربما تحصل في ساعة تخلو الروح مع ذاتها ويأخذ الإنسان يتفكّر سابحاً في عالم الخيال، حينها قد يوفّق في النظر في أخطر أمر يواجهه وهو الإجابة على التساؤلات: من أنا؟ وأين أنا؟ وماذا أريد؟ ولماذا؟ وإنّ ضرورة التفكُّر بمركز الإنسان في الكون ودوره في الحياة حتمية لتسديد حياته بالاتجاه الصحيح، ولعل هذا التفكُّر ما يقصده الحسن البصري حينما قال: «تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة»[1].



= إذا كانت النظرة عن بعد ١٠ آلاف قدم قد غيّرت بعض تصورنا نحو الواقع، ووفّرت صورة أكثر واقعية لحياة الإنسان في الدنيا، فما بالك بالسفر بالفكر عبر المخيلة خارج هذا العالم لننظر في الكون والحياة، ولننظر في الدنيا والآخرة معاً، ولندرس حياة الإنسان فيهما كما أرادها الله ﷻ.

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمود حسن ربيع، الإسكندرية، مكتبة حميدو، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، جـ ١ ص٢٩٧.

السؤال الأوّل: من أنت؟!

إنّ جهل الإنسان ذاته لا يزال عظيماً، فهو مميّز عن غيره من الكائنات بشكل لافت للنظر، لكن جهله بنفسه مطبق مع تقدمه في مجالات العلوم المختلفة، ولا ريب في أنّ حركة الإنسان في هذا الكون وإفراطه في عالم المادة يجعلنا بكل وضوح نستنتج أنّ معيشته لم تتأسّس على معرفة حقيقية بذاته. يلخص الدكتور ألكسيس كاريل، الحائز على جائزة نوبل لأبحاثه الفذّة، وصاحب كتاب «الإنسان ذلك المجهول» فكرة أساسية في كتابه ألا وهي أن تقدم الإنسان في علوم المادة، وصحة بحوثه ونظرياته في ذلك الحقل، لا تقتضي تقدُّمه في علم الإنسان، ثم يقرر بوضوح أن «جهلنا مطبق» بالإنسان نفسه[1].

وقد اختلفت المفاهيم حول ماهية الإنسان، وتخبّطت في نظرياتها المتضاربة، لكنّ جميع المفاهيم الفلسفية القديمة والحديثة لم تصل إلى تصوّر يتماشى مع حقيقة الإنسان، فقد «آلت مذاهب كثيرة إلى الفشل، حينما بُنيت على تصوُّرٍ للإنسان مغايرٍ لحقيقته، كتلك التي حسبته بُعداً روحياً ليست المادّةُ فيه إلّا عرضاً منقوصاً عالقاً به، أو تلك التي حسبته بُعداً مادياً صرفاً ليس وراءه من أشواق روحية متجاوزة للمادّة، فكان مآل الأولى قعوداً عن عمارة الكون واستثماره بسبب الاشتغال بتخليص الرّوح من عالم المادّة، وهو ما سقطت فيه المذاهبُ الإشراقية الصوفية. وكان مآل الثانية عوداً على الإنسان نفسه بالظلم والقهر والسّحق كما بدا في حركة الاستعمار منذ قرون، وكما ينذر اليوم بدمار للبشرية بفعل التجمُّع المهول للأسلحة والإتلاف المستمر للبيئة الكونية، وليس ذلك إلّا بسبب التفسير المادي للإنسان، ممّا ولّد التكالب على الرفاه، والأنانية في الاستبداد به»[2].

---

(١) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص٢٣ ـ ٢٤.

(٢) عبد المجيد عمر النجّار، مبدأ الإنسان، الرباط، دار الزيتونة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص٥.

تلك المذاهب لم تستطع الإجابة الناجعة على تساؤلات تناولتها جميع الفلسفات منذ القدم، وهي بتعبير الدكتور يوسف القرضاوي أسئلة خالدة[1]: «لماذا وجدت؟ وما مهمتي في هذا الوجود؟ ورسالتي في هذه الحياة؟ سؤال واجب على الإنسان ـ كل إنسان ـ أن يسأله لنفسه، وأن يفكّر ملياً في جوابه. فإنّ كل جهل ـ مهما عظمت نتائجه ـ قد يغتفر، إلا أن يجهل الإنسان سر وجوده، وغاية حياته، ورسالة نوعه وشخصه في هذه الأرض. وأكبر العار على هذا الكائن الذي أوتي العقل والإرادة ـ الإنسان ـ أن يعيش غافلاً، يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام، لا يفكّر في مصيره، ولا يدري شيئاً عن حقيقة نفسه، وطبيعة دوره في هذه الحياة حتى يوافيه الموت بغتة، فيواجه مصيره المجهول، دون استعداد له، ويجني ثمرة الغفلة والجهل والانحراف في عمره الطويل أو القصير، وحينئذ يندم حين لا ينفع الندم، ويرجو الخلاص ولات حين مناص، لهذا كان لزاماً على كل بشر عاقل أن يبادر فيسأل نفسه بجد: لماذا خُلقت؟ وما غاية خلقي؟»، ومع بساطة ووضوح تلك التساؤلات الخالدة، ومع يسر الإجابة عليها من منطلق إسلامي، أجدني مضطراً إلى تناول مقدمات ومحاور عدة تصب في مجملها في جدولٍ صافٍ يسوقنا إلى إجابات ناجعة لها، وهذا ما يتعرض له هذا الفصل بكامله، وذلك من قصة خلق الإنسان إلى رسالته في الحياة.

السؤال الثاني: أين أنت؟!

قد يتكبّر الإنسان ويصيبه العُجب، وقد يظن بأنه سيد الكون بقوته وبتشريعه سياسة الدنيا وقوانين الحياة ـ لا بفضل الله عليه ـ، وقد يظن أنّه صانع العلوم باكتشافه له ـ لا بما سخّره الله له من السنن الكونية ـ، لكن حتى نعلم موضع الإنسان من الكون وسعة خلق الله، لا بد من عرض سريع لحجم الكون المعلوم، حيث إن غير المعلوم أعظم منه وأجلّ.

---

(١) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص١٣ ـ ١٤.

* **موقعك من الكون:**

لم يستطع العلم الحديث مع كل تطور علوم الفضاء وما يسمى بغزو الفضاء أن يعرف حجم العالم، وأنى له ذلك؟ فالكون في توسّع مستمرّ في كل لحظة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1]، حتى إن العقل الإنساني لم يستطع مجرد تصور ذلك الحجم، فأوجد هذا العقل قياساً خاصاً لمسافات الفضاء يُسمى السنة الضوئية، أي المسافة ـ لا الزمن ـ التي يقطعها شعاع من الضوء إذا سار لمدة عام في الفضاء! وهذه المسافة ١٠,٣٥ مليون مليون كيلومتر (٥,٩ مليون مليون ميلٍ).

إننا ننظر للأرض التي نراها فنستعظم شأنها، وقد ظننها مركز الكون، لكنها في الواقع جزء من نظامنا الشمسي الذي يضم الأرض والكواكب الأخرى إضافة إلى الشمس، وهذا جزء من مجرة تحتوي على مليارات النجوم والكواكب! وإنّ أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس ما يزيد على أربع سنوات ضوئية، أي مسافة تبلغ نحواً من ٢٤ مليون مليون ميل[2].

ويزيد عدد نجوم مجرة درب التبانة عن ١٠٠ بليون (أي ١٠٠ ألف مليون) نجمٍ! والمجرة قرص عظيم منبسط، قطر مجرتنا هذه نحو مائة ألف سنة ضوئيةً، أي قرابة ٦٠٠ ألف مليون مليون ميلٍ[3].

وهذه مجرة واحدة في كون فسيح هائل في حجمه، فإذا علمنا أن سرعة الضوء ١٨٦ ألف ميل (٣٢٧ ألف كيلومتر) في الثانية الواحدة، فإن شعاعاً من أقرب نجم مضيء للأرض عليه أن ينطلق لمدة مائة ألف سنة طولاً أو ثمانين ألف سنة عرضاً ليقطع مجرتنا ليصل إلى حدودها! في الوقت الذي يستغرق فيه شعاع الضوء هذا ٨ دقائق للوصول من الشمس إلى الأرض التي تبعد عنا ١٥٠ مليون كيلومتر (٩٣ مليون ميلٍ)، وإن علماء الفلك يقولون: إنّ

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٢) أحمد زكي، مع الله في السماء. نقلاً عن عبد العال سالم مَكرَم، أثر العقيدة في بناء الجيل، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٩٦.

(٣) المرجع السابق، ص٩٧.

مجرتنا تضم قرابة ٥ مليارات نجم أكبر من الشمس التي نعرفها!

هذا داخل مجرتنا، فما بالك بما هو خارجها، إذ يقدر علماء الفلك بأنه على شعاع الضوء الخارج من حدود مجرتنا أن ينطلق لمدة مليونَيْ سنة حتى يصل إلى أقرب المجرات إلى مجرتنا، فما بالك في أبعد المجرات؟! ويُعتقد بأنه يوجد عدد هائل من المجرات الأخرى غير مجرة درب التبانة، أقربها لمجرتنا مجرة الغيوم الماجلانية[١] التي تبعد عنا ١٨٠ ألف سنة ضوئية، ويقال: بأن أبعد المجرات المرئية لنا تبعد عنّا حوالي بليونين من السنين الضوئية، أي يستغرق الضوء للوصول إلينا منها ألفي مليون سنة، ومجرة الغيوم الماجلانية تتباعد عنّا بسرعة ثلثي سرعة الضوء، حيث إنّ العلم الحديث اكتشف أنّ حجم الفضاء في توسُّع مستمر، ولقد سبقهم الوحي في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧﴾[٢]، لذلك من المعلوم أنه حينما نرى تلك المجرات البعيدة فإننا نرى صورة لما كانت عليه من خلال الأضواء المرسلة منها إليها منذ بليونين من السنين، أما الآن فالله أعلم بمكانها إن كانت لا تزال موجودة![٣].

وداخل هذا الكون الهائل المهيب يوجد كوكب ضئيل لا يكاد حجمه يُذكر إذا ما قورن بما حوله، إنَّه كوكبنا الذي نعيش عليه، والذي يقدر علماء الأرض عمره بحوالي خمسة آلاف مليون سنة، ويقطن هذا الكوكب حوالي مليوني نوع من الكائنات الحية المختلفة، وعلى رأسها النوع الإنساني الذي استخلف فيها لإعمارها.

السؤال الثالث: إلى أين المسير؟!

إنّ الماديين يجيبون عن ذلك السؤال بإجابة تهبط بالإنسان المكرّم إلى درجة سائر الحيوانات، يرون مصيره الفناء في بطن الأرض كما طوت

---

(١) Magellanic Clouds.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

(٣) السيِّد سلامة السقَّا، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، مرجع سابق، ص٣٨ ـ ٣٩.

ملايين المخلوقات الأخرى، فيعود تراباً وكفى! فعلام إذن تميّز الإنسان عن غيره من كائنات الأرض؟ ولماذا سخّر له كل ما حوله؟ ولماذا مُنح من المواهب والقوى الروحية والعقلية ما لم يُمنح لغيره؟ أمّا المؤمنون فهم يعرفون إلى أين يسيرون، يعلمون أنّهم لم يخلقوا لهذه الدنيا، وإنما خُلقت هذه الدنيا لهم، يعرفون أنهم خلقوا لحياة الخلود ودار البقاء، أوَ عسيرٌ على خالق الكون أن يبعث الإنسان بعد موته وقد خلقه من عدم؟[1].

*** خط الحياة:**

لقد لوحظ عمر الإنسان، ورسم الماديون لحياته ما سمّوه «خط الحياة»[2]، وهو عبارة عن خط مستقيم أوله تاريخ الولادة وآخره تاريخ الوفاة كما هو مبيّن أدناه، فأول الخط معلوم لكل فرد لكن آخره مجهول، ولا أحد يعلم موقعه الآن على خط حياته هذا، أأنت الآن في منتصف الخط أم آخره؟ لا تعلم ذلك، وما دمت حياً، ومع كل دقة قلب، ومع كل تحرك لعقارب الساعة، إنك تتحرك على خط الحياة نحو الموت، وعندها تنتهي مسيرة حياتك في هذا الكون.

تاريخ الولادة ○————————◄○ تاريخ الوفاة

لكن الإنسان في التصور الإسلامي له حياة أكبر من خط الحياة هذا، وإن منهجنا ينقض ذلك التصور المادي الذي يؤمن بما يرى فقط، بل نستطيع تصوير مسيرة حياة الفرد بالخط أدناه (ص١٥٤)، فهو يتكون من سنين فوق التراب تسمى الحياة الدنيا، وسنين قد تطول تحت التراب، تسمى حياة البرزخ، ثم وقوف بين يدي خالق الكون في يوم القيامة بعد نفخ الصور، لحساب دقيق عن كل ما قمت به في هذه الحياة الدنيا، ثم خلود في جنة أو في نار في حياة أبدية تسمى حياة الآخرة، وربما عاش هذا الإنسان وقتاً محدوداً في النار ثم ينتقل إلى الجنة برحمة الله وفضله.

---

(١) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص١٨ ـ ١٩.

(٢) Richard Winwood, Time Management, Pg. 62.

*** إلى أين المسير!**

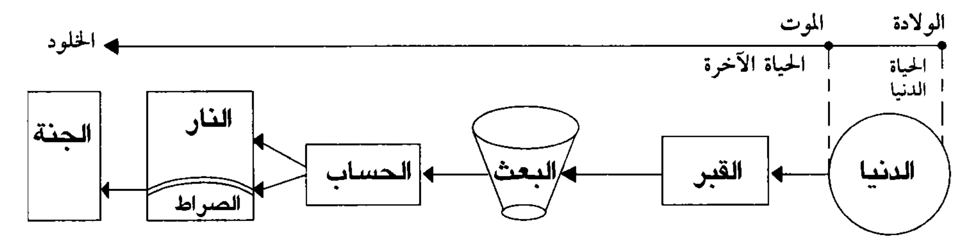
يعيش الإنسان في رحلته الحياتية سفرات أربع وخمس إقامات، سفره الأوّل من رحم أمه إلى حياته الدنيا، ثم سفره الثاني من بهرج الدنيا إلى ظلمة القبر، ثم سفره الثالث من قبره إلى يوم العرض الأكبر، ثم سفره الرابع يوم العرض الأكبر إلى مستقره في جنة أو في نار. وما بين تلك الأسفار إقامات تمضي، فتلك إقامته تسعة شهور في رحم أمه لم يقوَ فيها على شيء، ثم في دنياه في الأرض قرابة سبعين عاماً، ثم في قبره إلى أن يُنفخ في الصور، حينها يغادره ليوم الحساب، وهنا يقيم يوماً واحداً من أيام الآخرة مقداره ٥٠ ألف سنة من أيام الدنيا، وبعد عرض لأعماله في الدنيا، يحوّل إلى الإقامة الأبدية في الآخرة، حيث دار القرار.

*** إقامته المصيرية:**

والذي يهمنا هنا هو إقامته الثانية، تلك التي تبتدئ من حين انتقاله من ظلمة رحم أمه إلى نور الدنيا، وتستمر إلى حين دخوله القبر، ذلك لأنّ إقامته هاهنا ـ رغم أنها قصيرة وعاجلة ـ يترتب عليها الإقامات التالية: إقامته في القبر، حيث هو إمّا حفرة من حفر جهنّم أو روضة من رياض الجنة، وإقامته يوم الحساب، ثم حياته الأخرى الأبدية إما في نعيم مقيم أو جحيم مهين، كلاهما بحسب إيمانه وعمله في دنياه.

*** رحلاته الحياتية:**

مسيرة الإنسان في دنياه معروفة لدينا، إنها تبتدئ بضعف الطفولة وتنتهي بضعف الشيخوخة، وبين هذا وذاك حياة قصيرة، كلّفه الله خلالها بالإيمان والعمل الصالح وبحمل أمانة الإسلام، وأوكل إليه عمارة الأرض وسخّر له ما يعينه على ذلك، ولا حاجة للحديث عن رحلته الدنيوية هذه، إذ إننا نعيشها في كل يوم يمضي من حياتنا إلى حين ننتقل لغيرها، ولذلك نعرفها بشكل واضح.



أما رحلة الآخرة فتبدأ من القبر، حينما يوارى الميّت الثرى، وهو إمّا روضة من رياض الجنة لمن رضي الله عنه في الدنيا، وإمّا حفرة من حفر النار لمن سخط الله عليه.

لقد شيّع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر فقال: إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يُزهد في أوله (يعني الدنيا)، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يُخاف آخره (يعني الآخرة)[1]. ويبقى الإنسان في قبره إلى ما شاء الله حتى يأمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور، وهو قرن عظيم ينفخ فيه إسرافيل نفختين، أما الأولى فهي نفخة الفزع، حيث يُصعق الأحياء جميعاً[2]، ومن ثم ينفخ فيه مرة أخرى نفخة البعث، حيث يقوم الناس من قبورهم[3].

وتستمر المسيرة في رحلة البعث، حيث يُحيي الله الأموات إلى يوم القيامة، فيبعثون من قبورهم حفاة عراة، وكلٌّ يُبعث على ما مات عليه في الدنيا، وأمّا كيفية إعادة تكوين تلك الأجسام البالية، فتكون من عظم صغير لا يُبلى أبداً يُدعى «عَجْب الذنَب»[4]، وذلك عندما تمطر السماء ما بين النفختين ويصيب الماء هذا العظم فينبت منه الإنسان.

---

(١) عبد الملك قاسم، الزمن القادم، الرياض، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص١٢.

(٢) ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٣) ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ سورة يس: الآية ٥١.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يُبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، حديث رقم ٤٩٣٥، و«العَجْبُ آخر كل شيء».

وتستمر المسيرة، ويُجمع الخلائق لحسابهم في يوم عظيم تتزلزل فيه القلوب إلا من رحمه الله، إنه يوم القيامة، في أرض غير ما عرفنا من الأرض، إنها أرض الحشر، أمّا حال الناس في هذا الموقف العصيب فهو هول ما قبله هول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[1]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٕٖ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٖ شَأْنٞ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾[2]، ولطول ذلك اليوم وعظم ما يرى الخلائق من الهول يظن الناس أنّ حياتهم الدنيا لم تكن سوى ساعة واحدة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾[3]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٖۚ﴾[4].

وتستمر الرحلة في مسيرة لم تنتهِ بعد، بل تكاد تبدأ، إنه يومٌ مقداره خمسون ألف سنة، ومعالم ذلك اليوم عظيمة تقشعر منها الأنفس: من قبض الله الأرض وطي السماوات[5]، ونسف الجبال[6]، وتفجير البحار[7]، وانشقاق السماء[8]، وتكوير الشمس[9]، وتساقط الكواكب[10]، وخسوف القمر[11]،

---

(١) سورة الحج: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة عبس: الآيات ٣٤ ـ ٣٧.

(٣) سورة يونس: الآية ٤٥.

(٤) سورة الروم: الآية ٥٥.

(٥) ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعٗا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة الزمر: الآية ٦٧.

(٦) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفْصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمْتٗا﴾ سورة طه: الآيات ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٧) ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ سورة الانفطار: الآية ٣.

(٨) ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾ سورة الرحمن: الآية ٣٧، و﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرٗا﴾ سورة الطور: الآية ٩.

(٩) ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ سورة التكوير: الآية ١. تكوّرت الشمس: أي تجمّعت وذهب ضوؤها.

(١٠) ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ سورة الانفطار: الآية ٢.

(١١) ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ سورة القيامة: الآيتان ٧، ٨.

ودنو الشمس إلى رؤوس الخلائق[1]. . . إلخ.

في ذلك اليوم العصيب تُسحب جهنّم بسبعين ألف حبل على كل حبل سبعون ألف ملك، يراها الكافر فَيَودُّ لو أنه يستطيع أن يفتدي نفسه من هذا بكل ما في الدنيا، ويتحسر متمنياً لو كان تراباً[2]، ويصيب العذاب العصاة من المؤمنين على ما فرطوا في حياتهم الدنيا.

إنه يوم الحساب، يوم يُطلِع الله عباده على أعمالهم ويحاسبهم عليها، وهو موقف مهيب، حينما يجيء اللهُ والملائكة ليقضي فيهم بما قدموا[3]، فيعرض العباد على ربهم صفوفاً[4]، ويعقد الحق محكمته، ويسأل اللهُ العباد عما عملوه في دنياهم ـ وهو أعلم العالمين[5]. وفي ختام مشهد الحساب يُعطى كل عبد كتابه المشتمل على سجل أعماله التي عملها في الحياة الدنيا، وهو الصحيفة التي كتبتها الملائكة وأحصت فيها كل شيء، ويُسلّم الكتاب بطريقة خاصة، وهو موقف مهيب آخر أن ينتظر العبد استلام كتابه، أيقع بيمينه أو بشماله؟!

وبعد الحشر يساق العباد إما إلى جنة وإمّا إلى نار، فأما الكفار فيُساقون إلى النار جماعات جماعات[6]. وأمّا المسلمون وفيهم المنافقون والعصاة

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة، حديث رقم ٢٨٦٤.

(٢) ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ سورة المعارج: الآيات ١١ ـ ١٤، و﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ سورة النبأ: الآية ٤٠.

(٣) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ سورة البقرة: الآية ٢١٠.

(٤) ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ سورة الكهف: الآية ٤٨.

(٥) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ سورة الحجر: الآيتان ٩٢، ٩٣.

(٦) ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ سورة الزمر: الآية ٧١.

فينصب الله لهم الصراط، والصراط جسر ممدود على جهنم ليُعبر عليه إلى الجنّة، وهو أدق من الشعرة وأحدّ من السيف[1]، ويُعطى المؤمن نوراً ليسير به على الصراط ويُطْفَأ نور المنافقين، في ذلك الموقف يحاول المنافقون عبور الصراط إلى الجنّة بلا نور فلا يستطيعون، ويرد المؤمنون على الصراط على قدر أعمالهم، «فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم»[2].

والمسيرة لم تنتهِ للمؤمنين بعد، فبعد العبور إلى الصراط، ونجاة المؤمن من النار، يحبس المؤمنون على قنطرة بين النار والجنة حتى يؤخذ لبعضهم من بعض مظالمهم، وليدخلوا الجنة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل[3].

*** خلودٌ لا موت:**

وبعد دخول أهل النار النار وأهل الجنة الجنة، يخبر الله عباده بخلودهم فيهما، كما جاء في الحديث: «إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار أُتي بالموت، فيوقف على السور الذي بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطّلعون خائفين، ثم يقال: يا أهل النار، فيطّلعون يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: قد عرفناه، وهو الموت الذي وكّل بنا، فيضجع فيذبح على السور بين الجنة والنار، ثم يقال:

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلِّم سلِّم، قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مذلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب...»، قال أبو سعيد: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف». أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم ١٨٣.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، حديث رقم ٧٤٣٩. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم ١٨.

(٣) اقرأ قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ...﴾: الآية ٤٧.

يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت»[1].

لكن أي خلود هذا في نعيم الجنة؟ وأي خلود هذا في جحيم النار؟ لنطّلع على عرض مقارن لصفة النار وصفة الجنة[2]:

الجنة: بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران. أمّا درجاتها، ففيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة ومن فوقها عرش الرحمن، فيها أنهار من عسل مصفى، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر لذة للشاربين. وفيها نهر الكوثر وهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل؛ أمّا أشجارها، فيسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وهي دائمة العطاء قريبة دانية مذللة. وأهل الجنة جرد مرد مكحلين، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، وأول زمرة يدخلونها على صورة القمر ليلة البدر، لا يبولون، ولا يتغوّطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومباخرهم من البخور؛ أمّا نساؤها، فلو أن امرأة منهن اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن؛ وإنّ نعيم أهل الجنة ما يُتمنى، يُقال لآخر أهل الجنة: تمنَّ، فعندما يتمنى يُقال له: لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا؛ وأعظم النعيم لأهل الجنة رؤية الرب، جعلنا الله من أهلها.

النار: إنّ نارنا التي نعرفها في الدنيا هي جزء من سبعين جزءاً من حر جهنّم، وأهون أهل النار عذاباً من توضع تحت أخمص قدميه جمرات يغلي منها دماغه، ولو أنّ حجراً ألقي فيها لهوى سبعين سنة لا يصل إلى قعرها؛

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، حديث رقم ٢٨٥٠.

(٢) وحيث إن صفات الجنَّة والنار هي من الغيبيات التي لا نعلمها إلّا من كتاب الله ومن السنّة الصحيحة، فإنَّ ما يلي من صفاتهما مختصرٌ لما جمعه جاسم محمد المطوّع في كتابه (خططٌ لمستقبلك)، ص٢٠ ـ ٢٢. استناداً إلى ما صحّ من الأحاديث.

إنّ هواءها السَّموم[١]، وظلها اليَحموم[٢]، وماؤها الحميم، وإنّها تأكل كل شيء، ولا تُبقي ولا تذر، تحرق الجلود وتصل إلى العظام وتطلع على الأفئدة، يُسمع لها من بعيد تغيُّظ وزفير، أعاذنا الله منها.

السؤال الرابع: لماذا خُلقت؟

لماذا أعيش؟ ولأجل ماذا خُلقت ابتداءً؟! هل يعيش الإنسان لمجرد تأمين ضروريات معاشه كالأكل والشرب؟ إننا إن عشنا لهذا نشترك مع البهائم في غرضهم من الحياة، لكن الذي نأسف له أنّ واقع الكثير من الناس أنهم يحيون لتوفير ما يأكلون ويلبسون ويسكنون ليس إلّا، فانظر في هموم يومهم من صباحه إلى مسائه، وانظر فيما يتكلمون، وانظر فيما يشغل بالهم، إنّه مجرد ما يفي بإشباع رغباتهم المادية ليس إلّا.

* حاجتنا لإيجاد معنى لحياتنا:

هنالك حاجة لمعرفة الإنسان: ماذا تعني معيشته؟ وقد يبادره سؤال مُلحّ في منتصف حياته أو قبل ذلك أو بعده: ماذا تعني حياتي؟ ما الذي يعنيه كل ما أقوم به وأتعب من أجله وأصرف الجهد والمال والوقت في سبيله؟ ماذا يعني هذا كله؟ يرى ريتشرد وينوود صاحب الكتاب المشهور «إدارة الوقت»[٣] أنّ هنالك حاجة نفسية لهذا التساؤل، وينصح بالتأمل، وهو رياضة روحية يخلو الفرد ويتأمل ما حوله من خلالها[٤]، ذلك لكي يصل للإجابة على هذا السؤال، ومن ثمَّ ليطمئن نفسياً، لكنّ ذلك بلا ريب خطأ، فإنّ التأمل المجرد لن يوصل هذا الإنسان لنتيجة صحيحة إن وصل لشيء، حيث إنّه بنفسه مخلوق ضعيف لا يسعه لوحده فهم لماذا وُجد؟ ومن أوجده؟ وما دوره في الكون والحياة؟ لذلك كانت الرسالات السماوية.

---

(١) السموم: هو الريح الحارة.
(٢) اليحموم: وهو قطع الدخان.
(٣) Richard I. Winwood, Time Management, P.39.
(٤) Meditation.

لم يخلق الإنسان ليلهو ويلعب، ولا ليأكل مما خرج من التراب ويمشي على التراب ويعود إلى التراب، وانتهى أمره، بل «إنّ المتأمل في هذا الكون الذي يعيش فيه يرى كل شيء فيه يحيا ويعمل لغيره، فنحن نرى أنّ الماء للأرض، والأرض للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن؟ هذا هو السؤال. والجواب الذي تنادي به الفطرة، وتنطق به مراتب الكائنات في هذا الكون: أنّ الإنسان لله، لمعرفته، لعبادته، للقيام بحقه وحده، ولا يجوز أن يكون الإنسان لشيء آخر في الأرض أو في الأفلاك، لأنّ كل العوالم العلوية والسفلية مسخرة له، وتعمل في خدمته كما هو مشاهد، فكيف يكون هو لها أو يعمل في خدمتها؟»[١].

للإجابة الصحيحة عمّا خُلقت له، لا بد أولاً من تأكيد حقيقة إيجادك وخلقك من قبل خالقٍ هو الله، رب السماوات والأرض، خالق كل شيء ورازقه ومالكه ومدبّر أمره، ولا بدّ ثانياً من تأكيد كون هذا الخالق هو صاحب الإجابة على هذا التساؤل الذي فشلت المدنية الغربية في الإجابة عنه، ذلك أنَّ مدنية الغرب هذه التي بهرت العيون مدنية مادية محضة، لم تمسها لمسة من الروح، وهو على اختلاف مذاهبه ليشكو جوع الروح من داخله، حيث لا يجد فيما جمعه بين يديه من مالٍ ومتاع شيئاً يصل إلى الروح الذي هو عنصر حياة الإنسان وجوهر إنسانيته[٢].

*** من أوجدني؟!:**

إنّه هراء أن نناقش أنّ هذا الكون بما فيه ومن فيه وُجد وحده عن طريق المصادفة، وهراء أيضاً أن نناقش أنّ الإنسان من صنع المصادفة، وإنّ كل ذي لبٍّ قد رفض ذلك واستجاب لنداء الفطرة في حتمية وجود الخالق الذي أوجده، واختلفت الديانات في ذلك مع اتفاقها على أنّ وراء هذا الكون

---

(١) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) عبد الكريم الخطيب، المسلمون ورسالتهم في الحياة، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٢٨.

خالقاً، وهذا ليس مجال التدليل التفصيلي عليه، وهو مما لا يحتاج إلى كثرة نظر ولا إعمال عقل، بل أكتفي بما ذكره بعض علماء الثقافة الغربية أنفسهم.

يقول ديكارت: «إني مع شعوري بنقص في ذاتي، أحس في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، وأراني مضطراً إلى الاعتقاد بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع الصفات الكاملة وهي الله»(١).

وهذا ما بثّه الله في فطرة الإنسان، لذلك نجد «أنّ الشعور بقوة عليا فوق الطبيعة وفوق الأسباب أمرٌ مشتركٌ بين بني الإنسان في جميع البقاع، وبين شتى الأجناس والأقوام، وفي مختلف مراحل التاريخ. يقول الفيلسوف الفرنسي برغسون: لقد وُجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قط جماعات بدون ديانة. ويقول أرنست رينان في تاريخ الأديان: إنّه من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التديُّن، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي، الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق الدنيئة في الحياة الأرضية»(٢).

ويقول إسحاق نيوتن: «لا تشكّوا في الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها هي قاعدة هذا الوجود!»(٣)، وفي هذا ينقل لنا سبنسر عن هرشل قوله: «كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم، وهو صرح عظمة الله وحده»(٤).

ويقول سبنسر: «إنّ العالم الذي يرى نقطة الماء فيعلم أنها تتركب من

(١) نقلاً عن يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص١٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٦.
(٣) المرجع السابق، ص١٧.
(٤) المرجع السابق، ص١٧.

الأكسجين والهيدروجين بنسبة خاصة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئاً آخر غير الماء، ليعتقد عظمة الخالق وقدرته، وحكمته وعلمه الواسع، بأشد وأعظم وأقوى من غير العالم الطبيعي الذي لا يرى فيها إلّا نقطة ماء فحسب! وكذلك العالم الذي يرى قطعة البرَد وما فيها من جمال الهندسة، ودقة التقسيم، لا شك أنه يشعر بجمال الخالق، ودقيق حكمته، أكبر من ذلك الذي لا يعلم عنها إلّا أنها مطر تجمد من شدة البرد!»[1].

وإنّ قانون السببية يؤمن به كل عاقل، فلا يُقبل فعلٌ من غير فاعل، ولا صنعة من غير فاعل، وهو ما عبّر عنه الأعرابي ببساطته حين سُئل عن الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وخط السير يدل على المسير، فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على العلي الكبير؟![2].

المطلب الثاني: التكريم والاصطفاء الإنساني

إنّ تكريم الإنسان جاء جلياً في الوحي ابتداءً من إعلام الله الملائكة بهذا المخلوق، ومن ثمّ بقصة خلقه التي أضفت عليه هَالَةً من التكريم، مما جعله أشرف وأعلى من غيره من المخلوقات، وذلك التشريف والتكريم يشمل وجوده وتكوينه والغاية من خلقه.

١ ـ قصة الخلق:

لقد جاء الإعلام الإلهي بخلق الإنسان في آيات كثيرة، منها ما يعبّر عن مراحل خلقه، ومنها عن الغاية من خلقه، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، وهذه الآية ارتبط الإعلام فيها بالغاية التي ستسند إلى هذا المخلوق الجديد، ألا وهي الخلافة.

ولقد أفاض القرآن الكريم والحديث الشريف في عرض قصة خلق

---

(١) نقلاً عن يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص١٧.
(٢) المرجع السابق، ص١٧.
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

الإنسان الأوّل ووصف مراحله ما لم يحظ به أيّ مخلوق آخر، وهذا ما لا يسع البحث التعرُّض له بتفصيلاته، لكن كان ذلك دلالةً على علو الشأن وجلالة القدر الذي أضفاه الله على هذا المخلوق، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[5]. ولقد جاءت أحاديث عديدة في ذلك، أذكر منها قوله ﷺ: «إنّ الله خلق آدم من تراب فجعله طيناً ثمّ تركه، حتى إذا كان حمأً مسنوناً خلقه وصوّره ثم تركه، حتى إذا كان صلصالاً كالفخّار كان إبليس يمرّ به فيقول: لقد خُلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه»[6].

ودلالة الآيات والأحاديث كثيرة في هذا الموضوع منها أنّ الإنسان خلق من عنصرين: الأوّل: عنصر مادي، وهو ما عُبّر عنه بالتراب، والطين، والحمأ المسنون، والطين اللازب، والصلصال، وهذا الاختلاف في التعبير يعبّر عن المراحل التي مرّت فيها مادة التراب. قال الراغب

---

(١) سورة ص: الآيات ٧١ ـ ٧٦.
(٢) سورة الحجر: الآية ٢٨.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٢.
(٤) سورة الحج: الآية ٥.
(٥) سورة الصافات: الآية ١١.
(٦) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٩٩١م، جـ ٧ ص٦.

الأصبهاني: «قال (أي الله تعالى) في موضع: خلقه من تراب، إشارة إلى المبدأ الأوّل، وفي آخر: من طين، إشارة إلى الجمع بين التراب والماء، وفي آخر: من حمأٍ مسنون، إشارة إلى الطين المتغيّر بالهواء أدنى تغيّر، وفي آخر: من طين لازب، إشارة إلى الطين المستقر على حالة من الاعتدال يصلح لقبول الصورة، وفي آخر: من صلصال من حمأٍ مسنون، إشارة إلى يبسه وسماع صلصلة منه، وفي آخر: من صلصال كالفخار، وهو الذي قد أُصلح بأثر من النّار كالخزف»[1].

والعنصر الثاني: هو العنصر الروحي، وهذا الجمع بين العنصرين نمط جديد من الخلق لم تكن له سابقة قبل الإنسان.

ومن تمام المكرمة الإلهية للإنسان أن خلقه متميزاً عن سائر المخلوقات الأخرى، وأن جعل خلقه الحدث العظيم في تاريخ الخلق، فقد انتظمت الموجودات عند وجوده في نسب تفاضلية بحسب مواقفها منه، فشَرُف من دان له بالسجود، ولُعن من أبى واستكبر، وسُخّرت سائر الكائنات لخدمته ونفعه. لهذا التكريم أمر الله الملائكة بالسجود له إعظاماً لقدره، وهكذا كان هذا المخلوق موضع حفاوة بالغة، ولم تكن المادة التي خُلق منها موضعاً للتفضيل، إنّما بما أضفاه الله عليه من فضل، لكن إبليس استكبر أن يسجد لمن خلق من التراب والطين غافلاً عن تفضيل هذا المخلوق[2].

٢ ـ اصطفاء الإنسان:

إنّ قصة خلق الإنسان تشير إلى أنّ الله خلقه ليكرِّمه لا ليهينه، وليرفع قدره في العالمين، وليعلي منزلته، حتى جعله الله مفضّلاً على سائر المخلوقات، واصطفاه على العالمين: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾[3]، فلقد تولى الله بيديه خلق آدم،

(١) الراغب الأصبهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق عبد المجيد النجّار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ص٧٢.

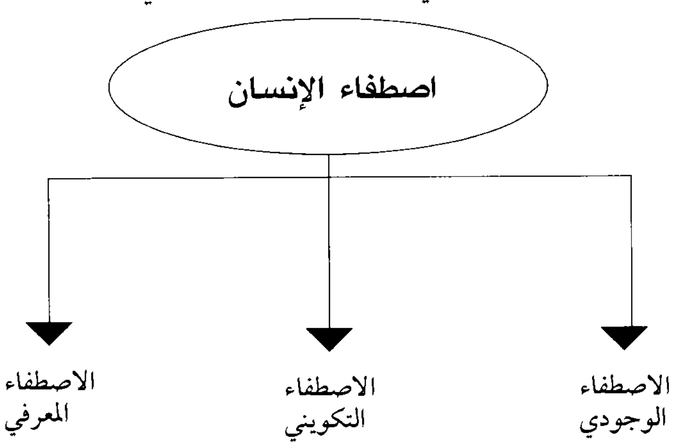
(٢) عبد المجيد النجّار، مبدأ الإنسان، مرجع سابق، ص١٣٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

وهو أمر عظيم القدر رفيع القيمة له ولذريته، وهذا المعنى فيه التعظيم لذلك المخلوق، وهو متحقّقٌ إذا حُملت على المعنى الحقيقي لليدين على الوجه اللائق بالله تعالى، وهو الصواب، كما ذهب إليه السلف مؤيدين ما ذهبوا إليه ببعض الآثار(١).

كما أنّ معنى التعظيم متحقق أيضاً إذا حُملت على القول بالتأويل، وهو مذهب الأشاعرة في هذه الآية، حيث يُحمل الخلق باليدين على العناية الشديدة كما ذكره الرّازي في قوله: «إنّ السلطان العظيم لا يقدم على عمل شيء بيده إلّا إذا كانت غايةُ عنايته مصروفةً إلى ذلك العمل، فإذا كانت العنايةُ الشديدةُ من لوازمِ العمل باليد أمكن جعله مجازاً عنه»(٢).

ففي الوجهين يتحقق الشرف لهذا الإنسان في تخصيصه بالعناية والاحتفاء به عند خلقه، ولقد جاء هذا الاصطفاء على أنواع: الاصطفاء الوجودي، والاصطفاء التكويني، والاصطفاء المعرفي.



(١) من ذلك ما رد الله جواباً للملائكة لمّا سألوه أن يجعل لبني آدم الدنيا ولهم الآخرة: «وعزّتي وجلالي لا أجعل من خلقتُه بيدي كمن قلت له: كن فيكون». شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م، ج ٢٣ ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، طهران، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج ٢٦ ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

أ ـ الاصطفاء الوجودي:

لقد جاءت العقيدة الإسلامية معليةً من شأن الوجود الإنساني، إذ جعلته وجوداً خالداً مما ميّزه عن سائر المخلوقات، «فلم تقصره على الوجود الفاني، بل جعلته وجوداً باقياً، وبشّرته بالخلود في حياة أخرى تتلو هذه الحياة الدنيا، فالحياة الدنيا في العقيدة الإسلامية ليست إلا مرحلة من الوجود الإنساني، وهي المرحلة القصيرة المنقوصة، أمّا الوجود الحقيقي فهو في حياة أخرى بعدها ممتدة لا يطالها الفناء، ولكن الحياتين ليس بينهما انفصال، بل العلاقة بينهما قائمة، وهي علاقة الزرع الذي يكون في الحياة الدنيا بالحصاد الذي يكون في الحياة الأخرى، ومن ثمّة فإنّ الموت الذي هو مصدر خوف وهلع ورعب عند من يُنكر الحياة الأخرى يضحي في العقيدة الإسلامية سبباً للكمال، إذ هو الطريق إلى الوجود الأخروي الكامل»[1]، كما بيّنه الراغب الأصبهاني في قوله: «الإنسان ما دام في دنياه جارياً مجرى الفرخ في البيضة، فكما أنّ من كمال الفرخ تفلُّقَ البيض عنه وخروجه منه، كذلك من شرط كمال الإنسان مفارقة هيكله، ولولا هذا الموت لم يكمل الإنسان، فالموت إذن ضروري في كمال الإنسانية»[2].

يقول د. عبد المجيد النجّار في كتابه «قيمة الإنسان»: «إنّ امتداد الحياة إلى ما بعد الموت شرف خُصّ به الإنسان دون سائر الموجودات الكونية، وهو شرف يعكس ما أراد الله تعالى له من تكريم، فانتفاء العدم في حقّ الإنسان هو في ذاته تكريم له، لما في العدم من النقص، وما في الوجود من الكمال، ثم إنّه دافع لا يضاهيه دافع إلى الاكتمال المادي باستثمار الكون، والروحي بتحصيل الفضيلة؛ فالإيمان بالخلود يفتح أبواب الأمل ويسدّ أبواب اليأس والقنوط، فيندفع الإنسان في الإنشاء الحضاري

---

(١) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، الرباط، دار الزيتونة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص٤٨.

(٢) الراغب الأصبهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، مرجع سابق، ص١٩٨.

مادة وروحاً، بما يحقّق من سيطرة على موارد الكون، وسيطرة على نوازع الهوى، إنجازاً في ذلك للخلافة التي ينال بإنجازها أرقى الدرجات في حياة الخلود؛ وبهذه المعاني تكون الحياة بعد الموت منّة إلهية على الإنسان هي أعظم من منّة الحياة المشاهدة، لأنها متوقّفة في قيمتها عليها، فهي تشيع في النفس الإنسانية الطمأنينة وينتفي منها رعب العدم، وبها يشعر الإنسان بعزّة البقاء فيملأ حياته الدنيا بروح من تلك العزة»[1].

ب ـ الاصطفاء التكويني:

ولقد كرّم الله الإنسان أيضاً في تكوينه، إذ نفخ فيه من روحه وخلقه على أحسن تقويم، فجاء في معنى شرفية الخلق قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾[2]، وإذا كان النفخ من روح الله غير محمول على معناه الظاهر كما توهمه بعض الحلوليين[3]، فذهبوا إلى أنّ الإنسان حلّ به جزء من أجزاء الله تعالى، فإنّ إسناد النفخ وإضافة الروح إلى ضمير اسم الجلالة تنويه بهذا المخلوق[4]، حيث خصّه الله تعالى بعنصر تشريف في تكوينه هو الروح الذي أضافه إلى نفسه تعريفاً بشرفه وقدسيته[5]. وقال القرطبي في معنى الآية: «أي من الروح الذي أملكه ولا يملكه غيري»[6]، وقال البيضاوي: أي «وأحييته بنفخ الروح فيه، وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته»[7]، وذكر الطبري: أن

---

(١) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص٤٩ ـ ٥٠.
(٢) سورة ص: الآيتان ٧١، ٧٢.
(٣) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص١٥ ـ ١٧.
(٤) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ١٤ ص٤٤.
(٥) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج ١٦ ص٢٢٨.
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م، ج ١٥ ص٢٢٧.
(٧) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ج ٢ ص٣١٧.

المعنى «ونفخت فيه من قدرتي»[1]، وتشير الآية إلى أن الله تولى فعل ذلك من غير سبب ولا واسطة تشريفاً للإنسان.

ولقد استجمع الله في تكوين الإنسان ما تفرّق في الكون، وهما عنصرا الروح والمادة. وقد أشار الإمام الرازي إلى هذه القضية التكوينية للإنسان بالنسبة للكون في قوله: «إنّ المخلوقات تنقسم إلى أربعة أقسام: إلى ما حصلت له القوّة الحكمية ولا تحصل له القوّة الشهوانية الطبيعية وهم الملائكة، وإلى ما كان بالعكس وهي البهائم، وإلى ما خلا من القسمين وهي النباتات والجمادات، وإلى ما حصل النوعان فيه وهو الإنسان»[2].

كما يقول الرّاغب الأصبهاني: «الإنسان قد جُمع فيه قوى العالم... وقد جمع الله تعالى في الإنسان قوى بسائط العالم ومركّباته، وروحانياته وجسمانياته، ومبدعاته ومكوّناته... ومن حيث صَغُر شكله وجُمع فيه قواه كالمختصر من العالم، فإنّ المختصر من الكتاب هو الذي قلّ لفظه واستوفى معناه، ومن حيث إنه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزّبد من المخيض والدُّهن من السّمسم»[3].

وفي معنى التشريف التكويني لهذا الإنسان حسن تقويمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾[4]، والتقويم هو التعديل والتسوية، ودلالة الآية أنّ الله خلقه على درجة رفيعة، اعتدالاً وانسجاماً وتسوية، فكان بذلك حائزاً على أرفع الدرجات من التكريم الإلهي من حيث التكوين الذي خلق عليه. وإنّ المقصود بالتقويم ما يتناول البنية المادية والبنية المعنوية، فكلاهما خلق على أحسن تقويم، سواء بالنظر إلى كلٍّ في ذاته، أو بترابطهما في تكوين الإنسان. ومن ذلك التقويم أيضاً ما منّ الله على هذا المخلوق من عقل، وممّا خصّ به هذا العقل من قوّة التذكُّر والاختزان

---

(١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، جـ ٢٣ ص١١٨.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، جـ ١٢ ص١٤.

(٣) الراغب الأصبهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، مرجع سابق، ص٧٦ - ٧٧.

(٤) سورة التين: الآية ٤.

للمعارف، وما خصّه الله إلى جانب العقل بجملة من العواطف والغرائز التي من شأنها أن تحقّق للإنسان التواصل الاجتماعي، لذلك كان مميّزاً عن غيره بما زوّده الله بالطاقات العقلية والروحية والجسمية[1].

وجاء في موقع التشريف التكويني أيضاً قوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»[2]، وكذلك قوله ﷺ: «من قاتل فليتجنّب الوجه فإنّ صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن»[3]، وكلا الحديثين لا يحملان على ظاهرهما لأنّ الله منزّه عن التشبُّه بعباده، فإنّ صورة الله التي خُلق الإنسان عليها يكون المقصود بها «صفته من العلم والحياة والسّمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء»[4]، وهي إضافة تحمل معنى الشرف والرفعة كذلك.

هذه الخصوصيات تُشعر بفيض من الإيثار والقربى اكتنف المخلوق الجديد، ودلّ بالتالي على أنّ الإنسان قد اكتسب شرفاً رفيعاً بهذه الخصوصية في الخلق، إذ خلقه الله وأعدّه ليكون خليفة له في الأرض.

ج ـ الاصطفاء المعرفي:

لقد أودع الله في ذلك الإنسان قوة عاقلة مدركة، وإرادة حرة، ومقدرة على الاختيار، بينما أودع غيره غرائز توجهها إلى ما يلائم طبيعتها، كما أعطاه الله فطرة وعقلاً يهتدي بهما في حياته.

ولقد أشار الله تعالى إلى ما أمدّ الله به الإنسان من علم عندما قال: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾**، وكان الرد من رب

(١) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص١٨ ـ ٢٥.
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب: بدء السلام. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، جـ ٥ ص٤٩٢.
(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة من طريق أبي يوسف عن أبي هريرة. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، جـ ٥ ص٤٩٢.
(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، جـ ١٢ ص٢٦٣.

العالمين: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، ولكي يروا أنّ هذا المخلوق فعلاً خيرٌ منهم وضعهم الله في مقام الامتحان، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2]، وفي ذلك بيان ما أودع الله في كيان آدم من قوى إدراكية يستطيع بها التعرُّف إلى حقائق الأشياء[3].

وإمكانية القراءة تعزز تكريم الله لهذا المخلوق، فقد قرن الله تعالى القراءة بكرمه في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾﴾[4]، ولقد أعزّ الله المسلمين انطلاقاً بكلمة «اقرأ»، فنالوا مكانة عظيمة في الأرض بالقراءة والكتابة والعلم، وكان اليونان قبلهم أكثر الناس قراءة وكتابة أيام حضارتهم، ولا يزال نتاج فلاسفتهم وحكمائهم يشهد على تلك الحضارة التي بنوها بالعلم، ونرى الآن أن الذين يسودون العالم هم أكثر الناس قراءة وطلباً للعلم، حتى اضطر توينبي أن يقرر: «إنّ ارتفاع نسبة قراءة الكلمة المطبوعة هو الأساس الحضاري لتصنيف البلدان في العالم إلى دول متخلفة أو نامية أو متقدمة»[5].

٣ ـ تكريم الجنس الإنساني:

إنّ ما استعرضت من تكريم لهذا الإنسان هو تكريم الله لجنسه بشكل عام، ذلك أنّ هذا المخلوق مكرّم بذاته، لكن من هبط من تلك المنزلة التي اختارها الله له إلى منزلة غيره في اتباع الشهوات الحيوانية، إنّما يكون برفضه ذاته هذا التكريم، وانسلاخه عن الفطرة التي أودعه الله، فينسلخ حينها عن إنسانيته التي كرّمه الله لأجلها.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٢) سورة البقرة: الآيات ٣١ ـ ٣٣.
(٣) عبد الكريم الخطيب، المسلمون ورسالتهم في الحياة، مرجع سابق، ص٩ ـ ١١.
(٤) سورة العلق: الآية ٣.
(٥) جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص٢٤ ـ ٢٧.

يقول سيد قطب: «فإن للجنس البشري كله كرامته التي لا تستذل، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1]، كرّمناهم بجنسهم لا بأشخاصهم، ولا بعناصرهم، ولا بقبائلهم، فالكرامة للجميع على سبيل المساواة المطلقة»[2].

٤ ـ الأثر التربوي لعقيدة التكريم:

إنّ عقيدة التكريم عظيمة الأثر التربوي في نفس الإنسان، ذلك أنّه حينما يعيها حق الوعي ستتغيّر نظرته نحو نفسه أولاً، ومن ثمّ نحو موقفه من الكون والحياة، إنّ من يؤمن بأنّه الكائن المكرّم، وبما خُصّ به من وجوه العزة والرفعة آنفة الذكر يشعر بصلة أقوى بالله تعالى، كما يشعر بالقوة التي وهبه الله إياها، فتُنزع منه دواعي الانهزام والوهن، ويتولّد فيه العزم على أن يكون على قدر المقام الذي وُضع فيه.

لذلك إنّ لعقيدة التكريم هذه أثراً تربوياً كبيراً على شخصيته إذا تمثّلت به فعلاً، فإنّ فعاليته في تعامله مع الكون وعمارته للحياة رهينة فهمه الواعي لهذا التكريم، وهذا عكسه الانهزام النفسي الذي يعطّل دوافع الحركة والإبداع في أي حضارة كانت، ولعل الأمة الإسلامية اليوم تعيش أهم عوامل إعاقتها عن التحضُّر وحمل أمانة الاستخلاف بسبب شعورها بالمغلوبية والدّون إزاء الآخرين من أهل الحضارة الغربية، وأنّى لمهزوم من داخله أن ينطلق في حركة أرادها الله له من تعمير للكون والحياة؟ ذلك الشعور بأنّه ذو رسالة ربانية، وأنّه متحرر من كل هيمنة سوى هيمنة الله يجعله يقبل على الله، فيباشر في عملية خلافة الله في أرضه[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٣) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص٥٢ ـ ٥٤.

خلاصة المبحث الأوّل

أهم ما خلصنا إليه في هذا المبحث الآتي:

١ ـ إنّ ثمة حاجة نفسية ومطلباً بشرياً ملحّاً تناولته البشرية في تاريخها، وهو إيجاد الإنسان معنىً لحياته، ولأي غرض يعيش له، ولماذا وُجد وإلى أين وجهته؟!

٢ ـ برغم تقدُّم البشرية في مجالات العلوم وأبواب المعرفة، إلّا أنّ جهل الإنسان بنفسه لا يزال مطبقاً، ولقد تخبّطت المذاهب والفلسفات في كُنْه الإنسان في هذا الوجود عندما بنت تصورها على أساس مغاير لحقيقته، وإنّ إدراك حقيقة الإنسان مصدره خالق الإنسان وخالق الوجود، بغير ذلك سيبقى ضائعاً في غفلته.

٣ ـ إنّ الإنسان اليوم يعيش حياة الغفلة، ولا بد من إعادة بناء كيانه ابتداءً من الغاية من وجوده ومركزه من الكون ودوره في الحياة. وإنّ أكبر التحديات الحاضرة إعادة تشكيل عقيدة المسلم لكي يدرك من جديد رسالته في الحياة.

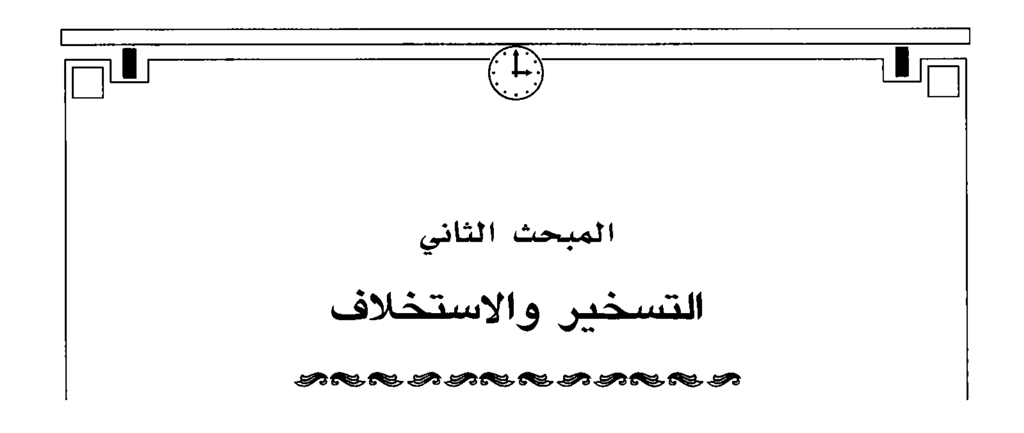
٤ ـ لقد خلق الله الإنسان وجعل له تصوراً واضحاً نحو الكون والحياة، وجعل له منهجاً ودوراً عظيماً في هذا الوجود، لكنّ المدنية الغربية قد هبطت بقدره فصرفته إلى مجرد الانغماس في إشباع شهواته المادية إلى درجة البهيمية.

٥ ـ الإنسان في التصوُّر الإسلامي له حياة أكبر من مجرد السنين التي يقضيها قبل الموت، والحياة الدنيا ليست سوى مرحلة من رحلاته الحياتية، وإنّ امتداد حياته إلى ما بعد الموت شرف ومنة خُصّ بها

الإنسان دون سواه، وفي ذلك إعلاء لوجوده، حيث إنّ انتفاء العدم في حقه تكريم له، فلم يقصره على الوجود الفاني فبشّره بالخلود.

٦ ـ لقد كرّم الله الإنسان لجنسه، فتولى بنفسه خلق آدم تعظيماً له، وجعله على أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه تشريفاً له، وأودعه قوة عاقلة مدركة، ووهبه إرادة حرة ومقدرة على استيعاب أبواب المعرفة والانتفاع بالسنن الكونية، لذلك جعل الله خلق الإنسان الحدث العظيم في تاريخ الخلق، فأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لقدره، فشرُف من دان له بالسجود، ولُعن من أبى واستكبر.

٧ ـ قصة خلق الإنسان تشير إلى أنّ الله خلقه ليكرمه لا ليهينه، وليرفع قدره وليعلي منزلته في العالمين، وأهّله لخلافته وأعطاه فطرة وعقلاً يهتدي بهما. لكن فريقاً من هذا المخلوق أبى إلّا أن يهبط من تلك المنزلة التي اختارها الله له إلى منزلة من دونه، فطمس معالم الفطرة من نفسه، وطرح رسالته التي خُلق من أجلها، فانسلخ عن إنسانيته، واستحق بذلك لعنة الله بعد أن أعزّه، فجعل مصيره إلى جهنّم.



المبحث الثاني

التسخير والاستخلاف

مقدمة المبحث الثاني

تناولت في المبحث الأوّل ماهية الوجود الإنساني، مستعرضاً قصة خلقه ومسيرة حياته، كما تناولت الحفاوة العظيمة التي اكتنفت هذا المخلوق الجديد، من سجود الملائكة له بعد أن خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه، وكان واضحاً أنّ قصة الخلق تشير إلى أنّ الله أعزّ الإنسان وكرّمه، ورفع من قدره وأعلى منزلته في العالمين، لكن ما دافع هذه الحفاوة التي لم يشاركه فيها مخلوق آخر؟!

هذا ما سأتناوله في هذا المبحث مستعرضاً الغاية من الوجود الإنساني، وماهية الاستخلاف، وسيادة الإنسان في الكون وتسخير ما فيه له، ومن ثمّ سأتناول حقيقة العبودية التي خُلق الإنسان لها بمفهومها الشامل.

تمهيد:

الغاية من الخلق

مهما طال عمر الفرد فحياته إلى ضياع إن لم يعلم الغاية التي من أجلها خُلق، ولا شك أنّ العاقل يدرك بداهةً أنّه يستحيل أن يكون هذا الكون بقوانينه المُحكمة قد وُجد عبثاً دونما غاية أو مقصد. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[2].

لقد بيّن الله الغاية التي من أجلها خلق الإنسان منذ إعلامه الأوّل بخلق آدم، وكان ذلك قبل خلقه، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[4]. وجاء في الحديث الشريف: «إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون»[5].

المطلب الأول: التسخير الكوني للإنسان

لقد خلق الحق جل وعلا الكون وأعدّه لعباده للقيام بوظيفتهم الأساسية وهي العبادة، ولهذا التسخير أركان ثلاثة: الله الخالق المطلق،

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٥.

(٥) رواه مسلم، كتاب الدقاق، باب: أكثر أهل الجنة فقراء (٢٧٤٢).

والله المالك المطلق، والله المسخِّر المطلق، وطبيعي أن يكون خالق الشيء مالكه والمتصرف فيه، فهو المسخِّر المطلق[1]. فالكون وما فيه مسخر ومذلل لخدمة العباد. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[4].

يقول سيد قطب: «الإنسان في التصور الإسلامي هو سيد هذه الأرض، بخلافته فيها عن الله، وكل ما فيها مسخر له، بقدرة الله تعالى، وقد أوتي إمكان العلم بشؤونها هبة من الله سبحانه، والاستمتاع بطيباتها وجمالها نعمة منه خالصة، وليست الأرض وحدها. وكل ما فيها من أحياء وأشياء، ولكن كذلك السموات مهيأة لمساعدة الإنسان في خلافته في الأرض، ومراعىً في بنائها دور الإنسان في هذه الخلافة، إنه أمر عظيم هائل، ولكنه كذلك!!»[5].

ومن هذا التسخير تسخير موارد الطبيعة ووضعها تحت تصرف عباده، وذلك للانتفاع بها في قيامهم بمهمة الاستخلاف، فينتفع بخيراتها ليؤدي الرسالة التي استخلفه الله من أجلها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ

(١) فاضل عباس الحسب، ظاهرة الاغتراب في ضوء المرتكزات الفكرية للاقتصاد الإسلامي، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١م.
(٢) سورة الملك: الآية ١٥.
(٣) سورة لقمان: الآية ٢٠.
(٤) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٣، ٣٤.
(٥) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص٤٤.

مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾[1]. والتسخير في هذه الآيات فيه معنى القهر والإذلال والانقياد والتهيئة لما يراد من الانتفاع بتلك المخلوقات.

ولقد سخّر الله للإنسان المخلوقات: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[3]، إلى العديد من الآيات التي تكشف عمّا تفضّل الله به على الإنسان من تسخير المخلوقات له، جمادها ونباتها وحيوانها لتكون تحت إرادته وسلطته.

لذلك قال بعض العلماء: إنَّ الكون لم يوجد إلّا من أجل الإنسان، فهو قد أُعِدّ لاستقباله، واستمرار وجوده تبعاً لذلك رهين الوجود الإنساني[4]. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[6].

وفي تسخير الكون للإنسان يقول ابن رشد: «إنّ جميع الموجودات التي ههنا موافقةٌ لوجود الإنسان، وهذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل

---

(١) سورة النحل: الآية ١٤.

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) سورة النحل: الآيات ٥ ـ ٨.

(٤) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص٦٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٩.

(٦) سورة الجاثية: الآية ١٣.

قاصدٍ لذلك مُريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق، فأما كونها موافقة لوجود الإنسان فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه أيضاً وهو الأرض. وكذلك تظهر أيضاً موافقةُ كثيرٍ من الحيوان له، والنّبات والجماد، وجزئيات كثيرة مثل الأمطار والأنهار والبحار، وبالجملة الأرض والماء والنّار والهواء»[1].

وقد عقد الراغب الأصبهاني في كتابه «تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين» فصلاً بعنوان «في كون الإنسان هو المقصود من العالم وإيجاد ما عداه لأجله» بيّن فيه أنّ الموجودات كلّها وجدت من أجل الإنسان أصلاً، وهي مصنوعة بحسب نفعه، ومما قال: «المقصود من العالم وإيجاده شيئاً بعد شيء هو أن يوجد الإنسان، فالغرض من الأركان أن يحصل منها النبات، ومن النبات أن تحصل الحيوانات، ومن الحيوانات أن تحصل الأجسام البشرية، ومن الأجسام البشرية أن تحصل منها الأرواح النّاطقة، ومن الأرواح الناطقة أن تحصل منها خلافة الله تعالى في الأرض»[2].

أصناف التسخير الكوني:

جاء تسخير الكون للإنسان على ثلاثة مقاصد:

١ ـ التسخير لأجل الوجود، وذلك لإمكانية وجود الإنسان وحياته في الكون.

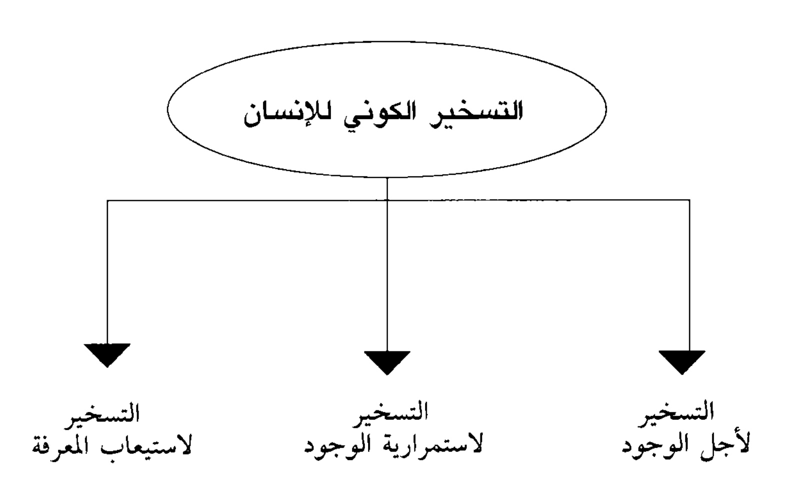
٢ ـ التسخير لاستمرارية الوجود، وذلك في تهيئة كل متطلبات المحافظة على بقاء الإنسان بعد إيجاده في الكون.

---

(١) ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملّة، تحقيق محمود قاسم، القاهرة، الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م، ص١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) الراغب الأصبهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، مرجع سابق، ص١٠٠.

٣ ـ التسخير لاستيعاب المعرفة، وذلك في خلق السنن الكونية وتمكين الإنسان من الانتفاع بها، وهذا حاصل فيما أودع الله الإنسان من قوى إدراكية يستطيع من خلالها استيعاب العلوم والمعارف التي أوجدها في الكون.



أمّا التسخير لأجل الوجود فنجد أنّ البيئة التي يعيش فيها الإنسان خُلقت بهذه المواصفات لغرض أساسي هو إمكانية وجود وحياة الإنسان فيها، فلقد اكتشف العلم الحديث تناسباً عجيباً بين قوانين الكون الكمية والكيفية وبين وجود الإنسان، مثال ذلك: المسافة التي تفصل الأرض عن الشمس، وفي السِّمك المحدّد لقشرة الأرض، وفي النسبة الدقيقة لكمية الأكسجين في الهواء، كل ذلك بنسب وكميات تسمح بالوجود الإنساني على الأرض، ولو زادت أو نقصت بمقادير يسيرة ما كان ذلك الوجود ميسوراً[١].

ولقد ذلّل الله تعالى الكون لخدمة الوجود الإنساني، فجعل الأشياء

(١) كريسي مورسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة صالح الفلكي، بيروت، دار القلم، ١٩٨٦م، ص٦١.

مسخّرة لهذا الإنسان، بحيث يستطيع التعامل معها وتوظيفها في حفظ حياته[1]. ولعل خلق تلك السنن الكونية الثابتة التي هي أساس العلم الحديث هو مظهرٌ من مظاهر التسخير الإلهي[2].

ولقد مكّن الله الإنسان من اكتشاف واستيعاب تلك المعارف ليوظفها في منفعته، وفي ذلك تمكين الإنسان من اكتشاف العلوم في مجالات الطب والفيزياء والكيمياء والهندسة وسائر العلوم، فوظفها في حفظ حياته ومنفعته، فلو لم يخلق الله قانون الجاذبية بشكله الدقيق الثابت، وهو سنّة كونية سخّرها الله للإنسان، لعجز عن بناء الجسور والمنشآت ومعظم وسائل التنقلات، سواء أكانت في الطائرة أم في القطار أم في السيارة، وكل ذلك بلا ريب فيه منفعة للإنسان. وإنّ تلك السنن الكونية الثابتة فيها استمرارية وجود الإنسان، بعدما سخّرها الله مذللة له، بحيث يستطيع بما أودعه الله من قوة استيعابها وتسخيرها للحفاظ على وجوده في هذا الكون حتى يشاء الله خلاف ذلك.

وإنّ استشعار تلك السيادة البشرية على الطبيعة يجعل الإنسان يقدّر مركزه في الوجود، فيعمل على استثمارها للغرض الذي أوجد الإنسان له، بينما ترى عبّاد الوثن يهولهم شأن بعض عناصر أو مظاهر الكون فيتخذونها آلهة كالشمس أو النار.

إنّ تسخير الله الأرض للإنسان واستخلافه فيها يقتضيان انتفاعه بما رزقه الله من خيرات، فأمره بالسعي لتحصيلها ابتغاء من فضل الله. قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3]. لذلك كان السعي في طلب الرزق والعمل في سبيل عمارة الأرض امتثالاً

---

(1) عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٩٢.

(2) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص٧٨ ـ ٧٩.

(3) سورة البقرة: الآية ٦٠.

لأمر الله، والإعراض عن ذلك انحرافاً، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾[1]، فلكي يقوم الإنسان بمسؤولية الاستخلاف اللازمة لعبادة الله، لا بد له أن يأخذ بأسباب بقائه، فينتفع بما سخّره الله له لهذه الغاية، وذلك تبعاً للقاعدة الأصولية: «ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب»[2]. يقول د. فاضل الحسب في ذلك: «ولكي يكون بمقدور الإنسان أن يعبد خالقه جل وعلا، فلا بد له من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، أي لا بد من إيجاد الحاجات الاقتصادية التي تضمن له الاستمرار في مهمته العبادية»[3]، ويضيف: «إنّ التسخير والاستخلاف هما المرتكزات الفكرية لعمل آلية إدارة الاقتصاد الإسلامي، بمعنى أنّ الباري ﷻ قد خلق الموارد المادية وسخّرها للإنسان خليفته في أرضه لغرض توفير المستلزمات المادية المطلوبة لاستمرار الإنسان بعبادته»[4].

لذلك فإن السعي في طلب الرزق والانتفاع بما أنعم الله به على عباده في الكون، ليس غاية في ذاته من منظور إسلامي، بل هو وسيلة ضرورية تقتضيها طبيعة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها. فالإنسان محتاج إلى الطعام والشراب واللباس والمسكن، وهي من قبيل الضرورات التي لا بد منها لاستمراريته. لذلك لا يطلب المال والكسب لمجرد المال، بل لأنه ضرورة حياتية لديمومة استخلافه في الأرض، فإن من مستلزمات الاستخلاف والعبودية لله إيجاد الموارد التي تؤدي حاجة الإنسان، فيعيش للمهمة التي خلقه الله لها.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٢) الأصفهاني، شرح المنهاج في علم الأصول للبيضاوي، الرياض، مكتبة الرشد ط ١، ١٤١٠هـ، جـ ١ ص١٠١ ـ ١٠٢.

(٣) فاضل الحسب، مفهوم العمل في المذهب الاقتصادي الإسلامي، بغداد، كلية العلوم الإسلامية ـ جامعة بغداد، ص٣.

(٤) المرجع السابق، ص٤.

المطلب الثاني: الاستخلاف

لقد بيّن لنا الوحي أنّ الغاية من الخلق استخلاف الإنسان، وهذا يعني أن يُقيم الإنسان أمر الله، ويمثّل منهجه بين خلقه، يقول الإمام الألوسي في معنى الاستخلاف: «ومعنى كونه ـ أي آدم ـ خليفة أنّه خليفة الله تعالى في أرضه، وكذا كل نبي، استخلفهم في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى، ولكن لقصور المستخلف عليه»[1]. وكأنّ الألوسي هنا يشير إلى أنّ الرسل هم خلفاء الله في خلقه، لكنّ ظاهر الإخبار عن الاستخلاف في القرآن أنّه عام للإنسان، وإلى هذا ذهب معظم المفسرين، ونقل القرطبي عن زيد بن علي أنّه ليس المراد ههنا بالخليفة آدم عينه عليه السلام فقط كما يقول بعض المفسرين، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2] فإنهم أرادوا أنّ هذا الجنس من يفعل ذلك، بما علموه من الطبيعة البشرية وأن هذه الآية أصل في نصب إمامٍ وخليفةٍ يُسمع له ويُطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة ولا خلافٌ في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة[3].

وينحو د. فاضل الحسب في بحث الاستخلاف من حيث إنه عام ويُبيّن أن له أركاناً ثلاثة: الله المستخلِف المطلق، والإنسان المستخلَف المطلق، ثم الطبيعة موضوعاً للاستخلاف، ويرى في العمل بشقّيه: العبادي والمعاشي هو الرابط بين التسخير والاستخلاف[4].

---

(١) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، جـ ١ ص٢٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، جـ ١ ص١٨٢.

(٤) فاضل الحسب، ظاهرة الاغتراب في ضوء المرتكزات الفكرية للاقتصاد الإسلامي، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١م.

وقال ابن جرير: «فكأنّ تأويل الآية على هذا: إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي، وإنّ ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأمّا الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه». وعن ابن عباس قال: إنّ أوّل من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، ثم خلق الله آدم فأسكنه إياها، فقاسوا هؤلاء بأولئك[1]، بينما روى السدي عن بعض الصحابة أنّ الله أعلم الملائكة بما تفعله ذرية آدم، لذلك قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، فكان جواب رب العالمين: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي «إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهّاد والأولياء والأبرار والمقرّبون والعلماء العاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالى، المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم»[2].

ولقد أوكل الله إلى ذلك الإنسان عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[3]، أي هو الذي جعلكم عُمّارها وسكّانها، حيث يُقال: أعمرته الأرض واستعمرته، إذا جعلته عامرها وفوّضت إليه عمارتها[4]. يقول سيد قطب رحمه الله: «إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز

(١) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج ١ ص٧١.
(٢) المرجع السابق، ج ١ ص٧١.
(٣) سورة هود: الآية ٦١.
(٤) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج ١٢ ص٨٨.

وخامات، وتسخير هذا كله ـ بإذن الله ـ في المهمة الضخمة التي أوكلها الله إليه»[1].

١ ـ العبودية أساس الاستخلاف:

إنّ أساس استخلاف الله للإنسان العبودية له سبحانه، فالإنسان مستخلف في الأرض للانقياد إلى طاعة الله، وقد دلّ النص الصريح على أنّه خُلق لعبادة الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2]، لذلك كان النداء الأوّل لكل رسول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3]، فكانت رسالة جميع الأنبياء الدعوة إلى عبادة الله، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[5].

هذه العبادة لله وحده هي العهد العظيم الذي أخذه الله على بني آدم قبل خلقهم، وسجّله في فطرتهم البشرية، وغرسه في طبائعهم، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾[6]، فلا عجب أن يكون المقصد الأعظم من بعثة النبيين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدسة، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة ليقوموا بعبادة الله[7].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١ ص٥٦.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٩.
(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.
(٧) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٢ ـ ٢٣.

مفهوم العبادة:

العبادة هي الانقياد لأمر الله وطاعته في شؤون الحياة قاطبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة». ويضيف: «وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله»[1].

ويضيف في رسالته العبودية: «الدين يتضمن معنى الخضوع والذل، يُقال: دنته فدان، أي أذللته فذل، ويُقال: يدين الله ويدين لله، أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له». ويضيف عنصراً وجدانياً في معنى العبادة هو محبة الله، فيقول: «العبادة المأمور بها تتضمّن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى وغاية المحبة له»، ويقول: «من خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحبّ شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له»[2]. وبهذا كنا عباداً لله، ليس عبيداً لله، حيث إنّ الأوّل مصدره العبادة، والآخر يأتي بمعنى الرق[3].

ويرى الأستاذ أبو الأعلى المودودي استناداً إلى الاستعمال اللغوي لمادة «عبد» أن مفهوم العبادة «أن يذعن المرء لعلو أحد وغلبته، ثم ينزل له

---

(١) ابن تيمية، العبودية، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص٣٨.

(٣) محمد رشيد رضا، المنار، تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. نقلاً عن يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص٢٩.

عن حريته واستقلاله، ويترك إزاءه كل مقاومة وعصيان وينقاد له انقياداً»[1].

والعبادة بمعناها الخاص تذكّر الإنسان بخالقه وبموقعه من الوجود، ذلك أنّ الإنسان فطر على الإقبال على العاجل من اللذات والقريب من المنافع، إضافة إلى أنّه ينسى ويحتاج إلى التذكير والتنبيه والتوجيه، فالعبادة تربطه بالله وتذكره بأنّه مفتقرٌ بشكل مستمر لرب هذا الوجود من حوله، فهي «الوسيلة لإحداث مثل هذا الوعي، وهي الكفيلة بتوليد هذا الشعور، ذلك لأنها هي التي تربط الإنسان بالله، وتجعله يتجاوز روابطه الأخرى، رابطته بلذاته الشخصية القريبة، ورابطته بعواطفه التي تربطه بأهله وأولاده، ورابطته بمجتمعه وبني جنسه، ورابطته بالبشرية بالأرض وما فيها، يقفز ويتجاوز هذه الحلقات حتى يصل في آخر الشوط إلى رابطته العليا المحيطة بكل تلك الروابط، وهي رابطته بالله الخالق الآمر المقدر»[2].

لذلك قال رسول الله ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همّه فليس من الله في شيء»[3]، تنبيهاً إلى أنّ حصر الهمّ فيما يشبع الشهوة المادية إنما هو هبوط لذات الإنسان من المنزلة التي أرادها الله له.

يقول د. عبد المجيد النجّار: «فإذا ما كان الهدف المقصود هو الله كان استشعار الرّفعة إزاء ما سواه من الموجودات على قدر سموّ هذا الهدف، وكان الاستعلاء على المعيقات المثبطة يستمدّ من بُعد الهدف وعظمته، فلا يكون مع ذلك مجال لخضوعٍ ومذلّةٍ لشهوة جامحة، أو مظهرٍ من مظاهر الطبيعة العاتية. إنّ الإنسان في صلاته ـ وهي رأس العبادات ـ

---

(١) أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن، نقلاً عن المرجع السابق، ص٢٨.

(٢) مصطفى ديب البغا، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص١٢٠.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، حديث رقم ٧٨٨٩، ج ٤ ص٣١٧. وقال الذهبي: «وأحسب الخبر موضوعاً»، وأقرّه الألباني في «الضعيفة» (٣٠٩).

يشعر أنّه متجه إلى المطلق، ومتجاوزٌ لقيود الزمان والمكان، مهيمن عليهما بما استشرف من عظمة المقصود بالعبادة، فيحصل له بذلك شعور بالعلو والسمو، وإحساس بتفوُّق الذات في المحيط الكوني... وهذا المعنى أيضاً هو الذي يستشعره الإنسان لمّا يُقبل على الموت مختاراً متجاوزاً كل ما في الحياة من أهداف قريبة في سبيل أن يصل إلى الهدف البعيد الذي هو لقاء الله بالشهادة»[1].

وهذه «العبادة هي التي تجعل العقيدة الإسلامية ـ أو التصور الإسلامي للوجود ـ حية في النفس، وتنقِّلها من حيّز الفكر المجرد إلى حيّز القلب الذي يحس ويشعر، فتجعلها بذلك قوة دافعة، لها حراراتها ولها نورها المنعكس على الأعضاء سلوكاً وعملاً»[2]. وبهذه العبادة يستكمل الإنسان إنسانيته، يقول الراغب الأصبهاني: «فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها خُلق، فمن قام بالعبادة حقّ القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية»[3]. وإنّ من انسلخ عن إنسانيته وطمس معالم الفطرة من نفسه كان أشبه بالميت أو الشبح لإنسان بلا روح، حيث أطفأ ما أمده الله تعالى به من نور، كما وصفهم الله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[4].

٢ ـ العبادة تسع الحياة كلها:

هذا ما عنون له الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه «العبادة في الإسلام»، حيث بسط معنى العبادة لتشمل الحياة كلها، فقال: «عبادة الله

---

(١) عبد المجيد النجّار، قيمة الإنسان، مرجع سابق، ص٣٤ ـ ٣٦.

(٢) مصطفى ديب البغا، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٣) الراغب الأصبهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، مرجع سابق، ص١٥١.

(٤) سورة النحل: الآية ٢١.

تسع الحياة كلها، وتنظم أمورها قاطبة، من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة وسياسة الحكم، وسياسة المال وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب»[1]، وقال: «ليس بعابد لله إذن من قال: أصلي وأصوم وأحج، ولكنني حر في أكل لحم الخنزير، أو شرب الخمر، أو أكل الربا... ليس بعابد لله من أدى الشعائر، ولكنه لم يخضع لآداب الإسلام وتقاليده في نفسه أو أهله، كالرجل الذي يلبس الحرير الخالص ويتحلى بالذهب»[2]. والأعمال الاجتماعية النافعة لعباد الله عبادة، «إن كل عمل اجتماعي نافع يعده الإسلام عبادة من أفضل العبادات، ما دام قصد فاعله الخير لا تصيّد الثناء، واكتساب السمعة الزائفة عند الناس، كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون، أو يخفف به كربة مكروب، أو يضمّد به جراح منكوب، أو يسد به رمق محروم، أو يشد به أزر مظلوم، أو يقيل به عثرة مغلوب، أو يقضي به دين غارم مثقل، أو يأخذ بيد فقير متعفّف ذي عيال، أو يهدي حائراً، أو يعلّم جاهلاً، أو يؤوي غريباً، أو يدفع شراً عن مخلوق، أو أذى عن طريق، أو يسوق نفعاً إلى ذي كبد رطبة - فهو عبادة وقربة إلى الله إذا صحت فيه النية»[3].

بل تشمل العبادة أمراً هاماً في حياة الناس المادية، وهو الأخذ بالأسباب ومراعاة السنن التي أقام الله عليها الكون، قال شيخ الإسلام في رسالته العبودية: «فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة»[4].

يقول د. محمد علي الهاشمي: «وعبادة الله تتمثل في كل حركة من حركات الإنسان الإيجابية البنّاءة لإعمار الكون، وتحقيق كلمة الله في

---

(١) يوسف القرضاوي: العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص٥١.
(٢) المرجع السابق، ص٥٤.
(٣) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص٥٦.
(٤) ابن تيمية، العبودية، مرجع سابق، ص٧٣.

الأرض، وتطبيق منهجه في الحياة، كما تتمثل في شعور العبودية لله الواحد القهار، يستقر في ضمير المسلم، ويكون منطلقه في أعماله كلها.. وإن المسلم الصادق ليشعر أن عبادته تبقى ناقصة، إذا هو لم يبذل جهده لتحقيق الهدف الكبير الذي خلق الله الجن والإنس من أجله، ألا وهو إعلاء كلمة الله في الأرض، الذي به وحده تتحقق عبادة البشر له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1]، وبه وحده يتحقق معنى «لا إله إلا الله محمد رسول الله» في واقع الحياة»[2].

ولقد جعل الله حياة الإنسان كلها عبادة، إنها «عبادة يجتمع فيها كيانه كله، جسده وعقله وروحه، وجعل كل نشاط جسده عبادة، وكل نشاط روحه عبادة، إذا توجه بذلك كله إلى الله، والتزم فيه بما أنزل الله»[3]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾[4].

ولقد جاءت السنّة المطهّرة لتجعل الأعمال الدنيوية التي يقوم بها الإنسان لمعاشه والسعي على نفسه وأهله من أبواب العبادة والقربات إلى الله، وإن لم يتعد نفعها دائرته الشخصية والأسرية؛ فالمزارع في حقله، والعامل في مصنعه، والتاجر في متجره، والموظّف في مكتبه، وكل ذي حرفة في حرفته، يستطيع أن يجعل من عمله المعاشي نشاطاً تعبدياً ينال به رضوان الله، وذلك إذا التزم فيه الشروط الآتية[5]:

١ ـ أن يكون العمل مشروعاً في نظر الإسلام.

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص٢٩.

(٣) محمد قطب، واقعنا المعاصر، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م، ص١٤٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

(٥) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مرجع سابق، ص٦١ ـ ٦٢.

٢ ـ أن تصحبه النية الصالحة، كنية إعفاف نفسه، وإغناء أسرته، ونفع أمته، وعمارة الأرض.

٣ ـ أن يؤدي العمل بإتقان وإحسان كما جاء في الحديث: «إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[1].

٤ ـ أن يلتزم فيه حدود الله فلا يظلم ولا يخون، ولا يغش ولا يجور على حق غيره.

٥ ـ ألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية.

يقول الكاتب النمساوي الذي اعتنق الإسلام محمد أسد في بيان مزية العبادة في الإسلام: «إنّ موقف الإسلام في هذا الصدد لا يحتمل التأويل، إنّه يعلمنا أولاً: أنّ عبادة الله الدائمة، والمتمثلة في أعمال الحياة الإنسانية المتعددة جميعها، هي معنى الحياة نفسها، ويعلمنا ثانياً: أنّ بلوغ هذا المقصد يظل مستحيلاً ما دمنا نقسّم حياتنا قسمين اثنين: حياتنا الروحية، وحياتنا المادية.. يجب أن تقترن هاتان الحياتان في وعينا وفي أعمالنا، لنكوّن كلاّ واحداً متّسقاً»[2].

فالحياة من منظور الإسلام منهج عبادة، والعبادة ليست قاصرة على مناسك التعبد المعروفة من صلاة وصيام وزكاة وسائر الشعائر التعبدية، حيث هي مجرد وقفات يتزود فيها العبد ليتابع المسير، فلقد عهد الله إلينا أن تكون الحياة كلها محراباً لعبادة الله وإقامة دينه بين الخلق بحسب المنهج الرباني الذي ارتضاه.

وإن ما شُرّع للعباد من منهج تعبدي حياتي كان لصلاح حالهم وفلاح

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان (الخامس والثلاثون) باب: في الأمانات، حديث رقم ٥٣١٣.

(٢) سيد قطب، خصائص التصوُّر الإسلامي ومقوماته، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٩٧٨م، ص١٢٩.

مآلهم، وفيه ترشيدهم وهدايتهم، وإنّ هذا المنهج الرباني يحمل قواعد إلهية بعث بها الرسل لترشد الناس إلى الحق في الاعتقاد وإلى الخير في السلوك والمعاملة، وإنّ الخضوع لها أمراً ونهياً يحصِّل لهم سعادة الدنيا والآخرة.

٣ ـ الأمانة المضيّعة:

إذن لقد خلق الله الإنسان وأعزّه وفضّله على غيره ممن خلق، فجعله مستخلفاً في أرض الله، وذلك لعمارة الأرض وإقامة الدين، ولقد سخَّر الله له الكون وأودعه ما يؤهله ليكون خليفة الله، فوهبه القدرات الجسدية والعقلية والروحية ليحمل هذه المسؤولية، تلك الأمانة العظيمة الثقيلة التي عجزت السماوات والأرض على حملها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[1]، ولقد قيل: إنّ خاتمة هذه الآية فيها مدحٌ وذمٌّ معاً، أو مدحٌ بصورة الذمّ، هو مدحٌ لإقدامه وذمٌّ لإحجامه، مدحٌ لمن حمل الأمانة وأدّى حقها، وذمٌّ لمن لم يؤدِّ حقها[2].

وقد وضّحت الدكتورة عائشة عبد الرحمن معنى الأمانة في قولها: «أفلا تكون هذه الأمانة هي الابتلاء بتبعة التكليف وحرية الإرادة ومسؤولية الاختيار؟ بلى! فكلّ الكائنات عدا الإنسان مسيّرة بمقتضى سنن كونية على وجه التسخير والامتثال دون تحمُّل لتبعة ما تعمل»[3]. ومن هنا كان الإنسان بعقله وإرادته محلاً للتكليف، لذلك من فقدهما كالصبي والمجنون لم يكن أهلاً لحمل أمانة التكليف، ولا محلاً للحساب والجزاء.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٢) عبد الكريم الخطيب، المسلمون ورسالتهم في الحياة، مرجع سابق، ص١٥.

(٣) عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م، ص٦٤.

لكن المسلم اليوم منشغل في طلب ما سخّره الله وكأنها الغاية من خلقه، لذلك عليه ألّا تذهله مطالب الحياة عن واهب الحياة، عليه ألّا تشغله حقوق العباد عن حق الله، وألّا يشغله معاشه عن رسالته التي خُلق من أجلها، وألّا ينسى الله فينسى حقيقة نفسه والغاية من وجوده.

ويبدو حال المسلم اليوم أنّه تحوّل «عبر القرون إلى إنسان عادي غير مؤهل للرقي بنفسه وبالناس من حوله، فتحولت الأمة إلى العيش على جانب الطريق، تنظر في السائرين ولا تشارك في المسير بعد أن كانت تقود القافلة، فتصدى لقيادة ركب البشرية حينئذٍ الغرب، وهم أمة جاهلة بوظيفة الإنسان ودوره المناط به في الحياة، جاهلة بحقيقة هذا الكون والعلاقات القائمة بينه وبدايته ونهايته وغاية وجوده، جاهلة بعالم الغيب وما فيه، فأصبحت أمة تقود جانباً من الإنسان على حساب الجانب الآخر، وتنظر إليه بعين واحدة، فضلّت وأضلّت»[1].



(١) مالك بن نبَيّ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ص٤٨.

خلاصة المبحث الثاني

أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ لم يوجد الإنسان دونما مقصد، ولم يكن خلقه ضرباً من العبث، بل جاء خلقه بكل تلك الحفاوة والتكريم ليكون خليفة الله في أرضه، وليحمل رسالة ربانية عجزت السموات والأرض عن حملها.

٢ ـ لقد خُلق الإنسان سيداً في الأرض، بعد أن تولى الله بيديه خلقه ونفخ فيه من روحه تشريفاً له، فسخّر له الكون وما فيه من موارد الطبيعة وسائر المخلوقات، فجعل النبات والحيوان والجماد خدمةً لوجوده، كما أودع فيه قدرات جسدية وروحية وعقلية، وجعل له إرادة حرة، فكانت مشيئة الله أن تُسلَّم لهذا الكائن زمام الأرض وتُوَكَّل إليه عمارتها، ذلك ليقوم بمسؤولية الخلافة، وهي الانقياد التام إلى منهج الله في الحياة، وتنفيذ أمره بين الناس على وجه يكمّل إنسانية هذا الإنسان.

٣ ـ لقد ذلّل الله الكون لخدمة الوجود الإنساني، فجعل ما فيه مسخّراً له، وأوجد ما عداه لمنفعته، فجميع الموجودات موافقة لوجوده، كموافقة الليل والنهار، والشمس والقمر، والزمان والمكان، والماء والنار والهواء. ولقد خلق الله سنناً كونية، ومكّن الإنسان من استيعابها والانتفاع منها في مسيرة حياته.

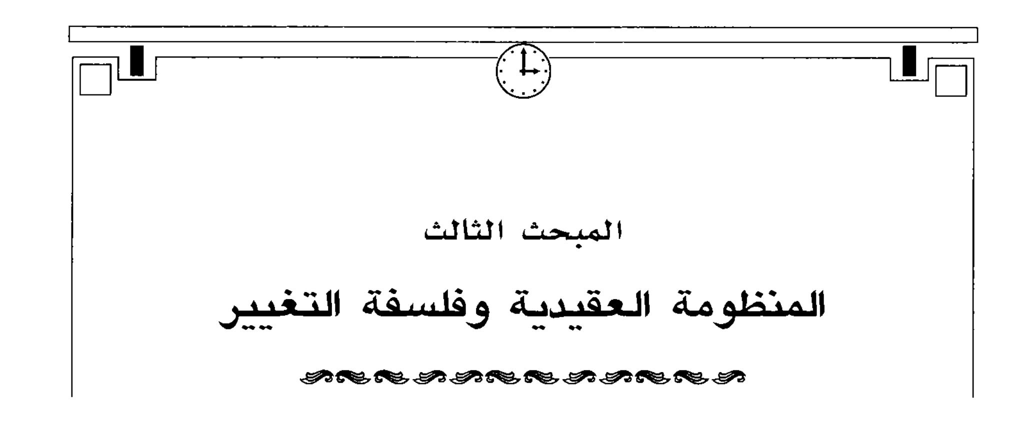
٤ ـ إنّ أساس استخلاف الله للإنسان العبودية له، وهي الإذعان لله والانقياد إليه والخضوع له وحبه، وهي تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه، من عقيدة

صحيحة وشعائر تعبدية وقيم أخلاقية ومعاملات سلوكية، حتى تشمل الحياة كلها.

٥ ـ والعبادة بمعناها الخاص هي المنبّه للإنسان بخالقه حتى لا يقبل على العاجل ويغفل عن الآجل، فهي تربطه بربه وتذكّره بافتقاره إليه، وتولّد لديه شعوراً يتجاوز منافعه ولذّاته الشخصية، لكي يتخطّى كل الروابط الدنيا متصلاً برابطته العليا مع الله.

٦ ـ والعبادة تسع الحياة كلها، منهجاً ينظّم حياة الإنسان، ويرشد طريقه إلى الخير، وبها يُقصد صلاح حاله وفلاح مآله، وبها يحصل له سعادة الدنيا والآخرة، فلا تقسيم للحياة بين الروح والجسد، ولا بين الدنيا والآخرة، فتصبح الحياة والكون مسرحاً لعبادة الله.

٧ ـ والإنسان يستكمل إنسانيته بالعبادة، ويسمو في إنسانيته بقدر عبادته التي خُلق لأجلها، كما أنّه ينسلخ من إنسانيته إذا ما رفضها. وإنّ عزّة الإنسان تكمن في سمو مقصده، فإذا كان مقصده الله استعلى على ما سواه من الموجودات، وكان حقاً سيد الخلق وسيد الكون، وهو يزداد قدراً في سموه على غيره كلما كان همّه الله، وكلما كان حق الله مقدَّماً على ما سواه، وأمّا من حصر همّه في إشباع شهوة واتباع هوى، فقد هبط بذات الإنسان من إنسانية ارتضاها الله له إلى بهيمية كسائر الحيوانات.



المبحث الثالث

المنظومة العقيدية وفلسفة التغيير

مقدمة المبحث الثالث

لقد تناولت في المبحثين الماضيين ماهية الإنسان في هذا الكون، ومسيرته في الحياة، كما تعرضت لتشريف خلقه وتكريمه على سائر الكائنات، ومن ثمّ الغاية من خلقه مستعرضاً قضيتي التسخير والاستخلاف، وأنّ للوجود الإنساني رسالة خلقه الله لها وسخّر له كل ما سواه لتحقيقها، وهي العبودية له واستخلافه في الأرض لعمارتها بمنهج الله.

أمّا في هذا المبحث فإنني سأتناول الأصل الذي لا يقوم بنيان سلوكي بدونه، وهو المنظومة العقيدية وهي مرآة الأفعال، فسأتعرض للعقيدة وأثرها في بناء رسالة الإنسان في الحياة وتصوره نحو الوجود، وسأتناول أثر العقيدة على السلوك البشري.

هذا وإنني سأدرس موضوع فلسفة التغيير، تغيير الفرد وتغيير الواقع الجماعي للأمة، مستعرضاً واقع الانفصام في الشخصية الذي يعيشه المسلم اليوم، وضرورة التجديد في بناء رسالته ومفاهيمه وأفكاره، بحسب المنظومة العقيدية التي يجب أن تعكس واقعه.

المطلب الأول: العقيدة منشأ القيادة الذاتية

إنّ العقيدة في الإطار اللغوي تعني العهد المؤكد[1]، فهي عهد مؤكد بين العبد وربه على الإيمان والاستسلام المطلق لشرعه، وإنّ العقيدة الإسلامية جاءت لصياغة الإنسان كما أراده الله، فنرى أنّه «من أهم العناصر المشكّلة لحقيقة الماهية الإنسانية المشتركة في النوع هو الشهادة بوحدانية الله تعالى، فكما أنّ الإنسان إنما تنعقد حقيقة الإنسان فيه بعواطفه وغرائزه وبعقله ورويّته، فإنها تنعقد قبل ذلك بما أودع في فطرته من علم بربّه واعتراف بوحدانيته، فذلك أمر مطبوع فيه كما طُبعت سائر خصائصه الجِبِلِّيَّة فيه»[2]، وليست هذه الوحدانية مجرد الإيمان بأنّ الله هو الخالق ورب السموات والأرض، حيث آمن بذلك مشركو العرب كما بيّن كتاب الله، لكنّها تتضمّن الإيمان بأنّ الله حاكمٌ ومشرعٌ في حياتهم، فيكون له الأمر والحكم في شؤونهم الخاصة أيضاً، وهذا الإيمان بلا شك له تأثيره العظيم في توجيه الإنسان لدفة حياته، وبهذا يحقق الإنسان معنى التوحيد بشكل كامل.

وإنّ المنظومة العقيدية لأي فرد هي التي تبلور شخصية القيادة، أو ما يسمى بالقيادة الذاتية، فتجعله يدرك بوضوح رسالته، وتجعل له تصوراً واضحاً حول موقعه في هذا الوجود ودوره في هذه الحياة، وهذه الرسالة تبني كيانه فتكوِّن له قيماً أساسية تسيِّر سلوكياته اليومية، لذلك نقول: إن السبيل إلى القيادة الذاتية الراشدة هو العقيدة الصحيحة.

فإذا كانت العقيدة هي مصدر تكوين رسالة الفرد في حياته، فطبيعي أن توفّر هذه الرسالة قيماً تحكم حياته، وأولويات عامة توجهه، ومثلاً عليا ترشّد طريقه، إنها تجعل طاقته ووقته مُسَخَّرَيْنِ لخدمة ما يؤمن به، وإن صلابة تلك القيم والمبادئ والثبات عليها تمثل قوة عظيمة في شخصية

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان اللسان، تهذيب علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مادة «عقد»، جـ ٢ ص٢٠١.

(٢) عبد المجيد النجّار، مبدأ الإنسان، مرجع سابق، ص١٣١.

صاحبها، و«ليست قوة الأمم بكثرة أفرادها، ولكن بمتانة مثلها العليا، ولم يكن العرب المسلمون أكثر من الروم والفرس في الصدر الأول للإسلام، ولكنهم غلبوا الروم والفرس بمبادئهم لا بكثرتهم»[1].

ذلك لأن العقيدة تولد في النفس محركاً دافعاً لهذا الإنسان يقوده بعزم ونشاط نحو ما يؤمن به، إنّها توفّر ما يسمى في علم الإدارة القوة الدافعة أو القوة المحفّزة[2]، إنها تعطي الفرد الزخم اللازم للقيام بما هو شاق مع الثبات عليه بكل عزيمة. قد تكون تلك القوة الدافعة لدى بعض رجال الأعمال مجرد ربح المال بأي طريقة، فيتمحور كل النشاط والعمل حوله، وأحياناً ترى تلك القوة عبارة عن عاطفة جياشة لدى الأمهات للمحافظة على أطفالهن ورعايتهن[3]، ولآخرين تلك القوة هي عقيدة، تولّد لديهم أولويات حياتية ترشد حركتهم اليومية نحو ما أراده الله لهم من رسالة وغاية يعيشون من أجلها.

وما أجمل تصوير هذا المعنى للدكتور عبد العال مكرم حيث يقول: «كما تشرق الشمس فتفجّر بشروقها ينبوع الضوء المسمّى بالنهار، تشرق العقيدة في نفس المسلم، فتولد ينبوع الحياة، الحياة التي ترتفع بالإنسان إلى الملأ الأعلى، لصفاء روحه وإشراق نفسه، وطهارة قلبه. وكما تشتعل النّار في القوة الكامنة في الحطب، تشتعل العقيدة في النفس الهامدة والقلب الجامد، فتلتهب العزائم وتنبعث الحرارة ويدبّ النشاط، والعقيدة هي الطاقة الكبرى التي تحافظ على بناء الإنسان من الانهيار، لأنّ هذه العقيدة تحتفظ في جوهرها بقوة سماوية تخضع الدنيا كلها والحياة بأسرها لسلطانها»[4].

يقول الرافعي: «وبالعقيدة يمشي المسلم في طريق الحياة كأنّه يمشي

---

(١) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص٥١٠.

(٢) Driving Force.

(٣) Banjaman B. Tregoe, and John W. Zimmerman, Top Management Strategy, New York, Simon & Schuster, 1980, P.43.

(٤) عبد العال سالم مَكرَم، أثر العقيدة في بناء الجيل، مرجع سابق، ص٧٥.

إلى الجنة بخطوات مسدّدة لا تزيغ ولا تنحرف، فلا شرٌّ ولا رذيلة، ودنياه هي الدنيا كلها بشمسها وقمرها، يملكها وإن لم يملك منها شيئاً ما دامت في قلبه طبيعة السرور، فلا فقر ولا غنى مما يشعر النّاس بمعانيه، بل كل ما أمكن فهو غني كامل إذ لم تعد القوة في المادة تزيد بزيادتها وتنقص بنقصها، بل القوة في الروح التي تتصرف بطبيعة الوجود»(١).

المطلب الثاني: نافذة المعتقدات

هذا العنوان عبارة عن ترجمة لتعبير(٢) وضعه هيرم سميث، ممثلاً به مصدر السلوكيات البشرية، ويتلخّص هذا المبدأ بقوله: «ما تقوم به هو انعكاس لما تؤمن به»(٣)، هذا يعني بكل وضوح أن قيمنا المعيشية وأهدافنا الحياتية وسلوكياتنا العملية كلها انعكاس للمعتقدات التي نؤمن بها.

هذا التعبير الاصطلاحي يصوّر الإنسان وكأنّه وراء نافذة معينة، وكيفما نظر تنتقل هذه النافذة معه كأنها معلقة أمامه، وهذا تصوير بياني يشبه الفرد بأنه يرى العالم والحياة من خلال تلك النافذة، وهي تمثل معتقداته وقيمه، وهذا ينطبق على كل إنسان، مسلماً كان أم بوذياً، نصرانياً كان أم ماسونياً، محافظاً كان أم متحرراً.

وكلٌّ يعيش حياته من خلال معتقدات وقيم تبلورت على هذه النافذة، وتلك النافذة تختلف من فرد لآخر، إنّ ما تحمله للإنسان المسلم يختلف عمّا تحمله للشيوعي الذي لا يؤمن بوجود إله ولا دين، ويختلف عمّا تحمله للنصراني الذي يقول: بأن الرب صُلب ليكفّر سيئاتنا، وتختلف عمّا

(١) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثامنة، (د.ت)، جـ ٢ ص٩.

(٢) Belief Window.

(٣) Hyrum W. Smith, The Ten Natural Laws of Successful Time and life Management, New York, Warmer Books, 1994, P.10.

تحمله لليهودي الذي يؤمن بأنه من شعب الله المختار وغيره من أتباع الأديان الأخرى مسخّر له، وتبعاً لمعتقدات هؤلاء تختلف سلوكياتهم في الحياة، فالنصراني لن يرتدع عن فعل الذنوب طالما آمن بأنّ المسيح قُتل تكفيراً لسيئاته، وسيتصرف الشيوعي كما لو أنه ليس بعد الحياة الدنيا حياة، وهكذا.

لذلك حتى نغيّر التصرفات لا بد من تغيير ما نحمل من معتقدات، وإنّه لطالما يحصل خطأ كبير في التركيز على السلوكيات العملية وترك جذورها، ذلك لأنّ العقيدة هي التي تولّد تلك السلوكيات، لذلك قد يكون من الضرورة بمكان إجراء عملية جراحية على نافذة معتقدات شخص ما لاستبدال المعتقدات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة بأصح منها، ومن ثم تبعاً لذلك ستتغيّر السلوكيات التي تأتي نتيجة لها. وإنّ تبني المعتقد السليم والعمل به يجعل الإنسان يعيش حياة يرضى عنها، ذلك أن حالة الخلط بين المعتقدات الصحيحة والمعتقدات الخاطئة ينتج وضعاً صعباً من الإرباك في السلوك العملي.

إن أول خطوة باتجاه حياة سليمة أن نعلم جازمين بأن كل إنسان يحمل ضرورة وطبيعة معتقدات معينة، وبأن بعض المعتقدات والمفاهيم التي يحملها قد تكون خاطئة، فإذا اعتُقد أنّ الرزَّاق ومصدر الرزق هو المتجر فلن يبالي صاحب ذلك الاعتقاد بماذا يتاجر، حراماً كان أم حلالاً، وإذا اعتقد شخص أنه لن ينجح في حياته إلا بحصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة معينة، فسيكون عمله بهذا الاتجاه، وإذا اعتقد أن السفر لأمريكا هو الخلاص الوحيد من ضيق العيش، فسيتمحور جهد صاحب تلك النافذة على كيفية السفر لأمريكا، وأقول باختصار: إنّ أهم خطى النجاح في الدنيا والآخرة يتعلق بتبنّي المعتقدات الصحيحة التي تقود حياتنا نحو أصح الأعمال.

المطلب الثالث: النموذج الواقعي

يبدو أنّ لدى موظفي الدوائر الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية مبدأ تتمحور تصرفاتهم الوظيفية بمجملها حوله، حتى يصبح كالعقيدة الراسخة في أعماقهم، وهو أنه يجب اتباع قوانين اللوائح الداخلية مهما كانت الظروف، وأنّ في ذلك النجاح والفلاح لهم جميعاً، مثال ذلك: أن يدخل فرد للغرفة التجارية بغية تسجيل عضوية شركته ودفع رسم العضوية سريعاً، لكن يبدو أنّ اللوائح الداخلية تقول: يُشرح لأي زائر أهمية العضوية ثم يحث على أن يكون عضواً، فيستقبله موظّف يتصرّف كالآلة قائلاً: «أودّ أن أعرض لك إيجابيات العضوية»، فيرد الآخر: «لا، لدي موعد هام وسأدفع الرسوم وأملأ البيانات وأمضي»، فيصر الموظف قائلاً: «يجب أن أتأكد أنك فهمت تماماً صلاحيات عضويتك»، فيرد عليه: «لديّ خمسُ دقائق، فكم يأخذ هذا العمل؟»، «دقائق» يقول الموظف، ويشرع في شرح ذلك، ثم ينتهي الوقت ويترك رجل الأعمال المكتب بدون أن يشترك في غرفة التجارة! على هذا المثال: قِس الإجراءات الأخرى، وإن وجود صيغة متكررة لتصرف ما يعني وجود اعتقاد أو مبدأ يسببها.

في كتابه الوصول إلى التحكُّم، بيّن روبرت بانّت أن تصرفات الإنسان تتبع نظاماً معيناً أطلق عليه بعض الباحثين «النموذج الواقعي»(١)، ذلك أنّ ذوي المعتقد الواحد يتصرفون كبعضهم البعض، لأنّ تصرفاتنا تأتي تبعاً لاعتقادنا، وهذا متّفق عليه ليصبح قاعدة هامة في علم السلوك البشرية وهي أنّ «المخلوق البشري لا يتصرف بطريقة تتناقض مع معتقداته»(٢).

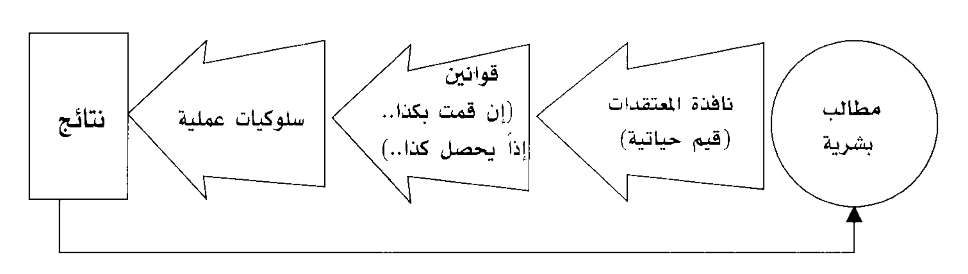
ويشير هذا النموذج إلى أنَّ هنالك مطالب وحاجات بشرية لكل إنسان كحاجته للشعور بقيمته الذاتية، وحاجته إلى العيش بحرية، وحبه للمتعة وما شابه، مما يشكّل له منظومة معتقداته التي تحمل قيماً ومبادئ حياتية. وهذه

---

(١) The Reality Model.

(٢) Robert F. Bennett, Gaining Control, Utah, Franklyn International Institute, 1987, P.12, 54.

المنظومة تجعل تصرفات الفرد تبعاً لقوانين سلوكية معينة، وإنَّ منحى سلوكيات الفرد العملية يشكل له نتائج ما بغض النظر عن إرادته لها، وذلك تبعاً للرسم البياني أدناه.

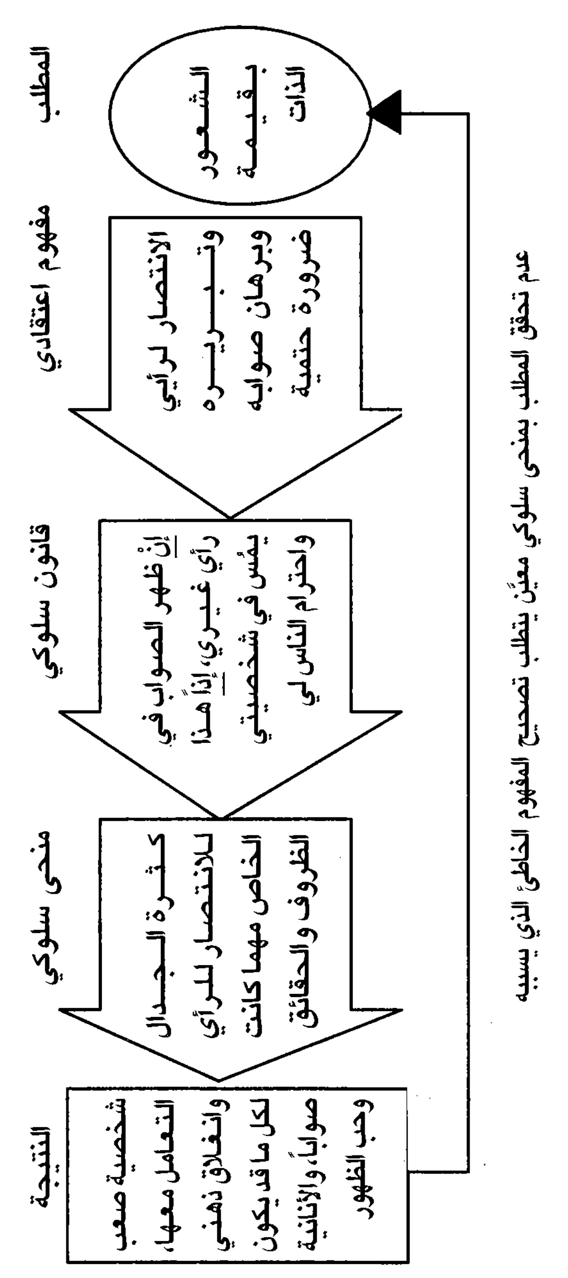


النموذج الواقعي

ومع كوني لا أرى أن مصدر ما تحمله المنظومة العقيدية للفرد هو مجرد مطالب وحاجات بشرية، لأن ذلك يختلف مع ما قررته الشريعة الغراء بهذا الصدد، إلا أنني أوافقه على ما تبع ذلك، وهو أنَّ التصرفات البشرية تأتي تبعاً للمعتقدات والمفاهيم والقيم التي يحملها الفرد في نفسه. ولعل تصويب ما ذكره روبرت بانَّت في ذلك أنَّ كثيراً من التصرفات البشرية تأتي لتحقيق مطالب بشرية معينة، تكون في غالبها نفسية كإشباع شهوة ما، لذلك نرى أنَّ كثيراً من التصرفات الإدمانية كتعاطي المخدرات والمسكرات سببها مطالب بشرية غير محققة، وغالبها في الإطار النفسي. وربما تكون مادية في جوهرها كحب المتعة واللذات التي يشترك فيها الإنسان مع غيره من الكائنات، فهذا ربما يكون صحيحاً، لكن أن نقول: بأن ذلك يشكل معتقدات الفرد، فلا أوافقه على ذلك.

مثال النموذج أعلاه: مطلب الإنسان إلى احترام ذاته وثقته بنفسه، لكن قد يتحوَّل هذا المطلب إلى مجرد حب الذات والأنانية، وذلك يحصل حينما يحمل ذلك الفرد في معتقده مفهوماً مفاده: أن الانتصار للنفس دوماً في أي نقاش والبرهان على أنَّه هو المُصيب في غاية الأهمية، وهذا بدوره يجعل الفرد يتصرف بحسب قانون سلوكي وهو أنَّ ظهور الصواب في رأي غيره يمسه في شخصيته واحترام الناس له، وهذا بدوره يجعل الفرد يسير في سلوكه في منحى يحقق خلاف ذلك، فيكثر الجدل للانتصار لرأيه الخاص بغض النظر عن الظروف والحقائق، وهذا يجعله ذا شخصية

يصعب التعامل معها، كما يصبح منغلقاً ذهنياً أمام كل ما قد يكون فكرة جديدة، ويصاب بالأنانية وحب الظهور مع فقدان احترام الناس له، وهذا ما لا يريده صاحب هذا السلوك، لذلك قيل: بأنَّ عدم تحقق المطلب في منحى سلوك الفرد يعني عدم صواب المفهوم أو المعتقد المسبِّب لذلك السلوك.



ونتيجة لهذه النظرية نستطيع استخلاص بعض القواعد المتعلقة بسلوكيات البشر، منها الآتي[1]:

١ ـ كل فرد لديه معتقدات، لكن ليس بالضرورة أن تكون كلها صحيحة.

٢ ـ إذا علمت معتقدات فرد ما تستطيع توقع منحى تصرفاته ونتائج تلك التصرفات.

٣ ـ لدى كل فرد سيطرة على معتقداته، فباستطاعته تغييرها وتصحيحها.

٤ ـ النمو الذاتي يتعلق بعملية تبني وتغيير المعتقدات والقيم والمفاهيم التي يحملها الإنسان في نفسه.

أما أهمية النموذج أعلاه فتكمن في كيفية استخدامه لتغيير واقع عمليّ ما، فإن كنت غير راضٍ عن نتائج تصرفاتك يمكنك القيام بالآتي:

١ ـ حدّد منحى تصرفاتك بدقة.

٢ ـ اكتشف المعتقد أو المفهوم الخاطئ الذي سبّب تلك التصرفات.

٣ ـ استبدل ذلك المفهوم ببديل صحيح يعطي نتائج تريدها.

مثال ذلك: إن كان لدى شخص ما معتقدٌ مفاده أنّ الخطأ أمر سيء جداً، ويجب أن لا يحصل لأنّه يمثل فشلاً في الحياة فإنّ ذلك يجعله يخشى الوقوع فيه، ولذلك لن يقدم على العمل ولن يغامر في معتركات الحياة، فتصحيح ذلك المبدأ جزء من النمو الطبيعي، وذلك بحسب الآتي:

الخطأ أمر سيء جداً ⟸ لا بأس من الخطأ من وقت لآخر ما دمت تتعلم منه، والخطأ جزء من النمو الطبيعي للإنسان

وإن الأشخاص الذين يفشلون مرة بعد أخرى في مجال ما من حياتهم لا شك في أن هذا التكرار سيعيد نفسه بغض النظر عن الظروف، ذلك لأن هذا الفشل سببه معتقدات خاطئة بحاجة للتعرُّف عليها

---

(١) Robert F. Bennett, Gainning Control, P.84.

وإصلاحها. وحيث إن المعتقدات والقيم أو المبادئ تتحكّم بالتصرفات، إن كنت تستطيع قراءة سيرة التصرفات الشخصية، تستطيع تحديد المبدأ أو المعتقد المسؤول عنها وتستطيع توقُّع التصرفات المستقبلية، وهذا النموذج قد يصبح ما تراه أدناه(١).

تحديد المنحى السلوكي ⟸ تحديد القانون المسؤول عنه ⟸ اكتشاف المفهوم الذي يسببه.

وللاستفادة من هذا النموذج يجب معرفة:

١ ـ كيف أريد أن يكونَ واقِعي؟

٢ ـ ما هي المعتقدات والمفاهيم التي تمنعني من التصرف الصحيح للوصول للواقع الذي أريد؟

٣ ـ كيف يمكنني تبنِّي المعتقدات الصحيحة واستبدال الخاطئة لأصل لما أريد؟

إن عملية كسب وتبنِّي المعتقدات تأتي من خلال مجموعة تجارب شخصية عاشها المرء، ومعارف وعلوم اكتسبها خلال حياته، هذه التجارب والعلوم تولد عنده معتقدات ومفاهيم وقِيَماً، بعضها صحيح وبعضها خاطئ. فالرجل العسكري الذي قضى عشر سنوات في حياة الجندية والجيش يحمل معتقدات خاصة به تجعله يتصرف لحل مشكلة ما بطريقة تختلف عن رجل آخر عمل لمدة عشر سنوات كمخطط إداري، وإن صاحب النظرة المادية البحتة الذي لا يؤمن إلا بما يرى، يختلف بتصرفاته عن ذلك الذي يؤمن بما لا يرى ويشعر بتدبير الله الخفي وراء كل شيء، ومن آمن حقاً بأنّ الموت ينقل الفرد من حياة إلى حياة تعتمد على ما سبقها سيكون سلوكه مختلفاً عمّن لا يؤمن بحياة أخرى بعده.

---

(١) Robert F. Bennett, Gaining Control, P.88.

إن الاكتشافات العلمية التي يعمل العلماء بالتجربة والبحث العلمي للتوصل إليها يعبر عنها بالنظرية، أي قد تكون صحيحة أو خاطئة، وتحتاج أن يُدلّل على صحتها ببراهين قطعية لكي تقبل كقانون علمي، ويجب أن يكون هذا صحيحاً في حياتنا، عندما نقبل احتمال وجود معتقدات ومفاهيم خاطئة نسير عليها في حياتنا نتقدم، عندها يمكننا تسديد الخطى وتصحيح المسير، ذلك لأنّ القائد الحق هو الذي يتعلم من خطئه، فيما أنّ معظم الناس يقومون بالخطأ نفسه مراراً وتكراراً، والخطأ ليس بعيب، وكذا الاعتراف به، بل هذا الأخير فضيلة، لكنّ العيب في عدم الاستفادة منه[١].

عندما اتُّهم تومس أديسون[٢] من قِبَل أحد أصدقائه أن تجاربه وجهوده كلها ضاعت من غير أي تقدم لاكتشاف المصباح الكهربائي، قال له: «لا، إنني تقدمت كثيراً، فقد اكتشفت مئات الطرق التي لم تصلح»[٣]، فأديسون كان دائماً يتقدم عند تجربته لكل مادة وطريقة وإثباته أنها غير صالحة وأنها لا تتحمل الحرارة المتولدة من الكهرباء حتى توصّل للكيفية والنوعية السليمة، وهكذا هي المعتقدات والمفاهيم التي نحملها في أنفسنا، لا بد من التأكُّد من صحتها، وهل تتفَق فعلاً مع المنظومة الإيمانية التي جاء بها الإسلام، والتي نرى أنّ انتماءَنا يجب أن يكون لها؟ أمّا إذا قلنا: بأنّ هذه عقيدتنا وكان الواقع السلوكي يخالف ما يُفترض أن تولّده في أنفسنا، فالخطأ إمّا في عدم قناعتنا التامة بها، أو بتبنّي غيرها لا شعورياً، وذلك يحصل بسبب البيئة وتأثيرات الثقافة الاستعمارية الفكرية والمناهج التربوية.

---

(١) Howard G. Haas, and Bob Tamarkin, The Leader Within, New York, Harpercollins Publishers Inc., First Ed., 1992, P.99.

(٢) Thomas Edison.

(٣) Robert F. Bennett, Gaining Control, P.32.

المطلب الرابع: فقه التغيير

كل منّا يظن أنّه يرى الأمور بموضوعية كما هي، لكنّ الحقيقة خلاف ذلك، فمعظم الأمور نراها بحسب أنفسنا ومن خلال ما تكيّفنا عليه، ومن خلال نافذة المعتقدات التي تشكّلت لنا خلال حياتنا، فالتجارب والخلفيات الماضية والمعتقدات تؤثر على تفسيرنا لما نرى، وكلما كنّا واعين حول هذه التأثيرات كنّا أكثر واقعية نحو ما نواجه من مواقف وأحوال، فنفتح عقولنا وقلوبنا لإدراك الواقع بدقة، حينها نأخذ صورة أوضح وأكثر موضوعية عن ذلك الواقع، مثال ذلك: رجل أهمل أولاده الصغار في القطار فأخذوا يضجون ويلعبون وهو مطأطئ رأسه وكأنه لا يبالي، وتمادى هؤلاء الأولاد في اللعب والضجيج، وهو لا يعطيهم أي اهتمام، فنهره آخر بشدة ناقداً لامبالاته بإزعاج أولاده، فما كان من الرجل إلا أن رفع رأسه وفي عينيه دموع يحاول كبتها قائلاً: عذراً على هذا، فلقد توفيت زوجتي منذ قليل بحادث سيارة، وأبنائي لا يعلمون ذلك بعد، عندها يرى من نهره الأمور بطريقة مختلفة وبنظرة أكثر واقعية، تعدّت القشور الظاهرية لهذا الموقف الصعب، فنفذت إلى مشاعر الحزن والأسى في قلب الرجل، وفي نفس الوقت إلى براءة هؤلاء الأطفال.

١ ـ إنني كما أرى:

أحد الأبعاد البشرية للشخصية الإنسانية تتمثل في عبارة «إنني كما أرى»، هذا يعني ماذا أرى؟ متعلق جداً بمن أكون؟ ومن أنا؟ يقول جيمس آلن[1] وهو أحد الخبراء في حقل السلوك البشري: «إن الإنسان هو صورة حرفية لما يفكر به ويعتقده»[2]. لذلك لا نستطيع أن نخطو خطوات كبيرة

---

(١) James Allen.

(٢) Arthur L. Williams, All You Can Do is All You Can Do, but All You Can Do is Enough!, Nashville, Oliver-Nelson Books, 1988, P.23.

في تغيير رؤيتنا للواقع من غير تغيير أنفسنا، وذلك بتغيير أفكارنا ومفاهيمنا وقيمنا ومعتقداتنا، والعكس صحيح أيضاً.

وإنّ ثمة علاقة بيّنة بين الأفكار وبين المصير، يقول في ذلك فرانك أتلو: «راقب أفكارك فإنها تتحول إلى كلمات، وراقب كلماتك فإنها تصبح أفعالاً، وراقب أفعالك فإنها تتحول إلى عادات، وراقب عاداتك فإنها تصبح طباعاً، وراقب طباعك فإنها ظلال مصيرك»[١].

٢ ـ تغيير رؤيتنا للعالم:

عندما ننظر للعالم من حولنا فإننا ننظر من خلال النافذة أو العدسات التي نراه عبرها، فهذه النافذة هي التي تشكل الصورة التي تفسّر لنا ما نرى، وإذا أردنا تغيير الواقع الذي نعيش يجب تغيير ما في داخل أنفسنا أولاً من معتقدات ومفاهيم خاطئة، ذلك أنّ ما تحمله النافذة يفسّر لنا الأمور من حولنا، وقد أكّدت الدراسات الحديثة المتعلقة بالسلوكيات البشرية ذلك المعنى، فقيل: «قبل أن تغيّر الأمور من حولك، أنت مطالبٌ بتغيير نفسك»[٢]، ويعجبني قول ستيفن كوفي: «ابحث في داخل قلبك باجتهاد وكدّ لأن من داخله تنبع أمور حياتك»[٣]، وهو يعني البحث في المعتقدات التي تؤمن بها، ثم تصحيحها إن كانت خاطئة، وذلك بيِّنٌ في حديث الرسول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[٤]، فالقلب هو مركز المعتقدات، ومحور الصلاح أو الفساد، الذي يظهر في صورة تصرفات الجسد.

---

(١) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢) Arthur L. Williams, All You Can Do is All You Can Do, But All You Can Do is Enough!, P.124.

(٣) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.21.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٢، ورواه مسلم، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم ١٥٩٩.

٣ ـ التغيير من الداخل إلى الخارج:

إنّ تفاعلنا مع ما نواجه من مواقف وأحداث يتعلّق بما في داخل أنفسنا من معتقدات ومفاهيم، وكثير من الفشل والمشاكل التي يعيشها الفرد سببها كيفية تعامله معها، فالمشكلة في كثير من الأحيان تكمن في نظرتنا لها، يقول إنشتاين: «إن المشكلة التي تواجهنا لا يمكن حلها ونحن على نفس مستوى التفكير حينما وقعت»[١]، وهذا المستوى الجديد من التفكير يعني معالجة معتقدات محورية في أنفسنا، حيث يبدأ التغيير من الداخل وينطلق إلى الخارج، مغيراً مما في داخل أنفسنا من المفاهيم التي نحملها في أعماقنا، هذا يعني أن تبدأ أولاً بنفسك وتصلح ما في داخلك، ثم تترجم ذلك إلى عملٍ يتماشى مع ما تؤمن به، لذلك قيل: بأن انتصارك على نفسك يجب أنّ يسبق انتصارك في المجتمع والحياة[٢]. وهذا كله مصداق لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣].

ويرى جودت سعيد بأنّ المراد بما بالأنفس: «الأفكار والمفاهيم والظنون في مجالي الشعور واللاشعور»[٤]، أما سعيد دسوقي حسن فقد رمز لما بالأنفس بـ«عالم الغيب»، وكتب في ذلك يقول: «نحن نفكّر ومن ثم نفعل من خلال الغيبيات السائدة في عالم عقيدتنا الداخلي. وتتكون أية عقيدة من مجموعة من الغيبيات، تستوي في ذلك العقائد الدينية والعقائد المادية. وتقاس صلاحية العقائد بقدر الاتساق الداخلي في مجموعة الغيبيات التي تكوّن العقيدة والاتساق الخارجي فيما يصدر عنها من أفعال. . . والأفعال كما ألمحنا هي مرآة العقيدة، ومن هنا نستطيع الحكم على اضطراب العقيدة

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.42-44.

(٢) Stephen R. Covey, Principle Centered Leadership, New York, Simon & Schuster, First Ed., 1992, P.63.

(٣) سورة الرعد: الآية ١١.

(٤) جودت سعيد، حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص٧٣.

من اضطراب الأفعال، وعلى سلامة العقيدة من سلامة الأفعال»[1].

ولقد انتقد مالك بن نبيّ الحركات الإصلاحية التي تعاملت مع هذه الآية كمجرد شعار، فقال: «لقد أشادت أيضاً الحركات التغييرية التي سبقت في العالم الإسلامي بهذه الآية كشعار، ولكن يبدو أنها لم تضع في هذا الشعار سوى التبرُّك بكلام الله والتفاؤل به، بحيث لم يُكوِّن بيدها في حقيقة الأمر وسيلة تغيير، أو إذا شئنا قلنا: إنها وضعت في الآية الكريمة مجرّد المحتوى الغيبي، حتى يمكننا القول: بأن المفعول الاجتماعي للآية قد عُطّل بهذه الطريقة»[2].

يقول بشير شكيب الجابري في كتابه «القيادة والتغيير» بأنّ المقصود بالتغيير: هو الانتقال من حال إلى حال أفضل كما يراها طالب التغيير، إلى الفعالية بعد العجز وإلى التمكين بعد القوة، فموضوع التغيير هو الحال وكيف يُنتقل إلى حال آخر. وبيّنت الآية الكريمة في شقها الأوّل أنّ المغيّر هو الله سبحانه، وبيّنت الآية في شقها الثاني أنّ شرط حصول التغيير هو أن يتحرك القوم ليغيروا ما بأنفسهم[3].

لنتناول مثلاً كون النجاح في التغيير يجب أن يبدأ من تغيير الواقع الداخلي للإنسان لكي يغيّر الواقع الخارجي، وهو كيفية تعامل المجتمع الإسلامي والمجتمع الأمريكي مع مشكلة الخمر[4]، لقد كان ذلك على مراحل تشريعية ثلاث في حياة الصحابة:

١ ـ نص يختص بإدخال المشكلة في ضمير المجتمع، وهذا يمثّل المرحلة النفسية الأولية، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[5].

---

(١) سيد دسوقي، مقدمات في البحث الحضاري. نقلاً عن بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٢) جودت سعيد، حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، تقديم مالك بن نبي، مرجع سابق، ص٢٢.

(٣) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٤) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٥٣ ـ ٥٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

٢ ـ نص يختص بالحد من تداول الخمر، وهذه مرحلية تدريجية للتخلّص من الإدمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾[١].

٣ ـ وأخيراً نص التحريم الذي يكرّس الحل من الناحية الشرعية، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

وفي المقابل حاول القانون الأمريكي منع الخمر بالقانون، وشمل ذلك طرح الصحافة للمشكلة عام ١٩١٨م، ثم ناقش الدستور الأمريكي المشكلة، وعدّل القانون ليصبح التعامل بالخمر محرّماً عام ١٩١٩م. لكن منذ أربعة عشر قرناً لم يُحدث تحريم الخمر صدمة ضخمة في المجتمع الإسلامي الناشئ، لكنّ القانون الأمريكي أحدث وابلاً من العنف والعقبات والحواجز ما كلّف الحكومة بلايين الدولارات لتطبيقه ولكن لم تنجح، فنتج عن ذلك ردود فعل أكثر سلبية كالتجارة الممنوعة، وتكوين عصابات التهريب، وتسمم الجمهور بخمور مغشوشة، مما أدّى إلى إلغاء القانون عام ١٩٣٣م، وسبب هذا أنّ ذلك المنع لم يكن له جذور نفسية في المجتمع الأمريكي فلم ينجح.

يلخّص مالك بن نبيّ هذا المفهوم بقوله: بأنّ التحولات في الإطار النفسي تقود إلى التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ذلك أنّ العامل النفسي يسبق العوامل الأخرى ويتحكّم بها، لأنّها تُنشئ دافعاً يتحكّم في السلوك[٣].

ولكي يحدث التغيير لا بد من مرحلتين: تغيير القوم وتغيير الله بحسب آية التغيير، ولا بد من أسبقية تغيير الأوّل لكي يحدث الثاني كنتيجة حتمية له بحسب الوعد الإلهي، كما أنّ مجال التغيير الأوّل هو الجماعة أو

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٠.

(٣) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٥٦.

المجتمع، فهي سنّة اجتماعية، لذلك كل ما يحدث بالمجتمع من تغيير في السياسة والنصر والعزة والاقتصاد يتعلّق بهذه السنّة، فهنالك تلازم بين التغييرين، مثال ذلك: الزرع، فإنّ الإنسان يغرس ولكنّ سنّة الإنبات من صنع الله، فالأوّل عمل الإنسان والثاني خلق الله[1]، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾[2].

وهذه سنّة الله تعالى في أنّ تغيير الواقع الأرضي لا يحصل إلّا بتغيير ما بالنفس، قال تعالى في آية أخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3]، يقول جودت سعيد معلقاً على هذه الآية: «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم من النعمة حتى يغيّر القوم ما بأنفسهم من مفاهيم تستدعي وجود هذه النعمة، كما لا يغيّر الله ما بقوم من النقمة حتى يغيّر القوم ما بأنفسهم من مفاهيم تستدعي وجود تلك النقمة، وبناء على هذا إذا نظرنا إلى ما بالمسلمين اليوم في واقع حياتهم ينبغي أن نعلم أنّ ما في واقعهم الأرضي متناسب تماماً مع ما بأنفسهم من مفاهيم وأفكار ونظريات، وأنّ عدم تغيير الله ما بهم متوقّف على عدم تغيير المسلمين لما بأنفسهم»[4].

وثمّة محور آخر في الموضوع، وهو أنّ أثر ما بالنفس يظهر ولو كان ما بالنفس وهماً، فإنّ سلوك الإنسان مترتبٌ على ما بنفسه بغض النظر عن صواب وخطأ ذلك، فقد يقتنع الإنسان بوهم ما فيحدث تغييراً كبيراً في سلوكه، فإنّ الذين يحملون أوهاماً معينة عن عدو ما أو صديق ما تأتي أعمالهم وفقاً لها[5].

لكن مع كون سنّة التغيير هذه تتعلّق بالجماعة إلّا أنّ الخطاب يتعلّق بالمسؤولية الفردية في التغيير الجماعي، بحيث إنّ تغيير معتقدات ومفاهيم

---

(١) جودت سعيد، حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص٩٢ ـ ٩٤.
(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٦٣، ٦٤.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٣.
(٤) جودت سعيد، مذهب ابن آدم الأوَّل، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص١٩٧.
(٥) جودت سعيد، حتى يغيِّروا ما بأنفسهم، مرجع سابق، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

الأفراد يولّد تغيير معتقدات ومفاهيم المجتمع، ومن ثمّ يأتي وعد الله بتغيُّر حال هذا المجتمع.

٤ ـ تغيير ما بالنفس أولاً:

هنالك ترابطٌ كاملٌ بين ما بالنفس من المعتقدات والأفكار والتصورات، وبين السلوك الفردي والجماعي لمن يؤمن بهذه العقيدة، لذلك لا بد أن تبتدئ عملية الإصلاح بما في داخل النفس البشرية أولاً.

وفي تعليق الشيخ يوسف القرضاوي على آية التغيير، يشير إلى أنّ أساس كل إصلاح أو تغيير هو البداءة بالفرد، فهو أساس البناء كله، «وإنما يُبنى الإنسان أول ما يُبنى بالإيمان، أي بغرس العقيدة الصحيحة في قلبه، التي تصحّح له نظرته إلى العالم وإلى الإنسان، وإلى الحياة، وإلى رب العالم، وبارئ الإنسان، وواهب الحياة، وتعرُّف الإنسان بمبدئه ومصيره ورسالته، وتجيبه عن الأسئلة المحيرة لمن لا دين له: من أنا؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين المصير؟ ولماذا وُجدت؟ وما الحياة وما الموت؟ وماذا قبل الحياة؟ وماذا بعد الموت؟ وما رسالتي في هذا الكوكب منذ عقلت حتى يدركني الموت»[١].

يذكر سيد دسوقي حسن: أنّ كينز أعظم الاقتصاديين أثراً في هذا القرن العشرين نصح اقتصاديي أمته أن يضعوا آلهة جديدة في عالم الاقتصاد، فقال: «إنّ اليوم ليس ببعيد عندما يصبح كل فرد ثرياً... وعندئذ نحترم الغايات فوق الوسائل ونفضّل الحسن على النافع، ولكن فلتحذروا.. إنّ الوقت لهذا لم يحن بعد، فخلال المائة عام المقبلة على الأقل لا بد أن نتظاهر لأنفسنا أنّ العدل قبح والقبح عدل، وأن يصبح حب المال والربا والوقاية الاقتصادية آلهتنا لفترة من الزمن. إنّ ذلك وحده هو الذي يقودنا من نفق الحاجة إلى ضوء النهار»[٢]، وهو يعني تبني القِيَم

---

(١) يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص٢١٥.

(٢) سيد دسوقي، مقدمات في البحث الحضاري، نقلاً عن بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص٢٦ ـ ٢٧.

التي تشكل هذه العقيدة. لكن قيم هذا الاقتصادي تغاير قيم المسلم الذي يرى أنّ العمل قيمة في ذاته، وأنّ المال لله والإنسان مستخلف فيه، وأنّ المال وسيلة ليس بغاية، وأنّ الربا محرم، وأنّ للفقير حقاً في مال الغني، لذلك لاختلاف عالم القيم في هذا الشأن بين المسلم وبين ذلك الاقتصادي يجعل التغاير كاملاً بين سلوكياتهما.

ودراسة التغيير استشراف للمستقبل، والولوج في عملية التغيير بناء للمستقبل، إلّا أنّ الغاية من التغيير هي عنصر الخلاف بين المدارس الداعية إلى التغريب والأخرى الداعية إلى الأصالة. فالغاية من التغيير لدى مدارس التغريب هي وصول الشعوب العربية والإسلامية إلى مستوى حضاري يوازي مستوى الغرب عن طريق تقليد خطواته والالتزام بتشريعه والالتقاء معه على أهداف الحياة. والغاية من التغيير عند المدارس الإسلامية إحياء الوجود الإسلامي بالعودة إلى أصول الإسلام ثم الانطلاق ضمن ضوابطه في إعادة بناء الإنسان ضمن قِيَمه الربانية، ذلك أنّ القيم السلوكية التي حددها الإسلام تشكّل أسساً ومنطلقات فاعلة للنهوض بالمجتمع الإسلامي ودفعه إلى الأمام[1].

يقول مالك بن نبيّ: «إذا كان منهج الرسالة يقتضي التغيير، والتغيير يقتضي تغيير ما في النفوس أولاً، فإننا نستطيع أن نتكلم عن وسائل الرسالة أو الطرق العملية لتطبيق هذه الرسالة كي تفي بمهمتها، ألا وهي الإنقاذ أو مواجهة حالة إنقاذ أو حالة طوارئ تخص المسلم وتخص الإنسانية عامة، عندها يجب على كل مسلم أن يحقق بمفرده شروطاً ثلاثةً: أن يعرف نفسه، وأن يعرف الآخرين، وأن يعرّف الآخرين بنفسه بالصورة التي أجريت عليها كل عمليات التغيير بعد التنقية والتصفية من كل رواسب القابلية للاستعمار والتخلُّف وأصناف التقهقر»[2]. وهذه العبارات البسيطة تتضمن معانيَ غاية

(١) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص٣٤.
(٢) مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دمشق، دار=

في الأهمية، وهي أولاً: أنّ رسالة المسلم رسالة تغيير في ذاتها، وثانياً: أنّ التغيير لا يحدث إلّا ابتداءً بما في الأنفس، وثالثاً: أنّ إصلاح البشرية اليوم بحاجة إلى جهود المسلمين، لكن قبل ذلك لا بد من التأكُّد أنّ ما يحمله مسلمو اليوم من معتقدات ومفاهيم هي صحيحة بحسب منهجهم الإسلامي الحق.

إنّ للعقيدة أثراً عظيماً في صياغة تصرفات الإنسان وتغيير تفكيره وشعوره وسلوكه، والعقيدة الإسلامية ثوابت كلها ومبادئ ربانية لا مجال فيها للنزاع، إنّها تنقل الإنسان من ضياع وجاهلية إلى رشد وهداية، وإنّ أعظم نموذج على ما قد تصنعه العقيدة في جيل أو أمة ما فعلته في صحابة رسول الله ﷺ.

٥ ـ أنموذج في التغيير:

لقد عاش صحابة رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي كأي أناس في جاهلية ضالة مضلة، يعبدون الأصنام حتى إذا جاع أحدهم أكل إلهه الذي صنعه من عجوة التمر، وكانوا يئدون البنات، وكانوا يتسابقون في شرب الخمر والتفاخر بالأنساب، وكانوا يقتتلون لأسفه الأسباب، فكانوا في ذيل الأمم في جاهليتهم هذه.

عندما جاء الإسلام لهؤلاء العرب الأميين، أوجد فيهم تلك العقيدة أولاً، فانتقل هؤلاء لقيادة العالم، فأصبح العربي المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يخون ولا يغش، ولا يشرب الخمر ولا يزني، بل صهرت العقيدة شخصيته، فأوجدت له رسالة يعيش من أجلها وقيماً ربانية يتمحور حولها، فأصبح عنصراً فعّالاً في الحياة، يعيش لغرض سامٍ، فأنكر ذاته في سبيل رسالته، وتحمل العنت والمشقة، فصبر وثبت وهاجر وجاهد من

= الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ص٥٨ ـ ٥٩.

أجلها، فأصبح أتباع تلك العقيدة خلال زمن يسير سادة العالم بلا ريب.

وللأستاذ محمد قطب كلامٌ قيّمٌ في ذلك أذكره مع طوله لأهميته، يقول: «كيف صنعت العقيدة الصحيحة في ذلك القلب وكيف أثرت في سلوكه العملي؟ لقد كان قبل لحظات من إيمانه، فرداً من أفراد هذا المجتمع الجاهلي، يفكر بتفكيره، ويشعر بمشاعره، ويتصرف بمفاهيمه وعاداته وسلوكه، ويعطي نفسه مكانه في القمة أو في الحضيض بحسب دستوره وشريعته السائدة، وعلى مقتضى القواعد والقيم التي يضعها ذلك الدستور، فإن كان ذا مال وبنين وحسب ونسب فهو في مركز من مراكز القيادة، وإن كان صفر اليدين فهو مجرد واحد من القطيع. اهتماماته هي اهتمامات هذا المجتمع الجاهلي: القبيلة ومفاخرها و«أيامها» ذات الذكر، وهل باتت مغلوبة أم غالبة؟. وتجارته إن كان صاحب تجارة أو السعي على قوته إن كان من الفقراء المستضعفين في الأرض. وسهرة الليلة الماضية وسهرة الليلة إن كان من أصحاب السهرات... أو هموم الليلة الماضية وهموم الليلة إن كان من أصحاب الهموم.. وهذه وتلك كلها في محيط الأرض ومحيط الحس القريب. والأرباب المختلفة ذات مطالب دائمة تشغل الحس وتؤرق النفس، أو في القليل تحفزها لأدائها: ربوبية الأصنام المعبودة، وربوبية القبيلة، وربوبية العرف الموروث من الآباء والأجداد، وربوبية الشهوات.. كلها تتنازع نفسه وحسّه، وتخضعه لها واعياً أو غير واع. ثم.. آمن.

أي انقلاب هائل حدث في نفسه لحظة إيمانه؟! إنه ـ في الحق ـ أعظم انقلاب يمكن أن يحدث في القلب البشري.. بل في الكون كله! إنه ـ لتوّه ـ قد أزاح عن قلبه ربوبية كل الأرباب.. حين عرف رب الأرباب.. في لحظة انجابت الغاشية، ورأى الأمر على حقيقته.. إنه لا وجود البتّة لكل تلك الأرباب التي كانت تستعبده من قبل وتخضعه لسلطانها! إنها وهم هائل كان يعشش في نفسه وفي خياله، ويفعل فعله الكامل كأنه ذو وجود

حقيقي، بينما في الحقيقة غير موجود! وإله واحد هو الإله الحق، وهو صاحب هذا الكون كله، وصاحب الوجود الحقيقي بين كل هذه الأرباب المدعاة.. وفي لحظة.. لحظة الإيمان.. تنجاب من «خانة» العبادة في النفس كل تلك الآلهة المزيفة ويلقى بها في العدم، وتملأ الخانة في التو عبادة واحدة مشرقة مضيئة.. عبادة الله»[1].

لقد صهرت المنظومة العقدية التي جاء بها رسول الله ﷺ أنفس الصحابة الكرام، فأدركوا بحق رسالتهم في الحياة، فكانت تلك العقيدة الدافع الأكبر لتغيير مسار حياتهم، فتمحورت حركتهم بكل جد حول ما تمليه عليهم من رسالة ربانية للناس كافة. يقول د. خلدون الأحدب: «لقد أدرك سلفنا عظم الأمانة وضخامة التبعة وجلال الرسالة، فأعدّوا لها عدتها: عقيدة راسخة، وعلماً نافعاً، وعقولاً نيِّرة، ونفوساً صافية، وأرواحاً مشرقة، وسيوفاً صادقة، وإدارة حازمة حكيمة، وعدالة شاملة، وعزيمة ماضية، وحفظاً لساعات العمر. ضحوا من أجل رسالتهم والتمكين لها بالغالي والرخيص، وبذلوا في سبيلها النّفْس والنّفيس، فكان لهم ما أرادوا، حضارة إنسانية ممتدة في جذورها وفي أغصانها الباسقة الوارفة المثمرة، فكان أول قطافها الحرية، وذلك من خلال تحريرها للنفوس من ذلّ العبودية لغير الله سبحانه، إذ أدركت أنّ فاقد الحرية عبد معطّل مسلوب، ولم يكن آخر قطافها الإبداع في كل فن، والمشاركة في كل حقل، والمساهمة في كل تقدُّم، والسعي وراء كل رقي...

ونحن إذا وقفنا على تاريخ عظماء هذه الأمّة وغيرها من الأمم: علماء ومفكرين ومخترعين وقادة وصنّاعاً، نجد أنّ أحداً منهم لم ينل ما ناله، ولم يصل إلى ما وصل إليه من عطاء ومشاركة وإسهام في البناء

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

الحضاري إلّا بعد إيمان بمقصده، وبذل لأقصى طاقاته وجهده، واغتنام لدقائق العمر وثوانيه، وتحمل كل الصعاب التي يلقاها في طريقه بصبر وعزيمة ومضاء وصدق وصمت»[(١)].

وهذه العقيدة كانت نوراً للأجيال من بعد الصحابة ﷺ، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إن العقيدة وحدها هي التي دفعت قتيبة بن مسلم لأن ينساب بجيوشه المؤمنة من أرض العرب إلى أن يصل إلى الصين، ويجتاز بلاد ما وراء النهر والهند هادياً مؤمناً مجاهداً، يحمل في قلبه إيماناً وفي يده سيفاً بتاراً يشق ظلام الشرك والجهالة. وهذا موسى بن نصير، ورئيس أركان حربه طارق بن زياد المؤمن، يسير قاطعاً شمال إفريقية حتى يصل طارق إلى المغرب، ويجتاز البحر بجيشه حتى يصل إلى ساحل الأندلس فيحرق سفنه، ولم يبق له ولجنده إلا العقيدة المؤمنة الدافعة، والسيوف المشهورة المحاربة، ويقول بقوة إيمان، وسر الحقيقة ينطقه: العدو أمامكم، والبحر من ورائكم، وهو بهذا يبث فيهم روح الإيمان والفداء والإقدام»[(٢)].

إنّ عقيدة الإسلام وشريعته العادلة قد رفعت أمتنا إلى مقام كريم، برفعة الفضائل وسمو الأهداف، وإنّ المنهجية التي ارتضاها الإسلام لبناء الحياة، وتوجيه الحضارة الإنسانية هي المنهجية المثلى التي تتصف بتلكم الخصائص التي تتفق مع طبيعة وجبلة هذا الإنسان، ولقد أنتجت من القيم والتصورات والركائز الحضارية الممتزجة المجتمعة ما لم تنتجها أية مذهبية أخرى ما لم تتصف بالأوصاف ذاتها، ذلك لأنها ليست نابعة من تجربة جماعية ترتبط بظروف معينة، بل هي خصائص متصلة بالحقائق الأزلية

---

(١) خلدون الأحدب، سوانح وتأملات في قيمة الزمن، مرجع سابق، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٢) محمود شيت خطّاب، بين العقيدة والقيادة، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، (د.ت)، ص١٩.

المرتبطة بالحق، خالق الكون ومسيّر الحياة[1].

وتابع المسلمون نهضتهم وحضارتهم حتى سادوا العالم بلا ريب، فأدهش ذلك الشعوب جميعاً، وتكفي شهادات بعض المنصفين من العلماء والمؤرخين أمثال المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة التي كتبت مستعجبة في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»: «إن هذه القفزة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها العرب المسلمون والتي بدأت من اللاشيء لهي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإنَّ انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضّرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين: كيف حقق العرب المسلمون ما لم تستطع أن تحققه شعوب كثيرة أخرى كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد كان يؤهلها لهذا؟!»[2].

وهذا عالم النفس والاجتماع الفرنسي جوستاف لوبون يقول معرباً عن فضل العرب المسلمين في نهضة الغرب الحضارية، فيقول: «إن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإنَّ جامعات الغرب لم تعرف لها، مدة خمس قرون، مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وإنهم الذين مدَّنوا أوروبا مادةً وعقلاً وأخلاقاً. وتأثير العرب عظيم في الغرب، وهو في الشرق أشد وأقوى. وإذا كانت هناك أمة نُقِرُّ بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً. ولو لم يظهر العرب على

(١) محسن عبد الحميد، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص٣٦. ومحسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٢٤ - ٢٥.

(٢) زيغرد هونكة، أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري، (د.ت)، ص٣٥٣.

مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا في الآداب عدة قرون»[1].

والعرب آنذاك بدون الإسلام لم يكونوا شيئاً، لذلك يرجع الفضل للإسلام كدين لا للعرب كعرق.

في كتابه «السبيل إلى القيادة»، يشير مونتكومري لورد إلى أن قوة العقيدة تشكِّل أهم صفات القائد الناجح. فصلة القائد تكون قوية بالله، وعقيدته أشد صلابة من غيره، وهذا لازم لثباته ومثابرته وشجاعته في خوض المخاطر في سبيل ما يؤمن به[2].

يقول اللواء الركن محمود شيت خطَّاب في كتابه «بين العقيدة والقيادة»: «لقد أحصيت عدد القادة الفاتحين الذين حملوا رايات المسلمين شرقاً وغرباً في أيام الفتح الإسلامي العظيم (١١هـ ـ ٩٤هـ)، فكانوا ستة وخمسين ومائتي قائد عربي مسلم، منهم ستة عشر ومائتا قائداً من صحابة النبي ﷺ، وأربعون قائداً من التابعين بإحسان رضوان الله عليهم، وهؤلاء هم قادة فتح العراق والجزيرة، وقادة فتح فارس، وقادة فتح الشام ومصر، وقادة فتح المغرب العربي، وقادة فتح المشرق الإسلامي، وقادة فتح الأندلس والبحار. . . فكل القادة الذين انتصروا في غارات المعتدين أو فتحوا بلاداً جديدة كانوا متدينين غاية التديُّن، وكانوا أمثلة شخصية لرجالهم في التديُّن والعمل الصالح، ويكفي أن أذكر منهم: أسد بن الفرات فاتح جزيرة صقلية، وصلاح الدين الأيوبي الذي استعاد القدس من الصليبيين، وقطز قاهر التتار، ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية»[3]، وهذا التديُّن مبني على ما حملوا من منظومة عقدية آمنوا بها وجاهدوا تحقيقاً لها.

---

(١) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر. نقلاً عن عبد الحي عمور، النظرية الإسلامية للعقل، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٩م، ص٩٠.

(٢) مونتكومري لورد، السبيل إلى القيادة، ترجمة حسن مصطفى، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م، ص١٥.

(٣) محمود شيت خطَّاب، بين العقيدة والقيادة، مرجع سابق، ص١١٩ ـ ١٢٠.

المطلب الخامس: انفصام الشخصية بين العقيدة والعمل

لقد علم أعداء الإسلام والمستعمرون أنّ لدى المسلمين عقيدة تستطيع أن تبعثهم من رقادهم وتفجّر طاقاتهم، وتعيد إليهم مكانتهم، لذلك بذلوا كل إمكاناتهم في التقليل من شأن هذه العقيدة وتشويه صورة هذا الدين، وإقناع أبناء المسلمين بأنّ أمامهم سبيلين: إما مجاراة الغرب في كل شيء، وإمّا التأخُّر والقعود[1].

وإنّ المراد من التآمر على العقيدة الإسلامية إضعافها في نفوس المسلمين، ومن ثَمَّ العبث بمضمونها، وحينها يحصل التخلُّف الفعلي، ذلك لأنّ التخلف العقدي ينتج عنه تخلف سلوكي في كل مجالات الحياة، فمنه ينشأ كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي اليوم، التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والعسكري والفكري والثقافي[2].

إنّ أسباب التخلُّف في بلادنا متشعبة ومركبة، لكن يأتي الاستعمار الفكري واحداً من أهم هذه الأسباب في نظري، حيث إنّ الاستضعاف يولّد واقعاً من التبعية للغير، فتجد أنّ البلاد التابعة تزرع بقصد أو بدون قصد عنصراً غريباً يستوعب الصفة المحليّة ويحتويها، محدثاً بذلك انفصاماً فكرياً وثقافياً بين أفراد المجتمع، مما يؤدي إلى فقدان الأصالة، كما يولّد الحيرة والتخبُّط في السلوك والممارسة. هذه السيطرة الاستعمارية تجمّد حركة الحضارة الأصيلة في البلد المستَعمَر، بل تنبذ تلك الحضارة إلى الخلف، محتقرةً لها بصفتها متخلفة، جاعلةً من ينتمون إليها من الدرجات الدنيا. فهي بذلك قد أوقفت أية إمكانية للإبداع المحلي في ظل الحضارة الموروثة، بل شوّهت وأحبطت الحوافز الفطرية للتقدم والإبداع، مما

---

(١) محمد أمين المصري، المجتمع الإسلامي، الكويت، دار الأرقم، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٩٢.

(٢) محمد قطب، واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص١٨٣.

يجعلها تمر بعهد من الانحطاط الحضاري[1].

وإنني أرى أنّ ذلك الاستعمار الفكري أضر من الاستعمار العسكري في غالب الأمر. ولا ريب أن ما خلّفه الاستعمار في بلاد المسلمين له الأثر الأعظم في التآمر على عقيدة المسلمين وتراثهم.

في كتابه «من أجل التغيير»، يشير مالك بن نبيّ إلى هذه التركة الاستعمارية التي يخلّفها الاستعمار وراءه، فيقول: إننا بسطاء جداً لو ظننا يوماً ما أنّ الاستعمار عندما يُعدّ حقائبه ويرحل عن بلدٍ يستعمره، يترك المكان وراءه وبكل بساطة نقيّاً سليماً، ويمضي في حديثه عن وظيفة «الطابور الخامس» الذي خلّفه وراءه، والذي بدوره يُعيد سيطرة الاستعمار بطريقة غير مباشرة، وإنّ ما أبقاه الاستعمار بشكل غير منظّم، سرعان ما يقوم هذا الطابور بتنظيمه، متحركاً ليصبح أخطبوطاً متعدّد الأرجل، يملك أرجلاً محلية، ورأساً مفكراً في الخارج[2].

لذلك يستنتج مالك بن نبيّ[3] فيقول: إن العالم الإسلامي لم يستعد بعد إطاره الطبيعي، وإنّه يتّصف بالجمود والخمول والضعف والقابلية للاستعمار بسبب افتتانه بأيديولوجيات مستوردة بديلة لمنهجه الأصيل، «فالعالم الإسلامي اليوم تتقاذفه أفكار متناقضة: الأفكار التي تضعه وجهاً لوجه مع مشكلات الحضارة التقنية دون أن تؤصله نماذجه السلفية، رغم جهود مصلحيه المشكورة. وبدافع الافتتان، أو بسائق منزلقات وضعت تحت قدميه، فهو معرّض لخطر الانجراف في الإيديولوجيات الحديثة، في الوقت الذي بدأ يكتمل إفلاسها في الغرب حيث ولدت»[4]، بينما نرى

---

(١) أحمد قائد بركات، التخلُّف... لماذا؟ والتقدّم... لِمَ لا؟، مرجع سابق، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٢) مالك بن نبي، من أجل التغيير، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص٥٦ ـ ٥٧.

(٣) كتاب مشكلة الأفكار كان عبارة عن مجموعة مقالات كتبت في الستينات، لكنها لا تزال مناسبة لعالمنا المعاصر.

(٤) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص١٥٩ ـ ١٦٥.

الأفكار التي أثبتت فعاليتها في بناء الحضارة الإسلامية الأولى منذ أكثر من ألف عام تبدو عديمة الفعالية لفقدان صلة أهلها بها.

ولقد ذكر مالك بن نبيّ نوعين من الأفكار المريضة التي تنخر في جسد أمّتنا[1]:

النوع الأول: الأفكار الميّتة: وهي نتاج الإرث الاجتماعي المولّد قابلية الاستعمار، وهي فكرةٌ انحرفت عن مثلها الأعلى، ولذا ليس لها جذور في الحضارة الثقافية الأصيلة.

النوع الثاني: الأفكار المميتة: وهي المستعارة من الغرب المولدة للاستعمار، وهذه الأفكار وفدت إلينا من عالمها الثقافي الأصلي، فكما أنّ هنالك أفكاراً تبعث الحياة في حضارة الغرب، هنالك أفكار أخرى مميتة، لكن المشكلة أن يختار ما يُظنّ أنّهم نخبة المجتمع المسلم تلك الأفكار المميتة.

بسبب هذا الاستضعاف المولّد للاستعمار الفكري، يعيش المسلم العربي وغير العربي اليوم عقدة المغلوب، فتراه منهزماً في نفسه، مقلداً خطى غيره، يقول ابن خلدون واصفاً نفسية المغلوب: «إنّ المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب أنّ النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إمّا لنظَرِهِ بالكمال بما وقر عندها من تعظيمِهِ، أو لما تُغالِطُ به من أنّ انقيادها ليس لغَلَبٍ طبيعيّ وإنما هو لكمال الغالب»[2].

ولقد درس الدكتور سيد دسوقي حسن الأستاذ في الجامعات المصرية والأمريكية أثر الأفكار وحركية انتشارها في المجتمعات، فيرى أنّ تبنِّي

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٦ ـ ١٥٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص١١٦.

القيم والمعتقدات قد يكون خفياً، فيتبع الضعيف القوي بصورة لاشعورية، ذلك عندما ينبهر الضعيف بصاحب الفكرة لأنّه قوي، ليس لقيمة الفكرة أو لاقتناعه بها، عندها يتبنّى الضعيف هذه الفكرة الجديدة لتقليده لصاحبها، حتى تصبح جزءاً من عالم تصوراته. لذلك لا بد للمسلم أن يتتبّع علل التغيير الحضاري والسنن الكونية، ولا يكتفي بمجرد الوقوف عند جزئيات الحياة، بل ينطلق لنظرة شمولية فاحصة من خلال المنظومة الإسلامية الواضحة المعالم والثابتة الأصول[١].

ولقد حصل في عصرنا الحاضر محاولات تفريغ الأمة من الإسلام كعقيدة بعد أن أذهبوه من حياتنا كشريعة ونظام، إلى التشكيك في لغتنا وآدابنا وتراثنا، وأعادوا كتابة التاريخ من زوايا تظهر ما يريدون من اتجاهات مادية متفرقة، وأظهروا رواداً للفكر وكُتّاباً أحاطوهم بهالة عظيمة من التمجيد والتفخيم، ممهدين لتبنِّي الغث من أفكارهم، تلك الأفكار التي تترجم من قِبَل المقلدين إلى أفعال، فتصبح الفكرة الجديدة أداة تفكير هؤلاء بطريقة غير شعورية، ويقود هذا طبعاً إلى تتفيه وتغريب العقلية الإسلامية، كما يقود إلى انفصام الشخصية الإسلامية بين عالم العقيدة وعالم الفعل، وتبدأ عملية أقلمة الأفكار المستوردة مع الأفكار المستنبطة[٢].

وهذا ما أدى إلى بروز قادة وكُتّاب ومنظّرين منهزمين نفسياً، لا يعلمون من هم؟ وماذا يريدون؟ وهكذا يصبح فيما بعد مصير غالبية الأمة ومصير أفرادها، وعندها تكون قد اختلت عقيدتهم فاختل تصورهم نحو الغاية من حياتهم، فنادوا بأشياء وعملوا بخلافها، وهؤلاء بلا ريب هم الزبد الذي لا تأثير له، يقول د.عبد الله الخاطر: «إنّ الذي يختار عقيدة ما، مهما كانت منحرفة، ويرفع لواءها، ويكافح من أجلها، ويحيا لها

---

(١) محسن عبد الحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص١٥.

(٢) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، مرجع سابق، ص ٢٩ ـ ٣١.

بوضوح وقوة وصراحة، إنّ هذا المرء قادر على اتخاذ القرار الحاسم وتنفيذه والتضحية في سبيله. ولكن أن يزعم زاعم أنّه (مقتنع) بعقيدة ما، ثم يتظاهر بغيرها ويؤيّد ما عداها، ويتحدث عن أخلاق لا تمت لها بصلة، ويتزيّا بغير زيّها، فهذه هي الهزيمة النفسية. يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾[١]. والذين يتذبذبون غير قادرين على تحديد الأولويات، فهم يعيشون حياة الفوضى والخلط، لأنهم لا يملكون الميزان الذي ترتبط به القضايا، ألا وهو القرار الأوّل في تحديد مسار الحياة حيث تتحدد بذلك الأولويات»[٢].

ضرورة التجديد العقدي:

لكي يحصل التجديد في السلوك الفردي لمسلمي اليوم لا بد من التجديد العقدي، ومع أنّه يوجد لدينا مشكلات كثيرة، لكن على أعلى رأس سلم المشكلات هذه يجب تصحيح المنظومة العقيدية المسؤولة عن توجهنا في الحياة وعن جوهرنا الإنساني. لن نستطيع تغيير العوارض الثانوية غاضين النظر عن جذور تلك العوارض مهما حاولنا، وإنّ مثل الأمة كمثل المصاب بمرض الإيدز، يعاني المريض العديد من الأمراض الجانبية من جرّاء إصابته بذلك المرض، حيث إنّ هذا المرض يضعف جهازه المناعي، فيتعرض المريض إلى جملة من الأمراض الكبيرة بذاتها، لكنها تأتي تلقائياً للمرض الأساسي ـ مرض الإيدز ـ، وما لم يُشفَ المريض منه لن يُشفى من الأمراض الأخرى، وإن عولج وشفي المريض من أزمة التهاب رئوي مثلاً، سيكون ذلك مؤقتاً ولفترة بسيطة، ثم ستعود بعدها الإصابة بالمرض نفسه وأمراض أخرى.

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٨ ـ ١٠.

(٢) عبد الله الخاطر، الهزيمة النفسية عند المسلمين، مرجع سابق، ص ٦.

لذلك يجب علاج المشكلة الأساس، وهي منظومة المسلم العقدية، فيصحح النظر في عالمه الغيبي ـ إيمانه وقيمه ومفاهيمه ـ، بعد ذلك تأتي كل تفصيلات البناء الحضاري، «نبني عقله وروحه وجسمه وخُلُقه، بناءً متوازياً لا طغيان فيه ولا إخسار في الميزان، نبنيه عقلياً بالثقافة، وروحيّاً بالعبادة، وجسمياً بالرياضة، وخُلُقياً بالفضيلة، وعسكرياً بالخشونة، واجتماعياً بالمشاركة، وسياسياً بالتوعية، ونعدّه للدين وللدنيا معاً... ولا يتم ذلك إلّا في ضوء تصوُّر كليّ للوجود، وفلسفة واضحة للحياة، ومشروع متكامل للحضارة»[1].

بهذا يتم استعادة الفعالية لأمتنا، وإذا لم نعد النظر في أفكارنا ومفاهيمنا، ونتعلّم قيمنا من جديد لندرك هل ما نعيشه في عالم الواقع يعكس بالفعل منظومتنا العقدية؟ فسيحصل انفصام في شخصيتنا بين عالم العقيدة وعالم الفعل، ولن نتقدّم لسيادة البشرية من جديد.

---

(١) يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات، مرجع سابق، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

خلاصة المبحث الثالث

إنّ أهم ما خلصنا له خلال هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ المنظومة العقدية ترشد الإنسان لرسالته الحياتية، وتجعل له تصوراً واضحاً نحو موقعه في الوجود ودوره في الحياة، وإنّ قوة العقيدة وما تحمله من مفاهيم وقِيَم هي القوة الدافعة التي توقظ النفوس الهامدة، وتحيي القلوب الجامدة، وتلهب العزائم المتبلدة، فيعيش الإنسان بها وفي سبيلها.

٢ ـ للعقيدة أعظم الأثر في صياغة الإنسان، فهي تصهر شخصيته، وتغيّر تفكيره وشعوره ومن ثم سلوكه، ولقد أحدثت العقيدة الإسلامية انقلاباً لا مثيل له في جيل الصحابة، وباستطاعتها إحداث ذلك التغيير في عالمنا المعاصر، ولعل بعثة المسلمين اليوم من رقادهم لن يكون إلّا بإعادة إحياء العقيدة في نفوسهم التي من شأنها أن تفجّر طاقاتهم وتعيد إليهم مكانتهم.

٣ ـ إنّ ما نقوم به هو انعكاس لما نؤمن به، وإنّ رؤيتنا للعالم من حولنا تعتمد على المنظومة العقيدية التي نحملها في أنفسنا، وإنّ المخلوق البشري لا يتصرف عادة بطريقة تتناقض مع معتقداته إلا مكرهاً، لذلك لكي نغيّر واقعنا العملي يجب أن نغيّر ما بأنفسنا، وذلك بتغيير عالم الغيب من عقائد وأفكار ومفاهيم.

٤ ـ النمو الذاتي يتعلق بعملية تبني أو تصحيح المعتقدات والقيم والمفاهيم التي يحملها الإنسان في نفسه.

٥ ـ يمكنك تغيير واقع ما تعيشه إلى واقع أفضل إذا اكتشفت المعتقد

الخاطئ الذي يسبّب السلوك المؤدي له، ومن ثمّ تعمل على استبداله بمعتقد صحيح، ذلك أنّ العقيدة هي المولّد للسلوك البشري.

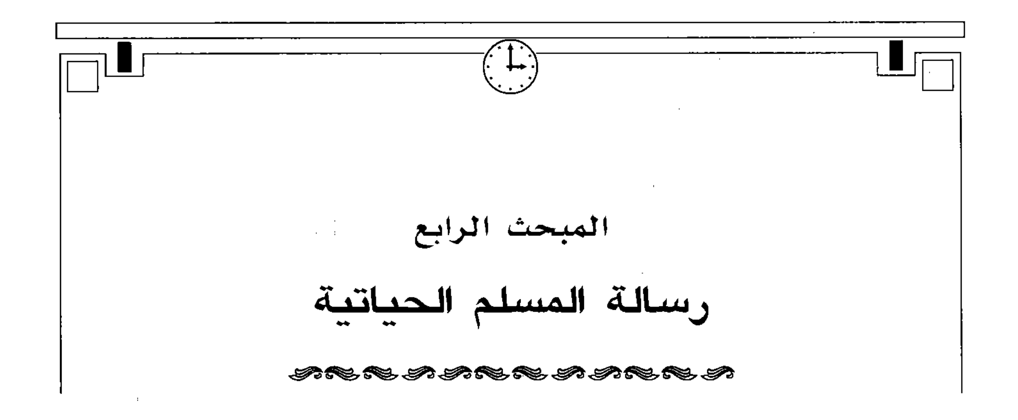
٦ ـ إنّ عملية كسب وتبنّي المعتقدات تأتي من خلال تجارب شخصية عاشها الفرد ومعارف اكتسبها، وقد تُبنى المنظومة العقيدية بطريقة لاشعورية لدى الناس فيعيشون واقعاً مغايراً لما يريدون.

٧ ـ إن كان واقع الأمة الإسلامية خلاف الحال الذي يجب أن توجده عقيدتهم، فإنّ ثمة انفصام حاصل في شخصية أتباعها بين عالم العقيدة وعالم الفعل، وإنّ ذلك دليلٌ على أنّ من ينتسب لهذه العقيدة يدينون لاشعورياً بعقيدة ومفاهيم تخالفها، أو أنّ هذه العقيدة لم ترسخ في أعماقهم مولدةً عملاً يغيّر واقعهم، وكلتا الحالتين تحصلان نتيجةً لتأثيرات البيئة والثقافات الاستعمارية الفكرية والمناهج التربوية والإعلامية.

٨ ـ إنّ التجديد في السلوك الفردي حتمي لإعادة النهوض بأمتنا الإسلامية، ولا يحصل ذلك بسوى التجديد في أصل السلوك ـ المنظومة العقيدية ـ، وإنّ الأمة اليوم بحاجة لتعلُّم عقيدتها من جديد لاستعادة فعاليتها، ولا بد من إعادة النظر في أفكارها ومفاهيمها وقيمها لتدرك سبب ضعفها.

٩ ـ إنّ دراسة التغيير استشرافٌ للمستقبل، والوصول إليه بناء للمستقبل، والغاية منه إعادة بناء الكيان الإنساني مشتملاً عقله وروحه وخُلُقه، وفي ذلك تصحيح تصوره الكلي نحو الوجود وفلسفته نحو الحياة، بغية تشكيل رسالته وبناء حضارته الإنسانية كما أرادها الله له.

١٠ ـ إنّ مسلم اليوم يعيش نفسية المغلوب، فهو منهزم في نفسه، يسير تبعاً لخطى غيره، لا لقناعته بمن يتبع من الشعوب بل لانبهاره بهم، مما يولّد واقعاً من الاستضعاف والتبعية، فتحوّل من قائد لمسيرة ربانية إلى تابع مسلوب الإرادة، فتخبط السلوك ومات الإبداع، ولا خلاص من واقع كهذا إلّا بإعادة بناء رسالته الحياتية من جديد.



المبحث الرابع

رسالة المسلم الحياتية

مقدمة المبحث الرابع

لقد تناولت في المباحث الثلاثة الماضية ماهية الوجود الإنساني، مستعرضاً قصة خلق الإنسان، ومركزه في الكون، ومسيرته في الحياة.

كما أنني تناولت جهل الإنسان بنفسه وضرورة تصحيح تصوره ودوره في هذا الوجود، حيث إننا نجده لم يحمل المسؤولية التي خُلق من أجلها، وهي خلافة الله في الأرض.

ولقد تناولت أثر المنظومة العقيدية في تغيير حال الإنسان وضرورة التجديد في رسالته ومفاهيمه لتحقيق التغيير في مساره الحياتي.

أمّا في هذا المبحث فإنني سأتناول دراسة رسالة المسلم الحياتية، منوّهاً بموضع القيادة الذاتية من إدارة الوقت، وكيفية تكوين توجُّه واضح للحياة الإنسانية، وأثر المخيلة والعقل في النجاح في خوض معترك الحياة. كما أنني سأستعرض الركائز الحياتية التي يتمحور حولها السلوك البشري، وكيفية تحديد رسالة يرتكز الفرد حولها بشكل شمولي متوازن.

المطلب الأول: القيادة الذاتية وإدارة الوقت

إنّ حاجة الإنسان عظيمة لقيادة ذاتية إضافة إلى إدارة وقته بغية التوصُّل إلى الفاعلية في الحياة، ولتوضيح الفرق بين القيادة والإدارة، أقول: إن القيادة الذاتية لحياتك تعني تحديد ماذا تريد؟ إنها التكوين الذهني والنشأة الأولى لما تودّ تحقيقه، إنها تحديد رسالتك في الحياة. أما الإدارة فهي تُعنى بكيفية الوصول لما تريد، يقول كوفي: «الإدارة هدفها كيف أنجز العمل بأفضل طريقة ممكنة، أما القيادة فتتعلق بالخطوة العليا التي تسبق هذه وهي ما هي الأمور التي أريد إنجازها»[١].

لذلك نرى أنّ القيادة الذاتية هي اكتشاف من أنت وماذا تريد من حياتك، يقول هاورد هاس في كتابه «القائد من الداخل»: «القيادة تُعنى بالاكتشاف الذاتي»[٢]، ثم يقرر بعد دراسته التحليلية لمائة وخمسين شخصية قيادية في الولايات المتحدة الأمريكية أنك «لكي تصبح قائداً لا تحتاج ذكاءً غير عادي، بل تحتاج إلى تعهد ذاتي ومثابرة غير عادية»[٣].

ولقد فرّق بيتر وورن[٤] بين الإدارة والقيادة بعبارة موجزة لكنها تستوعب الموضوع من أطره المختلفة، فقالا: «الإدارة هي فعل الأشياء بالطريقة الصحيحة، بينما القيادة هي فعل الأشياء الصحيحة»[٥]. ويضرب ستيفن كوفي مثالاً على ذلك بقوله: «الإدارة هي الفعالية في صعود سلم النجاح، والقيادة تحدد إن كان السلم هذا موضوعاً على الحائط الصحيح»[٦].

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.101.

(٢) Howard G. Haas, and Bob Tamarkin, The Leader Within, P.6.

(٣) Howard G. Haas, and Bob Tamarkin, The Leader Within, P.8.

(٤) Peter Drucker and Werren Bennis.

(٥) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.101.

(٦) المرجع السابق، ص١٠١.

ولكي نوضّح هذا المفهوم تصوّر فريق عمل مؤلف من جمع غفير من العمّال يقطعون الأشجار في غابة كثيفة لشق طريق ما، المدراء وراءهم يحمسونهم، ويضعون النظم واللوائح الداخلية، ويقومون ببرامج التنمية والتطوير لفعالية أكثر في عملهم، ويجلبون التكنولوجيا الحديثة، ويهتمون ببرامج العمل والرواتب وتقسيم المهام. والعمّال يجتهدون في قطع الأشجار وتعبيد الطريق بكل جد ومثابرة، أما القائد فهو شخص يتسلق أعلى شجرة، يراقب صورة العمل الكلية، ثم ينادي بأعلى صوته: اتجاه الطريق خطأ! فهو يحدِّد وجهة العمل ويقود الناس نحوه.

هذا المثال ينطبق على قيادة حياتك وإدارة وقتك أيضاً، فكل فرد في مجتمعه قد عايش من خلال منصبه أو مهنته أو بيته نوعاً من القيادة في نطاق واجباته المختلفة، فهو قائد يتحمل أعباء القيادة، ولكن ثمة نوع من القيادة يحتاجه كل فرد، ولا نجاح في الحياة بدونه، وهذا النوع يدعى «القيادة الذاتية»، أي قيادتك الشخصية لنفسك، هذا يعني قيادتك لمسيرة حياتك. فكل فرد يعيش هذا النوع من القيادة، إضافة إلى أنواع أخرى بحسب مركزه في المجتمع، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[١].

١ ـ القيادة أولاً ثمّ الإدارة:

إنّ الفشل في قيادة الذات لا يعوّضه شيء، حيث إنّ الفعالية ليست دائماً تتوقف على كم وكيف نصرف من الوقت والجهد لتحقيق غرض ما؟ بل هل الوقت والجهد المبذولان يكمنان في الغرض المناسب؟ فالقيادة تأتي أولاً ثم الإدارة ثانياً. وإن فشلك في قيادة حياتك بالاتجاه الصحيح، لن يعوِّضه شيء مهما بذلت من طاقات، فإنّ القاعدة الذهبية في ذلك أنّه

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم ٨٩٣. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، حديث رقم ١٨٢٩.

«لا يوجد إدارة ناجحة تعوض فشل القيادة مهما توصلت هذه الإدارة إلى فعالية متفوقة»[1]. هذا يعني أنّ نجاح الفرد متوقّف ـ بعد توفيق الله ـ على نجاحه في الإطارين القيادي والإداري، ولا بدّ من تحقّق النجاح في القيادة أولاً لكي تكون الإدارة ناجحة أيضاً.

فقد يشغل رئيس شركة عمله لسنوات دون معرفة هذا الفرق ثم يستنتج أنه لم يعمل كقائد بتاتاً بل عمل مديراً، وقد يدير الفرد وقته محافظاً على كل دقيقة منه، واضعاً الجهود المضنية فيما يقوم به، لكن عند هرمه يرى أنه صرف طاقاته وضيّع أوقاته باتجاه خاطئ، لذا تكمن أهمية إيجاد رسالة صحيحة تعيش من أجلها، ولكي نكوّن هذه الرسالة ونعيشها يجب استخدام عقلنا بالكامل.

٢ ـ استعمال جزئَي الدماغ:

اكتشف علماء الجهاز العصبي وعلماء الطب ووظائف الأعضاء أن الدماغ مؤلف من جزأين نصف كرويين، سمي أحدهما الدماغ أو العقل الأيمن والآخر الدماغ أو العقل الأيسر، وكل مختص بوظائف مختلفة، فالدماغ الأيسر مختص في التفكير التحليلي الذي يحتاج للحساب، إضافة إلى أنه يختص بصفة الكلام واللغات، كما أنّ حاسة الوقت تكمن فيه. أما الدماغ الأيمن فيختص بالبديهة والإبداع والصور والاعتقاد والمشاعر، ولا علاقة للعقل الأيمن بحاسة الوقت، لذلك قيل: إنّ القيادة عمل يختص بالعقل الأيمن، أما الإدارة فهي عمل يختص بالعقل الأيسر[2].

مع العلم أن الإنسان يستعمل جهتي عقله، إلا أنه عادة تكون سيطرة

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.102.

(٢) هذا على وجه العموم النسبي لأن كلاًّ من نصفي الدماغ يتعاونان معاً في وظيفتهما، كما أنه في حالات الضرورة كانقطاع أحد النصفين عند صغار السن، ما دون الثانية عشر، فإن النصف الثاني يقوم بكامل العمل وحده تقريباً.

أحدهما ظاهرة على الأخرى، وعندما يواجه الإنسان موقفاً ما يتصرف حسب سيطرة عقله الأيمن أو الأيسر، إن كان صاحب سيطرة الدماغ الأيسر يلجأ إلى التحليل والدراسة والتخطيط، وكثير من الناس يعيشون في عالم الدماغ الأيسر حيث الكلام والتحليل، لكن يقفون عند ذلك من دون إبداع العقل الأيمن واستغلال قدراته الهائلة في هذا المجال، وترى آخرين أصحاب أفكار مبدعة وتصورات جذّابة ومقترحات حديثة، لكنهم يقفون عند ذلك، فلا يترجمون ذلك لدراسات وخطط تُصرف عليها الجهود لتنقلها إلى عالم الواقع.

لذلك من أجل مسيرة ناجحة للحياة لا بد من استخدام العقل بكامله: مرتكز القيادة (الأيمن)، ومرتكز الإدارة (الأيسر)، وإنّ أي إغفال لأحد الطرفين يسبّب مسيرة متخبّطة ليست على بصيرة، كما أنّها ليست فعّالة ومتوازنة، لذلك قيل: «قم بالعمل القيادي من اليمين وبالعمل الإداري من اليسار»[١].

هذا يعني أنك كشخص واحد بحاجة لنمطين مختلفين من التفكير، أحدهما وضع ذهني يفكر في فلسفتك في الحياة، وما هي رسالتك؟ وماذا تريد؟ وآخر يتعلق بكيفية الوصول إلى ما تريد. وإن فقدان الوضعية الذهنية الأولى ينتج عنه طاقة سلبية غير مجدية.

وإنّ إدارة وقتك تُعنى بتحديد النظم التي تتبع لكي تتمحور حول تلك الرسالة بغية الوصول إلى الأهداف التي تريد، وإنّ أي إغفال لأحد هذين النمطين من التفكير يسبب إما عملاً وجهداً متقلباً متغيراً من دون وجهة واضحة، أو أولويات واضحة لكن تبقى في عالم الخيال من غير تحقيق، وفي كلا الحالتين فشل وانعدام الفعالية في الحياة، وإنَّ تحديد ماذا أريد؟ يتطلب كذلك استخدام المخيلة إضافة إلى العقل.

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.130.

٣ ـ حاجتنا إلى التخيُّل والتفكُّر:

لقد منح الله ابن آدم بهذا الخصوص منحتين لو استفاد منهما لأمكنه أن يكون صاحب شخصية قيادية، وكذا صاحب إدارة فعّالة لوقته وحياته في آن واحد، هما: المخيلة والعقل، فمن خلال التخيُّل يمكننا تصوُّر العالم الذي لا نراه أو غير الموجود بعد، ومن خلال التفكُّر يمكننا الوصول لبلورة تلك التخيُّلات إلى عالم الواقع عبر التخطيط ووضع النظم والبرامج التي من شأنها نقل الأحلام إلى الحقيقة.

عندما تحصل مصيبة ما كموت أحد أفراد العائلة يُجبر الإنسان على أن يتفكّر ويسأل نفسه: ما هو المهم فعلاً في الحياة؟ لماذا أفعل ما أقوم به؟ لكنّ صاحب المبادرة لا ينتظر حتى تحصل المصيبة ليراجع نفسه، بل يستخدم مخيلته ـ مرتكز الإبداع والقيادة ـ، ومن ثمّ يتخيّل يوم وفاته وينظر ماذا يريد أن يفعل الآن تجاه ذلك، فيخال ماذا يريد بعد ٢٥ سنة أو ١٠ سنوات من الآن، ذلك مما يجعله يحدّد تصوره نحو الحياة قبل ممارساته العملية خلالها.

قام تشارلز غارفيلد[١] ببحوث عديدة في مجال بلوغ الذروة في الإنجازات البشرية، فوجد أن العنصر الأساس المشترك في جميع من درس خصائصهم من أصحاب الإنجازات العليا أنهم خياليون، أي يتخيلون من وقت لآخر كيفية نجاحهم وإنجازاتهم مرات ومرات، يتخيلون إلى ماذا يودون الوصول؟ ويختبرون بمخيلتهم ماذا يعني ذلك قبل حدوثه في عالم الواقع؟ مثال ذلك: أنّه وجد أنّ الرياضيين الناجحين يتخيلون من وقت لآخر فوزهم وكيفية نجاحهم، وذلك قبل المباريات الحقيقية[٢].

---

(١) Charles Garfield.

(٢) Stephen R. Covey, Seven Habits of Highly Effective People, P.134.

المطلب الثاني: ماهية الرسالة

الرسالة الحياتية كما بيّنت سابقاً إجابتك على السؤال: ماذا أريد من هذه الحياة؟ ولكي نفهم بوضوح ماهية الرسالة، سأتعرّض إلى جملة من المفاهيم والنماذج المتعلقة بها بغية تيسير تكوينها لديك.

١ ـ فلسفتك في الحياة:

إنّ تحديد رسالتك الذاتية يَعني بلورة ما تودّ تحقيقه في حياتك وما تريده من واقع لنفسك، وذلك من حيث الأولويات والأهداف النهائية في حياتك، بحيث يتوافق ذلك مع فلسفتك والمعتقدات التي تؤمن بها. إنها تتعلق بالغاية أو الغايات العليا التي تعيش من أجلها، لذلك أقول: قيادتك لحياتك تُعنى برسم رسالتك التي تحدد الأولويات العليا لمسيرة حياتك، حيث إنّ تمحور الحياة حول الأولويات حفظ لها من الضياع على سفاسف الأمور غير الهامة، كما يقول د. عماد الدين خليل: «ترتيب الأولويات حماية للجهد واغتنام لفرصة العمر»[١].

يقول هاس: «الرسالة الذاتية يجب أن تتكون من عدد محدود من الأولويات والأهداف الحياتية»[٢].

أحد الإداريين عرَّف الأولوية بمفهومها العام بأنها «مطلب حياة الفرد»، أي الرسالة والغاية المرادة من حياته[٣]، ومن تلك الأولويات تنشأ الأهداف الحياتية الكبرى.

وإن معرفتي بواقعي الحالي تخوّلني من اختبار ما أعيشه، وهل يتوافق مع ما أريده؟ وهل حياتي التي أعيش ناتجة عن قيادتي الذاتية لها وبمبادرة مني أم هي وليدة الظروف والبيئة والناس من حولي؟ وإنه من أجل استمرارية الصلة بين تصوري في الحياة وبين ممارساتي العملية اليومية

---

(١) عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، مرجع سابق، ص١٣.

(٢) Howard G. Haas, and Bob Tamarkin, The Leader Within, P.139.

(٣) Ralph Keyes, Timelock, New York, Harpercollins Publishers, First Ed., 1995, P.165.

يجب أن يتضح لي الإجابة على الأسئلة الثلاثة التالية[١]:

س١: ما هو أهم شيء لدي؟

س٢: ما الذي يعطي لحياتي معنى؟

س٣: ماذا أريد تحقيقه خلال حياتي؟

فإنني من أجل حياة ناجحة أسير خلالها على بصيرة وبخطًى مستنيرة احتاج ابتداءً تصوراً نظرياً لواقع معيّن أريده، هو إجابة على تلك التساؤلات، إنّها رؤية وتصوُّر ذهني للواقع الذي أودّ أن أصل إليه[٢]، ثم إنني بعد ذلك بحاجة لرسالة حياتية[٣]، وهذا التصوُّر والرسالة يوجدهما العقل الأيمن بإبداعه وتخيُّله. بعد ذلك أحتاج لتلك الأهداف التي أريد تحقيقها في حياتي[٤]، ومن ثم أحتاج لخطة ترسم الكيفية العملية لمسيرة حياتي[٥]، وهذا ما يوجده العقل الأيسر. يقول هاس: «الرؤية الذهنية هي ماذا يمكنني أن أكون، والرسالة هي ماذا أريد أن أكون، والخطة هي الاستراتيجية لكيفية الوصول إلى ذلك»[٦].

لذلك من الضروري ابتداءً توضيح توجهك في الحياة والغاية التي تعيش من أجلها، ثم تثبت على ذلك التوجه بسلوك يومي منتظم، يقول مونتجومري لورد في كتابه «السبيل إلى القيادة»: «اجعل غايتك الكبرى (أي رسالتك في الحياة) واضحة، ودع عنك كل ما يعيقك عن تحقيق هذه الغاية، وتمسك بقوة بكل ما يساعدك على بلوغها، ومن ثم تقدم نحو إدراكها بضمير حي وبشجاعة وإخلاص»[٧].

---

(١) Stephen R. Covey, A. Roger Merrill, and Rebecca R. Merrill, First Things First, New York, Simon & Schuster, First Ed., 1995, P.79.

(٢) Vision.

(٣) Mission.

(٤) Goals.

(٥) Plan.

(٦) Howard G. Haas, and Bob Tamarkin, The Leader, Within, P.138.

(٧) مونتجومري لورد، السبيل إلى القيادة، ترجمة حسن مصطفى، مرجع سابق، ص١٦.

من أجل معرفة أولويات حياتك يُنصح أن تسأل نفسك هذا السؤال: ماذا يجب أن أقوم به إن بقي من حياتي ٦ أشهر فقط؟ ومن الملاحظ أن معظم الناس لا يعملون بحسب الأولويات العليا لأن ذلك يجعلهم يشعرون بدنو الموت.

٢ ـ وجهتك الخاصة في الحياة:

أحد الزملاء من النشطاء في حقل القيادة الذاتية والإدارة ذكر أنّ الرسالة يجب أن تكون عامة، ولا توحي بتخصُّص، فذكر أنّ رسالة كل فردٍ من المسلمين جميعاً رسالة واحدة، وهي رسالة الرسول ﷺ: إقامة الدين. لكنني ناقشته بأنّ الرسالة لا بدّ وأن توجّه الإنسان نحو وجهة معيّنة يُتمحور نشاطه حولها، وعندما تكون الرسالة عامة جداً لن توفّر لصاحبها وضوحاً في التوجه يستطيع من خلاله أن يتمحور بجهوده حولها. ولقد ناقشني لساعات حول هذه الفكرة، منتصراً إلى أنّ رسالة كل فرد مسلم هي رسالة واحدة، لا تختلف بين فرد وآخر، أكان عربياً أم عجمياً، صغيراً أم كبيراً، عالماً أم جاهلاً، وليس للمسلم الإرادة الحرّة في تحديد رسالته لأنّها تشريع من عند الله، ولقد كان موقفي ما يلي:

أولاً: برغم صحة توصيفه لرسالة الرسول ﷺ، إلّا أنّ الرسول ﷺ كان المشرّع وأيّده الله بالوحي وله طاعة الأمة قاطبةً، لكنّ الفرد المسلم عاجزٌ عن حمل رسالة مجملة عظيمة كهذه، بل قد يقدّم برسالته الخاصة دوراً يخدمها من زاوية ما.

ثانياً: إنّ رسالة الأمة بمجملها اليوم هي رسالة الرسول ﷺ ـ إقامة الدين ـ، لكن لا بد من التخصُّص الفردي ضمن منظومة الأمة الواحدة، فتجتمع رسالات الأفراد كلٌّ بحسب توجهه وقدراته وتخصصه ومواهبه، مما يخدم رسالة الإسلام العامة، فيضم الفقيه عطاءه إلى عطاء الباحث، ويضم التاجر الثري عطاءه إلى عطاء الداعية، ويضم المجاهد عطاءه إلى عطاء السياسي، ويضم الإعلامي عطاءه إلى عطاء العالم النفساني، وهكذا كلٌّ بحسب توجهه وما ميّزه الله به، فتصبح الرسالة بمثابة المهمة الأساس

في الحياة. ولقد حصل ذلك في الجيل الأوّل من المسلمين، فكان خالد بن الوليد رضي الله عنه صاحب رسالة أو مهمة تمحورت حول الجهاد لإعلاء كلمة الله، وكان أبو هريرة رضي الله عنه صاحب رسالة تمحورت حول حفظ السنّة النبوية، وعثمان رضي الله عنه تمحورت رسالته حول تمويل العمل الإسلامي، وعمر بن الخطاب وأبو بكر رضي الله عنهما كانا صاحبي رسالة تمحورت حول قيادة الأمة الإسلامية، وهكذا مما جعل لهؤلاء مهام حياتية ووظائف أساسية كخدم إقامة الدين بصورة ما. ولعل مثال وحدة رسالة الجماعة وتخصّص رسالات ومهمات الأفراد هو نظام الجيش اليوم، هنالك تخصصات: سلاح الجو والبحرية والمشاة والآليات، وهنالك ضمن كل حقل متخصصون في الإدارة والصيانة والاتصالات والتجسُّس والهجوم والدفاع والإسعاف والتمويل، إلى العديد من التفرعات في كل تخصُّص، فهذا الطبيب الجرّاح وهذا الممرّض وهذا المسعِف، وهذا الطبيب النفساني. فتتعدّد المهمات بحسب الاختصاص ضمن رسالة عامة هي رسالة كل مؤسسة الجيش، فقد تجد الفرد الذي يقول لك بكل وضوح رسالتي في الجيش صيانة الغوّاصات دفاعاً عن بلدي من غزو الأعداء، وآخر يقول لك رسالتي سرعة إسعاف الجرحى ونقلهم للعلاج، وبهذا تتكوّن رسالة الجيش بكامله.

ثالثاً: لقد جعل الله للإنسان إرادة حرة، وجعله مخيّراً في سلوكه، وأمره أن يحمل أمانة هذا الدين، ويقوم بمسؤولية الخلافة في الأرض، لكن قدرات الناس تختلف بين فرد وآخر، وكذا توجهاتهم الحياتية، لذلك أُمر أعيان المسلمين بأركان واجبة معروفة كالصلاة والصيام، وأُمرت الأمة بحمل الأمانة، فكلٌّ له إرادته الخاصة في تقديم ما يمكنه تجاه تلك الأمانة، ضمن أسس العمل الجماعي الذي يمثله المجتمع المسلم، فيتمحور البعض حول خدمة الرسالة العامة ـ إقامة الدين ـ بالعمل المؤسسي الإعلامي، وآخرون في مجال التربية والتعليم، وآخرون في مجال البحث العلمي، وآخرون في مجال مساعدة الضعفاء والمحتاجين، وللسياسة رجالها، كما للاقتصاد رجاله، وهكذا.

وإنني في هذا المبحث أؤكّد مسألة هامة وهي أنّ الرسالة لن تستطيع أن تقدّم أي تغيير في حياة الفرد إن كانت عامة جداً، مثال ذلك: أنني في أحد الدورات التدريبية وجّهت استبياناً لقرابة ثلاثين مشاركاً، من ضمنه السؤال: ما هي رسالتك في الحياة؟، وكانت الإجابات في جلّها كالتالي: رسالتي تقوى الله، وأخرى رسالتي عبادة الله، وأخرى رسالتي توحيد الله، وأخرى رسالتي الإسلام، ورسالتي إقامة الدين... إلخ، حيث كان المشاركون من ذوي التوجُّه الإسلامي. ولقد وجدت من خلال الأسئلة الأخرى أنّه لا يوجد لدى هؤلاء أهداف واضحة تبلور هذه الرسالة، ولا تعكس حياة معظم المشاركين رسالتهم هذه، ومعظمهم غير راضٍ عن واقعه العملي. ذلك لأنّ هذه الرسالات تشكّل رسالة واحدة عامة لا تولّد تخصّصاً ولا توجهاً يميّز الفرد عن غيره، وهي رسالة «الأمة الإسلامية» بمجملها بحسب فهمي.

لذلك من أجل أن تكون رسالتك جزءاً محدداً من رسالة الأمة، اسأل نفسك هذين السؤالين:

س١: ما هي أعلى الأولويات التي تحتاجها الأمة اليوم لإقامة الدين؟

س٢: ماذا أستطيع أن أقوم به في أحد تلك الحقول ذات الأولوية؟

ولفهم ما أعنيه بالأولوية، أقول: إنّ الرسالة التي لا توجد في نفسك قوة دافعة تجعل لحياتك معنى وغاية لا تمثل أولوية حياتية، هذا يعني أنّ رسالتك يجب أن تتمحور فعلاً حول أعظم الأمور التي تؤمن بها، إضافة إلى استطاعتك تقديم شيء من أجلها، بحسب قدراتك وما خصَّكَ الله به.

لنضرب مثلاً على الأولويات العامة، إن الإنسان الذي يحمل إيماناً بأن هذه الدنيا ليست إلّا دار ممر، وأن الموت سينقل الناس جميعاً من حياة زائلة قصيرة إلى حياة أبدية في جنة أو في جحيم، وعندما يعلم ويوقن بأن مستقره في النعيم ونجاته من الجحيم لا يكون إلا بطاعة مولاه في

الحياة الدنيا، حينما تكون أولوية حياته العمل وفق هذا الإيمان، وبما يتماشى مع أوامر الله فيعيش حياته بمنهج ارتضاه الله له، فيتمحور حوله في نشاطه وسلوكه اليومي.

ومن الأمثلة الأخرى، أن متوسط الإنسان يصرف قرابة ٨٠٠٠ ساعة من حياته في عمله أو وظيفته، ولا شك أن هذا استثمار ضخم يقوم به، وخاصة أنّ ما يصرفه هو من أوقات العطاء ـ ما بين الثامنة والخامسة يومياً ـ، لذلك من الأولويات العامة اختيار العمل المناسب الذي يتماشى مع إيمانه وقيمه ومطالبه في الحياة، فيختار العمل الذي يقدّم من خلاله منفعة للرسالة التي يحيى من أجلها، ويكون نتاج عمله خيراً يرتضيه الله أولاً ثم الشخص نفسه، ويكون ذلك في مهنة شريفة يحبها ويتقنها، كما أنّها لا تدني من مروءته أو تنال من أمانته، ويكون مصبها في مصالح دنياه وآخرته.

فاسأل نفسك ماذا أريد أن أعمل ولماذا؟ تصور جدلاً أن جميع الأعمال والوظائف تدر عليك كمية المال نفسها ـ حيث إن رزقك مكتوب بالكمية وما عليك سوى أن تسعى له ـ، ثم اختر عملاً تبرع فيه وتميل إليه وتود أن تجعله سبيلاً لمعيشتك وزاداً لآخرتك.

يعرّف جودت سعيد العمل بأنّه حركة بقصد، ويضيف أنّ الحركة وحدها بغير قصد تكون كحركة الجمادات، وهي حركة قدرة لا إرادة لها، كحركة الشمس والرياح، لكن الإنسان يتحرك بإرادة[1]، لذلك يقول أيضاً بأنّ العمل قدرة وإرادة، «والإرادة هي حبُّ تحصيل أمر ما وإرادته والإخلاص له»[2].

وإنّ مجرد الشعور بأنك تحيا لرسالة ومهمة تعيش من أجلها، تتضّح

---

(١) جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، مرجع سابق، ص٨٣ ـ ٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٩.

رؤيتك لمسيرة حياتك وتمتلك حينها بوصلة توجهك في طريق صائب، فيتولد لديك روح المبادرة، وتتضّح أهدافك التي تريد، فليكن لديك رسالة خاصة ترتكز على قيم صحيحة تقيس على إثرها قراراتك ومواقفك تجاه مصارف وقتك وطاقاتك بالطريقة المثلى، لذلك يقال بأنّ الرسالة الذاتية عبارة عن قانون أو قوانين شخصية تحكم مسيرة الحياة[1].

لذلك نقول: إنّ الرسالة هي بلورة للأولويات العليا في مجموعة عبارات بغية تحديد القيم والأهداف الحياتية. ولا شيء يعطي توجهاً واضحاً لحياتك سوى رسالة تؤمن بها وقِيَم تعيشها، تلك الرسالة تمنحك نظرة جديدة من خلالها ترى العالم بطريقة مختلفة، وتشعر بالرضى لتمحورك حول ما تراه صواباً، فتصلح معيشتك لسيرك على رشد وقيم خيِّرة، وحتى يحصل ذلك لا بد أن تكون هذه القيم مطلقة لا تتأثر باختلاف الزمان والمكان.

لكن قد تكون أولويات الناس العامة اليوم على نوعين لا ثالث لهما، طلاب دنيا وطلاب آخرة، فتتمحور حركة الأوّل حول إرادة الدنيا ومتاعها ومتعها، بينما يتوجه الآخر حول إرضاء رب العالمين، حتى ينقسم الناس إلى فريقين.

٣ ـ وجهة الناس بين الدنيا والآخرة:

الناس فريقان في هذه الدنيا، فريق يعيش فيها لها، وآخر يعيش فيها لغيرها، الفريق الأوّل يسعى ويلهث وراء الدنيا كأنها هي الحياة كلها، يريد أن يتنعم بها بما يستطيع قبل أن يغادرها، ويود العيش فيها أطول ما يستطيع. إنهما فريقان، طلاب الدنيا وطلاب الآخرة. الفريق الأوّل يعيش من أجلها ويموت من أجلها، وكأنما لا يعبد سواها، وذلك من الكفار الذين لا يتصورون حياة بعدها، أو من المسلمين الذين أعمتهم الدنيا حتى تشاغلوا بها عن غيرها. ويعرض الله هذين الفريقين بقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.108.

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[١].

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآية: «فالذين لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض يتوحلون بوحلها ودنسها ورجسها، ويستمتعون فيها كالأنعام، ويستسلمون فيها للشهوات والنزعات، ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدي بهم إلى جهنّم»[٢].

بخلاف المؤمن الذي علم أنّ الدنيا شأنها قليل فأعدّ للآخرة، كما قال رجلٌ لسفيان الثوري رحمه الله: «اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها والسلام»[٣]، وعَلِمَ أنّه لن يؤثر في مصيره يوم القيامة ما كان رصيده في حسابه البنكي، ونوعية السيارة التي قادها، وحجم البيت الذي سكنه في الدنيا، فلم يجعل ذلك أعظم همه خلال حياته فيها.

فهؤلاء الذين استبدلوا الآخرة بالدنيا، ونسوا ما خلقهم الله من أجله، يعطيهم الله ما يريدون من هذه الدنيا فيها، ثم يكون مصيرهم ذلة ومهانة في الآخرة. يقول الإمام الرازي في مصير طلاب الدنيا من الفريق الأوّل: «إنّ العقاب عبارة عن مضرة مقرونة بالإهانة والذم بشرط أن تكون دائمة وخالية عن شَوب المنفعة، فقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾ إشارة إلى المضرة العظيمة، وقوله: ﴿مَذْمُومًا﴾ إشارة إلى الإهانة والذم، وقوله: ﴿مَّدْحُورًا﴾ إشارة إلى البعد والطرد من رحمة الله، وهي تفيد كون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة، وتفيد كونها دائمة وخالية عن التبدل بالراحة والخلاص»[٤].

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، جـ ٤ ص٢٢١٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مرجع سابق، جـ ١ ص٢٨٧.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، جـ ٢٠ ص١٧٨.

أمّا الفريق الآخر، فإنه يتصف بصفات[1]:

أولاً: إرادته الآخرة: حيث إنه اختار ما عند الله على الدنيا الزائلة، فكانت الدنيا في يده ولم تكن في قلبه، فلم تشغله عن آخرته.

وثانياً: سعيه للآخرة: وهو العمل في الدنيا الذي ينال به الفوز بالآخرة.

وثالثاً: همته العليا: حيث إنّ كلمة السعي توحي بالحركة الدائبة وبذل الجهد، فهو يسابق الزمان لكي يملأ صحائفه بالعمل الصالح.

ورابعاً: إيمانه: حيث لا يقبل الله العمل إلا بعد الإيمان، لذلك قال تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

لذلك كان لهذا الإنسان جانبان، جانبٌ أرضيٌّ يشده نحو أصله من التراب، وجانب علويّ يشده نحو خالق الكون، وذلك هو نفخة الخالق من روحه في هذا الجسد الترابي، لذلك نرى أنّ الإنسان معرّض لامتحان قاسٍ وبلاء عظيم بين هاتين القوتين، بين الدنيا والآخرة، بين الجسد والروح، بين الأرض والسماء، بين الظلام والنور، فجاء الإسلام ليرسم الطريق الوسط مؤاخياً بين الروح والجسد، جاعلاً كلّاً منهما سنداً للآخر[2].

وطبيعي أن تختلف الرسالات الحياتية بين فريق وآخر، وكذا بين فرد وآخر، فنرى أنّ هنالك ضمن فريق طلّاب الدنيا توجهات متعددة، ذلك لأنّ توجهات الناس الحياتية تتعدّد بين طالب للمال وطالب للمتعة وطالب للعلم وهكذا. وهذا التعدد في التوجهات يوجد مرتكزات أو محاور حياتية يتمحور الناس حولها، مما يجعل جهودهم وأوقاتهم مصروفة تبعاً لها.

---

(١) عبد الحميد البلالي، طلاب الدنيا وطلاب الآخرة، مجلة المجتمع، العدد ١٢٧٧، ١١ ـ ٢٥ رجب، ١٤١٨هـ ـ ١١ ـ ٢٥ ديسمبر ١٩٩٧م.

(٢) عبد الكريم الخطيب، المسلمون ورسالتهم في الحياة، مرجع سابق، ص٤٠ ـ ٤٢.

المطلب الثالث: المرتكزات الحياتية

الرسالة الذاتية تختلف باختلاف الأشخاص، ولا شك في أنها تتأثر بالمعتقدات، وهنالك ثمة مرتكز أساس قد يكون طاغياً على غيره لدى تصرفات كل فرد، فكل فرد يتمحور حول مرتكز معين يختلف عن غيره، وهذه المرتكزات تتلخص بما يلي[1]:

مرتكز العائلة:

عندما تتمحور تصرفات الفرد حول العائلة فقط، وعندما يشعر بالضياع التام بدون أفرادها يكون من أصحاب ذلك المرتكز، كأن تكون الحياة الزوجية هي المحور الأساس في حياته، فيرى أن العائلة تشكل مصدراً كبيراً للعلاقة الإنسانية والعطف والشعور بالسكينة، فأصحاب المرتكز العائلي يشكل تربية أولادهم المهمة الأساسية في حياتهم، والزوجة يشكل زوجها كل شيء في حياتها أو العكس، وهذا المرتكز منتشر بين النساء على الأغلب.

مرتكز المال:

مرتكز المال هو الأكثر انتشاراً بين الناس، فالأمان الاقتصادي والكفاية المالية تشكل هدفاً كبيراً في حياة الكثيرين، ويحصل هذا عندما يشكل المال هاجساً ضخماً في حياة الفرد، كأن يصبح يخاف الفقر دوماً ويسعى لكسب أكبر قدر من المال بأي طريقة. أصحاب هذا المرتكز يسعون لزيادة ممتلكاتهم من بيت وسيارات وأشياء مادية كثيرة. وسبب هذا التصرف الاعتقاد اللاشعوري بأن قيمة الشخص تكمن بما يملكه، لذلك لطالما حدث أن ينتحر الشخص لفقدان ثروته وممتلكاته في البورصة مثلاً، وقد يكون طلب المال غرضاً نبيلاً وذلك للنفقة على العائلة، ولكن حينما يصبح وحده محور الحياة فهذا له عواقبه الوخيمة، وهذا النوع من الناس

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.111-118.

عادة يتجاهل حسن العلاقات الاجتماعية والأولويات الأخرى، ويقيس الأمور كلها بمقياس واحد هو الدرهم أو الدولار.

مرتكز العمل:

أصحاب هذا المرتكز يضحون بالصحة والعائلة والأمور الأخرى في سبيل العمل، هذا حينما يشعر الفرد بأن قيمته الذاتية تكمن في عمله، وخاصة عندما يعرف نفسه: «إنني طبيب» أو «أنا الكاتب الفلاني» أو «أنا المحامي الفلاني» أو «أنا الضابط الفلاني»، وسبب هذا قناعته بأن قيمته تكمن في رتبته في العمل فقط وباللقب الوظيفي الذي يحمله.

مرتكز المتعة:

هذا المرتكز منتشر جداً وخاصة بين الشباب، حيث يكون الهدف مجرد المتعة مهما كانت وبأي صورة كانت، مشروعة أم لا، أخلاقية أم لا، فطلب اللهو وتعاطي السكر والمخدرات والجنس والموسيقى والرقص... إلخ تصبح أهم ما يريد الفرد في حياته، وذلك لظنه بأن حياته إلى فناء فيحاول التمتع بها متجاهلاً جوانب الحياة الأخرى، وهذا النوع من الناس نظرتهم قصيرة المدى، مثال ذلك: أنّهم يعلمون أضرار تعاطي المخدرات على الصحة، لكنهم لا يبالون ما دام ذلك يوفر لهم متعة في الوقت الحاضر.

مرتكز الدين:

هذا يعني أن يعيش الفرد المبادئ الدينية التي يؤمن بها مهما كانت، فيستمد معتقداته ومبادئه منها، فالمسلم يجعل تمييز الخير من الشر مما جاء به الله وأرسل به رسله، وأصحاب هذا المرتكز لديهم القناعة الراسخة بأن الله خلقهم ثم أرسل لهم الرسل لهدايتهم إلى الطريقة المثلى للحياة، فيحملون الشعور بواجب طاعة الله واتباع سبيله.

وهؤلاء نوعان: النوع الأول: أتباع الدين الحق الذين يتبعون منهج الله الصحيح، والنوع الآخر: هم أتباع الديانات المنسوخة أو الباطلة ابتداءً.

لذلك قد يكون أصحاب المرتكز الديني أصحاب خرافات وشعوذات ليسوا من أتباع الدين الحنيف، وقد يكونوا أولي رهبانية يعكفون على التنسُّك في مكان ما لا يخرجون منه، فلا يتزوجون ولا يعملون ولا يخوضون معترك الحياة، بل تجدهم سلبيين في نظرتهم للواقع، وهذا منتشر بين بعض طوائف النصرانية والبوذية والهندوسية، فتكون النتيجة أنّ فئة ضئيلة من أتباع هذه الديانات هم الكهنة يحيون هذه الحياة ممثلين رجال الدين بينما يعيش باقي أتباعهم حياة أخرى.

مرتكز الذات:

مرتكز الذات كثير الانتشار بين الناس، ونتيجته حب الذات والأنانية وعدم الاكتراث بالغير، فأصحاب هذا المرتكز يجعلون أنفسهم فوق كل شيء، ويقدّمون مصالحهم مهما كانت على كل مصالح الغير، ولا يبالون بما يخص غيرهم، فهم يتمحورون حول «الأنا»، وتراهم معجبين بأنفسهم وربما مغرورين بما عندهم، وغالب حالهم أنهم لا يستطيعون النجاح في علاقاتهم الاجتماعية أو أي عمل يتطلب تعاوناً مشتركاً.

مكانك من هذه المرتكزات:

أين تقف أنت من هذه المرتكزات؟ أين يكمن مرتكز حياتك؟ حتى تعلم ذلك ابحث عن العناصر التي تمثل مصدر الطاقة والراحة في حياتك، وكثيراً من الأحيان يكون مرتكز حياة الفرد عبارة عن مزيج من عدة مرتكزات، أو تتمحور حياته حول مرتكزات تختلف بين فترة وأخرى بحسب الواقع والبيئة آنذاك، ففي بداية حياته يتمحور حول مرتكز العمل ثم العائلة ثم المال وهكذا، وهذا التنقل من مرتكز لآخر غير سليم وينتج عنه عدم الإبداع في حقل ما في الحياة.

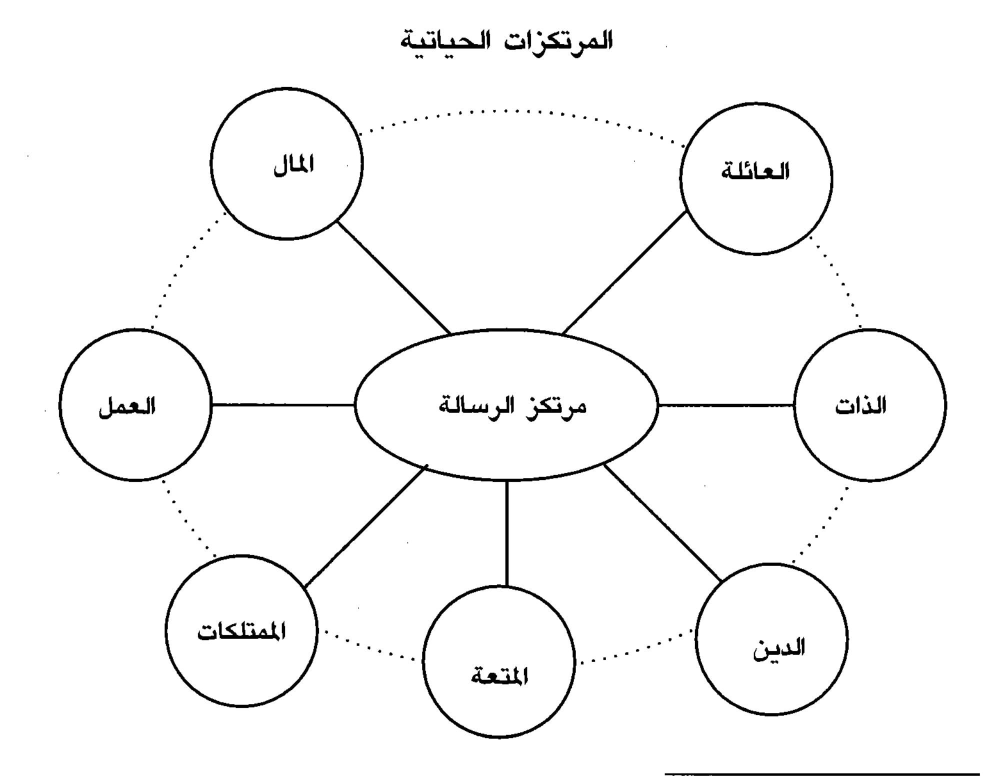
مرتكز الرسالة:

الأفضل أن تنطلق من مرتكز شمولي واحد تحصل من خلاله على درجة

عالية من الترشيد لكي تعيش حياة متوازنة لا تغفل أي جزء هام منها، وهذا المرتكز يجب أن يجمع الصواب في كل حقل من حقول حياتك في باقة من الأولويات والقيم الحياتية لنطلق عليه اسم: مرتكز الرسالة وهي المقصد من حياتك وما تعيش من أجله، ولا بد أن يتّصف هذا المرتكز بنظري بصفات ثلاث: ١ ـ الشمولية، ٢ ـ والصواب المطلق، ٣ ـ والتوازن.

ولا نرى غير منهج الله مصدراً لرسالة حياتية تتّصف بهذه الصفات، فهو منهج حياة متكامل لا يغفل جانباً لآخر، ولقد تناولت ذلك بإسهاب حينما عرضت معنى العبودية[١]، ولا شك أنّ الإنسان عاجز عن وضع قيمٍ مطلقة في صوابها لا تتأثّر بالزمان والمكان والظروف، ذلك أنّ الإنسانَ نفسه يتأثّر بتلك العوامل، فكان الله بكل وضوح هو مصدر ذلك الصواب المطلق، كما أنّ منهج الله منهج متّزن معتدل، كما سأبيّن أدناه.

المرتكزات الحياتية



(١) راجع ص١٨٤ ـ ١٩٠ من هذا الكتاب.

توازن الرسالة الحياتية:

لقد كان الرسول الكريم ﷺ ينشر بين الصحابة هديه في التوازن بين جوانب الحياة المختلفة، ويأخذ بأيديهم إلى الاعتدال في حياتهم التعبدية وحياتهم الخاصة، حتى أصبح هذا الاعتدال والتوازن سجية من سجاياهم، يتواصون به ويحرصون على التحلي به، ويحتكمون إلى الرسول ﷺ إن أحب أحد منهم أن يغالي في جانب على حساب آخر. ولذلك عندما جاء النفر الثلاثة إلى بيت رسول الله ﷺ يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم: كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)].

ولقد كان هدف جميع الرسالات الربانية تجاوز صراع الأضداد في النفس الإنسانية، «إذ كل الكون قائم على هذا الصراع الدائب والدائم بين المتناقضات في تجلياتها الثنائية المتباينة بين نور وظلام، وعلم وجهل، وحب وكراهية، وتقدُّم وتخلُّف، وحركة وسكون، وحياة وموت، وما إليها. وسعت رسالات الله إلى رسم طريق الوسطية الذي يقود إلى خلق التوازن بين هذه المتناقضات في كيان الإنسان وفي مجتمعه لينتقل ذلك التوازن إلى الإنسانية، فيتم لها التوازن مع الكون المحيط بها، فتدرك التوازن مع خالقها الأعظم»[(٢)]، وهذا التناقض ذروته في صراع التقدُّم المادي الذي يفوق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم ٥٠٦٣. ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح، حديث رقم ١٤٠١.

(٢) عون الشريف قاسم، الإسلام الرسالة الخاتمة لمرحلة خاتمة، مجلة أبحاث الإيمان، الخرطوم، المركز العلمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ - مايو/ أيار ١٩٩٩م، ص١١ - ١٢.

بمراحل التقدُّم الروحي، مما نجم عنه الفساد الاجتماعي، فنرى أنّ الاستجابة لمتطلبات الحياة المادية في المجتمعات الحضرية المتطورة من طعام وشراب وحب المال وما إليها من إشباع الشهوات الغريزية النابعة من الحيوان الكامن في أصل الإنسان يطغى على القيم الداعية إلى الرضى والتوسُّط والإيثار والعدل النابعة من إنسانية الإنسان، لذا جاء منهج الله ليصحّح هذا الغلو في طغيان المادة على الروح[1].

وإنّ حاضر المدنية اليوم فيه انفصام كبير بين دين الله ودنيا البشر، وإنّ استفحال التحضُّر جلب معه الأنانية وحب الذات والتضحية بكل القيم في سبيل المادة وشهوات النفس، خلاف ذلك كان حال صحابة رسول الله ﷺ، فإن قصّر أحدهم كان تقصيره في حق نفسه. رُوي عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل، فإني صائم. قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم الليل. قال سلمان: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان»[2]. وكان الجيل الأوّل لا ينالون من الدنيا إلا الضروري الذي يعينهم على حياتهم، مهتدين بالرسول ﷺ حيث قال: «من أصبح آمناً في سِربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»[3].

عندما ترتكز حياتنا على رسالة متضمنة للقيم وللأولويات الحياتية

---

(١) المرجع السابق، ص١٢.

(٢) رواه البخاري في سننه، كتاب الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، حديث رقم ١٩٦٨.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب: رقم ٣٤، حديث رقم ٢٣٤٦.

الصائبة والمتّزنة نوجد قاعدة صلبة للانطلاق منها في الاتجاه الصحيح في مسيرة الحياة المتشعبة، فالمبادئ والقيم الصحيحة لا تتغير ولا تتبدل، لذلك نستطيع الاعتماد عليها في كل آن، وهي تجعلنا نرى العالم بطريقة أوضح وأكثر واقعية، كما توجهنا للقيام بالأصوب من الأعمال، وتمدُّنا بتصوُّر واضح وسليم نحو الحياة الإنسانية بشكل عام.

على سبيل المثال: إذا أردت أن تأخذ عائلتك لنزهة هذا اليوم، وقد كنت قد وعدتهم بها منذ مدة طويلة، ثم اتصل رئيسك في العمل لحاجته لك فوراً، فكيف تتصرف؟ صاحب مرتكز العمل سيلغي ما وعد به عائلته مهما كانت أهميته، وصاحب مرتكز العائلة سيقول: لا لرئيسه، لكن الشخص الذي يرتكز حول رسالة حياتية متوازنة يقوم بدراسة الموضوع وتقييم الاحتمالات، ثم يأتي بأفضل الحلول بعد دراسة عناصر المشكلة، ثم يعالج الموضوع مع عائلته وعمله بأحكم طريقة ممكنة تبعاً لأولوياته آنذاك، ذلك لأنك عندما تنظر للأمور بطريقة مختلفة، تفكّر فيها بطريقة مختلفة، وتتصرف نحوها بطريقة مختلفة.

المطلب الرابع: التمحور حول القيم

السلوكيات الشخصية ترتكز على نظرية أساسية هي أنه يوجد قيم تحكم حركة الإنسان، وكما أنه يوجد قانون الجاذبية للبعد الجسدي، توجد كذلك قوانين طبيعية لبعده الإنساني، إنها مبادئ وقيم عامة، ليست ممارسات عملية بل محاور تدور حولها شخصية الإنسان مثل الصدق والأمانة والصبر، وبينما تكون الممارسات خاصة بواقعة معينة تكون القيم عامة وعميقة في النفس، وهي تطبق في مجال العمل والعائلة والحياة الخاصة والعامة، إنها الموجه لحياة الشخص في مختلف مجالات حياته، بحيث تصبح قوانين تحرك حياته تبعاً لقيم أخلاقية سلوكية صلبة مرتكزة عليها، وبدون وجود لتلك القيم يضيع الإنسان وينهار المجتمع بأكمله، يقول صموئيل زويمر الذي ترأّس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين عام ١٩٢٥: «إن مهمتكم أن تخرجوا

المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»[1].

لكن من أين نأتي بهذه القيم الحياتية الصحيحة؟ تلك التي لا تتغيّر بحسب الظروف والمكان والزمان، وتلك التي ترشِّدنا نحو الصواب في جميع الأفعال، وتمدنا بتصوّر سليم نحو الحياة الإنسانية.

منشأ القيم:

لكي تكون تلك القيم مطلقة في صوابها، وفعّالة في تأثيرها لا بد أن تنبع من رسالة المسلم التي يعيشها أو يجب أن يعيشها، لذلك يجب أن تكون ربانية المصدر كما هي رسالته، وذلك تبعاً لما جاء به الوحي من خالق هذا الإنسان.

لذلك إنّ إعادة تشييد بنيان صرح الإنسانية يتطلّب اقتفاء سبلها من دين الله، فإنّ «الإسلام في الحقيقة هو عبارة عن الحركة التي تريد بناء صرح الإنسانية بأسره على حاكمية الله الواحد الأحد، وهذه الحركة جارية على سنن الله منذ أقدم عصور التاريخ، وقادتها هم صفوة رجال الإنسانية الملقبين برسل الله، فإن أردنا القيام بهذه الحركة والعمل على تسييرها، فلا بد لنا من اتباع هؤلاء القواد وقُفُوّ آثارهم، لأنه ليس ولا يمكن أن يكون لهذا النوع من الحركة من برنامج عملي غير ذلك»[2]، ذلك أنَّ الإنسان بدون اتباع رسل الله ورسالاته عاجز عن تشريع قيم حياتية لنفسه.

عجز الإنسان عن التشريع لنفسه:

لقد ميَّز الله الإنسان من حيث سيادته في الأرض ووظيفته فيها، ومن حيث قواه العقلية والجسدية، ومن حيث سخّر الله الكون له، لكنه يبقى

---

(١) جاسم محمد المطوّع، الوقت عمار أو دمار، مرجع سابق، ج ١ ص١٢٢.

(٢) أبو الأعلى المودودي، منهاج الانقلاب الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٨١م، ص٢٨.

ضعيفاً لا يمكنه وضع قيم حياتية مطلقة، إنّه لمحدودية عقله وخبرته عاجز عن أن يُشَرِّعَ لنفسه منهجاً قويماً وقيماً مطلقة يعيش بها، يقول سيد قطب: «على كل ما استودعه الله من أمانة الخلافة الكبرى في هذا الملك العريض، وعلى كل ما سخر له من القوى والطاقات والأشياء والأحياء فيه، وعلى كل ما أودعه هو فيه من طاقات المعرفة والاستعداد لإدراك الجوانب اللازمة له في الخلافة من النواميس الكونية... على كل هذا هو مخلوق ضعيف، تغلبه شهواته أحياناً، ويلازمه جهله بنفسه في كل حين... ومن ثم لم يترك أمر نفسه ومنهجه في الحياة لشهواته وهواه وضعفه وجهله، ولكن أكمل الله عليه نعمته ورعايته، فتولى عنه هذا الجانب»[1].

ويضيف سيد قطب قائلاً: «إن الناس لا يستطيعون أن يشرعوا لأنفسهم، وليست لديهم القدرات والاستعدادات الضرورية لوضع منهج لحياتهم هم أنفسهم، لأنهم يجهلون أنفسهم، ويجهلون مآلات تصرفاتهم ورغباتهم، ويخضعون لأهوائهم وشهواتهم.. وكلها مؤثرات تجعل من الخطر على وجودهم، وعلى خط سيرهم في الحياة، أن يتولوا هم وضع شريعتهم وتخطيط منهج حياتهم الأصيل.. كما نجد التنصيص القاطع والتشديد الحاسم ـ الذي لا يقبل المحال والجدال ـ على أنه لا يُسلم المسلم، ولا يؤمن المؤمن، حتى يجعل منهج الله للحياة منهجه، وشريعة الله للحياة شريعته، ولا يتخذ من عند نفسه لحياته منهجاً ولا شريعة، وإلّا ادعى لنفسه ـ بهذا ـ حق الألوهية فكفر بألوهية الله، ورفض إفراد الله بالألوهية، وكفر معه كل من يقرّه على ادعاء حق الألوهية لنفسه، بادعاء حق التشريع من دون الله واتخاذ منهج غير منهج الله للحياة»[2].

وإن الذين درسوا الإنسان وقدراته علموا بعجزه عن وضع تشريع لنفسه وإيجاد القيم التي من شأنها أن تحكم حياته على أكمل وجه، فنجد

---

(١) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨ ـ ٣٠.

حتى العلماء من غير المسلمين يقولون بذلك، يختم الكاتب المعروف ستيفن كوفي دوماً كتبه البارزة في مجالات الإدارة والقيادة الذاتية بعبارات مثل: «نحن نؤمن بأن مصدر القيم والوعي هو الإله»(١). وفي كتاب آخر يقول: «إنني مؤمن بأن الإله هو مصدر القيم الحقيقية والسلوك الأخلاقي، لذلك إنه المسؤول المطلق في الكون، وإن الدراسة اليومية لكلامه الموحى به هو أعظم وأقوى سلوك في الحياة، لأنه يوجه حياتنا مثل البوصلة نحو الشمال الحق»(٢). وهذا المنهج الرباني يقوم أساساً على جلب مصلحة الإنسان، وتكميلها ودفع المفاسد عنه وتقليلها، ذلك أنّ الله تعالى هو الغني المتفضّل، والإنسان هو الفقير المحتاج إلى مولاه ﷻ في جميع شؤونه لذلك فإنّ اتّباع منهج الله وشرعته والقيم التي يحملها هو عين مصلحة هذا الإنسان.

المصلحة هدي الشرع:

لقد أرسل الله رسله لإيجاد منهجٍ كاملٍ وقيمٍ حياتيةٍ يعيش عليها الإنسان، والمقصد العام لمنهج الله وشرعته في الحياة تحقيق مصلحته إما بجلب النفع له وإما بدفع الضرر عنه.

وإن الله لم ينزل هذا الدين من فوق سبع سموات لكي يكون نظريات تستمتع العقول بمناقشتها، ولا ليكون كلاماً مقدساً يتبرك الناس بتلاوته وهم لا يفقهون هديه ولا يدركون معانيه، وإنما أنزله الله ليحكم حياة الفرد، وينظم حياة الأسرة، ويقود حياة المجتمع، وليكون نوراً يضيء طريق البشر، ويخرجهم من الظلمات إلى النور: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾(٣). وفي ظلال هذه الهداية ينضر العيش، وتطيب الحياة، ويهنأ

---

(١) Stephen R. Covey, First Things First, P.305.

(٢) Stephen R. Covey, Principle Centered Leadership, P.324.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ١٥، ١٦.

الأحياء[1]. فإنّ دعوة الرسول جاءت لتغيير القيم والمفاهيم وبناء منظومة عقدية تحمل إيماناً وقيماً تربي الفرد على سلوك طرق الخير والصلاح.

وإنّ قوة القيم والتمسك بها يعتمد على قوة العقيدة ورسوخها في النفس البشرية، تلك النفس التي تموج بشتّى الغرائز والشهوات والرغبات، فإذا انتصرت العقيدة في النفس انتصرت القيم التي تحملها، بكل عزيمة صلبة وإرادة قوية أمام كل النزوات والشهوات.

المطلب الخامس: تكوين رسالتك الحياتية

إنّ مجرّد وجود تصوُّر عام حول ماهية رسالتك الحياتية ليس كافياً لكي تسير عليها، بل لا بد من تكوينها بشكل دقيق وكتابتها بعد التفكُّر مراراً وتكراراً، ومن ثم يمكنك السير تبعاً لها، لكنّ تكوين رسالة الفرد في حياته ليست بالأمر السهل، وإليك بعض النصائح التي تعينك على ذلك:

١ ـ ابدأ بالنهاية:

تخيّل لدقائق أنك رافقت جنازة شخص ما للمسجد، فصلّيت عليه مع جمع من المسلمين، ثم حمله البعض للمقبرة، وأنت تسير مع الناس خلف الميت، وتسمع أحدهم يقول: مات فجأة بعد مرض ألمّ به لأيام قليلة، وآخر يقول: رحمه الله لم يتجاوز الخمسين من عمره، ثم يهمس في أذنك رجلٌ قائلاً بصوت متكسر حزين: منذ أسبوع فقط، مثل هذا اليوم، كنت معه في سهرة نلعب الشطرنج... أكاد لا أصدق ما حصل!.

ويصل الجمع إلى المقبرة وتحمله الأيادي فوق القبور، ومع الصمت الذي لا يكاد يقطعه سوى تنهدات تتصاعد من قلوب بعض الأحياء،

---

(١) محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، مرجع سابق، ص١٠ ـ ١١.

وشهقات بكاء يحاول صاحبه كتمانه، وبعض الكلمات التي تذكّر بالله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ويُنزَّل جثمان الميّت داخل القبر وأنت تنظر، ثم يوجه للقبلة وأنت تنظر ويكشف عن وجهه وأنت تنظر، ويا له من قدر محتوم! إنه أنت!! أنت الميت! أنت من غُسِّل! أنت من كُفِّن! أنت من صُلِّي عليه! أنت من سُوِّي عليك التراب!

هنا قف للحظة وتخيّل هذا المشهد، تخيّل أنك أنت ذلك الميّت وتساءل: ماذا أفعل فيما تبقى من عمري بحيث إنه إذا حصل هذا فعلاً أكون قد قمت بما عليّ على أكمل وجه في حياتي الدنيا؟ ماذا يجب أن أفعل قبل ذلك حتى أكون قد أمضيت عمري وأنا راضٍ ومطمئن أنه لم يذهب هباءً منثوراً؟ ما هي الأمور الهامة فعلاً في الحياة؟ ما هي سفاسف الأعمال التي لا تنفع؟

هذه المراجعة للنفس هي منطلق تحديد رسالة حياتك، لذلك راجع نفسك وقف في مخيلتك أمام قبرك وتساءل: إلى أين المسير؟ هذا ما أعني بعنوان هذه الفقرة ـ ابدأ بالنهاية ـ، هذا يعني أن تبدأ اليوم بتخيُّل ذهني للصورة التي تريد الوصول إليها في مستقبل الأيام قبل موتك.

قال جوزيف أديسون[١] يوماً أمام رهبة القبور: «عندما أنظر لقبور العظماء تموت العواطف في نفسي، وعندما أرى قبور الملوك بجانب قبور من دفنهم، وأقرأ تواريخ وفاة هؤلاء وهؤلاء، بعضهم مات البارحة وبعضهم قبل ٦٠٠ عام مضت، حينها أراجع نفسي»[٢].

ويعجبني تساؤل ستيفن كوفي في كتابه «أولى الأشياء أولاً»، يقول: كم من الناس على سرير الموت يتمنون قضاء بعض الوقت في المكتب؟[٣] بالطبع لا أحد، فعند ساعة الموت أهم الأشياء تخطر بالبال وأخطر من

(١) Joseph Addison.

(٢) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.97.

(٣) المرجع السابق، ص١٧.

مسألة قضاء ساعات إضافية في المكتب إلّا أن يكون ذلك لغاية سامية.

ومن خلال المحافظة على هذه الصورة بالذهن ـ صورة المستقبل والنهاية ـ تتأكد أن ما تقوم به لا يخالف المعيار الذي وضعته لحياتك ومستقبلك، ذلك المعيار هو رسالة تعيش بها ولها، وكل يوم من عمرك يبلور تلك الصورة التي تريدها من معيشتك. و«إن إيجاد رسالة لحياتنا له تأثير عظيم على كيفية صرفنا للوقت، ذلك لأننا عندما نتكلم عن إدارة الوقت، إننا نهتم بالسرعة في العمل وتوفير الدقائق، بينما قد تضيع السنين إن لم يكن توجهنا في الحياة واضحاً، وإنّ الرسالة هي التي تجعلنا نقود كل شيء في حياتنا نحو الأمام، وإنها تنمّي فينا المقدرة على جعل الأمور الهامة فعلاً قبل كل شيء، فالرسالة كالبوصلة، وهي في مكانتها تأتي أمام الساعة»[١].

كثير من الناس يحيا بغير هدف ولا رسالة، وهو مما يهدر العمر ويضيّع الجهود، وإلى متى الانتظار؟ كتب ستيفن ليكول: «ما أعجب الحياة! يقول الطفل: عندما أشبُّ فأصبح غلاماً، ويقول الغلام: عندما أترعرع فأصبح شاباً، ويقول الشاب: عندما أتزوّج، فإذا تزوّج قال: عندما أصبح رجلاً متفرّغاً، فإذا جاءته الشيخوخة تطلّع إلى المرحلة التي قطعها من عمره، فإذا هي تلوح وكأنّ ريحاً باردة اكتسحتها اكتساحاً»[٢].

هذه الرسالة تتطلّب فهماً واضحاً لمجرى حياتك، وإلى أين وجهتك، وما هو السلوك العملي للمحافظة على الاتجاه الصحيح في مسيرة أيامك، وإن ما خطر ببالك حينما تخيلت نفسك أمام قبرك هو ما تريد من حياتك، وإن تخيل النهاية بذهنك هو الولادة النظرية والتكوين الذهني لرسالتك في الحياة، وهي التي تمدك بالسعادة والرضى لتوجه صحيح تسيّر حياتك تبعاً له.

---

(١) Stephen R. Covey, First Things First, P.116.

(٢) محمد الغزالي، جدِّد حياتك، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ص٢٧.

٢ ـ مصدر السعادة:

لقد قابلت رجل أعمال ثري في أمريكا وهو مسلم عربي هاجر من بلده منذ قرابة ثلاثة عقود، وكان يبدو عليه نعمة المادة إضافة إلى هم دفين في نفسه، قال لي: «أريد بيع شركتي وهي مربحة جداً»، فسألته: لماذا؟! فقال لي بشكل عفوي: «العمل ممتاز، والمربح ضخم، وأسوق سيارات لكسس ومارسيدس، وآكل ألذ الوجبات، ولدي بيت ضخم وجميل، لكنني غير مسرور، أريد بيع كل شيء وترك أمريكا».

أعتقد أنّه بعباراته القليلة التي قالها في لقائي الأوّل معه قد ذكر ما يعانيه إنسان حضارة اليوم، يبحث عن السعادة ظاناً أنّها في المادة، فيبقى يعيش طلب المادة طوال حياته، وقليل مثله من يقول لم أجد السعادة في المادة، لكنّه بلا شك قد أخطأ الحل، إذ إنّه ليس بمجرد بيع كل شيء وترك البلد، سيسعد في حياته ويرضى عن معيشته، بل هو بتحديد رسالة يعيش لها تمده بالغاية من حياته. الحل أن يسأل نفسه: لماذا أعيش؟ ما قيمة حياتي؟ وما أهدافي الكبرى التي يجب أن أعيش من أجلها؟ عندما يحدّد ذلك بكل وضوح سيرى الحياة بطريقة مختلفة، وليس بالضرورة أن يضطّر إلى بيع شركته وانتقاله لبلد آخر، إذ إنّ السعادة ليس بالضرورة تتعلق بذلك، بل السعادة تتأتى من داخل النفس الإنسانية بغض النظر عن الظروف المادية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنّ في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنّة الآخرة»[١]، وقال أيضاً: «ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إنّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»[٢]، ولقد كان قال ذلك حينما كان في ضيق العيش ومهدداً بالحبس والنفي آنذاك.

---

(١) ابن القيّم، الوابل الصيّب من الكلم الطيّب، المطبعة المنيرية، ١٩٧٥م، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٠.

إنّ تكوين رسالتك الذاتية يوضّح توجهك في الحياة، ويساعدك على تجزئة الصورة الكلية التي تريدها إلى أقسام صغيرة متناسقة يسهل التعامل مع كل واحدة منها على حدة، وهذه الرسالة يجب أن تكون متوازنة بين مسؤولياتك وواجباتك الحياتية، ولذا تتطلب دراسة الأدوار التي تعيش والقيم الأساسية التي تأمل أن توجه منحى سلوكك العملي.

الأدوار الحياتية ⟸ القيم السلوكية ⟸ الرسالة الذاتية

٣ ـ أدوار تعيشها:

قد تكون أدوارك في الحياة كزوج أو زوجة، كأب أو أم، كوالد أو والدة، كابن أو بنت، كأخ أو أخت... كذلك كموظف أو موظفة، كمسلم أو مسلمة، كتلميذ أو كمدرّس... إلخ. هذه الأدوار تعطي هيكلية واتجاهاً منظماً لرسالتك الشخصية، إنها تترجم رسالتك إلى قيم توجه نشاطاتك اليومية بشكل متوازن ومتكامل. فكّر بدورك الشخصي في كل حقل ومكانه في حياتك، ثم تساءل ما هي الأمور الهامة التي يجب التركيز عليها لكل دور؟

هذه الأدوار تحتّم واجبات يعيشها الفرد في حياته: واجبه تجاه ربه، وواجبه تجاه نفسه، وواجبه تجاه والديه، وتجاه زوجته، وتجاه أولاده، وتجاه ذوي رحمه، وتجاه أصدقائه، وتجاه مجتمعه... إلخ، والدور الأعظم الذي يعيشه هو ما عهد الله إليه في هذه الحياة الدنيا من استخلافه، وهذا الدور يضم كل الأدوار الأخرى في تناسق وتوازن، والإنسان بحاجة لنفحات الهداية الربانية ليمارس دوره هذا على أكمل وجه، ولكي يحدد الإنسان رسالته على بينة لا بد وأن يتأكّد من أنّ أدواره التي يعيشها في الواقع تعكس فعلاً ما يريده في الحياة، وإنّ التعامل الفعَّال مع هذه الأدوار يتطلب تحديد القيم السلوكية التي توجه واجباته ومسؤولياته بشكل فعَّال.

٤ ـ قيمٌ تحيا بها:

إنّ المنطلق الأساس لبلورة رسالتك أن تبدأ بتحديد القيم التي تريدها أن توجه حياتك، وذلك يكون من خلال تحديد الأولويات السلوكية التي تريدها أن توجه حياتك الشخصية.

بعد تعيين تلك القيم الأساسية، اضبطها بشرح واضح خاص بما تقصده، ولعل بعض تلك القيم يشترك فيها الكثير من الناس، لكن شرحها وتوضيحها يجعلها خاصة بك، حيث إنّ كل فرد له ظروفه وقدراته الشخصية، وكلٌّ له توجهاته الخاصة. ويجب أن تعكس تلك القيم ما تؤمن به، لا كما يريد مجتمع ما أو شخص ما تقارن نفسك به، فإنّ من أعظم ما يؤسف له أنّ مجتمعنا استورد كل شيء من الغير حتى القيم والمبادئ!

إن بلورة قيمك الحياتية في مجموعة عبارات يعطي توجهاً واضحاً لمسيرة حياتك، بعض القيم التي يشترك فيها الكثير من الناس، أن تكون محباً وطائعاً لله، منتجاً في حياتك، عالماً في باب من أبواب العلم، عوناً لعائلتك، ناجحاً في عملك، لديك اكتفاء ذاتي، صادق، كريم، معافى الجسد، مستقيم، ومتوازن في معيشتك. . . إلخ. اُكتب القيم الأساسية الخاصة بك، ولا بأس أن تضعها ابتداءً بصورة عفوية، ثم حاول جمع الأفكار المتشابهة، ولتكن أعدادها في حدود العشرة.

وقد تكون الرسالة الحياتية عبارة مجملة تضم مقصداً أساسياً يعيش من أجله صاحبه دون ذكر قيم معيّنة، مثال ذلك: أن يذكر المسلم أنّ رسالته أن يعيش ما يمليه الإسلام ديناً ومعاملةً وقيماً ومنهجاً للحياة، بهذه الرسالة لا يذكر الفرد أي تفصيل سوى ما يمليه الدين عليه، ومع كون هذه العبارة تمثّل رسالة حياتية للمسلم إلّا أنني لا أظنها كافية لانعدام التفصيل الذي يجعلها خاصة بفرد بعينه، فهي كما هي الآن عامة جداً قد تنطبق على كل مسلم يود أن يحيى بحسب شرعة الله، إضافة إلى كونها غير منضبطة بمفاهيم معينة، فهل صاحبها عالم من علماء الإسلام حتى يعلم تماماً

تفصيلات ما يمليه الإسلام في كل باب؟ إن كان ذلك فلا بأس، أمّا أن يكون صاحبها غير عالم بذلك، فلن تصلح له.

٥ ـ رسالة العائلة:

كثير من العائلات يشوبها تقلب الطباع والتصرفات الانفعالية، وتكثر فيها المشاكل المختلفة، وربما يكون سبب ذلك عدم وجود رسالة جادة تتمحور تصرفات أفراد العائلة حولها، بما يخص القيم التي يجب أن تحكم علاقاتهم ومعيشتهم المشتركة، لذلك فإن وجود رسالة للعائلة يُوجد قانوناً أو قوانين لأساس القرارات والقيم لوحدة العائلة، ولا بد أن يشارك الجميع في إيجاد هذه الرسالة ليقتنعوا بها ولتصبح إطار تفكيرهم.

٦ ـ رسالة المؤسسة:

ورسالة المؤسسة أمر هام جداً لنجاح وبقاء العمل المؤسسي، يقول مالك بن نبيّ: «إن المؤسسات التي لا تقوم على الأفكار محكومٌ عليها بالزوال»[1]، ولعله يقصد بالأفكار المفاهيم والقيم التي تشكّل رسالة المؤسسة.

مثال ذلك: لقد وضعت شركة آي بي أم الشهيرة الناجحة رسالتها المرتكزة حول الغايات الثلاث: الأولى الاحترام المتبادل، وهذا بين موظفي الشركة، والثانية الامتياز في العمل، وهو إنتاج أفضل وأجود معدات الكمبيوتر، والثالثة خدمة الزبائن.

هذه تمثل النظام الاعتقادي لدى الشركة، كل شيء قد يتغير إلا هذه الأمور، مثال ذلك: كان لديهم دورة تدريبية في ولاية أخرى، ومرض أحد الموظفين فاتصلوا بزوجته فقالت بأنها قلقة عليه لحساسية صحته ويجب أخذه لطبيبه الخاص لحرج حالته، فأخذوه إلى المطار بطائرة هيليكوبتر خاصة، ثم طائرة أخرى خاصة لولاية كاليفورنيا من نيويورك، فكلفت

---

(١) مالك بن نبيّ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص١٣٥.

الشركة مبالغ باهظة، وذلك للثبات على القيم الأساسية للشركة[١].

المطلب السادس: كتابة رسالة حياتك الشخصية

إن تحديد الرسالة الحياتية لا يتأتى في يوم واحد، بل يحتاج لعمق تفكير وبحث دقيق وتأنٍّ، كما يتطلب تعديلات متكررة، وربما تستغرق عدة أشهر حتى تشعر بأن رسالتك اكتملت بدقة، وتشتمل على أهم قيمك وبحسب أدوارك وتوجهاتك في الحياة. يقول فرانكلن: «إننا نكتشف غاياتنا في الحياة بدل أن نصنعها»، لذلك يجب أن يبحث الإنسان عن غايته وعن معنى حياته. إن عملية كتابتها ومراجعتها من وقت لآخر أمر هام جداً لأنها تجبرك حينها على التفكُّر في الأولويات الأساسية التي تعيش من أجلها، من خلال قراءتها والتفكُّر بها وتذاكرها مراراً وتكراراً يتمحور فعلاً تصرفك وجهدك وعملك حولها.

كما أؤكد ضرورة مراجعتها بين الحين والآخر لتقييم سلوكك العملي وهل هو تبعٌ لها، بعض الأسئلة التي تمدك بتقييم رسالتك وسلوكك تبعاً لها ما يلي:

س١ : هل تنطلق رسالتي من ثوابت ديني، وهل تؤدي إلى الفوز برضوان الله؟

س٢ : هل تمثل رسالتي تصوري نحو الكون والحياة؟

س٣ : هل أشعر بأن رسالتي تمثل أولوياتي الحياتية؟

س٤ : هل أشعر بوجهة معينة لمسيرة حياتي عندما أراجع رسالتي؟

س٥ : هل تمنحني رسالتي أهدافاً أريد تحقيقها؟

س٦ : هل يعكس سلوكي العملي ما تمليه رسالتي؟

نماذج عملية:

لا أجد مثالاً على رسالة حياتية أفضل وأوضح ممّا ذكره ربعي بن عامر

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.125-131.

لرستم ملك فارس، حيث كانت نموذجاً لرسالة المسلم العامة في الحياة، وهي بعباراتها تمثّل رسالة الجماعة الإسلامية. يصوّر لنا التاريخ ذلك الموقف كما جاء في تاريخ الأمم والشعوب[1]، فيذكر الإمام الطبري أنّه حينما أراد ربعي بن عامر الدخول على رستم، أظهروا له الزبرّج، وبسطوا له البسط والنمارق، ووُضع لرستم سريراً من ذهب، وأُلبس زينته، فأقبل ربعي يسير على فرسه القصيرة، معه سيفه ورمحه وترسه، عليه ثيابه البسيطة، فرفض أن يضع سلاحه، وأقبل يتوكأ على رمحه، وجعل يزج النمارق والبسط، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده، ثم أبى الجلوس سوى على الأرض قائلاً: «إنّا لا نستحب القعود على زينتكم هذه»، فقال له رستم: «ما جاء بكم؟»، قال: «الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منّا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله»، قال رستم: «وما موعود الله؟»، قال: «الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي».

إنّها رسالة حياة ربعي وأصحابه واضحة جلية، تسمو إلى علياء الأمور، حملها بقلبه ولسانه وسلوكه بعزة المسلم غير المتردد، لذلك عندما خلص رستم برؤساء أهل فارس قال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاماً قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟ قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب! أما ترى إلى ثيابه! فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة[2].

فلا بد أن «يقبل المسلم الصادق على هذه الرسالة إقبال الربيع، فيهبها

---

(١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، جـ ٤ ص٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) المرجع السابق، جـ ٤ ص٣٤٥.

كل خيره، ويمنحها كل كنوزه، ويضع في سبيل نصرتها كل وقته وجهده وماله، ذلك أنّها سمة حياته المتميزة، ومعنى وجوده السامي، وعنوان قربه من الله، لا طعم لحياته إلا بها، ولا معنى لوجوده بدونها، ولا اطمئنان إلى رضوان الله إلا بالعمل المتواصل الدؤوب على تحقيقها»[١].

بعض الناس يحبون الاطلاع على الرسائل الحياتية التي كتبت من قبل الغير، وأدناه رسالات بعض الأشخاص.

ولقد طلبت من بعض المسلمين كتابة رسالاتهم الحياتية، وبرغم أن ما حصلت عليه كان في غالبه عاماً جداً ولا يمثّل توجهاً واضحاً في الحياة، وجدت إحدى تلك الرسالات جيدة، يقول صاحبها: إنّ رسالته في الحياة هي الآتي:

١ ـ التمحور حول دين الله كمنطلق للقيم الحياتية.

٢ ـ عون عائلتي على طاعة الله.

٣ ـ طلب العلم في كل يوم ما حييت.

٤ ـ المحافظة على حياتي بحفظ الساعات التي أحييها.

٥ ـ المحافظة على الممارسات اليومية الهادفة حسب ما أخطط له.

٦ ـ الاستقامة على الخلق النبوي.

٧ ـ المحافظة على برنامج يومي يهدف إلى تزكية النفس وترويضها على طاعة الله.

٨ ـ المحافظة على حياة اجتماعية متوازنة.

٩ ـ اتخاذ المواقف الإيجابية دوماً وفي مختلف الطروحات وتحت أصعب الظروف.

١٠ ـ الاستعداد للموت في الغد القريب.

---

(١) محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، مرجع سابق، ص٢٩ ـ ٣٠.

وفيما يلي بعض الرسالات لأناس غربيين جمعها ستيفن كوفي[1]:

يذكر أمريكي رسالته كالآتي: رسالتي أن أكون عنصر تغيير إيجابي وأن أعين غيري للوصول لدرجات عالية من العطاء والإنتاج، وإنني سأكافح بشكل متواصل لصناعة مستقبلي، انطلاقاً من مخيلتي بدلاً من أن أكون ضحية الماضي، وإنني سأكافح دوماً لاختيار طريقي الخاص محافظاً على شخصية شجاعة، عادلة، متواضعة، حنونة، مستقيمة ومتفهمة للغير. وسأذكِّر نفسي باستمرار بأنه من دون المجازفة لن يكون هنالك نجاح أو فشل. وأعاهد نفسي أن أكون صديقاً مخلصاً لجميع من حولي.

وحدّد فرانكلن الذي يعتبر أباً لعلم إدارة الوقت القيم الحياتية التي يريد أن يعيشها ممثلةً رسالته الحياتية، مضيفاً شرح ما يعنيه، وهي كالآتي:

* الصمت: لا تتكلم إلا بما ينفع غيرك أو نفسك وتجنّب النقاش العابث.
* الثبات: اثبت على القيام بواجبك من دون أي فشل.
* المثابرة: لا تضيع الوقت، بل أشغل نفسك دوماً بعمل مفيد.
* السكون: لا تهتم بأي تفاهات أو تنزعج من الحوادث الخارجة عن إرادتك.
* التواضع: قلّد عيسى عليه السلام والفيلسوف سقراط.
* النظام: دع كل أغراضك تأخذ مكانها وأعط كل جزء من عملك وقته.
* ضبط النفس: لا تأكل حتى تصبح بليداً ولا تشرب حتى تسكر!؟
* الإخلاص: لا تستعمل الخداع، وفكّر ببراءة وعدل وتكلم حسب ذلك.

---

(١) Stephen R. Covey, First Things First, P.318-321.

Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.29, 136.

Richard winwood, Time Management, P.42.

* الاقتصاد: لا تصرف أي مال إلا لفعل خير للغير أو لنفسك.

وهذه رسالة رولف كير[1] التي وضعها بعد عناية كبيرة ليسير عليها:

١ ـ انجح أولاً في حياتك البيتية.

٢ ـ استعن بقوة الله.

٣ ـ لا تساوم أبداً في الأمانة.

٤ ـ تذكر الناس من حولك.

٥ ـ لا تحكم قبل سماع الطرفين.

٦ ـ احصل على مشورة الغير.

٧ ـ دافع عن الغائبين.

٨ ـ كن مخلصاً.

٩ ـ تعلّم شيئاً جديداً كل عام.

١٠ ـ خطّط في كل يوم للغد.

١١ ـ كن صاحب مواقف إيجابية دوماً.

١٢ ـ لا تخف من الخطأ وخف من غياب الإبداع.

١٣ ـ استمع مرتين أكثر مما تتكلم.

١٤ ـ ركّز كل طاقاتك على ما بين يديك ولا تقلق حول الأعمال الأخرى.

١٥ ـ كن صاحب مبادرة تجعلك تبدأ وتحقق أهداف حياتك.

وهذه رسالة آخر يقول صاحبها: رسالتي أن أكون متواضعاً، وأن أشكر الله بطريقة ما كل يوم، وأن أعامل كل الناس باحترام ومحبة، وأن أعمل بحسب إيماني ومبادئي وأهدافي، وأن أحقق مرتبة عالية من العلم والمعرفة، وأن أستخدم هذا لأعين غيري، وأن ألعب دوراً فعَّالاً في مجال

---

(١) Rolf Keer.

مساعدة الضعيف والمسكين. وأخيراً، أن أعيش حياتي بابتسامة على وجهي.

وكتب آخر رسالته يقول: رسالتي أن أكون الشخص الذي يفتخر أولادي به ويحنّوا إليه للحب والراحة ولتفهم واقعهم، وأن أكون الشخص غير المستعد للربح على حساب الغير، وأن أستطيع الشعور بألم الغير، وأن أتكلم باسم من لا يستطيع الكلام، وأصغي لمن لا يستطيع السماع، وأرى لمن لا يرى، وأن يكون عملي موافقاً لكلامي بفضل الإله عليّ.

وكتب آخر رسالته كالتالي: رسالتي العيش باستقامة وإيجاد التغيير في حياة الآخرين، ولتطبيق هذه الغاية يجب أن ألتزم بالآتي:

١ ـ الإحسان للغير: أتودد وأحب كل إنسان بغض النظر عن وضعه لأننا جميعاً عباد الله.

٢ ـ التضحية: أجند كل طاقاتي ووقتي ومواهبي من أجل غايتي.

٣ ـ التأثير بالآخرين: ما أقوم به يجب أن يحدث تغييراً في حياة الغير، مما يجعلني أمثل نموذجاً في المثل العليا.

خلاصة المبحث الرابع

أهم ما خلصت له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ حيث إنّ إدارة الوقت تُعنى بكيفية الوصول لما يريده الفرد، لا بدّ أن يسبق ذلك تحديد ماذا يريد ابتداءً. لذا لزم قيادة الذات أن تسبق إدارة الوقت، فالأوّل تكوين نظري للرسالة التي يراد تحققها في الحياة، بينما الثاني هو ترجمة لتلك الرسالة للواقع العملي.

٢ ـ إنّ الفعالية في الحياة لا تتوقّف على مجرد كم وكيف يصرف الفرد وقته وجهده لتحقيق هدف ما، بل هل ما يبذله يكمن في الهدف المناسب.

٣ ـ لقد منّ الله على الإنسان بمنحتين خصّه بهما، وهما المخيلة والعقل، حيث يمكِّنه التخيُّل من تصوُّر واقع معيّن يريده ورؤية نظرية لمستقبله، ويمكِّنه التفكُّر من توجيه حياته وتخطيط أعماله للوصول لذلك المستقبل.

٤ ـ إنّ التصوُّر الذهني تحديد الفرد لما يمكنه أن يكون، والرسالة تحديد لما يريد أن يكون، والخطة تحديد لاستراتيجية الوصول لذلك.

٥ ـ من أجل مسيرة حياتية ناجحة لا بد من استخدام العقل بكامله، مرتكز القيادة ـ العقل الأيمن، ومرتكز الإدارة ـ العقل الأيسر، ذلك أنّ الإنسان الناجح بحاجة لنمطين مختلفين من التفكير، الأوّل وضع ذهني ينظر في فلسفته ورسالته وماذا يريد، ويكون ذلك من مركز الإبداع والاعتقاد والمشاعر ـ مركز القيادة، وآخر ينظر في كيفية الوصول لما يريد، ويحصل ذلك من مركز التفكير التحليلي والتخطيط

ـ مركز الإدارة. وإنّ فقدان الوضعية الذهنية الأولى ينتج عنه طاقة سلبية غير مجدية، وفقدان الثانية ينتج عنه أهداف لا تترجم للواقع، وكثير من الناس يعيشون في أحد طرفي العقل، غافلين لاشعورياً عن أهمية الطرف الثاني.

٦ ـ الرسالة تُعنى بفلسفة الفرد في حياته، وهي بلورة للغاية التي يعيش من أجلها والأولويات العليا التي يريد تحقيقها، لذلك مثل الرسالة كمثل البوصلة التي توجه مسيرة الفرد بالاتجاه الصحيح. ولا عبرة للاهتمام بالوقت وحسن إدارته والمحافظة عليه ما لم يكن هنالك غاية يُغتنم الوقت لتحقيقها، لذلك نرى أنّ الذين يحيون لغير رسالة هم أضيع الناس لعمرهم.

٧ ـ تختلف الرسالة الحياتية بين فرد وآخر لتعدُّد توجهات الناس، وإنَّ ثمة محور معيّن يكون عادة طاغياً على توجُّه الفرد، فيرتكز الفرد في حياته على مطلب المال أو المتعة أو الجاه، مما يولّد حياة غير متّزنة، لذلك من أجل انطلاقة شمولية ومتّزنة لقيادة الحياة بالاتجاه الصحيح، لا بد من رسالة تجمع الصواب في التوجُّه في باقة من القيم والأولويات الحياتية، فتوجِد قاعدة صلبة للانطلاق منها في مسيرة الحياة المتشعّبة.

٨ ـ حيث أنّ البشر أدنى إلى الهبوط والتفلُّت منهم إلى الصعود والتماسك، وحيث أنّ العقل البشري المجرّد قاصر عن الإحاطة بحسن التقدير، وحيث أنّ الإنسان ضعيف أمام شهواته وهواه، كما أنّه جاهل بحال ذاته، كان لا بد من وازع يحكم حياته ويقودها إلى الخير والصلاح، لذلك كانت وصاية الشارع لازمة عليه.

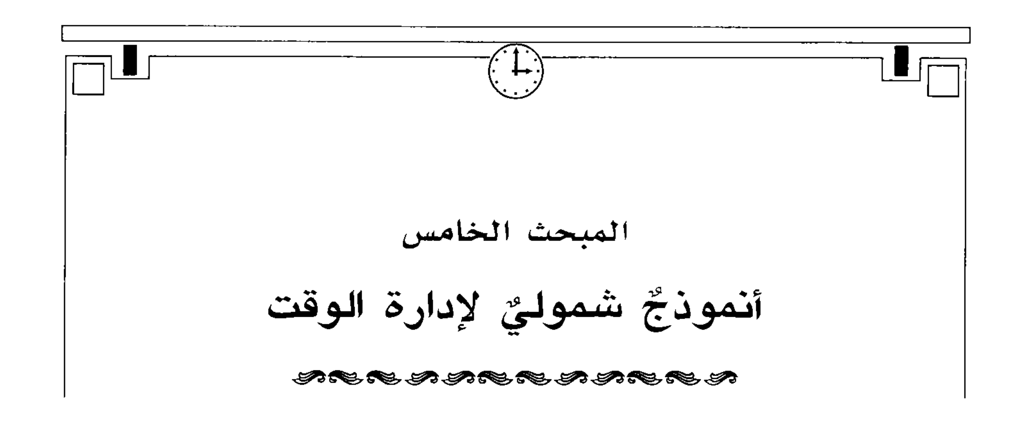
٩ ـ على كل ما أودع الله الإنسان من أمانة الخلافة، وسخّر له الكون من حوله، ووهبه طاقات المعرفة، لم يتركه ليشرّع لنفسه منهجاً للحياة، لهذا لكي يكوّن الإنسان لنفسه رسالة حياتية لا بد أن يكون ذلك على

ضوء توجيه الله لحياته، حيث جاء هديه لتحقيق مصالحه في المعاش والمعاد، وذلك إمّا بجلب النفع له وإمّا بدفع الضرر عنه.

١٠ ـ حيث إنَّ الله تعالى قد وهب الإنسان إرادة حرة، يجب أن تكون كل حركة يقوم بها بقصد وبتوجُّه واضح، ولا يحصل ذلك من غير رسالة وغاية يعيش من أجلها، وإلّا أصبحت حركته عشوائية بلا غاية، أو حركة غير إرادية كحركة الجمادات مثل القمر والرياح.

١١ ـ أحد الأساليب التي تستطيع من خلالها بلورة رسالتك الحياتية هي البداءة بالنهاية في ذهنك، أي استعرض في نفسك نهاية حياتك الدنيا، ومن ثمّ حدّد ما تود أن تكون قد حققته قبل حصول ذلك، لذلك لا بد من استحضار مسيرة الحياة بكاملها، مشتملة الدنيا والآخرة لتحديد رسالتك بشكل متكامل وسليم.

١٢ ـ يجب أن لا يُكتفى بالتفكُّر بالرسالة الحياتية، بل يجب أن تُكتب، وقد تكون عبارة شاملة تحدّد مقصداً وتوجهاً عاماً لمسيرة الفرد في حياته، والأفضل من ذلك أن تحوي أيضاً بضعة عبارات تمثل القيم الأساسية والأولويات العليا التي يود الفرد أن توجه حياته.



المبحث الخامس

أنموذجٌ شموليٌ لإدارة الوقت

مقدمة المبحث الخامس

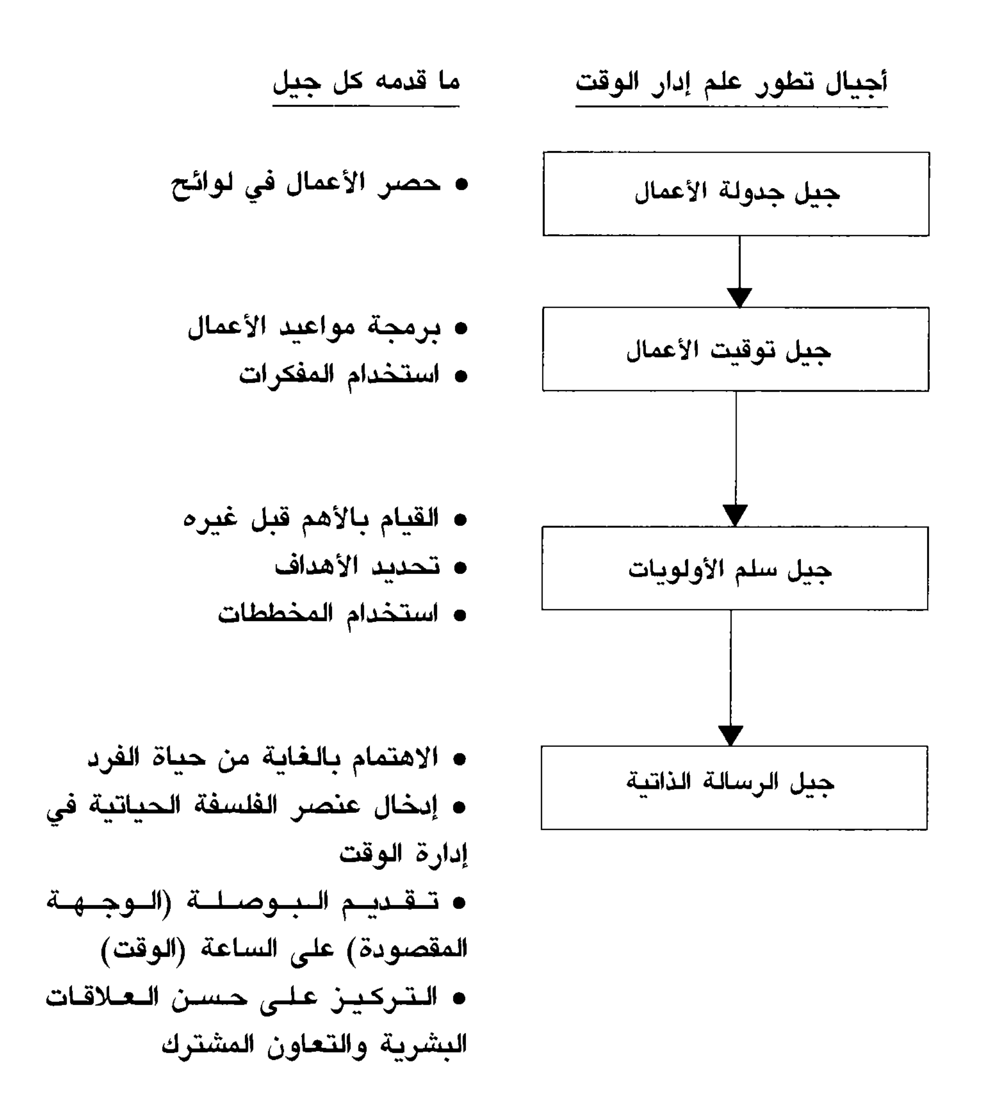
تناولت في المباحث السابقة موضوع الإنسان، وجوده ومركزه ومسيرته ومسؤوليته في الحياة، كما أنني ناقشت أثر العقيدة في تغيير حاله، ثم تعرَّضت لرسالة المسلم الحياتية، والركائز التي يتمحور سلوكه البشري حولها.

أما في نهاية هذا الفصل، فإنني سأناقش تطور علم إدارة الوقت، متناولاً أنموذجاً متكاملاً يجمع مفهوم إدارة الوقت بشكله الشمولي، كما سأعرض ما أطلقت عليه «شجرة الحياة» كتمثيل لذلك.

كما حدث النمو والارتقاء الاجتماعي حدث أيضاً الارتقاء الحضاري، فقد جاءت الثورة الصناعية بعد الثورة الزراعية، والثورة المعلوماتية تبعت الثورة الصناعية، كل جيل يخلف الآخر موجداً تقدماً نوعياً. وهكذا في علم إدارة الوقت، كل جيل يبني على الذي قبله مولِّداً درجة أعلى من المقدرة على إدارة وقتنا، أول جيل لإدارة الوقت اختص بجدول الأعمال كمحاولة عملية لحصر الأعمال الكثيرة والمطالب العديدة في لائحة مبوَّبة، ثم جاء الجيل الثاني الذي اختص بتحديد موعد كل عمل، وذلك من أجل برمجة الأحداث والنشاطات المستقبلية بمواعيد محددة، والإضافة التي أوجدها هذا الجيل هي توقيت كل نشاط على جدول الأعمال.

أما الجيل الثالث فيمثل نظرية إدارة الوقت الأكثر انتشاراً حالياً، وهي أن يضاف إلى الجيل السابق مسألة هامة جداً وهي سُلَّم الأولويات، بحيث يقاس قيمة وأهمية كل نشاط بالنسبة لغيره، إضافة إلى هذا يركِّز على تحديد الأهداف التي يصرف الوقت والجهد على تحقيقها، كما اهتم هذا الجيل بالتخطيط الذي يعين على إنجاز الأهداف.

أمّا الجيل الرابع فبيّن أن التحدي الحقيقي في قيادة أنفسنا ليس مجرد إدارة أوقاتنا، فاهتم هذا الجيل ببلورة الرسالة الذاتية قبل أي خطوات أخرى، وهو ما يوضّح للفرد وجهته في الحياة، كما اهتم هذا الجيل بتحديد قيم حياتية يود صاحبها أن يسير عليها، ولعل هذا التطور الأخير جاء كردة فعل على الجيل الثالث الذي تعامل مع الإنسان كآلة ابتداءً بتحديد الأهداف، ثم التخطيط لها، وتطبيق الخطط ضمن برامج زمنية دقيقة، حتى يصبح الوقت مليئاً بالمهام الكثيرة، دون وجود وقت كافٍ للتساؤل هل الذي يُقام به يمثل فعلاً ما يريده الفرد.



المطلب الثاني: منهجية فرانكلن

لقد وُجد عبر التاريخ العديد من الناس الذين أنجزوا الشيء العظيم المدهش في حياتهم وأسهموا في تقديم المنفعة للبشرية عامة، من هؤلاء بنيامين فرانكلن، الذي يعتبر أباً لعلم إدارة الوقت في العالم الغربي. بالرغم من فقره في الصغر إلّا أنه قام بإنجازات ضخمة في أمريكا، منها: نظام إدارة الدفاع القومي الأمريكي، نظام إدارة البريد الفدرالي العام، إنشاء جامعة

بنسلفانية، كما أنّ نجاحه الشخصي في العمل والتجارة كان مميّزاً، فقد أنشأ مصنع بيت لحم للفولاذ، وفيما بعد أصبح من أغنى أغنياء أمريكا. كان يؤمن ببذل أقصى ما بوسعه من الجهد في سبيل ما يريد دائماً، وكان يطمح إلى الوصول للقيام بالصواب في كل شيء، كما كان من أهم إنجازاته وضع نظام لإدارة الوقت، الأمر الذي كان سبباً لنجاحه الباهر وإنجازاته الضخمة في حياته. وكان ذلك النظام انطلاقة هذا العلم، حيث تطوّر كثيراً فيما بعد، فوضع ابتداءً معايير يقيس من خلالها سلوكياته، وذلك من خلال تحديد قيم ومبادئ يريد أن يعيش عليها، ثم طوّر نشاطه في إدارة وقته من خلال تحديد ما يريد إنجازه كل يوم، واستخدم دفتراً لإدارة ذلك بدقة متناهية.

الخطوة الأولى في نظامه لإدارة الوقت أنّه وضع لائحة بالقيم التي يريدها حاكمة لحياته، ثم وضع توضيحاً يضبط فيه بدقة إطار كل واحدة من تلك القيم. ثم كان يرجع لتلك القيم بين الحين والآخر ليقيِّم سلوكه وعمله تبعاً لها، لكنه وجد لاحقاً ضرورة الرجوع إليها يومياً، فصنع ما أسماه «الكتاب الصغير» وهو عبارة عن جداول، كل جدول مقسم لخانات أعلاها أيام الأسبوع والجانبية قيمه وكان يسجل تقدمه ويضع علامة سوداء في أي خانة حصل فيها خلل في تطبيقه لإحدى هذه القيم، وكان يحاول جاهداً إنهاء اليوم من غير أي علامة سوداء، ثم يحاول إنهاء الأسبوع بكامله من دون علامة سوداء، وهكذا. ثمّ طوّر عملية تنظيم وقته، فأصبح يبدأ نهاره بالسؤال: ماذا سأفعل اليوم؟ وينهي نهاره بالسؤال: ماذا فعلت اليوم؟ وذلك لتقييم ما قام به خلال يومه بحسب ما ألزم نفسه به عند بداية يومه. ثم طوّر استخدام كتابه هذا فيما بعد، فأصبح موضعاً لتحديد خطط يومه ومفكرة لالتزاماته، بالإضافة إلى قياس تقدمه، وبهذا خلص إلى نظام إدارة الوقت الذي أصبح بعد بضعة عقود من الزمن أساساً لما يستخدم حالياً، بعد تطويره مرات عديدة[١].

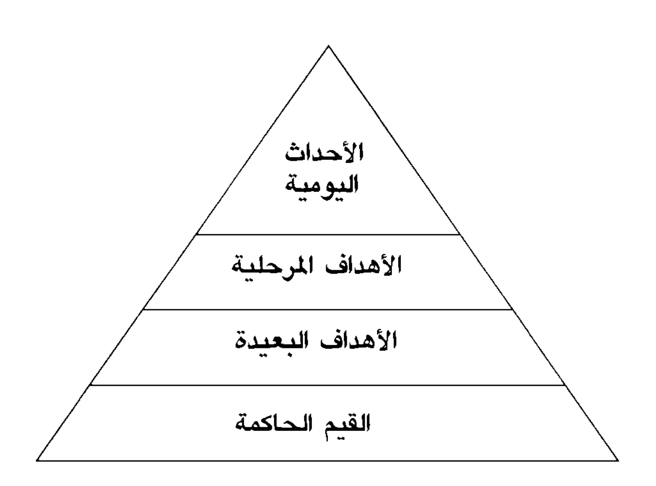
---

(١) Richard Winwood. Time Management, P.35.

وأود التنويه هنا إلى أنَّ فرانكلن قد بدأ هذا الإجراء منذ أقل من قرنين من الزمن فقط، لكن الإسلام بمنهجه العبادي والمعاشي، وكذا الطريقة التي سار عليها علماء المسلمين قد اعتنى بالوقت وحسن إدارته منذ أربعة عشر قرناً، ولقد عالجت ذلك في الفصل الأوّل.

المطلب الثالث: الهرم الإنتاجي

كثير من علماء الإدارة استعملوا بشكل أو بآخر نموذجاً يشكِّل منظومة إدارة الوقت بعد تطوره، سماه البعض «التسلسل العمودي للإنتاج» وآخرون «الهرم الإنتاجي»[1]، وهو أحد أهم النماذج الإدارية الغربية في هذا الباب، والذي لا تكاد تجد كتاباً في إدارة الوقت إلا ويتطرق له لتمثيله نظرة شمولية لإدارة الوقت، وهو هرم قاعدته القيم، ثم يرتكز عليها في الدرجة الثانية الأهداف طويلة المدى، ثم الأهداف المرحلية في الدرجة التي تليها، ثم الأحداث اليومية عند قمته.



الهرم الإنتاجي يعني أن تبدأ من القيم ثم الأهداف ثم مرحلة المهام اليومية التي تشكل نقطة الانطلاقة العملية، وهي مرحلة التنفيذ. إنه يتطلب

---

(١) Richard winwood, Time Management, P.35-37.

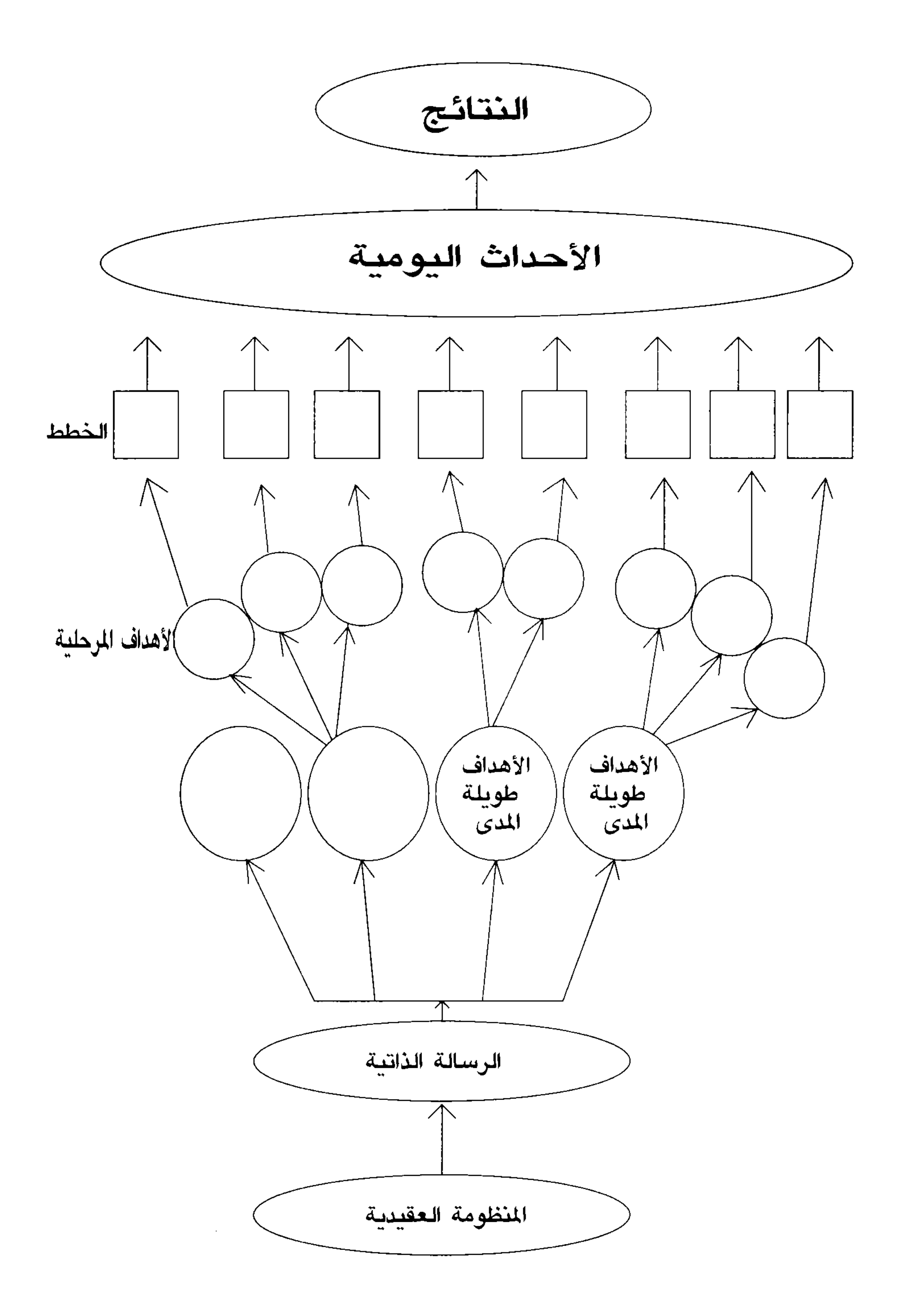
منك أولاً فهم القيم العليا في حياتك، ومن ثمّ تسير في سلوكك اليومي على ضوئها، وبدون أدنى شك إذا عزم الفرد على فهم وتطبيق أساسيات هذا النظام سيملك تحكماً أكثر بالحوادث التي تشغل وقته، وسيبرع أكثر في علم إدارة الوقت.

لكنني أعتقد أنَّ الهرم الإنتاجي أبتر، فما هو مصدر القيم؟!! وهل تختلف بين الحين والآخر وبحسب المكان والزمان والظروف؟! لذا قال بعض علماء إدارة الوقت بأنَّ قاعدة الهرم يجب أن تكون تصورنا نحو الحياة ورؤيتنا للمستقبل كما نريده، حيث منه تتولد رسالة الفرد في حياته.

ومن ثم تتكون الأهداف الكبرى ومنها تتكوَّن الأهداف المرحلية التي تترجمها الخطط لسلوك عملي وأحداث يومية، وذلك بحسب التسلسل الآتي:

التصوُّر ⟸ الرسالة ⟸ القيم ⟸ الأهداف ⟸ الخطط ⟸ الأحداث

وأظن أن مصدر تصورنا الصائب نحو الحياة هو منظومتنا العقدية، حيث منها تتشكَّل رسالة المسلم في الحياة وما تحمله من أدوار وقيم معيشية، ومن تلك الرسالة تتكون الأهداف فتثمر عملاً طيباً وثمرة مباركة، وألخص هذا المفهوم بالرسم البياني الآتي، مبيناً أنموذجاً شمولياً كاملاً لإدارة الوقت كما أراه.



إدارة الوقت من المنظومة العقيدية إلى نتائج الأعمال

المطلب الرابع: شجرة الحياة

لقد وفّقني الله تعالى بعد طول بحث، وإعمال فكرٍ، وكثرة تأمُّلٍ إلى أنموذج يمثل إدارة الوقت من منطلق إسلامي معاصر كما أراه، وهو تصوير بياني أكمل من «الهرم الإنتاجي»، سميته «شجرة الحياة»، ولقد استوحيت هذا النموذج البياني أولاً من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1]. ولقد أشار الله إلى الشجرة وبيّن خصائصها ومنافعها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم[2].

كما رأيت أنَّ تربية الإنسان في الإسلام، أو تقويم السلوك الإنساني في الإسلام يتبع هذا النموذج أيضاً ـ الشجرة، وإنّ لكل شجرة جذوراً وساقاً وفروعاً وأوراقاً وثماراً، فأعمالنا ما هي إلا نتاج هذا الغرس. ثم قرأت كلاماً للدكتور يوسف حامد العالم جعلني أزداد ارتياحاً لذلك النموذج ـ الشجرة، إذ يقول في كتابه المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: «فالدين الكامل المقبول عند الله لا بد فيه من الإيمان والأعمال وإلا لم يحظ بالكمال ولا القبول... وطريقة القرآن في ربط الإيمان بالأعمال ترشدنا إلى أن الثمرة المرجوة من الإيمان لا تنال بدون إتباعه بالعمل الصالح، فسعادة الدنيا والنجاة في الآخرة لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح معاً. ولو جاز لنا أن نشبه علاقة الإيمان بالأعمال: لقلنا: إن الإيمان بمثابة الجذر من الساق في مفهوم الشجرة، والساق وتوابعه من

---

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

(٢) مثال ذلك قوله تعالى في سورة الواقعة: الآيات ٢٩، ٧١ ـ ٧٣، وسورة النحل: الآيات ١٠، ٦٨، ٦٩، وسورة سبأ: الآية ١٦، وسورة الرحمن: الآية ١١، وسورة مريم: الآية ٢٥، وسورة إبراهيم: الآية ٢٤، وسورة الصافات: الآية ١٤٦، وسورة النور: الآية ٣٥، وسورة لقمان: الآية ٢٧، وسورة الفتح: الآية ١٨... إلخ.

فروع وأوراق بمثابة الأعمال. . . وحقيقة الشجرة التي يُرجى منها أن تعطي الثمرة لا بد من أن تجمع بين الجذر والساق، فالجذر وحده لا يعطي الثمرة، ولو فصل الساق عنه لا يستطيع الساق الحياة فضلاً عن الإثمار.

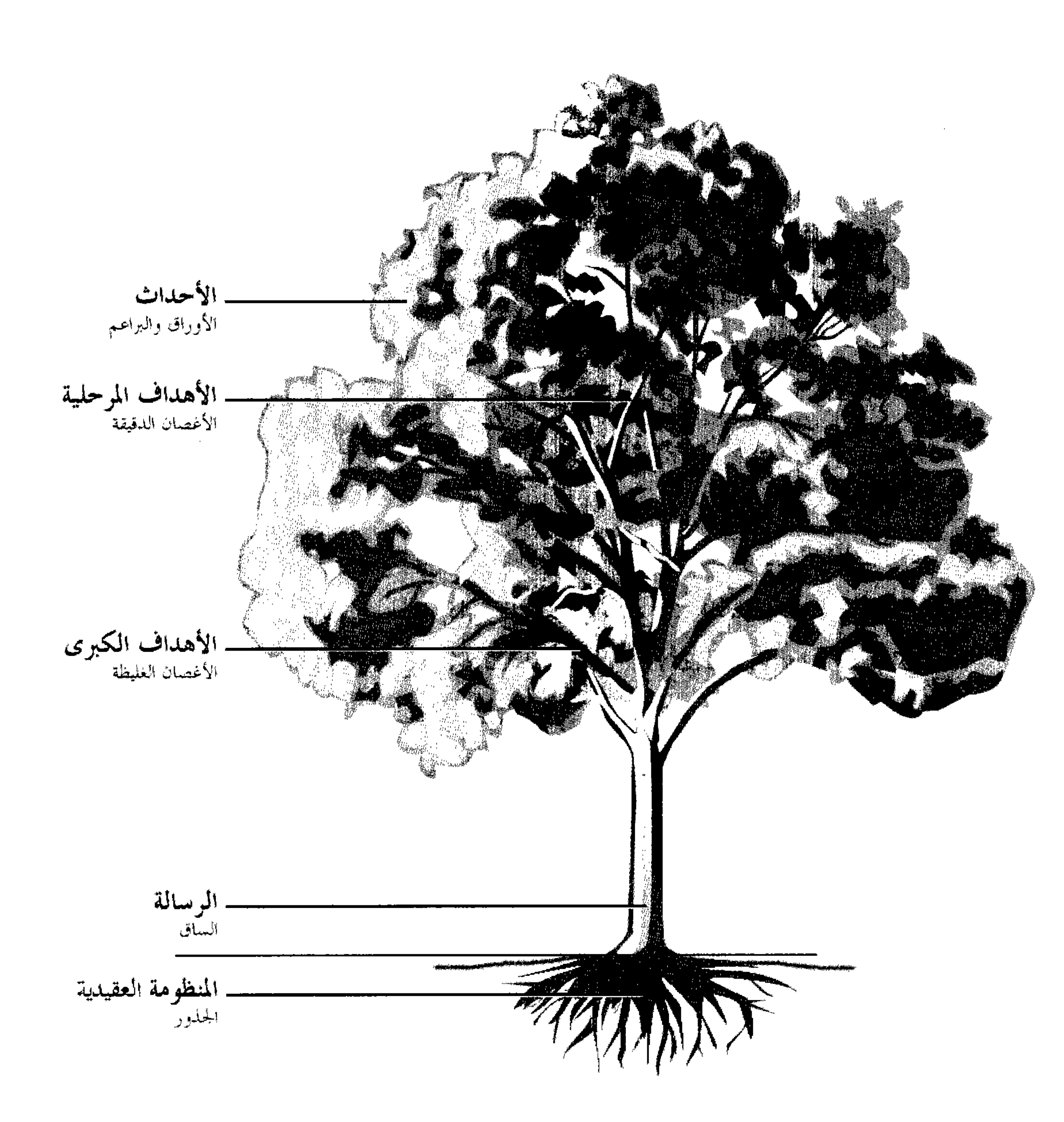
وإذا كان جذر الشجرة يمثل الجزء الخفي عن أعين الناظرين، والساق يمثل الجزء الظاهر للأعين، فكذلك الإيمان يمثل الجانب الخفي من الدين، والعمل يمثل الجانب الظاهر، وإذا تقرر هذا فإننا لا نستطيع الحكم على سلامة الجذر وصحته إلا بمظهر الساق وتوابعه. فكلما كان البادي لنا من الشجرة يتمتع بالجمال، والخضرة والنضرة، جعلنا ذلك دليلاً وأمارة على سلامة الجذر وصحته، وقدرته على توصيل الماء والغذاء لبقية أجزاء الشجرة، ولا يمكننا انتظار ثمرة من ساق بدون جذر، ولا من جذر من غير ساق»[1].

وكذلك قرأت تمثيل ابن القيم العمر بالشجرة ممَّا زادني تشجيعاً على اتخاذ الشجرة أنموذجاً لعلم إدارة الوقت، فيقول: «السنة شجرة والشهور فروعها والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها. فمن كانت أنفاسه في طاعة، فثمرة شجرته طيبة ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجَذَاذُ يوم المعاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها»[2].

---

(١) يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص٢١٤ - ٢١٥.

(٢) ابن القيم الجوزية، الفوائد، القاهرة، مكتبة المتنبي، (د.ت)، ص٣١١.


الأحداث
الأوراق والبراعم
الأهداف المرحلية
الأغصان الدقيقة
الأهداف الكبرى
الأغصان الغليظة
الرسالة
الساق
المنظومة العقيدية
الجذور

فجذور الشجرة هي العقيدة التي تمثل المنطلق الحقيقي لتصرفات البشر والتي تمد الإنسان بتصوُّر واضح للكون والحياة، وساقها هي الرسالة الحياتية التي تشكل توجه الفرد الخاص وقيمه الحياتية، وأغصانها الأساسية الغليظة هي أهداف الإنسان طويلة المدى وأولوياته العامة، ثم يتفرع عنها أغصان أخرى هي أهداف مرحلية تتجزأ مع تفرُّع الأغصان حتى تحمل الأوراق والبراعم الصغيرة التي تمثل سلوكيات الفرد اليومية، وذلك التفرُّع في الأغصان من غليظة إلى دقيقة كالخطة التي تجزئ الهدف إلى خطوات عملية صغيرة، وتُنبت الشجرة ثماراً هي حصيلة تلك الأعمال التي تتغذّى من المنظومة العقدية من الجذور إلى الفروع، متأثرة بالساق والأغصان والأوراق، وجَنْيُ الثمار هو حصيلة المنظومة مجتمعة من العقيدة إلى الحدث.

عندما يصدِّق عملك ما تؤمن به فإنك تعيش وئاماً نفسياً وطمأنينة وفعالية في مصارف وقتك، فإذا كانت الرسالة الحياتية التي تشكلها المنظومة العقدية هي التي توضِّح توجهك في الحياة، فإن الأهداف التي تريد إنجازها ستكون متوائمة مع رسالتك، وتأتي الخطط كالجسور التي تترجم ما تريد من منطلق نظري إلى واقع عملي.

وبالمقابل فإن كان مخطط يومك لا يعكس أهدافك في الحياة فسيمضي يومك في ضياع، وإن ظننت أنك مشغول جداً ومستغل كل دقيقة منه في عمل ما، فالأهداف تولدها الرسالة والنشاطات اليومية تترجمها إلى الواقع العملي. إنّ نجاحك في إدارة وقتك وحياتك لا يتم حتى تجتاز أو تستوفي خمس مراحل:

١ ـ العقيدة: وهي تمثل ما تحمله في عالم الغيب من عقائد ومفاهيم، وهي تعطي الإنسان تصوراً واضحاً نحو نفسه ونحو الكون والحياة.

٢ ـ الرسالة: وهي تمثل التوجه الخاص الذي يقود حياتك بالاتجاه الذي تريده تبعاً لما تؤمن به، والرسالة تتضمن قيماً حياتية تمثل الأولويات العامة التي تحيا بها.

٣ ـ الأهداف: وهي تمثل ما تود تحقيقه في الحياة، ومنها ما هو طويل المدى يستغرق سنين عديدة، ومنها ما هو مرحلي يستغرق إنجازه مدة قصيرة.

٤ ـ الخطة: وهي تمثل الكيفية العملية لبلوغ الأهداف، بحيث توفِّر صيغة عملية تتَّبع في التحكم بالأحداث والسلوكيات لتصل لما تريده بشكل منهجي منظّم.

٥ ـ الحدث: وهو السلوك اليومي الذي يمثل العمل والنشاط اليومي، وهو يترجم الأهداف للواقع، تبعاً لخطوات الخطط المرسومة لبلوغ تلك الأهداف.

سأتناول في الفصل القادم دراسة مفصلة حول تحديد الأهداف وكيفية بلوغها من خلال عملية التخطيط، موضحاً ذلك بأمثلة عملية.

خلاصة المبحث الخامس

أهم ما خلصنا إليه في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ إنّ للإسلام منهج أسبق وأكمل من المنهج الغربي في إدارة الوقت، تميَّز عنه بتحقيق التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة وبين حق الله وحق النفس وحقوق الآخرين.

٢ ـ يمثل الهرم الإنتاجي أهم النماذج الغربية لإدارة الوقت، وهو يشير إلى أنّ السلوكيات اليومية تبنى على الأهداف، وأنّ الأهداف تولدها القيم، لكنَّ النظرة الشمولية لإدارة الوقت تبقى بتراء إن لم تشتمل على المنظومة العقدية لأنها أساس كل سلوك بشري، لذلك وضعت أنموذجاً أشمل أطلقت عليه «شجرة الحياة»، ممثلاً بجذور الشجرة العقيدة وبثمارها الأعمال، وبساقها الرسالة، وبغصونها وفروعها الأهداف، ولا ريب أنّ العقيدة السليمة إذا ضربت جذورها في أعماق النفس لا بد أن تثمر وتؤدي أكلها بإذن الله.

٣ ـ لقد تطوّر علم إدارة الوقت على أربعة أجيال، الجيل الأوّل اهتم بحصر الأعمال في جداول، والثاني اهتم بتحديد مواعيدها، بينما الثالث اهتم ببرمجة سلم أولوياتها، كما اهتم بتحديد الأهداف والتخطيط لبلوغها، والرابع جاء ليركّز على رسالة حياتية تكون موجهة للحياة على نطاق يسبق ذلك كله.

٤ ـ من أجل نجاح الفرد في إدارة وقته، ولذا إدارة حياته لا بد من النظر في صحة المنظومة العقدية التي يحملها، ومن ثمّ تحديد رسالته الحياتية على ضوئها، ثمّ تأتي الأهداف تبعاً لما تحدده تلك الرسالة

من أولويات وقيم أساسية يحيا الفرد لأجلها ويعيش بها، ولا ترجمة للأهداف بلا تخطيط يبلورها للواقع، ومن ثم يأتي السلوك العملي تبعاً للخطط، وبذلك يعيش الفرد حياته على توجُّه سليم واضح بإذن الله.

خاتمة الفصل الثاني

إنَّ قصة خلق الإنسان تشير إلى أنّ الله تعالى خلقه ليكرمه وليرفع قدره وليعلي منزلته في العالمين، فلقد تولى الله خلق آدم بيديه ونفخ فيه من روحه تشريفاً له، وجعل خلقه الحدث العظيم في تاريخ الخلق، فأمر الملائكة بالسجود له إعظاماً لقدره. فجاء خلقه بكل تلك الحفاوة والتكريم ليحمل رسالة ربانية هي خلافة الله في أرضه، ولكي يقوم بذلك فقد ذلّل الله الكون لخدمة الوجود الإنساني، فجعل ما فيه مسخّراً له، وجعل جميع الموجودات موافقة لوجوده، كما خلق الله سنناً كونية مكّنه من استيعابها بما أودعه الله من قوة عاقلة لينتفع بها في مسيرة حياته.

وإنّ أساس استخلاف الله للإنسان العبودية له، وهي الإذعان لله والانقياد إليه والخضوع له ومحبته، وهي تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه حتى تصبح الحياة كلها محراباً لعبادة الله. والإنسان يستكمل إنسانيته بالعبودية لله وحده، ويسمو بقدر عبادته التي خُلق لأجلها، كما أنّه ينسلخ من إنسانيته إذا ما رفضها. لذلك كانت عزّة الإنسان في سمو مقصده، فإذا كان مقصده مرضاة الله علا على ما سواه من الموجودات، وكان حقاً سيد الخلق وسيد الكون، وهو يزداد قدراً كلما قصد في حركته الله، وإنّ من حصر همّه في إشباع شهوة واتباع هوى، فقد هبط بذات الإنسان من إنسانيته التي ارتضاها الله له إلى بهيمية سائر الحيوانات.

ولا ريب أنّ ما يصيب البشرية اليوم سببه أنّ هذا الإنسان الذي كرّمه الله يعيش حياة الغفلة، ولا بد للخروج من هذه الغفلة من إعادة بناء كيانه ابتداءً من الغاية من وجوده ودوره في الحياة ومركزه من الكون، لذلك يجب إعادة

تشكيل المنظومة العقيدية التي يحملها في نفسه على ضوء القرآن والسنة لكي يجدّد معنى حياته، ولأي غرض يعيش، ولماذا وُجد وإلى أين وجهته، وما رسالته في الحياة؟ وإنّ المنظومة العقدية الإسلامية هي التي ترشد الإنسان لرسالته الحياتية، وتجعل له تصوراً سليماً نحو موقعه في الوجود ودوره في الحياة. وإنّ قوة العقيدة وما تحمله من قيم ومفاهيم هي القوة الدافعة التي توقظ النفوس الهامدة، وتحيي القلوب الجامدة، ولها أعظم الأثر في صياغة السلوك الإنساني، ولا شك أنّ بعثة المسلمين اليوم من رقادهم لن يكون إلّا بإعادة إحياء هذه العقيدة في نفوسهم، التي من شأنها أن تفجّر طاقاتهم وتعيد إليهم مكانتهم، كما أحدثته في الجيل الأوّل من المسلمين.

إن واقع الأمة الإسلامية اليوم خلاف الحال الذي يجب أن تُمده عقيدتهم، كما يوجد انفصام بيّن في شخصية أتباعها بَيْن عالم الاعتقاد وعالم الفعل، وإنّ ذلك دليل على أنّ من ينتسبون لهذه العقيدة يدينون لاشعورياً بخلافها، أو أنّ هذه العقيدة لم ترسخ في أعماقهم مولدةً عملاً يغيّر واقعهم، وكلتا الحالتين قد تحصل نتيجة لتأثيرات البيئة والثقافات الاستعمارية الفكرية والمناهج التربوية والإعلامية.

لذلك نرى أنّ التجديد في السلوك الفردي حتمي لإعادة النهوض بأمتنا الإسلامية، ولا يحصل ذلك بسوى التجديد في موجّه السلوك ـ المنظومة العقيدية، حيث إنّ ما نقوم به هو انعكاس لما نؤمن به، لذا لكي نغيّر واقعنا العملي يجب تغيير ما بأنفسنا، والأمة اليوم بحاجة لإعادة تعلُّم عقيدتها من جديد لاستعادة فعاليتها، فلا بد من إعادة النظر في أفكارها ومفاهيمها وقيمها، ويكون ذلك من خلال بناء كيان الإنسان بكامله، عقله وروحه وخُلُقه، لكي نصحّح تصوره الكلي نحو الوجود وفلسفته نحو الحياة، وفي ذلك إعادة تشكيل رسالته وبناء حضارته الإنسانية كما أرادها الله له.

فلقد خلق الله الإنسان وجعل له تصوراً واضحاً نحو الكون ودوراً

عظيماً في الحياة، كما جعل له منهجاً فيه صلاح حاله وفلاح مآله، وبه يحصل له سعادة الدنيا والآخرة، لكنّ المدنية الغربية قد هبطت بقدره فصرفته إلى مجرد الانغماس في إشباع شهوة المادة، ذلك لأنها أكثر البشرية جهلاً بماهية الإنسان ودوره الحق في الحياة.

وإنّ الفعالية في الحياة لا تتوقّف على مجرد ما يصرفه الفرد من وقته وجهده كمّاً وكيفاً لتحقيق هدف ما، بل هل ما يبذله يكمن في الهدف المناسب. ولا عبرة للاهتمام بالوقت وحسن إدارته والمحافظة عليه ما لم يكن هنالك غاية يُغتنم الوقت لتحقيقها. لذا يلزم أن تسبق قيادةُ الذات إدارةَ الوقت، ذلك أنَّ الأوّل تكوين نظري للرسالة التي يراد تحققها في الحياة، بينما الثاني هو ترجمة لتلك الرسالة للواقع العملي. والرسالة هي بلورة للغاية التي يُعاش من أجلها والأولويات العليا التي يُراد تحقيقها، فهي كالبوصلة التي توجه مسيرة الفرد بالاتجاه الصحيح، مما يوجد قاعدة صلبة للانطلاق منها في مسيرة الحياة المتشعبة.

لذلك من أجل نجاح الفرد في إدارة وقته، وبالتالي إدارة حياته، لا بد من التأكّد من صحة ما يحمل في نفسه من معتقدات ومفاهيم، ومن ثمّ يحدد رسالته الحياتية على ضوئها، ثمّ تأتي الأهداف تبعاً لما تحدده تلك الرسالة من أولويات وقيم أساسية يحيا الفرد لأجلها ويعيش بها، ولا ترجمة للأهداف إلى عالم الواقع بدون تخطيط، وأخيراً يأتي السلوك العملي بحسب الخطط المرسومة، وبذلك يعيش الفرد حياته على توجه سليم واضح بإذن الله.





الفصل الثالث

التخطيط لبلوغ الأهداف

الفصل الثالث
التخطيط لبلوغ الأهداف

مقدمة الفصل الثالث

تحدثنا في الفصل الأول عن حقيقة الوقت، وعلمنا ما مفهوم إدارته، وكيف أنه يتعلق بالتحكم بالأحداث اليومية التي من شأنها تحقيق ما يريده الفرد في حياته، ثم تحدثنا في الفصل الثاني عمّا هو هام فعلاً في حياته، وذلك من خلال استعراض دور الإنسان في الكون والحياة، ومسؤولية الاستخلاف التي خُلق من أجلها، والرسالة الحياتية التي يعيش المسلم لها.

أمّا في هذا الفصل فسنتناول الآلية التي بواسطتها تستطيع إدارة وقتك وتحكمك بالحدث المستقبلي، إنها عملية ذهنية تسبق القيام بالعمل تدعى «التخطيط».

وحيث إنّ التخطيط يُعنى بكيفية الوصول لمبتغى ما، فسأتعرَّض لموضوع «الأهداف»، والتخطيط لبلوغ الأهداف علمٌ له سلوكياته الإدارية المنهجية، إضافة إلى سلوكيات تنفيذية مساعدة على بلوغها، وهذا ما سأتناوله في هذا الفصل.

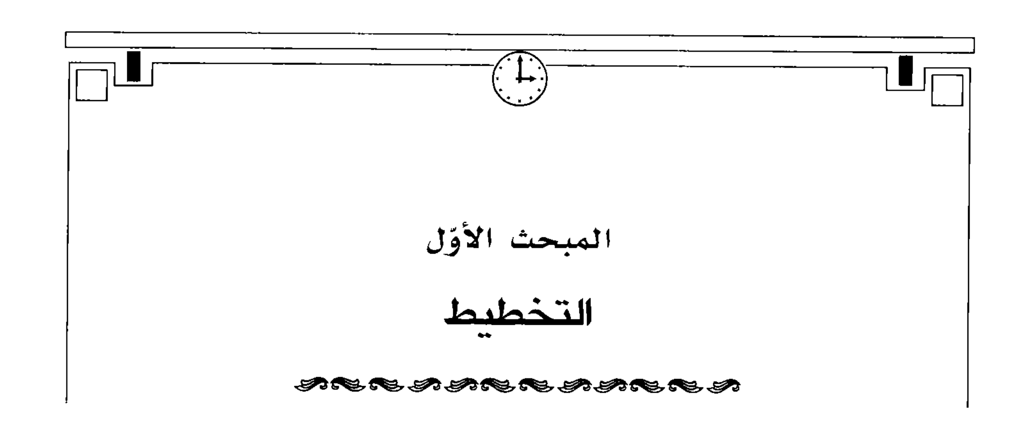
ولقد قسَّمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأوّل ـ التخطيط: حيث سأتناول مفهومه ووظيفته وعلاقته بالمستقبل، وما يتطلبه من قدرات ذهنية، إضافة إلى اختلاف تفاعل الناس نحو الأحداث الحياتية وعلاقة ذلك بالتخطيط.

المبحث الثاني ـ الأهداف: مبيناً ضرورتها لفعالية مصارف الوقت والجهد، كما سأتعرض لكيفية تكوين الأهداف وصفات الهدف الفعّال وأنواعه ومرتكزاته الأساسية.

المبحث الثالث ـ منهجية التخطيط لبلوغ الأهداف: حيث سأتناول المهارات الإدارية لبلوغ الفرد ما يريد، عارضاً مراحل بلوغ الهدف وأساليب وآليات التخطيط، إضافة إلى المنهجية العلمية في إدارة الأهداف المتزامنة.

المبحث الرابع ـ صفات شخصية لازمة لبلوغ الأهداف: متناولاً أهم العوامل السلوكية المساعدة على بلوغ الأهداف كالمثابرة والثبات، وعلو الهمة، وعدم التسويف، ومغادرة مواطن الراحة، والمداومة على القليل الدائم وغيرها.



المبحث الأوّل

التخطيط

مقدمة المبحث الأول

إنّ إدارة الوقت تعنى ابتداءً بإدارة الحدث، وهذا يحصل حينما يتحكم الفرد بالأحداث المستقبلية في حياته، لكن كيف يحصل ذلك؟ هذا ما سأتناوله في هذا المبحث. إنّ المهارة التي يمكننا من خلالها أن نتحكم بمسيرة حياتنا تسمى التخطيط، وهي فن في حقل المعرفة الإدارية يُكتسب بالتعلم والتجربة.

سأتعرض في هذا المبحث إلى أهمية التخطيط وحتميته لنجاح أي عمل كبر أو صغر، معرجاً إلى توجيه القرآن الكريم للمسلم للنظر في مستقبله، كما أنني سأدرس السلوكيات البشرية واختلاف تفاعل الناس نحو الحدث الواحد، عارضاً التصرفات الانفعالية والتصرفات بمبادرة شخصية، كما أنني سأتحدث عن المتطلبات الذهنية لعملية التخطيط. هذا وسأبيّن كيف أنّ كل عمل يولد مرتين، وما علاقة ذلك بالتخطيط. وفي نهاية هذا المبحث سأناقش الأعذار الأكثر شيوعاً لعدم القيام بالتخطيط.

تمهيد

ماهية التخطيط

لقد وهبنا الله الوقت ومنحنا الخيار في كيفية الانتفاع به، والتخطيط هو عملية اختيار كيفية معينة لاستثمار أوقاتنا بغية الوصول لما نريده، التخطيط في المصطلح هو وضع خطة الشيء ورسم منهجه، وقيل: وضع خطة تنفّذ في أجل محدّد[1]، وإنّ تخطيط نهارك هو أبسط مثال لعرض هذا، ففي يوم من أيام الدراسة كنت تستيقظ صباحاً وبصورة تلقائية تخطط في ذهنك أو على الورقة برنامج يومك: الساعة ٨ صباحاً محاضرة الفيزياء، ثم الساعة ١٠ اجتماع مع بعض الطلبة لمناقشة مشروع مشترك، بعدها حوالي الساعة ١٢ أذهب لصلاة الظهر ثم أتناول طعام الغذاء، وسأكون في مختبر الكيمياء بعد ذلك لساعتين، ثم محاضرة تاريخ العلوم بعد ذلك، ثم صلاة العصر، وسأمكث في المكتبة من الساعة السادسة مساء حتى الساعة التاسعة للتحضير لامتحان مادة الاقتصاد، وخلال عودتي من المكتبة سأتسوق بعض الأطعمة من أحد المحلات قرب الجامعة، وهكذا. والتخطيط هو السبيل لإدارة الوقت، ولقد جاء في أحد تعاريف إدارة الوقت عبارة بسيطة، وهي أنّ إدارة الوقت هي: «معرفة ما تريد القيام به ثم التخطيط لذلك»[2].

تبسيطاً لمفهوم التخطيط أقول إنّه يتعلّق بالإجابة على السؤال التالي:

---

(١) المعجم العربي الأساسي، إصدار جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، طبعة عام ١٩٨٩م، ص٤٠٦.

(٢) John W., and John B. Kendrick, Personal Productivity, New York, M.E Sharpe Inc., 1988, P.111.

كيف أستطيع الوصول إلى ما أريد؟ ولقد عُرِّف التخطيط بأنّه «عملية تحديد الأهداف وإيجاد الطرق الموصلة إليها»[1]، والخطة هي النتاج النظري لعملية التخطيط. وحيث إنّني سأتناول موضوع الأهداف في المبحث القادم، فسأكتفي هنا بالقول: بأننا نخطّط لبلوغ مبتغى ما يسمى الهدف، والتخطيط هو الكيفية العملية التي أستطيع من خلالها الوصول له، لذلك أقول: إنّ التخطيط يدلني على الطريق الذي إن سلكته أوصلني لما أريد، وإنني سأتناول بتفصيل هذا الموضوع في الصفحات التالية.

المطلب الأول: لماذا التخطيط

١ ـ التخطيط آلية التحكم بالحدث:

لقد ذكرنا في الفصل الأوّل أنّ إدارة الوقت تتعلق بإدارة الحدث، ويكون ذلك من خلال التحكم بالأحداث الحياتية، أمّا كيف يحصل ذلك فهو ما نحن بصدده في هذه الفقرة. إنّ التخطيط هو الآلية والمهارة التي أستطيع من خلالها أن أتحكم بالحدث المستقبلي، وإنَّ وصول الفرد للتحكم بالأحداث الخاصة في حياته يوصله إلى التحكّم العام بمسيرة حياته، وهذا ما يحتاج تخطيطاً دقيقاً، ذلك أنّ التخطيط يبين النشاطات والأحداث التي تتطلبها أهدافه الشخصية ليسير عليها في سلوكياته اليومية، يقول مور: «إن مفهوم التحكم من خلال وضع خطط وبرامج لهو أساس إدارة حكيمة وتنمية الفعالية والإنتاج»[2]، والتخطيط أهم ما تتناوله إدارة الوقت، وهو يُعنى بمعرفة ما تريده ثم وضع الكيفية العملية التي توصلك إليه.

مثال ذلك إذا أردت السفر البعيد بالسيارة لولاية ما في أمريكا فتقوم بالتخطيط اللازم لكيفية المسير وما يتطلبه السفر، فتحضر الخارطة اللازمة

---

(١) Edmud Gray, and Larry Smeltzer, Management: the Competitive Edge, New York, Macmillan Publishing Co., 1989, P.151.

(٢) Richard I. Winwood, Time Management, P.15.

وتحدد طرقات رحلتك، وتحاول توقع مقدار الوقت الذي يتطلبه هذا السفر، وماذا تحتاج خلاله، وإذا اضطررت المبيت في فندق على الطريق ففي أية مدينة يكون هذا. هذه العملية عبارة عن بعض خطوات التخطيط لسفرك الذي سيحصل في المستقبل القريب، بهذا تحدد الأحداث المستقبلية التي ستقوم بها للوصول إلى وجهة سفرك، وبدون أدنى شك كلما كان سفرك مخططاً له بدقة كانت التوقعات أقرب للواقع والاستفادة أكثر وتضييع الوقت أقل.

٢ ـ التخطيط مقدمة النجاح:

بما أنّه من السنن الكونية أن النتائج مترتبة على المقدمات، وأن الأسباب قائمة على المسببات، فالتخطيط السليم أساس لنجاح أي عمل، وإن غيابه يؤدي إلى التخبط والضياع، لذلك فإنّ مستلزمات النجاح تتطلب تحديداً للأهداف والتخطيط لها والسعي الدؤوب من أجل تحقيقها، فهو إذن سنّة ربانية كونية ملازمة لكل نجاح وتقدّم على مختلف جبهات التقدّم الحضاري والنهوض الإنساني.

والتخطيط ضرورة حتمية لبلوغ أي إنجاز كبر أو صغر، في كتابه «جند الله تخطيطاً»، يشير سعيد حوى إلى أنه «ما من إنسان إلا وللتخطيط في حياته مكان، يكبر أو يصغر، يأتي أحياناً بشكل عفوي وأحياناً بعد تدبير وتفكير، وكلما كبرت دائرة العلاقات الإنسانية أو وجدت أهداف ضخمة كان التخطيط أكثر ضرورة وأكثر تنوعاً... وقد أصبح التخطيط في عصرنا سمة ملازمة لكل شيء فبدونه ما كان للإنسان أن ينزل على سطح القمر، أو يتصل بأخيه الإنسان في الجانب الثاني من الأرض، أو يحرز هذا التقدم الكبير في كل جانب من جوانب المدنية»[(١)].

وإن انعدام التخطيط مآله الفشل والضياع، كما قيل: «إذا لم تفكّر

---

(١) سعيد حموي، جُند الله تخطيطاً، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٨٧..

بالمستقبل، فلن يكون لك مستقبل»[١]، لذلك قال آلين لاكين، الخبير في إدارة الوقت: «الفشل في التخطيط هو تخطيط للفشل»، وإن «خبراء إدارة الوقت متفقون على أن سبب نجاح الناجحين هو تخطيطهم الدقيق، إنّهم يفكرون بأهدافهم ومن ثم يرسمون خططاً توصلهم إليها. وهذا أسهل ممّا تتصوّر، فعندما تبدأ في تحديد أهدافك، ثم تخطط للخطوات الموصلة إليها، تشعر بأنك في موقع التحكم، وإنّ ذلك الشعور العميق في كونك مسيطراً على مسيرة حياتك يجعلك مرتاحاً تماماً لمعرفتك أنّ ما تنجزه يوماً بيوم هو ما يقربك من الوصول لأهدافك»[٢].

٣ ـ التخطيط سمة تطوّر المجتمع:

لقد تعرّضت في الفصل الأوّل إلى أنّ تقدير الأفراد لقيمة الوقت ودرجة اهتمامهم به سمة أساسية للدلالة على تطوّر المجتمع، وهنالك دلالة أخرى لتقويم تقدّم أفراد المجتمع يشير إليها الدكتور أحمد صقر عاشور، وهي المدى الزمني الذي يغطيه تخطيطهم لحياتهم، فيقول: «ففي المجتمعات الصناعية المتقدمة يخطط الأفراد لحياتهم لفترة زمنية مستقبلية قد تمتد إلى عشر أو عشرين سنة أو ما يزيد، وهم يحسبون آثار تصرفاتهم ليس للمدى الزمني القصير وإنما للمدى البعيد. . .

أمّا المجتمعات التقليدية المتخلفة، فنتيجة لسيادة التفكير القدري لدى أفرادها وشيوع نزعة التواكل، فإنّ تفكير الفرد وخططه واهتماماته غالباً ما تنحصر في الفترة القصيرة، وهو إن فكّر في الفترة الطويلة فهو يتناولها من منظور الخيال وأحلام اليقظة، وليس من منظور الأهداف الواقعية التي يتخذ خطوات جادة نحو الوصول إليها. . .

---

(١) John Galsworthy, Franklyn Quest, Planner Header Quotation for July 29, 1998.

(٢) Elaima Zuker, How to Master Your Future, why Managing Time?, New York, Time Magazine with Cooperation with Success Strategis, Inc., P.1.

وحين يغيب التخطيط للمدى الطويل من حياة المجتمع، فإنّ الأغلب ألا يكون له وجود واضح في طريقة ونمط تسيير المنظمات في هذا المجتمع، وهو إن وُجد في هذه المنظمات، فهو لا يتلاقى مع بيئة مناسبة تعززه وتؤكد وجوده وتضمن نجاحه... فكثيراً ما تقوم الحكومات في المجتمعات التقليدية المتخلفة بوضع خطط وبرامج للمدى الطويل، محاكاة للمجتمعات المتقدمة وأخذاً بالمنهج العلمي، ثم لا تلبث هذه الخطط أن تتفكك دعائمها لأنها لم تجد من العاملين من يترجمها إلى واقع سلوكي وتصرفات فعلية تتدرّج مهتدية بالأهداف والمراحل التي تتضمنها الخطة»[1].

ولعله من الأهمية بمكان تصويب الدكتور أحمد عاشور هنا، حيث إنّه وقع في تهمة يوجهها خصوم الإسلام، ويقع عادة فيها من يتوهمون المعاصرة، فذكر أنّ نتيجة سيادة التفكير القدري وشيوع نزعة التواكل أدى إلى عدم التخطيط أو انحصاره في الفترات القصيرة، وهذا غير صحيح! بل العكس أصح، حيث إنّه نتيجة لشيوع وغلبة العقلية الانفعالية وغياب الفاعلية والمبادرة أدى إلى انحراف التفكير، فوجدت نزعة تواكلية أو جبرية. كما لي تحفّظ كبير على عبارات الدكتور عاشور، حيث ذكر «المجتمعات الصناعية المتقدمة» مقابل «المجتمعات التقليدية المتخلفة»، وكأنه يصف المجتمعات الغربية في الأولى والإسلامية في الأخرى، وخاصة حينما ربط الثانية بالتواكل والتفكير القدري، وهذا بلا ريب نتيجة التفكير الانهزامي الذي وقع به بعض مثقفي أمتنا.

وإذا نظرنا بشكل واقعي لحاضر دول العالم الثالث نرى بوضوح أنّ التخطيط في حياة الأفراد غير موجود، وإن وُجد لا يتجاوز الأيام والأسابيع القليلة، بينما في الدول المتقدمة نرى أنّ التخطيط سمة أساسية

(١) أحمد صقر عاشور، الإدارة العامة ـ مدخل بيئي مقارن، مرجع سابق، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

لتطوّر أفراد المجتمع ومؤسساته وحكومته، لذلك نرى أنّ الواقع يزداد سوءاً على سوء في الدول الأخرى، وذلك لأنّ المجتمع عبارة عن مجموعة أفراد تجمعهم ثقافة ونظام، إذا انعدمت النظرة المستقبلية لأفراده لا يتقدم المجتمع ككل بشكل طبيعي.

٤ ـ كل الأعمال تولد مرتين:

التخطيط مسألة تواجهنا أينما حللنا وكيفما فعلنا، قد نقوم بخطوات متواضعة منه بشكل عفوي، وأحياناً لا نقوم به فنعيش صعوبات شتى ومسؤوليات مهملة وأعمالاً مؤجلة، يلاحظ هنري منتبرغ في دراسة ضخمة له في حقل التخطيط الاستراتيجي أن «كل الأعمال حتى يقام بها يجب أن يخطط لها ولو بصورة عفوية لبضعة دقائق قبل إنجازها»[١].

وهنا ننتقل إلى مبدأ هام وهو أن كل الأعمال تولد مرتين: الولادة الأولى عبر التخطيط وهو «الوجود الذهني» لها، والولادة الثانية عبر التنفيذ وهو «الوجود المادي» لها، وإذا أغفلنا الولادة النظرية الأولى تعثرت الولادة العملية الثانية لأنها نتيجة طبيعية لها[٢]. مثال ذلك بناء منزل، إنه يوجد على خرائط ودراسات تخطيطية له قبل وضع حجر أو ضرب مسمار لبنائه، فالخطة توضع بشكل كامل ومفصّل قبل أن يلمس تراب موضع البناء، وهذا يمثّل الولادة النظرية للبيت قبل الولادة العملية من خلال إنشائه، أما محاولة بناء بيت بلا خريطة أو خطة فنتيجته أخطاء باهظة وفشل محتّم.

خذ على سبيل المثال في مجال العمل إنشاء شركة، حتى يكون العمل ناجحاً لا بد من التحديد بوضوح ماذا تريد أن تنتج وما هو السوق الذي تستهدفه، ولا بد من دراسة الموازنات المالية والقيام بالبحوث

---

(١) Henry Mintzberg, The Rise and Fall of Strategic Planning, New York, The Free Press, 1994, P.7.

(٢) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.99.

العلمية، وكيفية التصنيع، ودراسة الاستراتيجية التسويقية، وتوصيف عمل الموظفين وتحديد مكان الشركة... إلخ، هذا كله قبل أن يظهر العمل للواقع، وحسب إحصائية ميدانية فإنّ ٦٣٪ من الشركات في الولايات المتحدة تفشل وتتوقف خلال أول ٦ سنوات من افتتاحها[١]، ويُعتقد أن أهم أسباب ذلك الفشل انعدام التخطيط السابق لإنشاء تلك الشركات.

ويحذر ستيفن كوفي، الخبير في حقل القيادة الذاتية، بأنَّ ثمة خطراً كامناً في أنه إنْ لم نكوِّن الولادة الأولى لأعمالنا ولأنفسنا فسيكوِّن لنا الواقع بشكل عفوي ولادة ثانية قد لا تتماشى مع ما نريد، لذا يجب أن نكون مدركين تماماً لهذا المبدأ لأن تصرفاتنا إما نتيجة للوجود الأول الذي وصفناه، وإما نتيجة للواقع والظروف التي ترسم لحياتنا وجوداً معيناً، رضينا به أم لم نرضى[٢].

الولادة الأولى هي إذن مرحلة التكوين، تكوين الخطة، والولادة الثانية هي مرحلة التنفيذ، أي تطبيق الخطة. من الأمثلة المخجلة الصارخة على حتمية التخطيط لبلوغ ما نريد أفراداً كنّا أو جماعات المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل السويسرية[٣]، لقد وُضع خلاله بضعة أهداف سرية وهدف علني وهو إيجاد موطن لليهود في فلسطين بعد ٥٠ عاماً، ووضعت خطة هذا الهدف، فكانت الولادة الأولى لذلك الكيان، لذلك قال هرتزل في نهاية المؤتمر بأن تأسيس الدولة الصهيونية قد تم في بازل، وحدثت مؤتمرات عديدة فيما بعد، لمتابعة الخطة وتقييم بلوغ الهدف مرة كل عام، ثم مرة كل عامين، وقام اليهود بإنجازات ضخمة فيما

---

(١) Kingman Douglass, and others, successful Business Management, Dun & Bradstreet: Business Failure Record, New York, HUME Publication Inc., 1992, P.4.

(٢) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.14-15.

(٣) عقد المؤتمر الصهيوني الأوّل في مدينة بازل السويسرية ما بين ٢٩ و٣١ من شهر آب عام ١٨٩٧م.

بعد، منها وعد بلفور عام ١٩١٧، وخاضوا الحروب وتحملوا الصعاب حتى أعلن ابن غوريون عام ١٩٤٨ عن قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وفعلاً كان ذلك بعد ٥٠ عاماً من مؤتمر بازل! وبهذا كانت الولادة الثانية لذلك الكيان.

المطلب الثاني: التخطيط والمستقبل

١ ـ القرآن يوجّه الأنظار للمستقبل:

لا نبالغ إذا ذكرنا أنّ أكثر من نصف آيات القرآن الكريم تتحدث عن المستقبل بصورة أو بأخرى، فهو يوجه أنظار المسلم منذ أوّل أيام الدعوة للغد، سواء أكان ذلك الغد القريب خلال السنوات القادمة، كالبشارة التي زفها الله للمسلمين في هزيمة الكفّار يوم بدر وإخبار المسلمين بانتصار الروم، أو كان ذلك الغد البعيد وهو الحياة الآخرة، وذلك في آيات عديدة جداً تتحدّث عن يوم البعث والحساب وحال المؤمنين في الجنة وما ينتظرهم، وحال المشركين في النار وماذا ينتظرهم.

أمّا الآيات حول الغد البعيد فهي عديدة جداً وأكثر من أن تحصى، بعضها يلفت انتباهنا إلى الغد كقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾[2]، وينبهنا تارة أخرى ليوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[4]، والآيات التي توجه نظرنا نحو حال الآخرة عديدة جداً لا يسعنا عرضها في هذا المبحث.

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٨.
(٢) سورة القمر: الآية ٢٦.
(٣) سورة لقمان: الآية ٣٣.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

وإنّ كتاب الله في مجمله، في أخباره وأوامره ونواهيه يحضّر الإنسان لحياة المستقبل، فيلفت انتباهه في هذه الدنيا لغده، منبهاً ومبيناً طرق الوصول إلى النعيم المستقبلي وطرق الوصول إلى الجحيم المستقبلي، والمسلم الذي يريد النعيم لا بد أن يحدد مسيره ويخطّط له ليصل إلى بر الأمان في منتهى رحلته الدنيوية.

والعبد مأمور بالأعمال الصالحات في حاضره لينجو في مستقبله، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[1]، وهذا الفوز بالجنة سببه ما أسلف العبد في الأيام الخالية «أي بما قدمتم في أيام الدنيا»[2].

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: «المتدبر للقرآن الكريم يجده منذ العهد المكي يوجه أنظار المسلمين إلى الغد المأمول، والمستقبل المرتجى، ويبين لهم أن الفلك يتحرك، والعالم يتغير، والأحوال تتحول، فالمهزوم قد ينتصر، والمنتصر قد يهزم، والضعيف قد يقوى، والدوائر تدور، سواء كان ذلك على المستوى المحلي أم العالمي، وعلى المسلمين أن يهيئوا أنفسهم، ويرتبوا بينهم لما يتمخض عنه الغد القريب أو البعيد، فكل آت قريب.

نقرأ سورة القمر المكية، فنجد فيها قول الله تعالى عن المشركين، وهم أولو القوة والشوكة والعدد والعدة: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[3]، ذكر ابن كثير في تفسيره[4] عن

(١) سورة الحاقة: الآيات ١٩ ـ ٢٤.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٨ ص٢٧١.

(٣) سورة القمر: الآيتان ٤٥، ٤٦.

(٤) عماد الدين إسماعيل، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مطبعة الاستقامة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م، ج ٤ ص٢٦٦.

ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ، يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، فعرفت تأويلها يومئذ... فكان المقصود بهذه الآية وأمثالها تهيئة الذهنية المسلمة، والنفسية المسلمة، للتغيير الحتمي، والغد المرتقب.

وعلى المستوى العالمي نجد آيات الكتاب العزيز تتحدث عن ذلك الصراع التاريخي بين الدولتين العظميين: فارس والروم ـ وقد كان صراعاً اهتم له الفريقان في مكة: المسلمون والمشركون ـ فتبشر الآيات الجماعة المؤمنة بأن المستقبل للروم من أهل الكتاب على الفرس المجوس عبّاد النار، وأنهم ـ وإن غُلبوا اليوم ـ سيَغلبون في بضع سنين، وفي هذا تقول السورة جازمة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[(١)]...

لذلك نرى أن مهمة الدين الكبرى هي إعداد الإنسان لحياة الخلود، أي: إعداده للمستقبل، لدار هي خير وأبقى من هذه الدار، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾[(٢)]، فالنظرة المستقبلية أساسية في ديننا، فالمسلم قد علمه الإسلام أن يحتاط لغده، ويعد له عدته، ويأخذ حذره، ويتخذ الأسباب المعينة له، وسواء أكان ذلك في أمور الدين أم أمور الدنيا»[(٣)].

---

(١) سورة الروم: الآية ١ ـ ٥.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٣) يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص١٢١ ـ ١٢٣.

٢ ـ التخطيط نظرة للمستقبل:

كما أنّ الإنسان قد رُزق ذاكرة تربطه بالماضي وما فيه، رزقه الله أيضاً مخيلة تصور له المستقبل وما يتوقع فيه، ومن خصائص المستقبل أنه آت، وكل آت قريب مهما ظن المرء أنه بعيد، ولهذا قيل: إن مع اليوم غداً، وإن غداً لناظره قريب، والتخطيط عبارة عن نظرة إدارية للاستعداد للمستقبل ومحاولة تشكيله. لعلك تذكر تعريف الوقت في الفصل الأول وأنه «سلسلة متصلة من أحداث يتبع أحدها الآخر من الماضي مروراً بالحاضر إلى المستقبل»، فالتخطيط بوضوح يتعلق بالمستقبل أي بالأحداث المستقبلية، وقيل بأنّ «التخطيط يتعلق بالقرارات الحاضرة التي تخص المستقبل»[(١)].

وعلى الرغم من تعدد التعريفات لمعنى التخطيط، إلّا أنها دوماً تشتمل على معنى المستقبل، حيث إنّ التخطيط يتعلّق بكيفية الوصول لنتيجة ما في المستقبل. بالطبع نحن لا نستطيع تنبؤ المستقبل، فالمستقبل في علم الغيب، لكننا عندما نخطط نضع تصوراً معيناً لكيفية الوصول إلى هدف ما في مستقبل أيامنا، وإذا شاء الله تعالى لنا الوصول له فسنصل بمشيئة الله ومن ثم بالأسباب التي نبذلها في سبيل ذلك.

٣ ـ التخطيط خريطة المستقبل:

يصف ماريون هينز في كتابه «إدارة الوقت الشخصي» التخطيط بأنه عبارة عن خريطة تدلك على الأحداث المستقبلية التي يجب أن تقوم بها لإنجاز أهداف ونشاطات هامة في حياتك، ويشير إلى أنّه يوفر لك أمرين أساسيين لانتظام حياتك، أولاً: يخبرك كيف تصل مما أنت عليه الآن إلى ما تود أن تصل إليه، ثانياً: إنه يحدد ما يتطلب هذا من وقت وجهد وموارد

---

(١) George A. Steiner, Strategic Planning-What Every Manager Must Know, New York, The Free Press, 1979, P.31.

مختلفة للوصول إليه، ومن خلال عملية التخطيط هذه تدرك متى تبدأ شيئاً ما من أجل إتمامه على الوقت وماذا يتطلب القيام به[1].

إنّ حياة الفرد في هذه الدنيا عبارة عن رحلة لفترة من الزمن، وإذا لم يعلم إلى أين المسير وكيف يصل إلى ما يريد، فإنّ فرصة العمر تنتهي وهو في ضياع وتخبط لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة، ومعرفة كيفية بلوغ مراده في هذه الدنيا لا يكون إلّا بالتخطيط والعمل بحسبه.

وفي كتابه «إدارة الوقت بشكل عملي»، يقول برادلي ماكري: «تصور المستقبل كرحلة قد تكون لبضعة أماكن، وكل مكان لديه طرق معينة توصلك إليه، وإنه من دون اختيار المكان المقصود وتحديد الطريق الموصلة إليه يضيع وقتك في طرقات مسدودة أو طرقات توصلك للمكان الخطأ. وإن عدم وجود خطة يجعلك تصل لأهدافك ببطء شديد أو بطريقة عشوائية أو لا تصل أبداً»[2].

٤ ـ التخطيط تفكير استراتيجيّ:

التفكير الاستراتيجي يُعنى بالإجابة على سؤال ذي وجهين: ماذا أريد وكيف يمكنني بلوغ ذلك؟ ومع العلم أن هذين الوجهين متكاملان وضروريان لتفكير طويل المدى، إلا أنهما ليسا متشابهين، الأول يعني تحديد مستقبل ما والثاني تخطيط يوصلك له[3].

وإنّ من أعظم إيجابيات التفكير الاستراتيجي أنه عملية تظاهر بأحداث المستقبل على الورق، فإن كانت نتيجة التظاهر بالمستقبل هذه لا تعطي النتيجة المبتغاة نستطيع أن نمحي الخطة ونبدأ من جديد، والتظاهر

---

(١) Marion E. Haynes, Personal Time Management, Merlo Park, California, Crisp Publications, 1997, P.22.

(٢) Bradley C. MacRae, Practical Time Management, P.5.

(٣) Benjamin B. Tregoe, and John W. Zimmerman, Top Management Strategy, P.16.

بالمستقبل بهذه الطريقة يشجع الفرد على أن ينظر ويقيم ويقبل ويرفض خيارات عديدة من الأعمال التي يمكنه أن يتخذها، وهذا يوفّر له الخبرة من غير الانخراط الحقيقي بالعمل وصرف الجهود فيه(١).

ويتطلّب التخطيط تفكيراً استراتيجياً، وهذا يعني أنه «يتطلب مستوى عال من التخيل، والمقدرة على التحليل والإبداع، والثبات على ما تختار من توجّه لحياتك، لذلك فهو يحتاج ممارسة ذهنية تختلف عن تلك التي تتطلبها أعمال اليوم المختلفة»(٢).

وإنّ البحوث الحديثة على دماغ الإنسان نمّت فهمنا لما نحتاج من أجل تفكير استراتيجي، فالنصف الأيمن من الدماغ يتميّز بسرعة البديهة، والإبداع، والنظرة الكلية، والتفكير التحليلي المستقبلي، تلك الصفات جعلت بعض العلماء يطلقون عليه عبارة «الجهة الاستراتيجية للدماغ»، وتلك الصفات هي ما يجب أن يتصف بها الشخص ليتميّز بذلك المستوى من التفكير، وهي حسب دراسة بنجمين وزمرمن في كتابهما «الإدارة الاستراتيجية العليا» ما يلي(٣):

أ ـ التفكير التحليلي: وهو المقدرة على التفكير بطريقة نظامية وتوقع العقبات واتخاذ القرارات بمنهجية.

ب ـ النظرة الكلية: وهي المقدرة على رؤية الصورة الكلية لعمل ما أو للحياة بشكل عام.

جـ ـ الاهتمام بالمستقبل: بحيث يكون المستقبل عنصراً أساسياً في إدارة الوقت وتقييم الخيارات المتاحة.

د ـ تحمل الغموض: بحيث يُستطاع العمل بفاعلية في الأوضاع الصعبة والمجالات الغامضة.

---

(١) George A. Steiner, Strategic Planning, P.37-38.

(٢) Benjamin B. Tregoe, and John W. Zimmerman, Top Management Strategy, P.45-46.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

هـ ـ الشعور بالمسؤولية: بحيث يُحافظ على الطاقات، ويُحرص على الارتقاء، ويُحس بمسؤولية بلوغ أفضل المُستطاع.

المطلب الثالث: تفاعل الناس مع الأحداث

كل يتفاعل مع المواقف والأحداث الحياتية بشكل مختلف عن غيره من الناس، فطبيعيٌ أن يتفاعل عدة أفراد نحو حدثٍ واحد بطرق مختلفة، ويتّفق علماء النفس والاجتماع أنّ هنالك عنصرين رئيسيين يؤثران على شخصية الفرد وتفاعله مع الأحداث:

١ ـ **العنصر الوراثي**، وهو يشكل المورثات الخلقية التي ورثها الشخص عن أهله بشكل طبيعي.

٢ ـ **والعنصر البيئي**، وهو يشكل المؤثرات التربوية المكتسبة كالثقافة والتجارب التي شكّلت شخصيته.

هذان العنصران يؤثران على ردود أفعال الإنسان نحو الأحداث المختلفة، فكلٌ يتفاعل بطريقة مختلفة عن الآخر تجاه الحدث الواحد، وهذا يولّد قانوناً هاماً وأساسياً في علم السلوكيات البشرية، وهو أن: «بين الفعل وردة الفعل تكمن حرية الاختيار بحسب فهم الواقع والوعي والإرادة المستقلة»[١].

هذا يعني أنّ تصرف الفرد تجاه حدث ما مسألة اختيارية يقوم بها بنفسه بحسب فهمه وإرادته، مثال ذلك أنّ ابنك البالغ من العمر ٨ سنوات حينما يثور في وجهك بصوت عالٍ طالباً لعبة جديدة، ماذا ستكون ردة فعلك لهذا الأمر وأنت لا تريد شراء تلك اللعبة؟ ربما تثور في وجهه أيضاً بانفعالية وعصبية تنهره عن ذلك، وربما تعالج الموقف بهدوء فتعمل على تهدئة ولدك ثم تشرح له موقفك، المهم أنّ بين الفعل الذي قام به ابنك

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.70.

وبين ما ستقوم أنت به يمكنك التوقّف والتفكّر وحرية اختيار تفاعلك مع هذا الحدث.

١ ـ التفاعل مع الحدث نوعان:

قد يكون التصرف والتفاعل مع الحدث مجرد تصرف انفعالي، هذا يعني أنه لا يقدم الفرد على القيام بعمل ما إلا بعد حصول حدث معين، ثم يأتي تفاعله مع هذا الحدث بشكل عاطفي وانفعالي فحسب، ولكن ثمة مبدأ هام جداً في علم إدارة الوقت والحياة وهو مصطلح إداري جديد لا أجد له في اللغة العربية مرادفاً أقرب من مبدأ المبادرة بالعمل، والترجمة الحرفية له «سبق الفعل»(١)، وهو عكس المصطلح «ردة الفعل»(٢)، أي التصرفات الانفعالية، وقد أطلق عبارتي «الشخصية الفاعلة» و«الشخصية المنفعلة» للتفريق بين هذين النوعين من التفاعل نحو الأحداث.

المصطلح الأول يعني أنك كإنسان مسؤول عن حياتك، وعن اختيار تفاعلك مع الأحداث، وإنّ الأفراد الذين هم على مستوى عال من المسؤولية والأخذ بزمام المبادرة لا يتهمون الظروف الخارجية لتصرفاتهم، ذلك لأن التصرفات إنتاج شخصي صادر عن الفرد من خلال إرادته الخاصة، لكنهم يسبقون عملهم وظروفهم بتخطيط واعٍ وبنظرة فاحصة، وبرؤية مستقبلية واضحة، وهذا ما يوجد نوعين من الناس: الانفعاليون والمبادرون.

٢ ـ الفرق بين الانفعالية والمبادرة:

إنّ الانفعاليين هم دائماً متأثرون بالبيئة الخارجية، إذا كان الجو كئيباً شعروا بالكآبة، أما المبادرون بالعمل فيحملون جوهم الخاص الذي لا يعتمد على البيئة، لذلك تجد أصحاب التصرفات الانفعالية ذوي شخصية

---

(١) Proactivity.

(٢) Reactivity.

دفاعية، يتصرفون حسب المشاعر والظروف والبيئة، ويعللون فشلهم دوماً بالمشاكل الخارجية، بينما أصحاب المبادرة يتصرفون بإرادة شخصية من منطلق أهداف منشودة اختاروها بدقة لحياتهم، فيخططون لها ويعملون على إنجازها.

قام عالم نفساني بدراسة مستفيضة لطلبة المدارس الثانوية في مدينة أطلنطا في الولايات المتحدة الأمريكية حول التخطيط الذاتي، وكانت نتيجة الدراسة أن الفاشلين يعتقدون بأن الحظ هو العنصر الأساسي لما يحدث للشخص في حياته، بينما الفئة الناجحة والمبدعة تعتقد بأن للمرء تحكماً ما بما يقوم به[١].

إن الفرق بين الشخصية الفاعلة والشخصية المنفعلة هو الفرق بين النهار والليل، ولا نقول: إن الفرق زيادة فعالية ونجاح بنسبة تبلغ ٤٠٪ إلى ٥٠٪، بل أكثر وأهم، إنه الفرق بين قيادة الذات وحملها على الجادة وبين التخبط والضياع، وإنه الفرق بين النجاح والفشل. إن تغيير الواقع والنهوض به بحاجة للأخذ بزمام المبادرة، ذلك أنك إذا لم تسبق الأحداث ولم تبادر بالعمل بشخصية فاعلة مؤثرة ستفوتك الفرصة وستتغلب الظروف عليك حتى تصبح عاجزاً عن فعل أي شيء.

يُوصف صاحب المواقف الانفعالية بالعجز عن التصرف إلا إذا وُجدت مصيبة يسرع ليواجهها أو مشكلة ليحلها، بينما يتميز صاحب المبادرة بأنه يخطط للحدث قبل حصوله، إنه يختار تصوره الخاص للمستقبل بدل أن يلوم كل الظروف والأشخاص من حوله. وبينما يقول الصنف الأول لا يوجد شيء أستطيع القيام به، ينظر صاحب المبادرة في خياراته المختلفة ليقوم بما يتلاءم مع اهتماماته الحياتية وقدراته، لذلك قيل بأنّ التخطيط أخذ بزمام المبادرة لأنه ينافي التصرفات الانفعالية غير المدروسة.

---

(١) Benjamin B. Tregoe, and John W. Zimmerman, Top Management Strategy, P.311.

مثال الفرق بين التصرف الانفعالي والتصرف بمبادرة أنه لو قيل إن هنالك سداً على نهر في إحدى مناطق السودان يكاد يتحطم وبحاجة لإصلاح سريع وإلا قد يحصل فيضان يهدد بكارثة في المنطقة لاختلف تصرف الناس تجاه ذلك، إن المبادرة السريعة لاستصلاح السد من شأنه التخطيط والدراسة والأخذ بالأسباب اللازمة لرد تلك الكارثة بتكلفة قد لا تتعدى مائة ألف دولاراً، أمّا التصرف الانفعالي فيعني التسويف والانتظار والتواكل من غير أخذ بالأسباب، وعندما يتحطّم السد ويحدث الفيضان المتوقع يُهَبُّ إلى الإصلاح، لكن مئات البيوت تكون قد تحطّمت، وعشرات الأنفس قد زهقت، ومناطق زراعية خسرت موسمها، وفوق هذا قد يكون ثمن إعادة بناء السد أكثر من مليون دولار.

ومن خلال تجربتي في حقل العمل الخيري وجدت تفاعل السواد الأعظم من المسلمين تجاه قضاياهم كأمة وشؤونهم الفردية كأفراد غالباً ما يكون بشكل انفعالي، بينما نجد القليلين هم الذين يتصرفون بمبادرة سابقة للحدث وبتخطيط علمي واعٍ، فترى تفاعل عامة الناس عاطفياً فحسب، فهم يقدمون الصدقات والجهود في مجال الإغاثة العاجلة حال وجود كارثة طبيعية أو حرب ما بشكل انفعالي واضح، لكنهم يتوقفون عن المساهمة حينما تعرض المشروعات التنموية ذات النفع طويل المدى بعد انتهاء الكارثة أو الحرب، كبناء المدارس ودور الأيتام والمعاهد المهنية والمستوصفات، فيقدمون ما له نفع عاجل على ما له نفع استراتيجي مستمر لسنين طويلة، والأصل المساهمة بهذا وذاك بحسب أولويات الواقع لا مجرد الانفعالية العاطفية. لذلك نرى أنّ معظم المسلمين اليوم لا يتفاعلون مع نداءات الوقف والصدقة الجارية التي يستمر تأثيرها للمدى البعيد وربما لأجيال متواصلة، وهذا بلا ريب سببه الانفعالية والعاطفية بدل المبادرة الواعية والتخطيط طويل المدى.

٣ ـ التخطيط أخذ بزمام المبادرة:

ورد لفظ المبادرة في الحديث الشريف: «بادروا بالأعمال سبعاً...»[(١)]، وكذلك: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا»[(٢)]، وقوله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويْصة أحدكم[(٣)]»[(٤)].

والمبادرة في اللغة تعني الإسراع في القيام بالشيء، قال الفيروزآبادي: «مبادرة وبِداراً وابتدَرَه... عاجله، وبدره الأمر عجّل إليه واستبق...»[(٥)]، والمعنى في هذه الأحاديث الإسراع في الأعمال الصالحة قبل فوات الأوان، ومن منطلق آخر إنها تعني أيضاً أن تكون مسؤولاً عن حياتك، تسارع في الأخذ بالأسباب اللازمة للوصول للنتائج المرجوة، ولا تنتظر ولا تسوّف، بل تنهض بهمة عالية مخططاً لما فيه المصلحة والخير، ثم تقوم بالإسراع بتنفيذ ذلك.

لذلك أقول: إنّ الأخذ بزمام المبادرة يعني القيام بما يستوجبه الوصول للنتائج المرجوة من أسباب لازمة بشكل سريع قبل حصول غير المرغوب فيه، وإن الذين يظهرون نجاحاً في حياتهم وفي تحقيق أهدافهم

---

(١) رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٣٠٦)، وقال: حسن غريب، كتاب الزهد، باب: ما جاء في المبادرة بالعمل.

(٢) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي سلامة المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، رقم ٢٠٣٨، ص٥٤٠.

(٣) قال قتادة: أمر العامة: القيامة، وقال هشام: خاصة أحدكم: الموت، وخويْصة: تصغير خاصة.

(٤) رواه مسلم في سننه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، حديث رقم ٢٩٤٧.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: بادر، جـ ١ ص٣٨٣.

تجدهم أصحاب مبادرة في كل تصرفاتهم، وتراهم حلولاً للمشاكل ليسوا مشاكل أنفسهم.

وإن الأخذ بزمام المبادرة يتطلب تغييراً من الداخل ـ النفس ـ أولاً إلى الخارج ـ الواقع، عندما تختلف نظرتك للأمور تتولد لديك إيجابية في التفكير، وعندما تكون نظرتك: أستطيع أن أكون أكثر فعالية في حياتي بمبادرة فاعلة وإنتاج مبدع، فهذا يؤثر على تصرفاتك، حينها تبحث عن سبل إصلاح نفسك وواقعك والتقدّم للأمام على مختلف الأصعدة، لعلمك بأنّك أنت المسؤول عن تغيير ذلك الواقع.

وأول خطوات الأخذ بزمام المبادرة الشخصية هو التساؤل:

س١: ماذا أريد فعلاً؟

س٢: ماذا يجب أن أفعل للوصول إلى ما أريد؟

س٣: ما هي الحلول للمشاكل التي تواجهني؟

س٤: كيف يمكنني القيام بمسؤولياتي الشخصية في هذه الظروف؟

س٥: هل مجرى حياتي يتماشى مع مصلحتي في الدنيا والآخرة؟... إلخ.

المطلب الرابع: أعذار عدم التخطيط

ذكرنا أنّ التخطيط أساس للنجاح في كل عمل، لكن إذا كان التخطيط من الأهمية والخطورة بمكان، فلماذا لا يُقام به ولماذا يُضيَّع الوقت في شتى الأمور سوى دقائق منه تقضى في التخطيط؟ لماذا يقر الجميع بأهميته لكن قليلين جداً هم الذين يقومون به؟ ناهيك عن قلة من يحسنه من هؤلاء القليل. قد يبدو التخطيط للبعض وكأنه عملية معقدة، ويدَّعي آخرون أنهم منهمكون كثيراً في نشاطات ومواعيد ومشاريع مختلفة إلى درجة عدم وجود أي وقت للتخطيط!

هنالك أعذار عديدة لعدم التخطيط نتناولها مع مناقشتها في هذه

الفقرة، ولقد أحصت شركة «فرانكلن» الرائدة في حقل إدارة الوقت أهم خمسة أعذار لعدم التخطيط، وذلك بعد دراسة ميدانية لعددٍ كبير من المشتركين في دوراتها التدريبية، ولقد زدت عليها سبباً آخر وهو الاكتفاء بالتوكل المغلوط على الله، بحيث لا يكون معه عمل، وتلك الأعذار هي التالية[1]:

١ ـ إنني أعلم ما يجب أن أقوم به، فلماذا أضيع الوقت في التخطيط؟

بالطبع يوجد لدى الكثيرين عمل ما طبيعته «روتينية»، وهذا العمل يأخذ معظم نهارهم، لكن بدون شك لدى هؤلاء أهداف يريدون تحقيقها خارج نطاق العمل، مثلاً في نطاق الحياة العائلية ومتابعة الدراسة وتنمية الخبرات وأهداف أخرى متعددة، وهذا كله ليس روتيناً يومياً! اسأل نفسك: ماذا أريد وماذا ينقصني؟؟ ثم فكر بدقة وستخرج بالكثير من الأهداف غير المنجزة، ولتحقيق هذا كله لا بد من التخطيط للانطلاق نحو إنجازها. وأعتقد أنّ علاج هذا السبب يتعلق في موضوع تحديد الأهداف، وهذا ما سأتناوله في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

٢ ـ لا أستطيع أن أتّبع ما أخطط له لوجود العديد من المعيقات الخارجية:

إنّ المعيقات الخارجية هي بالفعل من المشاكل التي تواجهنا كل يوم، فقد تكون في مكتبك صباحاً فيأتي من يريدك أن تساعده في حل مشكلة ما فيأخذ من وقتك ساعتين، وقد يمرض أحد أفراد عائلتك فتترك ما عندك لإيصاله للطبيب وهكذا، لكن هذه كلها ليست أعذاراً لترك التخطيط، بل عندما تكون درجة المقاطعات والمعيقات في بيئة ما مرتفعة، فهذا يستوجب منك تخطيطاً أكثر دقة، بحيث يكون عدد المهام التي تخطط لإنجازها واقعية ولا تستغرق طوال اليوم، ويكون برنامج

---

(١) Richard I. Winwood, Time Management, P.18-21.

أعمالك مقسماً إلى مهام صغيرة تنجز كل واحدة على حدة خلال فترات قصيرة ما بين المقاطعات.

٣ ـ أشعر بأنني مغلوب على أمري لوجود العديد من المهام فلا أدري بماذا وكيف أبدأ:

هذا أمرٌ طبيعيٌ جداً، فلا أحد يحب أن يكون تحت وابل ضخم من الضغوطات بسبب المهام الكثيرة، والحل ليس بعدم التخطيط بل بالتخطيط نفسه لتنظيم المهام المختلفة، بحيث تعرف كيف ومتى تفعل هذا أو ذاك العمل مع التركيز على الأولويات، ذلك لأن التخطيط هو الوسيلة الفعّالة للوصول لأهدافك وللتركيز على الأمور الأساسية التي تعيش من أجلها، حيث إن التخطيط هو الذي يجعلك متحكماً بأحداث يومك ومن ثم بمجريات حياتك، وبدونه تكون مسيرة حياتك في مهب الريح.

وإنّ التخطيط يزيل ذلك الشعور بالعجز أمام المسؤوليات الكثيرة، فتعلم ماذا تريد إنجازه ومتى وكيف بكل وضوح مركزاً على الأولويات كما سنرى لاحقاً، عندما تستيقظ صباحاً وأنت تعلم بالضبط إلى أين المسير ولماذا وكيف تصل لما تريد، وعندما تذهب للفراش مساءً وأنت على علم بأنّ ما أنجزته اليوم كان بكل تأكيد تبعاً لخطة واضحة، حينها تشعر بأنّ لحياتك معنى ولأيامك قيمة عظيمة[١].

٤ ـ ليس لدي وقت للتخطيط!

إن كان هذا أحد أعذارك فإنك لست الوحيد الذي يقول هذا، تقول إحدى الإحصائيات إن ٧٢٪ يعتقدون أن سبب عدم التخطيط لديهم هو عدم وجود وقت كاف للتفكير بذلك، ولا شك في أن هذا تعليل خاطئ! فهل هنالك أهم من صرف بعض الوقت، ولو بضع دقائق في

---

(١) Elaima Zuker, How to Master Your Future, P.1.

كل صباح، بغية تخطيط برنامج يومك بما يتماشى مع أهدافك المرحلية التي تصب بدورها في أهدافك الحياتية. ولقد أثبت البحث التجريبي أنّ صرف بعض الوقت في التخطيط ينتج عنه توفير وقت أكبر خلال مرحلة التنفيذ، وهذا ما خلص له إدوان بليس بعد دراسته للقاعدة التالية: «كلما صرفت وقتاً أكثر في التخطيط لهدف ما، كلما قصر الوقت المطلوب لإنجازه، فلا تدع كثرة المشاغل اليومية تطرد من برنامجك فترة التخطيط»[١].

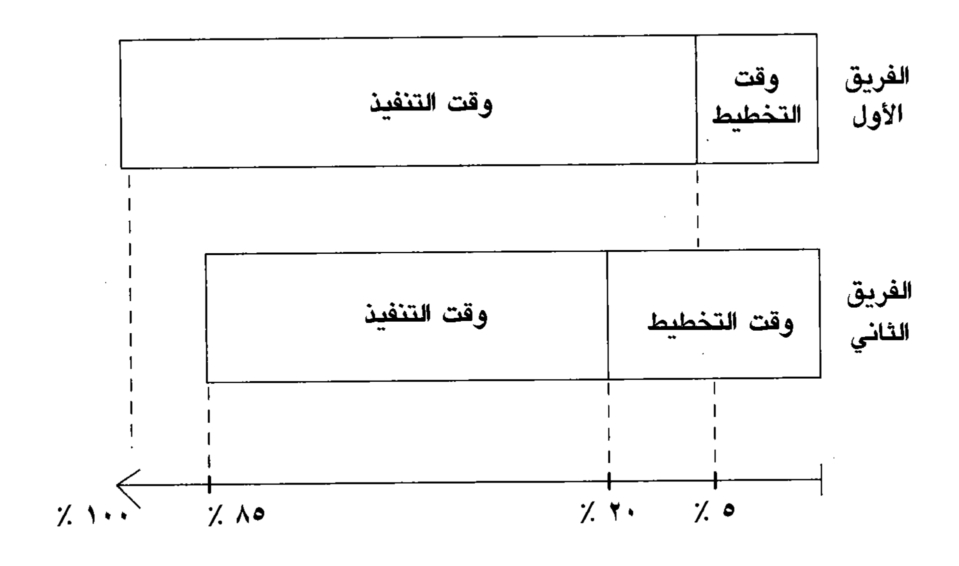
ولقد قام معهد للتدريب الإداري[٢] بتجربة مفادها أنّه قسّم فريق عمل إلى مجموعتين بالمهارات نفسها، وطُلب من كل مجموعة القيام بالمشروع نفسه، وهو هدفٌ معقّد يجب إنجازه خلال فترة محدّدة، بشرط أنّ المجموعة الأولى تصرف ٥٪ من الوقت المتاح في مرحلة التخطيط، والمجموعة الثانية تصرف ٢٠٪ من الوقت في هذه المرحلة، ثم تنتقل كل مجموعة لمرحلة التنفيذ، واتبعت المجموعتان هذا الشرط وقامت بالعمل، وكانت النتيجة أنّ المجموعة الثانية انتهت قبل الأولى ووفّرت ١٥٪ من الوقت المتاح، أي انتهى قبل الوقت المحدّد لإتمامه، بحسب الرسم أدناه. لذلك قال بعض الإداريين: إنّ كل ١٠ دقائق تصرف في التخطيط توفّر ساعة في مرحلة التنفيذ، وذلك لأنّ التخطيط الدقيق يوفّر الوقت الذي قد يُصرف في حل المشاكل وتصحيح الأخطاء وتخطي العقبات[٣].

---

(١) Edwin C. Bliss, Getting Things Donc-The ABC of Time Management, New York, Charles Scribmer's Sons, 1976, P.42.

(٢) Alec Madeenzie, The Time Trap, New York, American Management Association, Sixth Printing, 1972, P.42.

(٣) Managing Multiple Projects, Objectives, and Deadlines, Skill Path Inc., P.9.



مصرف الوقت بين التخطيط والتنفيذ

٥ ـ إنني متوكل على الله!

وهذا كثير ما يقال بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال، حيث يُترك التخطيط ويُترك العمل الجاد بحجة أن الفرد مفوض أموره لله! وهذا فهم خاطئ لحقيقة التوكل على الله، وإنني لاحظت أناساً كثيرين ـ خاصة في مجال العمل الإسلامي بالذات كإدارة المساجد والمؤسسات الإسلامية ـ لا يخططون لأعمالهم، حتى وإن أتقنوا كيفية التخطيط، فتجد الفرد منهم في شركته الخاصة يأخذ بأسباب النجاح اللازمة، فتراه يدرس سبل النجاح ويستشير أهل الاختصاص، ويضع خطة خمسية على الأقل، ولكن الفرد نفسه حينما يشارك في عمل إسلامي يتراخى عن ذلك، ويدَّعي أنّه متوكل في ذلك على الله ﷻ.

وإنّ الناظر لواقع المسلمين اليوم يرى بوضوح أنّ غياب التخطيط أو قصوره سمة ملازمة للعمل، وفي ذلك تجاهل للسنن الجارية في الكون من حولنا في أنّ النتائج مترتبة على المقدمات، وأنّ الأسباب قائمة على المسببات، وأنّ لكل غاية وسيلة تؤدي إليها، وما لم نحدّد الغاية التي نريد

ونعرف الوسيلة المؤدية إليها بوضوح، فإننا لن نصل إلى النتيجة التي نصبو إليها، وذلك سيستمر حتى نأخذ بالتخطيط الواعي المدرك لمتطلبات الواقع.

وإن كان النهوض بحمل الدعوة واجباً على الأمة ولا يتم ذلك إلّا بالتخطيط، فالتخطيط كذلك واجب، تبعاً للقاعدة الأصولية المشهورة «ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب»[1]. فإنّ «الأخذ بالأسباب العلمية العصرية في مجال الدراسة والتخطيط للأعمال واجب شرعاً، ويجب ألا يغيب عنا أن الصواب في الأعمال أصل قبولها في الآخرة، وشرط نجاحها في الدنيا، وأن صواب الأعمال لا يتحقق إلا أن تكون أعمالنا وفق شروط الزمان والمكان»[2].

ويشيع في العصر الحديث بين بعض شباب المسلمين فكرة تقول: «إنّ التخطيط السليم لا يقتضي بالضرورة الوصول إلى الهدف»، وكذلك: «الأسباب التي تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها، والمقدمات التي يراها الناس حتمية قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها»[3]. ومع أنّ ذلك صحيح إلّا أنه ليس القاعدة، لأنّ الله تعالى قد جعل لهذا الكون سنناً يسير عليها، وأمرنا بمراعاة تلك السنن للوصول لما نريد، وهذه الأفكار تذكر عادة لأحد سببين: إمّا للاعتذار عن فشل ما أو للقعود عن العمل الجاد.

٦ ـ لا أعرف الكيفية الصحيحة للتخطيط:

هذا جواب إيجابي لأن صاحبه يعلم ويعترف أنه لا يعلم كيفية التخطيط، وهذه بداية الطريق حيث إن هذا الفصل سيتحدث عن خطوات التخطيط السليم، وكثيرون هم الذين لا يعلمون كيف يخططون.

---

(١) الأصفهاني، شرح المنهاج في علم الأصول، مرجع سابق ص١٠١، ١٠٢.

(٢) جاسم بن مهلهل الياسين، الحركة الإسلامية والحاجة إلى التخطيط، مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٢٤٩، ٦ محرم ١٤١٨هـ.

(٣) جودت سعيد، العمل قدرة وإرادة، مرجع سابق، ص٢٣.

أقول باختصار: إنّ أعذار عدم التخطيط عديدة، ذلك لأن التخطيط يحتاج لدرجة عالية من الأخذ بزمام المبادرة وبالحضور الذهني، إنه يتطلب الخروج من نطاق «الروتين» اليومي، ومن نطاق المواقف الانفعالية العشوائية إلى مكان جديد في عالم البصيرة، تنظر منه إلى مجرى أحداث أيامك وحياتك، ثم ترى هل تعيش ما تؤمن به وما تصبو له، وهذا المنطلق من التفكير لا يكون إلا لأصحاب المبادرة الذين يحددون بوضوح ماذا يريدون ثم يخططون للوصول إليه.



خلاصة المبحث الأول

إنّ أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ إنّ التخطيط هو الآلية التي تستطيع من خلالها التحكم بالحدث، وبهذا تتحكم بمسيرة حياتك المستقبلية.

٢ ـ إنّ وظيفة التخطيط هي الإجابة على السؤال: ماذا أريد وكيف أحقق ما أريد؟

٣ ـ الخطة هي النتاج النظري لعملية التخطيط، وهي الخريطة التي تخبرك كيف تصل مما أنت عليه إلى ما تود أن تصل إليه وماذا يتطلب ذلك من وقت وجهد وموارد مختلفة.

٤ ـ التخطيط يتعلق بالقرارات الحاضرة التي تخص المستقبل.

٥ ـ إنّ من أهم أسس النجاح تحديد الأهداف والتخطيط المنهجي لها والسعي الدؤوب من أجل تحقيقها.

٦ ـ إنّ معرفة الفرد ماذا يريد وكيف يصل لما يريد، ثم السير في أيامه تبعاً لذلك يمنحه راحة نفسية ويشعره بأنّ لحياته معنى ولأيامه قيمة، وهذا بدوره يقوي إرادته على العطاء والإبداع المتميّز.

٧ ـ إنّ حياة الإنسان بمثابة الرحلة التي قد تكون لبضعة أماكن، كل مكان له طرقه الخاصة الموصلة إليه، وإنّ وظيفة التخطيط هي اختيار المكان المقصود وتحديد الطريق الموصل إليه.

٨ ـ كل الأعمال تولد مرتين: الولادة الأولى عبر التخطيط، وهو الوجود الذهني للعمل، والولادة الثانية عبر التنفيذ، وهو الوجود المادي

للعمل، وإذا أغفلنا الولادة النظرية الأولى ـ مرحلة تكوين الخطة ـ تعثرت الولادة العملية الثانية ـ مرحلة تنفيذ الخطة ـ لأنها نتيجة طبيعية لها.

٩ ـ إنّ تفاعل الناس نحو الحدث الواحد يختلف تبعاً لمؤثرات شخصية تتعلق بالعنصر الإرثي والعنصر البيئي.

١٠ ـ تصرفات الفرد إنتاج شخصي صادرة عنه بحسب إرادته الخاصة، وهي إمّا أن تكون انفعالية أو بمبادرة شخصية.

١١ ـ إنّ أصحاب التصرفات الانفعالية ذوات سلوكيات شخصية دفاعية، يعللون فشلهم دوماً بالظروف الخارجية، ويتمحورون حول التفاعل مع الأحداث بعد حصولها، بينما نجد أصحاب المبادرة يتصرفون بإرادة قوية من منطلق أهداف منشودة وسلوكيات مدروسة تبعاً لتخطيط يسبق وقوع الأحداث.

١٢ ـ مع اعتراف الجميع بضرورة التخطيط لبلوغ حياة ناجحة، إلّا أنّ السواد الأعظم لا يقوم به معتذراً بأسباب عدة، لكن غياب التخطيط لدى الكثيرين سببه أن التخطيط يتطلب تفكيراً استراتيجياً خارجاً عن نطاق ما تتطلبه سلوكيات اليوم الروتينية.

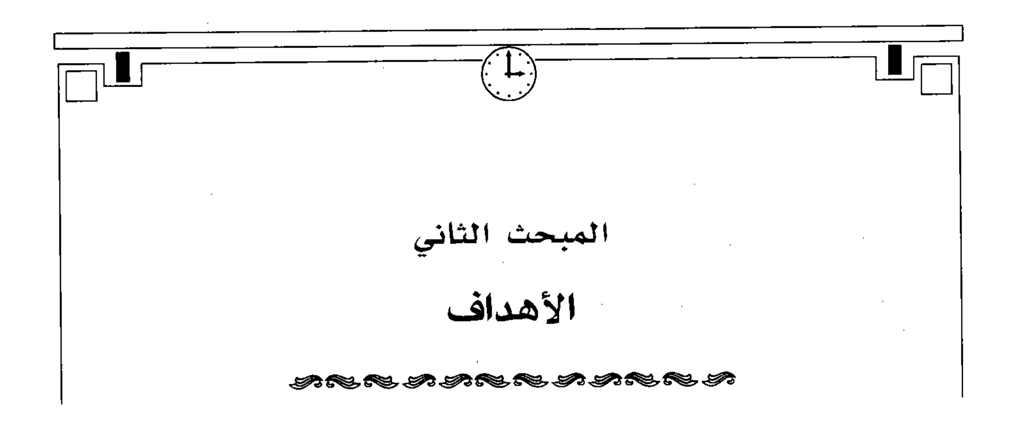
١٣ ـ التخطيط يتطلب درجة عالية من الحضور الذهني والأخذ بزمام المبادرة ومقدرة قوية على التخيل والخروج من عالم الواقع إلى عالم البصيرة لكي يقيّم الفرد حاضره ويرسم مستقبله.

١٤ ـ يتصف صاحب التفكير الاستراتيجي بالتفكير التحليلي، وبالنظرة الكلية للحياة، مع اهتمامه الدائم بالمستقبل وتحمله للغموض وشعوره بالمسؤولية.

١٥ ـ أحد سبل قياس درجة تطوّر المجتمع تكمن في دراسة المدى الزمني الذي يغطيه تخطيط أفراده لحياتهم، وكلما امتدت فترة التخطيط هذه كان ذلك دلالة على تطور المجتمع.

١٦ ـ حيث إنه من السنن الكونية أنّ النتائج مترتبة على المقدمات وأنّ الأسباب قائمة على المسببات، وبما أنَّه ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، لذا فالتخطيط واجب شرعي وضرورة حياتية.

١٧ ـ إنّ مهمة الدين الكبرى هي إعداد الإنسان لحياة المستقبل، فنرى القرآن الكريم بكليته يوجه أنظار المسلم نحو المستقبل بصورة ما، فيلفت انتباهه نحو غده منبهاً إلى الطرق التي توصله إلى النعيم، ومحدداً الطرق التي توصله إلى الجحيم.



المبحث الثاني

الأهداف

مقدمة المبحث الثاني

علمنا مما سبق أنّ إدارة الوقت تُعنى بالتحكم بالحدث، وأنّ ذلك يحصل من خلال التخطيط، حتى أصبح التخطيط سمة ملازمة لكل عمل ناجح، لكن السؤال هنا أخططُ لأي غرض؟ هذا ما سأتناوله في هذا المبحث.

إنّ غاية التخطيط هو الوصول لمبتغى ما يريده الفرد، وهذا المبتغى نسميه هدفاً، لذلك سأتعرض إلى ماهية الهدف، وعلاقته بالحدث المستقبلي، مبيناً ضرورة وجود أهداف حياتية لكي يتمحور نشاط الفرد حول بلوغها، وليكون لمصرف وقته وجهده غاية يسعى لها.

لكن البدء في عملية اختيار الأهداف وتحديدها يشبه إلى حد ما تعلّم مهارة جديدة، لذلك سأتعرض إلى كيفية تكوين الأهداف في الحقول المختلفة من حياة الفرد، وما هي الصفات التي يجب أن تتحقق في الهدف لكي يكون أكثر رسوخاً ولكي يسهل بلوغه، هذا وإنني سأبيّن المحاور الأساسية الثلاثة التي يرتكز عليها كل هدف. وأخيراً، سأتناول أنواع الأهداف من حيث حجمها والمدة الزمنية التي تتطلب لبلوغها.

تمهيد

ماهية الهدف

الهدف في اللغة يعني: الغرض يُرمى إليه، والمطلب يُوجه إليه القصد، وهدف: تعني السعي والقصد إلى الشيء[1]، وقيل: الهدف هو كل شيء رأيته قد استقبلك استقبالاً، فهو: مُهدِف ومُستَهدِف، ومن ذلك أُخذ الهدف لانتصابه لمن يرميه[2].

وما نعنيه بالهدف في الإدارة هو مبتغى يريد الفرد الوصول إليه في مستقبل الأيام، سواء أكان ذلك نيل شهادة جامعية، أو شراء بيت، أو أداء فريضة الحج، أو حفظ كتاب الله، أو سفر، أو زواج، أو إنشاء شركة، وقد عرَّف أحدهم الهدف بأنه «حلم ذو موعد لإنجازه»[3].

ولكي أخطط يجب أن يكون لدي هدف أريد إنجازه، فالأهداف نتائج نود الوصول إليها، وهي توضّح وجهة تصرفاتنا وسلوكيات عملنا، ولقد قيل: بأن «الأهداف تُبدئ التصرفات، والنتائج تحافظ عليها»[4]، هذا يعني أنّ وجود أهداف حياتية يجعل الفرد يتحرك نحو إنجازها، والحصول على نتائج وثمرات الأهداف يشجع الفرد على مواصلة الطريق.

---

(١) المعجم العربي الأساسي، إصدار جامعة الدول العربية، مادة: هدف، مرجع سابق، ص١٢٥٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، جـ ٩ ص٣٤٥، مرجع سابق، مادة: هدف.

(٣) Richard I. Winwood, Time Management, P.56.

(٤) Kenneth Balchard, and Spencer Johnson, The One Minute Manager, New York, Berkley Publishing Group, 1982, P.97.

فمعرفة أهدافك هي بداية الرحلة للوصول إلى الأحلام التي تسعى إليها في حياتك، إنها التعامل مع الأحلام بطريقة ما تجعلها في النهاية حقائق واقعية قائمة، والهدف عبارة عن حدث ما تريد حصوله، لذلك يمكننا تعريف الهدف بأنّه حدثٌ مخطّطٌ له.

والهدف يعطي معنى لحياتك ومعيشتك، ويجعلك تغتنم وقتك بصورة أفضل، ذلك لأنّه يعطي الإنسان غاية واضحة لمصارف وقته وطاقاته، قال أدوين بليس: «إذا أردت أن تدير وقتك بصورة أفضل، فأول خطوة في ذلك أن تسأل نفسك هذا السؤال: ما هي أهدافي؟»[1]. والحياة من غير أهداف، يشبهها ماكينزي في كتابه «وقت للنجاح»، بأنها تشبه إلى حد كبير إبحار السفينة من غير وجود ميناء تبلغه، ويذكر أنّه اكتشف أن سبب عدم الاهتمام بإدارة الوقت لدى العديد من الناس هو عدم وجود أهداف ذاتية لديهم، ويتساءل: «لماذا يحتاج من لا هدف له أن يهتم بالوقت ومسيرة حياته حيث إنه غير متجه لأي مكان، إلا ما يدفعه إليه الحظ؟!»[2]. ولقد قيل في المثل الصيني: «إن لم تعلم إلى أين وجهتك، فأي طريق سيوصلك إليها»[3].

المطلب الأول: كيفية تكوين الأهداف

لا شك في أن كل واحدٍ منا لديه العديد من الإنجازات التي يود القيام بها خلال حياته، لكنها لم تزل في عالم الأحلام متروكة لفكرة «سأقوم بها يوماً ما»، تلك الأماني والأحلام جميلة، لكنها تبقى مركومة في عالم الخيال، ومع أننا نعلم بوضوح أهمية القيام بها لكننا لا نقدم عليها، ذلك لأننا ابتداءً لم نتعامل مع تلك الأحلام كأهداف جدية في

---

(١) Edwin C. Bliss, Getting Things Done, P.42.

(٢) Alec Mackenzie, Time for Success, P.19-20.

(٣) John W. and John B. Kendrick, Personal Productivity, P.19.

حياتنا، لم ننظر لما نحلم به على أنه هدف واضح نريد بلوغه خلال فترة ما، ثم نسعى بعزم لتحقيقه في واقعنا الحياتي بشكل جدي، ذلك حتى ننقلها من عالم الخيال إلى عالم الواقع، فتصبح فعلاً أهدافاً نسعى من أجلها.

إذا سألت نفسك ماذا تود أن تنجز في المستقبل من غير تحديد متى وكيف لعلك تقول: نيل شهادة جامعية، تنمية مهاراتي في المجال الفلاني، الانتقال لعمل آخر يفيد أمتي بشكل عام، تأدية فريضة الحج، فتح شركة استثمارية خاصة، تنمية ثقافية عبر قراءة كتاب كل شهر، إتقان معرفتي باستخدام الحاسوب وبرامجه الفلانية، إتقان قواعد اللغة العربية، دراسة مصطلح الحديث، شراء شقة، زيارة أهلي في البلد الفلاني، تعليم أولادي تجويد القرآن، المشاركة في العمل الخيري... إلخ.

مع وجود العديد من الأمور التي تنشدها وتريد إنجازها، إلّا أنّك ربما لم تتعامل معها بجدية بعد، والسبب أنك لم تفكّر من منطلق عملي بتلك الأهداف، ولم تعمل من أجل الوصول إليها. المهم أن تبدأ في تحديد أهدافك بغض النظر عن كيفية الوصول إليها، تنصح دوروثا براند قائلةً: «ابتداءً لا تشغل نفسك بكيف تصل لأهدافك، واترك ذلك لقوة أكبر منك، كل ما عليك أن تعلم هو إلى أين أنت ذاهب، وسيصلك لاحقاً الجواب على كيفية الوصول»[1]. إن البدء في عملية تكوين الأهداف تشبه إلى حد ما تعلم أي حرفة أو مهارة جديدة، لذلك قد يساعدك وضع بعض الأمثلة لتكون منطلقاً لتحديد أهدافك، أريد من خلال الحقول أدناه (ص٣٢٤) تحفيزك على التفكر في أهدافك من خلال مجالات واسعة تخص حياة كل شخص، هنا عليك تحديد الحقول التي تهمك، ومن ثم تضع الأهداف الخاصة بكل حقل، ويمكنك زيادة حقول أخرى خاصة بك.

---

(١) Dorothea Brandt, How to Achieve Your Goals, New York, Time Magazine with Success Strategies Inc., P.6.

١ ـ حقول تكوين الأهداف:

* المشاركة في صحوة الأمة.
* الواجبات الدينية.
* الوضع المعيشي.
* المعافاة الجسدية.
* الحياة العائلية.
* العمل الوظيفي.
* التنمية الذاتية.
* الحياة الاجتماعية.
* طلب العلم.
* التزكية الروحية. . . إلخ.

أعتقد أنك بمجرد مراجعة هذه اللائحة أعلاه سيتبين لك أن هنالك حقولاً هامة في حياتك تعاني من الإهمال، ولعله ينتابك شعور بالذنب لهذا التقصير، وهذا الشعور هو علامة إيجابية تدل على عزمك على أخذ الخطوات الأولى في تحديد ثم إنجاز أهدافك الخاصة.

٢ ـ المحاسبة الذاتية منطلقٌ لصياغة الأهداف:

للتحضير أكثر لعملية تكوين أهدافك التي تعد نقطة انطلاقة جديدة في حياتك لا بد من محاسبة نفسك لمعرفة نطاق التقصير التي تواجهها، وذلك عبر تساؤلات قصيرة تسألها نفسك، وهذه العملية ستساعدك أكثر على تقويم وضعك في كل حقل، إضافة إلى إبراز أفكار واتجاهات جديدة في حياتك. ولقد اخترت أدناه بضعة تساؤلات في بعض الحقول التي بينتها أعلاه لتكون محرضاً لك على التفكّر بأهدافك الشخصية.

❑ في الحقل الخاص بالمشاركة في صحوة الأمة قد تتساءل:

❍ هل لي أي نشاط مؤثر في إحدى المجالات التالية؟

* العمل الدعوي والتربوي لنشر تعاليم الإسلام وتربية جيل المسلمين.

* العمل الاقتصادي وأسلمته للتخلص من المعاملات المحرمة.

* العمل الإعلامي بمختلف أساليبه لاستبدال منظومة الإعلام الحاضرة.

* العمل التخصصي العلمي في مجال تتقنه مسخراً ذلك في سبيل الله.

* العمل الخيري لغوث المستضعفين وإعانة الفقراء والمساكين... إلخ.

❑ في الحقل الخاص بالمعافاة الجسدية قد تتساءل:

- هل قمت بفحص طبي كامل خلال السنة الماضية؟
- هل أنا منضو في برنامج رياضي منتظم؟
- هل ألتزم الحكمة في كل ما يدخل معدتي؟
- هل عندي عادات ضارة كالتدخين والسهر الطويل مثلاً...؟ إلخ.

❑ في الحقل الخاص بالحياة العائلية قد تتساءل:

- هل أقضي وقتاً مناسباً مع كل فرد من أفراد عائلتي؟
- هل أحافظ على تربية أفراد عائلتي على طاعة الله ورسوله؟
- هل تمنعني كثرة الأعباء الخارجية من المجيء باكراً للبيت؟
- هل أقوم بمسؤولياتي كأب وزوج وولد وأخ وابن...؟ إلخ.

❑ في الحقل الخاص بالواجبات الدينية قد تتساءل:

- هل أنا مقصر في عبادتي؟
- هل أطيع الله في ما أمر وأترك ما نهى عنه؟
- هل أعيش حسب ما أؤمن به؟

- هل أداوم الحضور للمسجد للصلاة؟
- هل أعمل على تزكية نفسي وأروضها على طاعة الله؟
- هل هنالك فرض عين لا أقوم به أو سنة أتجاهلها مع المقدرة عليها...؟ إلخ.

في الحقل الخاص بالعمل الوظيفي قد تتساءل:

- هل لدي وضوح للخطوة المستقبلية في عملي؟
- هل أقوم بالمسؤولية المناطة بي من غير تقصير أو غش؟
- هل أحتاج تنمية مهنية وتدريب للقيام بعمل أفضل؟
- هل عملي في المجالات المباحة شرعاً؟
- هل أنهي مهماتي في وقتها المحدد وعلى أكمل وجه؟
- كيف يمكنني أن أكون أكثر فعالية في عملي...؟ إلخ.

في الحقل الخاص بالناحية المعيشية قد تتساءل:

- هل أرعى عائلتي وأؤمّن متطلباتها بشكل مناسب؟
- هل أعيش ضمن حدود مدخولي المالي؟
- هل لدي مخطط استثماري يؤمن كفايتي وعائلتي بعد التقاعد؟
- هل مدخولي كله حلال ومصروفي كله في الحلال من غير إسراف ولا تقصير؟
- هل أتعامل بالربا مهما قل شأنه؟
- هل أخرج زكاة أموالي وأتصدق في سبيل الله...؟ إلخ.

في الحقل الخاص بالحياة الاجتماعية قد تتساءل:

- هل أنا عنصر فعال في مجتمعي؟
- هل أسعى في الإصلاح بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- هل أصل الرحم وأحسن للجار وأوفي مع أصدقائي؟
- هل أشارك في نشاطات جاليتي ومجتمعي؟
- هل أسعى في حاجة غيري وأشعر بها؟

ـ هل أساهم في علاج أمراض المجتمع الذي أعيش فيه...؟ إلخ.

❑ **في الحقل الخاص بالتنمية الذاتية قد تتساءل:**

o هل ثقافتي وخبراتي كافية؟

o هل لدي لائحة بمواضيع وبأسماء الكتب التي تهمني لأقرأها؟

o هل أخطط لبعض الوقت يومياً من أجل طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين؟

o هل لدي اطلاع كاف على وضع الأمة وما يدور في العالم في المجالات السياسية والاجتماعية والتكنولوجية والعسكرية والاقتصادية. . . ؟ إلخ.

وتسأل نفسك مثل هذا في حقول أخرى تهمك، هذه الأسئلة هي مجرد محفز لك على البدء بالتفكر بكل صنف منها، ربما شعرت بالارتياح لبعضها بسبب كونها غير مهمة لك أو بسبب ارتياحك للمستوى الذي أنت عليه الآن من القيام بواجبك، وربما شعرت بضرورة العمل على جوانب أخرى، ابدأ من الصنف الذي تراه الأهم ويحتاج لأكبر قدر من الجهد، فلنفترض أنك تشعر بالحاجة لوضع أهداف معينة في حقل التنمية الذاتية، من المهم أن تختار وضعاً مستقبلياً معيناً تريده لنفسك حسب اهتمامك، لعلك ستختار هدفاً تريد إنجازه خلال ثلاث سنوات وآخر خلال شهر واحد وثالث خلال ستة أشهر، المهم أن تكوّن أهدافاً واضحةً وتتقدم نحو إنجازها كل يوم. وإنّ من الأهمية بمكان محاسبة نفسك بين الحين والآخر، وتقييم مسيرة حياتك لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في مجالات حياتك المختلفة، وبحسب الأدوار التي تعيش كعبد لله، وكأب أو أم، وكوالد أو ولد، وكأخ أو أخت، وكموظف أو طالب، وهكذا.

تؤكّد الإحصاءات والدراسات الميدانية أن تعيين الأهداف بوضوح والعمل على إنجازها يولِّد نجاحاً كبيراً في مختلف جوانب الحياة، فإن

عقل الإنسان خلقه الله مميزاً عن عقول غيره من المخلوقات، فهو يعلل ويبحث عن اتجاه معين يركز عليه نشاطه، فإعطاء عقولنا هدفاً واضحاً يعيننا على التركيز وبذل الجهد اللازم للوصول له، وإن الذين لا يملكون أهدافاً ولا اتجاهات واضحة ينتقلون من عمل لآخر ومن توجه لآخر، وتجدهم لا يبرعون في شيء وربما لا يصلون للكثير، وتراهم منهزمين نفسياً وواقعياً، حيث إنّه «أشد الناس هزيمة نفسية الذي يعمل لغير هدف، ويجهد ويكد لغير غاية محددة معلومة مرسومة، وليست العبرة بالغايات العامة التي يتساوى فيها الباذل وغير الباذل، والمجاهد وغير المجاهد، ولكنّ العبرة بالهدف والغاية التي تميّز هذا عن ذاك»[1].

ولعل من أهم الأسباب المعيقة أمام التقدم وتغيير واقعنا الإسلامي والعربي هو عدم وجود أهداف لدينا، ذلك لأنه لا يحدث تقدّم ملموس في عالم الواقع دون معرفتنا بالأهداف التي نعيش لها، و«إنّ الذين لا يحددون أهدافهم، ويدعون الزمن يمر عليهم كما يمر على الجماد، قلما يصدر عنهم خير كبير، أو يأتون بعمل عظيم. والإنسان بلا هدف كالسفينة التي تسير في البحر بلا مقصد، تتلاعب بها الأمواج، وتتقاذفها الأثباج. ومما يلاحظ في هذا الشأن أنّ أكثر الناس عملاً أوسعهم زمناً، ذلك لأنهم يحددون أهدافهم، ويوجهون أعمالهم لنيلها، ولا يصرفون أوقاتهم في التردد والاختيار والتخبط. وكلما زادت قيمة الهدف زادت إثارته لطاقة صاحبه، وكلما زاد سمو الهدف زاد سمو صاحبه»[2].

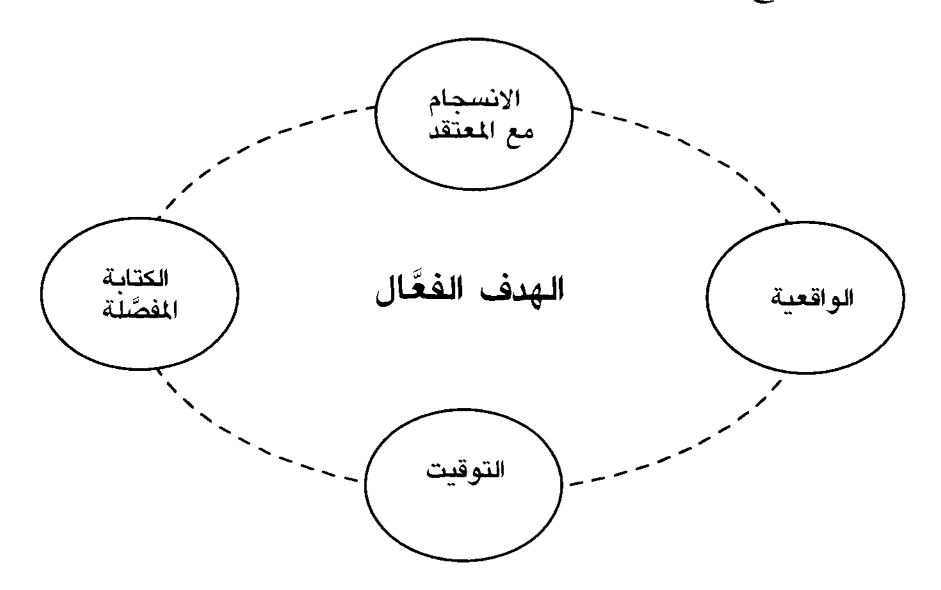
---

(١) عبد الله الخاطر، الهزيمة النفسية عند المسلمين، الرياض، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص٨.

(٢) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، الرياض، دار ابن خزيمة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ، ص٢٤٦.

المطلب الثاني: صفات الهدف الفعّال

لقد أشرت أعلاه إلى ضرورة تحديد أهدافك الحياتية، لكن لكي تكون أهدافك فعّالة وناجحة وتؤول بك إلى نتائج واقعية يجب أن تتصف بالصفات الأربع الآتية:



١ ـ الانسجام بين الهدف والمعتقد:

هذا الشرط ـ مع تجاهله تماماً في الدراسات الغربية ـ أجده هاماً جداً، بل يشكل مصدر القوة الدافعة لوصولك لتحقيق الهدف، وذلك بأن يتماشى الهدف مع إيمانك ومبادئك وتوجهك، هذا يعتمد على الرؤية الكلية للكون والحياة، وعلى رسالة الفرد في حياته، ولقد أفردت لهذا فصلاً كاملاً حول الرسالة وأثرها في صياغة سلوكيات الفرد، وذلك كله من خلال المنظومة العقيدية التي هي دليلك في تحديد أهدافك، فيجب أن لا يكون هنالك تعارض بين أهدافك وبين ما تؤمن به، فإن كنت ترى أن طلب العلم واجب شرعي، فذلك سيجعلك تكوّن أهدافاً تخدم ذلك، وإن كنت تعتقد أنّ هنالك حياة بعد الموت فلا شك أنّ ذلك سيؤثر على صياغة أهدافك، وإن كانت إحدى مبادئك أن يكون رزقك حلالاً لا يشوبه غش

أو ربا مثلاً، فوضع هدف ما من شأنه الاستثمار في تجارة تتطلب الاقتراض الربوي هو هدف يصارع نفسك.

والهدف الذي تسعى لتحقيقه كمسلم يجب أن يكون هدفاً مشروعاً ابتداءً، ويمكنك الوصول له بطرق مشروعة، إذْ من الأهداف ما يجوز أن يُتصدى لتحقيقها وإنجازها ومنها ما لا يجوز، فكل سعي في الأرض للفساد والإفساد وإن كان هدفاً ممكناً وقد يعود على فاعله بالمتعة فهو غير مشروع، «فالسعي لكسب المال وتنمية الثروة للتمتع بطيبات الحياة والإنفاق في وجوه البر هدف ممكن لكل من بذل جهده في ذلك، ولكن يُمكن أن يكون عن طريق مشروع في تجارة أو زراعة أو صناعة، ويمكن أن يكون عن طريق الغش والرشوة والاحتيال والربا والمخدرات. فالجميع جمع الثروة وحصّل المال، لكن أين الثرى من الثريا، الأوّل جمع ماله من الحلال فهو سعادة له في الدنيا ونجاة له في الآخرة إن أحسن إنفاقه أيضاً، والآخر جمعه من الحرام فهو شقاء له في الدنيا وجحيم وعذاب في الآخرة»(١).

لقد كان صلاح الدين الأيوبي مؤمناً بمكانة القدس للمسلمين وبضرورة وحدة الأمة الإسلامية، فجعل هدفه واضحاً ينسجم مع ما يؤمن به، فهدف إلى استرداد بيت المقدس وإعادة الصلة بين مصر وأرض الشام كما كانت قبل الغزو الصليبي، وتمكن بالفعل من تحقيق هدفه فقهر الصليبيين بعد احتلال دام زهاء ٩٠ عاماً (١٠٩٩م ـ ١١٨٧م) ووحد أرض الكنانة وأرض الشام(٢).

٢ ـ تقييد الهدف بالكتابة المفصّلة:

يجب أن تكون الأهداف مكتوبة بوضوح وبتفصيل كاف، ذلك

---

(١) عوض بن محمد القرني، حتى لا تكون كلاً، مرجع سابق، ص١٧ ـ ١٨.

(٢) محمود شيت خطّاب، بين العقيدة والقيادة، مرجع سابق، ص٣٠٧ ـ ٣٠٩.

التوصيف الدقيق للهدف يساعدك على إنجازه ويعينك على بلورة تفكيرك وتركيز مصرف وقتك وجهدك في تحقيقه، فالعبارات الدقيقة المكتوبة أمر في غاية الأهمية، فتصبح الأهداف أثبت رسوخاً من مجرد الاقتصار على التفكر بها، ذلك لتشعر بأن هذه غاياتك، وكلما راجعتها بين الحين والآخر تتذكر تفاصيلها وتجعلها أمامك عَلَماً تسير نحو بلوغها يوماً بيوم، فالإنسان سمي إنساناً لكثرة نسيانه والذاكرة قد تخونك مع مرور السنين إن لم تقيّد أهدافك بالكتابة.

وإنّ تحديد الأهداف بكل وضوح وتقييد ذلك بالكتابة يعين الفرد على بلوغ ما يريد، فينجح إن شاء الله في تحقيق ما رسمه لنفسه من وجهة، ولقد أجرت إحدى المعاهد الأمريكية استبياناً في مختلف البقاع من الولايات المتحدة حول وضوح أهداف الأمريكيين، فكانت النتيجة أن قرابة ٥٪ فقط قد كتب مخططاته وأهدافه في حياته، و١٠٪ لديهم أهداف ولكن لم تكتب، و٦٠٪ لديهم أفكار عامة حول ما يريدون فقط، و٢٥٪ لا يملكون أي تصور واضح عن مستقبلهم ولم يصرفوا أي وقت للتفكير في ذلك. في الوقت نفسه وُجد أن تلك الـ٥٪ الأولى متفوقون وناجحون جداً في حياتهم، وأن ١٠٪ ناجحون إلى حد ما، و٦٠٪ في وضع متوسط مع بعض الصعوبات في الحياة، و٢٥٪ يتخبطون في معيشتهم ويصارعون الحياة مع كثرة ما يعانونه من مشاكل(١).

٣ ـ تحديد موعد لإنجاز الهدف:

يجب أن يكون الهدف محدداً بزمن ما لبلوغه، ذلك لأن الموعد النهائي لبلوغ الهدف يمدنا شعوراً بضرورة إنجازه قبل ذلك التاريخ، فهو يركز تفكيرنا على غاية ما ضمن فترة دقيقة من الزمن، من خلال ذلك نستطيع في المستقبل تقييم سير عملنا نحو إنجاز الهدف حسب الموعد

---

(١) Richard I. Winwood, Time Management, P.56.

المحدد، وحيث إنّ قاعدة باركنسون المشهورة تقول بأنّ «العمل يتمدّد ليملأ الوقت المتاح له»[1]، فإننا نجد عادة أنّ الأعمال تأخذ من الوقت أكثر ممّا تتطلب فعلاً إن لم تحدد موعداً نهائياً لإنجازها.

مثال ذلك إن كان هدفك تخفيض وزنك لأسباب صحية، فقل: هدفي تخفيض وزني بقدر ١٥ كيلو غرام خلال ٨ أشهر، فهذا هدف محدد مع موعد لإنجازه، وإذا كان هدفك دراسة جامعية فلا تقف عند هذا، بل حدد بوضوح ماذا تريد، نيل شهادة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة عين شمس في موعد أقصاه نهاية العام ٢٠٠٦، على سبيل المثال.

٤ - واقعية الهدف:

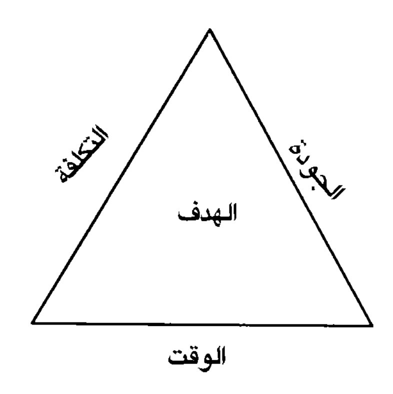
يجب أن تتماشى أهدافك الشخصية وقدراتك، وهذا بغض النظر عن غيرك من البشر، فكل إنسان له ظروفه الخاصة وقدراته الخاصة، لذلك من المهم أن يكون الهدف الذي تريد بلوغه واقعياً، أي يمكنك تحقيقه ضمن استطاعتك، فوضعك لهدف لا تستطيع إنجازه يشكل انهزاماً نفسياً، كما أنّه يشعرك بالفشل، وقد يكون الهدف غير واقعي إذا حُدِّد له وقت قصير جداً، أو يحتاج لموارد مالية أو جهود بشرية أكثر مما تستطيع توفيره، أو يصعب عليك إنجازه لسبب ما.

المطلب الثالث: محاور الهدف الثلاثة

الأهداف صغيرة كانت أم كبيرة، خاصة بك أم بالعمل أم بالعائلة، كلها تدور حول ثلاثة محاور رئيسية، تلك المحاور عبارة عن قواعد أو ركائز أساسية لا يُبلغ الهدف إلا بها، ويتأثر الهدف جذرياً بتغيرها، هذه المحاور هي: الوقت والجودة والتكلفة.

---

(١) Elaima Zuker, How to Master Your Future, P.2.



١ ـ الوقت:

وهو المحور المتعلّق بالمدة المتاحة لبلوغ الهدف، وهذا يبيّن سرعة التنفيذ والموعد النهائي لإتمامه.

٢ ـ الجودة:

وهذا المحور يتعلق بالهدف من حيث النتيجة المبتغاة، كحجمه كبيراً كان أم صغيراً، ودرجة إتقانه وكماله.

٣ ـ التكلفة:

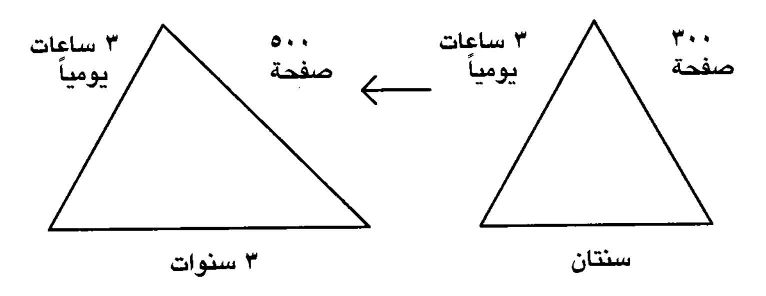
وهذا المحور متعلق بما يتطلبه الهدف من موارد مالية وجهود بشرية.

كل واحد من المحاور أعلاه بمثابة أضلاع المثلث، إذا تغيّر ضلعٌ من أضلاعه الثلاثة يتغيّر تلقائياً أحد ضلعيه الآخرين أو كلاهما. مثال ذلك: إذا كان هدفك صياغة كتاب حجمه ٣٠٠ صفحة في موضوع التخطيط الاستراتيجي خلال سنتين، ورأيت أن هذا العمل يصبح واقعياً إذا صرفت ٣ ساعات يومياً في إعداده، من ذلك يتبين لك المحاور التالية:

الجودة: ٣٠٠ صفحة (الحجم).

الوقت: سنتان (مدة إنجازه).

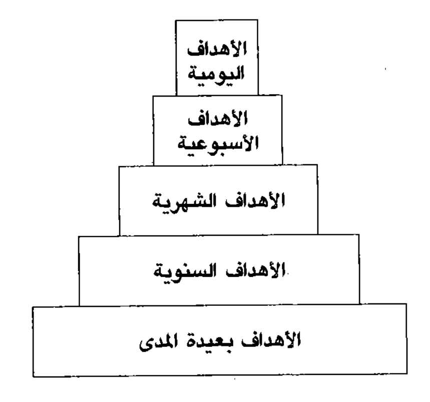
التكلفة: ٣ ساعات يومياً (جهد بشري).



إنّ أي تغيير في أحد محاور الهدف الثلاثة أعلاه يغير الآخريْن، بحيث إن زيادة حجم الكتاب تتطلب زيادة في الوقت الذي يتطلبه وكذا الجهد، أما إذا غيّرت وقت إنجازه ليصبح ٣ سنوات، فهذا يتطلب جهداً يومياً أقل أو ترتفع جودته، وإذا لم تستطع صرف سوى ساعتين يومياً، فهذا ينتج عنه إمّا إطالة وقت إنجازه أو تقليل حجمه، وهكذا بحسب الرسم أعلاه.

المطلب الرابع: أنواع الأهداف

من الأهداف ما هو صغير كتعلم استخدام الحاسوب (الكمبيوتر) أو كسفر ما، ومنها ما هو كبير كبناء بيت أو نيل شهادة الدكتوراه، والأهداف الصغيرة قد تستغرق أسبوعاً إلى أشهر، أما الأهداف الكبيرة فقد تستغرق عدة سنوات لإنجازها، والأهداف الكبرى تولد أهدافاً صغرى، هي أجزاء مرحلية لها، مما أوجد ما يسمى بهرم الأهداف بحسب الرسم أدناه، حيث تشكل الأهداف الكبيرة بعيدة المدى قاعدة للأهداف الصغيرة المرحلية، وقد تنقسم الأهداف من هذا المنطلق لقسمين أساسيين، أهداف قريبة المدى ـ قد أطلق عليها في هذا الكتاب عبارة: الأهداف المرحلية، وأهداف بعيدة المدى، وتسمى أيضاً: أهدافاً استراتيجية.



١ ـ الأهداف بعيدة المدى:

هذه الأهداف تشمل الغايات النهائية التي تود الوصول إليها، فهي ليست الأهداف المرحلية بل النتائج التي تريد الوصول إليها بشكل أساسي في حياتك سواء أكان هذا خلال ٢٠ عاماً أو خلال عام واحدٍ، لكنها نادراً ما تكون خلال عام واحد، المهم أن تمثل تلك الأهداف قمة ما تريد في حقول معينة من حياتك، وتتميز هذه الأهداف عادة باستغراقها فترة زمنية طويلة، لذا سميت أهدافاً بعيدة المدى، ويرى جورج ستينر صاحب كتاب «التخطيط الاستراتيجي» أن الأهداف بعيدة المدى غير مفصلة، لكن التفصيل يكون ببرنامج عمل لكل ٦ أشهر إلى سنة، بحيث يحتوي على نقاط عملية محددة بدقة. وهذا كله يتعلق بخبرة الفرد في تحديد أهدافه والمدى الزمني الذي يخطط من أجله، فالمبتدئون عادة ينجحون أكثر في تحديد أهداف لفترات قصيرة، وكلما نجحوا في إنجازها ووثقوا بأنفسهم وبتخطيطهم، كلما وضعوا أهدافاً ذات فترات أبعد[١].

٢ ـ الأهداف المرحلية:

إن كان أحد أهدافك في الحقل العلمي نيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية خلال ٥ سنوات من الجامعة الأمريكية العالمية، فهذا هدف واضح ومحدد من حيث النتيجة التي تريد والوقت النهائي الذي يجب إنجاز هذا الهدف خلاله، لكنه هدف طويل المدى نسبياً ويتطلب أعمالاً عديدة يجب القيام بها للوصول لهذا الهدف، وهذه الأعمال تسمى أهدافاً قريبة المدى أو أهدافاً مرحلية، ذلك أن الهدف بعيد المدى يكون غالباً كبيراً ولا ينتهي خلال فترة وجيزة، لذلك من المهم تقسيم هذا الهدف بحيث يتحوّل إلى أهداف صغيرة مرحلية تُنجز خلال فترات قريبة المدى[٢].

---

(١) Benjamin B. Tregoe, Top Management Strategy, P.315-316.

(٢) Merrill E. Donna N. Douglass, Manage Your Time, Manage Your Work, Manage Yourself, P.82.

إن أساسيات توصيف الأهداف المرحلية هي نفسها للأهداف البعيدة المدى لكنها أكثر تحديداً وأكثر إمكانية لقياسها بدقة.

من خلال نفس المثال السابق ـ نيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، سنمضي في تحديد أهداف مرحلية تعطينا توجهاً أوضح لما نريد، هنا لا بد من التفكير في كل ما تحتاج لكي تصل للهدف. مثلاً: عملية التسجيل، التكلفة، المواد المطلوبة، معادلة شهادة الماجستير، برنامج الدراسة، الأطروحة... إلخ.

اكتب المعلومات التي تود جمعها ونظم تلك الأمور جميعها، آخذاً بعين الاعتبار كل شيء: متطلبات الدراسة بالمراسلة، متى ولأي مواد يتوجب الحضور للجامعة، الحاجة إلى كمبيوتر للمواد على الإنترنيت، عدد المواد التي يجب أن تدرس في كل فصل للانتهاء خلال الوقت المحدّد، برنامج العمل والدراسة للسنوات القادمة... إلخ.

وبعد جمع المعلومات اللازمة قم بترتيب نموذج خاص بالخطوات الأساسية التي يجب القيام بها بالتتابع الزمني مع تحديد الوقت النهائي لإنجاز كل خطوة، هذه الخطوات تصبح أهدافاً مرحلية تتبع للوصول للهدف الأساس، وبمجرد كتابة هذه الأهداف المرحلية الصغيرة سيتبلور لك بوضوح أن رغبتك في الوصول للهدف الكبير ـ شهادة الدكتوراه ـ واقعية أم لا.



خلاصة المبحث الثاني

إنّ أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ إنّ التخطيط هو المهارة التي تستطيع بمشيئة الله التحكم من خلالها بالحدث المستقبلي في حياتك، وهذا يحصل حينما يكون لديك أهدافاً تسعى إليها، لذلك قيل بأنّ الهدف هو حدثٌ مخططٌ له.

٢ ـ يرتكز الهدف ابتداءً على النتائج المرجوة، فهو يحدّد أين تريد أن تكون في مستقبل الأيام.

٣ ـ الهدف يعطي معنى لحياة الإنسان ويجعله يغتنم وقته بصورة أفضل، ذلك لأنّه يجعل له غاية واضحة لمصارف جهده وطاقته، فيوجه سلوكياته خدمة لهذا المبتغى.

٤ ـ أحد أهم أسباب عدم الاهتمام بإدارة الوقت لدى الكثيرين هو عدم وجود أهداف ذاتية لديهم، ذلك لأنّه لا غاية في استثمار الوقت إن لم يكن هنالك أهداف.

٥ ـ الحياة من غير أهداف كإبحار السفينة من غير ميناء تقصده، تاركة العنان للأمواج والرياح تتقاذفها في مهب الريح، فتصبح مسيرة العمر في تخبط وتردد في اتجاهات عدة لا تبلّغ صاحبها أي نتاج ملموس.

٦ ـ عقل الإنسان مميزٌ عن غيره من المخلوقات بأنّه يعلل ويبحث عن اتجاه لمصرف الطاقة والنشاط، فإعطاء عقولنا هدفاً واضحاً يعيننا على التركيز وبذل الطاقة الموجهة للوصول لما نريد.

٧ ـ حقول تكوين الأهداف عديدة، لكن معظمها يتمحور حول الواجبات الدينية، والوضع المعيشي، والمعافاة الجسدية، والحياة العائلية،

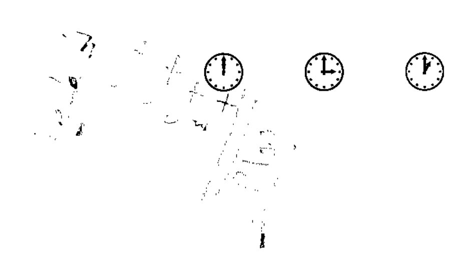
والعمل الوظيفي، وطلب العلم، وهي تختلف بحسب محاور اهتمام كل فرد.

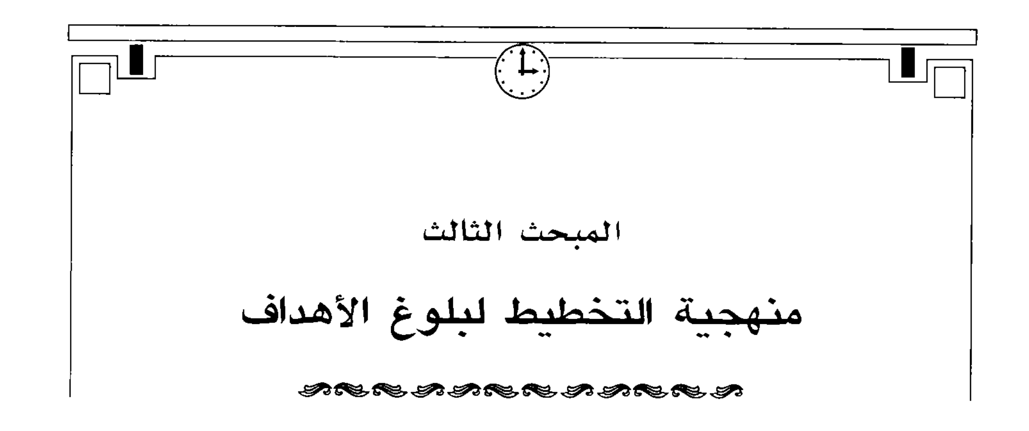
٨ - لا بد من محاسبة الذات وتقييم مسيرة الحياة بغية تحديد أهدافك، وذلك من خلال قياس نجاحك أو فشلك في مجالات الحياة المختلفة بحسب الأدوار التي تعيش كعبد لله، وأب أو أم، ووالد أو ابن، وأخ أو أخت، وكموظف، وطالب علم وهكذا.

٩ - الصفات الأربع للهدف الفعّال هي أن ينسجم الهدف مع المنظومة العقدية، وأن يقيّد بالكتابة المفصلة، وأن يُحدد له موعد نهائي لإنجازه، وأن يكون واقعياً بحسب القدرات الشخصية.

١٠ - إنّ محاور الهدف الثلاثة هي الوقت من حيث المدة المتاحة لبلوغه، والجودة من حيث حجمه ودرجة إتقانه، والتكلفة من حيث الجهد البشري والموارد المالية الذي يتطلبه.

١١ - إنّ من الأهداف ما هو كبير أو يتطلب وقتاً طويلاً لإنجازه، ومنها ما هو صغير أو يتطلب وقتاً قصيراً لإنجازه، أمّا الأوّل فيدعى هدفاً طويل المدى أو هدفاً استراتيجياً، وأمّا الثاني فيدعى هدفاً مرحليّاً أو قصير المدى.





المبحث الثالث

منهجية التخطيط لبلوغ الأهداف

مقدمة المبحث الثالث

بالرغم من أن التخطيط مسألة أساسية في مجريات الحياة والجميع يقر بأهميته، لكن قليلون جداً هم الذين يقومون به، وقليلون من هذا القليل هم الذين يحسنون صناعته وفنه، معظم الناس لا يقومون إلّا بمجرد التفكّر بأهدافهم، وآخرون يقومون بكتابة لائحة بأهدافهم المرحلية أو بمهامهم اليومية بطريقة غير منتظمة وعلى أي ورقة تقع تحت أيديهم يضعون عليها بعض الكلمات قد تكون للتذكّر فقط وليست تخطيطاً جاداً، وربما ضاعت هذه الورقة خلال النهار، وكثيراً ما تكتب هذه اللائحة صباح الاثنين لإتمام بعض الأعمال في ذلك اليوم نفسه ثم يأتي يوم السبت ولا تزال بعض هذه المهام غير منجزة، وقد تكون الأعمال غير المنجزة من أهم الأمور.

لأجل هذا أردت في هذا المبحث تناول التخطيط من منطلق علمي واضح في إجراءاته، ومبسّط في طرحه، ومتناول لما يحتاج من آليات وأساليب وخطوات.

علمنا ممّا مضى أنّ تكوين الهدف يُعنى بالإجابة على السؤال: ماذا أريد؟ وأنّ التخطيط يُعنى بالإجابة على السؤال الآخر: كيف أصل إلى ما أريد؟ كما علمنا أن التخطيط شرطٌ أساسيٌ لبلوغ الهدف، لكنّه مهارة علمية

لها إجراءاتها الإدارية الدقيقة، ولكي يصل الفرد لبلوغ أهدافه عليه اتباع منهج علمي يمحور نشاطه حوله لكي يبلغ مراده.

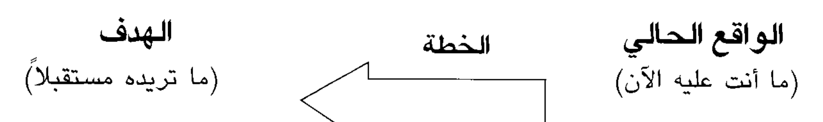
سأتناول في هذا المبحث دراسة منهجية التخطيط لبلوغ الأهداف، ابتداءً من علاقة التخطيط بالهدف، مبيناً مراحل بلوغ الهدف، ثم سأتعرض لآليات التخطيط، ودورته الزمنية، إضافة إلى إدارة الأهداف المتزامنة، ومن ثم سأعرض مثالاً عملياً لمراحل التخطيط.

تمهيد:

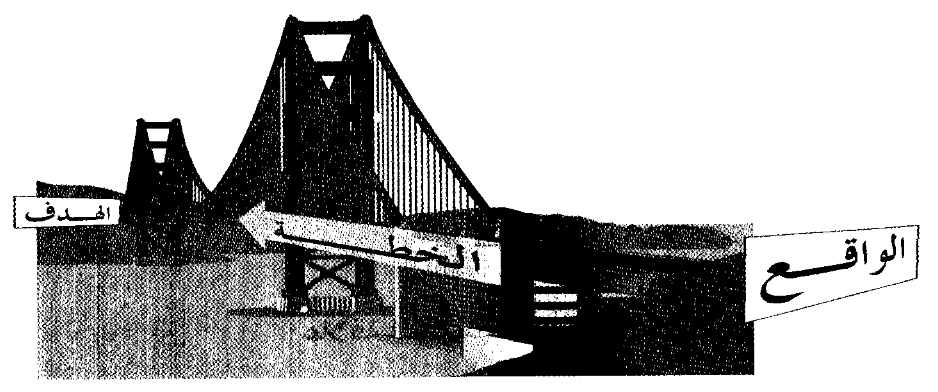
علاقة التخطيط بالهدف

لا شك أن حياتك مليئة بالأهداف التي تريد العمل على إنجازها في حقول شتى: العمل، العائلة، العلم، الدين... إلخ، لكن تلك الأهداف تبقى أحلاماً لا تستطيع بلوغها ما لم تخطّط لها، ثم تعمل على إنجاز ما خطّطت له، من أجل ذلك نقول إنّ التخطيط شرط أساسي لبلوغ الأهداف، وهو التكوين النظري للهدف قبل العمل على تنفيذه في الواقع، وكلما كان الهدف الذي تريد إنجازه مخطَّطاً له بدقة، كان الوصول إليه أقرب.

ويرتكز الهدف ابتداء على النتائج المرجوة، إنه يصف المبتغى، بينما يصف التخطيط السبيل إليه، فالتخطيط يُترجم الهدف إلى نشاطات يومية تعطي اتجاهاً منظماً للتصرفات الشخصية، أي إنّه الجسر الذي يربط ما أنت عليه الآن بالهدف الذي تريد بلوغه.



مثال ذلك، القائد صلاح الدين الأيوبي هدف إلى تحرير بيت المقدس، فدرس الواقع وعلم أنها مسؤولية لن يقوم بها إلا فرسان في النهار رهبان في الليل، فبادر لذلك وخطط وأعدّ، فعكف على إعداد جنوده وتربيتهم بنفس طويل حتى فتحها بإذن الله.



الخطة جسر بين الحاضر والمستقبل

لذلك نرى أنّ التخطيط هو المقدمة النظرية التي لا بد منها لبلوغ الهدف، فهو يتعرّض لما يتطلبه ذلك من إجراءات مدروسة وجهود وموارد موجهة، فيرسم لك الخريطة التي إن اتبعتها تصل لما تريد إن شاء الله.

المطلب الأول: مراحل بلوغ الهدف

إنّ بلوغ أي هدف يتطلب مرحلتين أساسيتين: المرحلة الإدارية والمرحلة التنفيذية، ولقد أشرت إليهما فيما سلف بالتكوين النظري وبالتكوين العملي للهدف(١). المرحلة الأولى تُعنى بتكوين الخطة والمرحلة الأخرى تعنى بتنفيذ الخطة، لكنّ المنطلق الأساسي للمرحلتين هو بيان الهدف الذي يريد الفرد الوصول إليه، وهو النتيجة التي يريد أن يجعلها واقعاً حاصلاً في مستقبل الأيام.

التكوين النظري (تكوين الخطة) ⟸ التكوين العملي (تنفيذ الخطة)

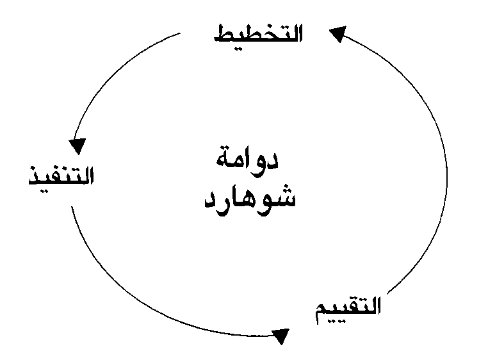
تقوم عملية التخطيط بأبسط أطوارها على تجزئة الهدف إلى مراحل تنفيذية، وبتلك الخطوات التنفيذية المؤقتة ضمن برنامج زمني تتكوّن الخطة، فأهم ما تعنى به الخطة هو تجزئة الهدف الكبير إلى أجزاء صغيرة يسهل تنفيذها تبعاً لتسلسل زمني واضح. وبعد ذلك يُنتقل إلى مرحلة التنفيذ ـ تنفيذ الخطة، دون فصل زمني بين مرحلتي التكوين النظري والتكوين

(١) راجع: ص٢٩٧ ـ ٢٩٩.

العملي، إذ يمكن بعد الشروع في مرحلة تنفيذ الخطة إعادة النظرة في الخطة مراراً لتقييمها وتقويمها، ومن ثم يجب تعديلها إن احتاج الأمر تبعاً لذلك التقييم، ولا شك أن تعديل الخطة ينتج عنه تعديل سير العمل التنفيذي لأنّه ترجمة له، وهكذا.

دوامة شوهارد:

لقد وضع أومدار شوهارد ما يُعرف بدوامة أو مدار شوهارد، وهو مع بساطته يُعتبر مبدأً هاماً جداً في الإدارة يقول: إنّ أفضل نتائج العمل والفعالية هو إجراء متكرر يبدأ بالأخذ بالتخطيط اللازم، ثم تنفيذ الخطة، ثم تقييم ما مضى من عمل، ثم التغيير تبعاً للتقييم وهكذا[1].



هذه الدوامة المتصلة من التخطيط ثم التنفيذ ثم التقييم ثم تعديل الخطة، فتصويب التنفيذ، فالتقييم مرة أخرى... إلخ أمر طبيعي جداً، حيث إنه قد تظهر عقبات لم تكن متوقعة خلال مرحلة التنفيذ، وقد تكون التوقعات النظرية في بعض المراحل خلاف الواقع العملي، فتعدّل الخطة ثم يصوّب سير العمل بكليته. مثال ذلك بناء بيت على أرض كان يظن بأنها رملية، ثم تبيّن بعد الحفر أنها أرض صخرية، لذلك لزم تصويب الخطة بحسب ذلك مما سيؤثر بالطبع على مراحل البناء وتكلفته وبرنامجه الزمني.

---

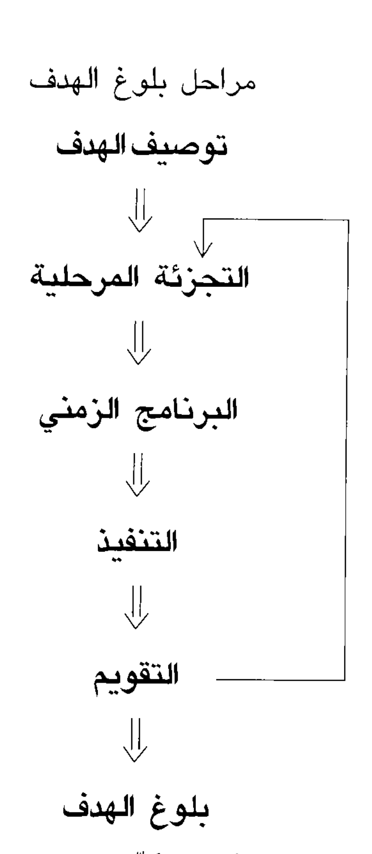
(١) Mark Towers, Implementing Total Quality Management, KANSAS, Skill Path Inc., 1995, P.25.

مثال آخر: إذا هدفت إلى إيصال كُتيّب دعوي إلى ٥٠٠٠ شخص في بلدك عبر البريد قبل نهاية العام، ووضعت خطة ذلك وما تتطلبه من مراحل أساسية كجمع المادة الدعوية، ثم صياغتها، ثم طباعة الكتيّب، ثم إرساله عبر البريد، وجعلت لكل مرحلة وقتها وما تتطلبه من موارد مالية وجهود بشرية، وجزّأت كل مرحلة لخطوات عملية واضحة. لكن بعد الانتهاء من مرحلة جمع المادة وصياغتها وطباعة الكتيّب تبيّن لك أنّ سعر إرساله في البريد سيكون أكبر مما توقّعت وخاصة أنّك اضطررت إلى تعديل حجم الكتيّب فأضفت إليه فصلاً، وفي الوقت نفسه علمت أنّ مؤتمراً يضم عشرات الآلاف ممّن تهتم بإيصال الكتيّب إليهم سيكون بعد ثلاثة أسابيع، في هذه الحال يمكنك تعديل الخطة الماضية بحيث تغيّر الخطوة الأخيرة من إرسال الكتيّب بالبريد وما يتطلبه من وضعه في المظاريف وعنونته ورسوم دائرة البريد إلى الترتيب مع إدارة المؤتمر وإحضار متطوعين لتوزيعه على الحضور باليد.

كثيراً ما يحصل أنّ تقييم العمل يشير إلى أنه لا يسير بحسب البرنامج الزمني الذي رسمته الخطة، لذلك لزم تغيير البرنامج الزمني بحسب التأخير، مثال ذلك إذا كنت قد حدّدت فترة الانتهاء من جمع وصياغة مادة الكتيّب المشار إليه آنفاً بـ: ٤ أسابيع، من ١٧ حزيران إلى ١٤ تموز، وخلال العمل وجدت ذلك غير واقعي وستأخذ هذه المرحلة ٧ أسابيع، لذلك يجب تغيير برنامج العمل بحسب ذلك، وخاصة أنّه إن كان موعد الانتهاء الكلي من المشروع لا مجال لتأخيره وجب الإسراع في المراحل التالية لاستيعاب ذلك التأخير الذي حصل في المرحلة الأولى.

وبهذا يتبيّن لنا أن بلوغ الأهداف يتعلق بالمراحل التالية:

مراحل بلوغ الهدف



يتّضح لنا من التسلسل أعلاه أنّ مراحل إنجاز أي هدف أو مشروع ما يبتدئ بتوصيف دقيق لما يُراد إنجازه، ثم توضع الخطة التي من شأنها تجزئة هذا المشروع إلى خطوات مرحلية ضمن برنامج زمني يُعرف من خلاله متى يجب أن يُقام بكل خطوة، بعد ذلك ينتقل إلى مرحلة تنفيذ هذه الخطة، وخلال هذه العملية يُجرى تقييم سير العمل بشكل دوري لكي يُدرس ما أُنجز وما تبقى من العمل وهل الواقع العملي يتماشى مع الخطة النظرية، وكثيراً من الأحيان ينتج عن هذا التقويم تعديل الخطة من حيث البرنامج الزمني والخطوات التنفيذية، ويستمر هذا الإجراء حتى يتم بلوغ الهدف.

التقويم العام:

هنالك تقويم لعمل يخص هدفاً بعينه، وقد يكون التقويم عاماً للوصول للأهداف المختلفة، وإنّ تقويم مسيرتك لبلوغ أهدافك يتطلب منك أن تتساءل بين الحين والآخر:

* ماذا أنجزت من الأهداف؟
* أين وصلت في كل هدف؟
* ما هي التحديات والصعوبات التي واجهت؟
* هل كان تنفيذي بأفضل الطرق الممكنة؟
* ما هي الأهداف التي لم أنجز؟
* ما العقبات التي منعتني من إنجازها؟
* ماذا تعلّمت من الفترة الماضية؟

المطلب الثاني: منهجية التخطيط لبلوغ الهدف

التخطيط السليم لا يتأتى بشكل اعتباطي عشوائي، بل هو نتيجة مهارات تكتسب ومنهجية فنية تُتّبع، فالوصول من واقع (أ) إلى واقع آخر (ب) بحاجة لخطة تشبه خريطة الطرقات، ويبسّط ماكري[1] هذا المفهوم فيقول بأنّ التخطيط قد يكون ببساطة الخطوات التالية:

١ - ضع هدفك (ب).
٢ - اعلم وضعك الحالي (أ).
٣ - حدّد السبل الممكنة للانتقال من (أ) إلى (ب).
٤ - اختر أفضل السبل.
٥ - فصّل السبيل المختار للوصول لهدفك.
٦ - طبّق خطة العمل.
٧ - قيّم مسيرك بين الحين والآخر.

ولدى آخرين طرق شبيهة للتخطيط، أوصلهم إتباعها لمطالب ضخمة مع بساطتها، مثال ذلك آرثر وليمس الذي لم يعرفه أحد حينما كان يعمل مدرساً للرياضة في أحد المدارس الثانوية في حي شعبي في ولاية جورجيا

---

(١) Bradley C. McRae, Practical Time Management, P.46.

الأمريكية، كان يتقاضى قرابة ١١ ألف دولار سنوياً، وكان ذلك عام ١٩٧٧، لكّن الحاجة المادية والعوز جعلاه يقرر تغيير مجرى حياته ليحسن وضعه المعيشي، فترك عمله وانتقل إلى مجال العمل في حقل التأمين، ثم أسس شركته الخاصة التي أطلق عليها اسمه، وخلال أقل من ١٠ سنوات أصبحت شركته أكبر شركة تأمين في العالم، فبلغ عدد موظفيها ١٨٠ ألف شخص، وبلغ مدخولها ٨١ مليار دولار عام ١٩٨٧[1]!

لا أقصد من هذه القصة أنّ النجاح مسألة مادية فحسب، ولا أعظّم إطلاقاً من شأن هدفه أو مجال عمله هذا، لكن الشاهد هنا يكمن في معرفة آرثر وليمس لما يريد وعمله الدؤوب على إنجاز ما أراد أوصله لامتلاك أكبر شركة تأمين في العالم خلال فترة وجيزة، بعد بلوغ هذا الرجل ذروة النجاح المادي كان رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، كأمثال رونلد ريغن وجورج بوش، يسعون جاهدين من أجل لقائه بغية التبرع لدعم حزبهم وحملاتهم الانتخابية، وكان وليمس يفتخر ويقول: «سر نجاحي ٦ خطوات، وأي شخص يتبعها بحق يصل إلى ما يريد»، تلك الخطوات جمعها في كتاب له، وتتلخص بالتالي[2]:

الخطوة رقم ١: أنت مطالب بتحديد هدف واحد لحياتك.

الخطوة رقم ٢: أنت مطالب بتحديد وقت محدّد للوصول لهدفك.

الخطوة رقم ٣: أنت مطالب بكتابة توصيف هدفك.

الخطوة رقم ٤: أنت مطالب بإعداد خطة من أجل إنجاز هدفك.

الخطوة رقم ٥: أنت مطالب بتحديد الثمن الذي ترغب في صرفه لتنفيذ الخطة (كالجهد البشري).

الخطوة رقم ٦: أنت مطالب بالتفكر يومياً بإنجاز هدفك (والعمل على إنجازه، بالطبع).

---

(١) Arthur Williams, All You Can Do is All You Can Do, But All You Can Do is Enough, Preface.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨ ـ ٥١.

إلا أنني لا أوافقه في مسألة الهدف الواحد، حيث إنّ ذلك يجعله يفتقد التوازن في معيشته، هنالك حقول متنوّعة في حياة الفرد تتطلب أهدافاً متعددة كما أشرت إلى ذلك سابقاً، وأصحاب الهدف الواحد عادةً يكونون ذروة في النجاح في حقل واحد في حياتهم مع فشلهم الشديد في الحقول الأخرى.

لذلك نقول: إن بلوغ أي هدف يتطلب خطوات إدارية وخطوات تنفيذية، أشرت إليها سابقاً بمرحلتي التكوين والتنفيذ[1]، وأود الحديث هنا عن المنهجية العلمية للتخطيط التي هي أهم الخطوات الإدارية التي تتطلبها مرحلة التكوين، وبما أنّ التخطيط متعلّق بالأهداف، فهو كذلك على محورين: بعيد المدى أو قريب المدى. والمنهجية الفعّالة للتخطيط لبلوغ الهدف المنشود تتضمن اتباع الخطوات التالية[2]:

١ - توصيف الهدف حسب الصفات الأربع للهدف الفعَّال مع مراعاة الدقة في ذلك، وذلك أن تكتب صيغة واضحة لما هو الهدف بحيث تحدده بمدة زمنية وتجعله مقاساً ويجب أن يتماشى مع قدراتك ومعتقداتك.

٢ - تحديد المتطلبات اللازمة لإنجاز الهدف: الوقت، المال، الكوادر البشرية، الموارد الفنية... إلخ. وهذا ما تحتاج لتوظيفه لبلوغ الهدف، مثال ذلك صرف ثلاث ساعات يومياً لمدة سنة وتوفير ميزانية قدرها ١٠ آلاف دولار.

٣ - تجزئة الهدف إلى أهداف مرحلية ثم خطوات عملية وكتابة توصيف كل خطوة، ذلك أنّ أهم خطوات التخطيط تكمن في تجزئة الهدف الكبير - طويل المدى - إلى أهداف مرحلية - قصيرة المدى، ثم تجزئة الأخيرة إلى أهداف أصغر منها حتى تصل إلى خطوات عملية واضحة تقوم بها كلاً على حدة.

---

(١) راجع: ص٣٤٢ من هذا المبحث.

(٢) Managing Multiple Projects, Objectives and Deadlines, Skill Path Inc., P.11.

٤ ـ تقدير الوقت الذي ستأخذه كل خطوة وتحديد المواعيد النهائية لإنجاز كل منها، ذلك لأن التخطيط الفعّال لأي عمل يكون بين محوري الوقت: متى يبدأ ومتى ينتهي.

٥ ـ وضع جدولٍ بالخطوات التنفيذية بالتسلسل التي تقتضيه مرحلة التنفيذ، وذلك من خلال كتابة الخطوات العملية بحسب التسلسل الطبيعي للوصول للهدف.

٦ ـ وضع برنامج زمني مبوب الخطوات العملية عليه، بحيث تضع موعد ابتداء وانتهاء كل خطوة، وعبِّر عن هذا برسم بياني، وتأكّد أنّ ذلك البرنامج يجعلك تنجز هدفك ضمن الوقت المحدّد. وأبسط صور ذلك برنامج العمل الذي يسرد الخطوات التنفيذية التي يتطلبها بلوغ الهدف مع موعد العمل لكل خطوة.

٧ ـ وضع أسس دقيقة لتقييم مسيرك على الخطة أعلاه، بحيث تراجع الخطة بين الحين والآخر ضمن برنامج تقييمي بغية معرفة الخطوات المتأخرة أو المتعثرة وإيجاد الحلول لها، وقد يتطلب ذلك في معظم الأحيان تغيير بعض جوانب خطة العمل.

أما إن كان الهدف يتطلب إنجازه عملاً جماعياً كمشروع يقوم به مجموعة من الأفراد، فيجب زيادة الخطوتين التاليتين على الخطة:

٨ ـ توزيع المسؤولية بحيث يُعلم بوضوح مختلف مسؤوليات فريق العمل، فيعرف كل فرد ما هي الخطوات التنفيذية التي يجب أن يقوم بها وفي أي الأوقات، وهذا يتطلب وجود مدير أو مسؤول عن الفريق المناط به القيام بذلك المشروع، ويكون توزيع المسؤوليات ومتابعتها من قبل هذا المدير.

٩ ـ اجتماع فريق العمل بشكل دوري أثناء مرحلة التنفيذ لمعرفة أين وصل إنجاز الهدف، وتقييم النتائج، ومتابعة العاملين، والاطلاع على تقدم العمل بحسب الخطة.

خطوات التخطيط لبلوغ الأهداف

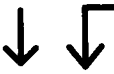
توصيف الهدف

(الكتابة المفصلة، التوقيت، الواقعية)



متطلبات لازمة للوصول للهدف

(الوقت، المال، الموارد البشرية والفنية)



جزئيات بلوغ الهدف

(تجزئة الهدف لمراحله التنفيذية)



توقيت المراحل التنفيذية

(متى تبدأ وتنتهي كل مرحلة)



جدولة الخطوات التنفيذية

(خطوات تسلسل العمل لبلوغ الهدف)



البرنامج الزمني

(رسم بياني يوضّح توقيت الخطوات العملية)



التقويم الدوري

(مقارنة الواقع العملي بالخطة النظرية)

المطلب الثالث: إدارة الأهداف المتزامنة

طبيعي أن يكون لديك أكثر من هدف واحد تعمل على إنجازه، بل إنك قد تعمل على إنجاز عدة أهداف أساسية في حياتك خلال فترة معينة من عمرك، وخاصة إن كانت تلك الأهداف في حقول مختلفة في حياتك: هدف يتعلق في مجال طلب العلم، وآخر في مجال العمل، وثالث عائلي، ورابع صفقة تجارية وهكذا، حينها قد تتعقد إدارة تلك الأهداف إن لم يخطط لها بدقة، وهذا علم هام في الإدارة يسمى «إدارة الأهداف المتزامنة»، تلك التي تنفذ جميعها في الفترة الزمنية نفسها، وقد يطلق عليها أيضاً «إدارة المشروعات المتزامنة». وقد تستخدم جدول التوقيت البياني بشكل عام لتوضيح أي الفترات تخصص لكل هدف، بحسب الرسم أدناه.

بعض الأهداف المتزامنة:

١ ـ رفع مستوى نمو المؤسسة بنسبة ١٥٪ قبل نهاية العام.

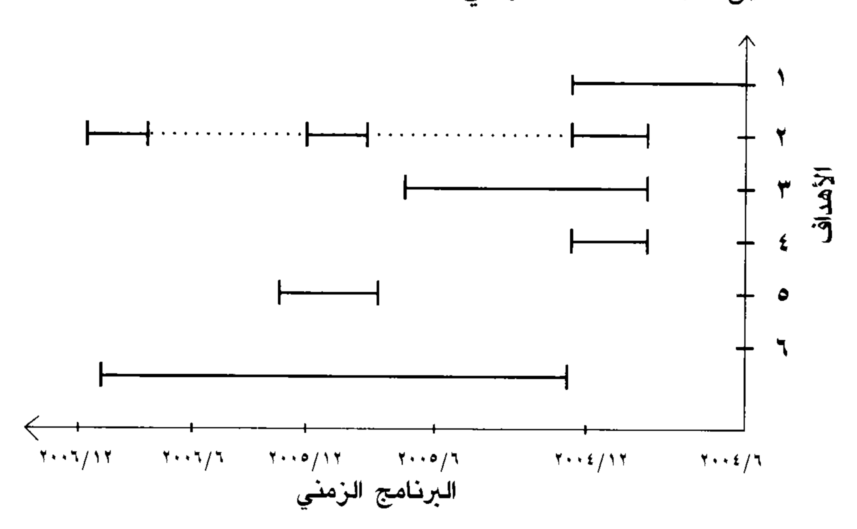
٢ ـ تعديل الهيكلة الإدارية ومخطط الموارد البشرية.

٣ ـ إصدار شريط وثائقي عن خدمات المؤسسة.

٤ ـ الانتقال إلى سكن آخر.

٥ ـ أداء فريضة الحج مع العائلة.

٦ ـ نيل شهادة الماجستير في الاقتصاد.



إدارة الوقت في هذه الحالة قد تصعب جداً إن لم تُدَرْ مختلف النشاطات بطريقة منهجية منظمة، لذلك فبالإضافة إلى اتباع خطة واضحة المعالم لكل هدف على حدة بنفس الطريقة التي تحدثت عنها آنفاً، هنالك خطوات إضافية ومحاذير يجب الانتباه إليها في هذه الحالة، وإلّا سيضيع الوقت في ارتباك وفوضى وإجهاد نفس، ولن تتمكن من إنجاز ما تصبو إليه من أهداف.

خطوات تبسيط إدارة الأهداف المتزامنة:

١ - ضع خطة لكل هدفٍ على حدة بنفس الطريقة آنفة الذكر. هذا يتطلب أن تتبع الإجراءات الإدارية الخاصة بالتخطيط للهدف الواحد، ابتداءً بتجزئته إلى مراحل ثم خطوات تنفيذية ضمن برنامج زمني واضح.

٢ - اتّبع برنامجاً محدداً للعمل على كل هدف، لذا يجب أن تعلم مسبقاً أوقات العمل على كل هدف بشكل أسبوعي، ولا تعمل على أكثر من هدف واحد في فترة زمنية قصيرة، حيث إن الانتقال العملي بين هدفين خلال وقت قصير سيجعلك تعجز عن الإبداع فيهما.

٣ - تخلص من كل تبعات وأوراق وأدوات الأهداف الأخرى من مكان عملك أثناء العمل على الهدف الحالي، وذلك لكي يكون ذهنك مركزاً تماماً على هدفٍ واحد خلال الفترة الزمنية الخاصة به. كما يُنصح باستعمال الألوان المختلفة للتفريق بين متعلقات كل هدف أو مشروع.

٤ - اجعل لكل هدف ملفاته الخاصة وأساليبه ورسومه البيانية التخطيطية الخاصة، سوى آلية التخطيط اليومي التي يجب أن تجمع الخطوات التنفيذية الخاصة بتلك الأهداف خلال اليوم.

٥ ـ اجمع كل الأهداف برسم بياني مجمل لكنه غير مفصل، يُبيَّن فيه اسم الهدف ووقت العمل عليه، وأهم خطواته الأساسية، وأين وصل في خطة تنفيذه، وهذا بالطبع غير الرسوم البيانية والجداول الخاصة بكل هدف على حدة.

٦ ـ احتفظ بمحضر موجز لكل هدف يختصر الخطوات المستقبلية، ويُعلم من خلاله ما هي الخطوات التي نُفّذت وما هي الخطوات القادمة، بحيث يعلم بسرعة كيفية سير العمل وأين أنت من إنجازه.

٧ ـ خطط لكل أسبوع بدقة لتعلم ماذا ستقوم به لكل هدفٍ على حدة، قد يكون اليوم الأول من الأسبوع هو الأفضل لمراجعة وتقييم سير العمل وتحديد الخطوات التي يجب العمل عليها خلال الأسبوع القادم، وهذا يتطلب أيضاً برمجة الأعمال خلال أيام الأسبوع بشكل دقيق.

٨ ـ ابدأ يومك بـ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة للتخطيط اليومي وذلك لتقييم عمل البارحة، وتعديل برنامج اليوم وذلك كل صباح، واحتفظ بجدول مهام اليوم لتركز بشكل مستمر على ما يحتويه(١).

المطلب الرابع: أساليب التخطيط

هنالك أساليب عديدة تساعد على التخطيط، وهي جزء أساسي في إدارة الوقت، وتكمن أهمية هذه الفنون في أننا ببساطة تامة لا نستطيع حفظ كل شيء في أذهاننا عن ظهر قلب وخاصة حين تتعقد خطوات العمل، سأتعرض هنا لأهم ثلاثة أساليب وهي الأكثر استعمالاً في عالم التخطيط، وهي:

---

(١) Managing Multiple Projects, Objectives and Deadlines, Skill Path Inc., P.11-15.

١ ـ برنامج العمل[١].
٢ ـ جدول التوقيت البياني[٢].
٣ ـ بيان العلاقات التسلسلية[٣].

يمكنك اختيار أيٍّ من تلك الأدوات التخطيطية بحسب ما يناسب طبيعة الهدف الذي تعمل من أجله ودرجة تعقده، وإنّ استعمال إحدى تلك الأدوات سيساعدك جداً على تنظيم وقتك وحياتك، ناهيك عن توفير الولادة الذهنية الأولى لأهدافك التي يتبلور من خلالها الولادة الثانية على أرض الواقع. بغض النظر عن الأسلوب الذي تختار، لا بد لكل خطة أن تحتوي على تسجيل مكتوب لجميع النشاطات التنفيذية اللازمة لبلوغ الهدف، وأسهل نموذج لذلك يسمى برنامج العمل.

١ ـ برنامج العمل:

أي هدف تود إنجازه لا بد لك من تجزئته لنشاطات تنفيذية تطبقها الواحدة تلو الأخرى، يصف هنري منزبرغ هذا الأسلوب بقوله: «برمجة الأعمال نشاط إداري يترجم القرارات المختارة إلى نقاط تنفيذية محددة بغية تطبيقها»[٤].

وقد يختلف برنامج العمل بحسب درجة تعقد الهدف، وأبسط نموذج له يحتوي على لائحة بالخطوات التنفيذية المطلوبة لإنجازه، بالإضافة إلى متى تبدأ وتنتهي كل خطوة، وقد يزاد على هذا حسب الحاجة أمور أخرى كالتكلفة المالية ومن يقوم بكل خطوة وهكذا.

لنضرب مثالاً على ذلك، إن كان الهدف كتابة بحث علمي حول التخطيط قبل ٢٠/١٢/٢٠٠٥ بحجم لا يتجاوز ٥٠ صفحة.

---

(١) To-Do List.
(٢) GANTT Chart.
(٣) PERT Diagram.
(٤) Henry Minzberg, The Rise and Fall of Strategic Planning, P.344.

أدناه أحد نماذج برامج العمل الذي يعرض الخطوات العملية وما تتطلبه من وقت لكتابة البحث التي قد تكون كالآتي:

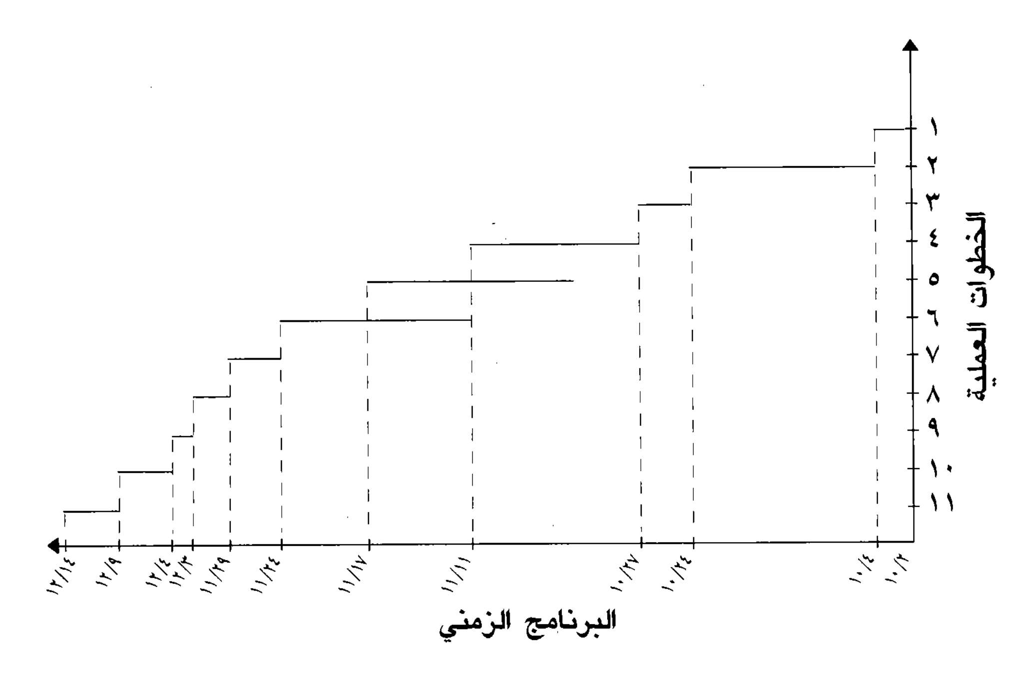
الخطوات العملية	المدة المطلوبة	التاريخ النهائي
١ ـ جمع مصادر البحث	يومان	٤/ ١٠
٢ ـ قراءة المصادر	٢٠ يوماً	٢٤/ ١٠
٣ ـ وضع المخطط التمهيدي	٣ أيام	٢٧/ ١٠
٤ ـ كتابة المسودة	١٥ يوماً	١١/ ١١
٥ ـ طباعة المسودة	٦ أيام	١٧/ ١١
٦ ـ رسم الأشكال البيانية	٧ أيام	٢٤/ ١١
٧ ـ المراجعة	٥ أيام	٢٩/ ١١
٨ ـ إجراء الإصلاحات	٤ أيام	٣/ ١٢
٩ ـ تصميم الغلاف	يوم	٤/ ١٢
١٠ ـ الإعداد النهائي	٥ أيام	٩/ ١٢
١١ ـ إصدار البحث	٥ أيام	١٤/ ١٢

٢ ـ جدول التوقيت البياني:

هذا الأسلوب يعرض الخطة بجدول بياني يُظهر جزئيات الهدف وأوقات العمل على كل جزء منه، وقد أُطلقَ على هذا الأسلوب أيضاً مصطلح «مخطط المعالم الرئيسية»[١]، ولوضع جدول التوقيت البياني يجب أولاً أن تسجل لائحة بالخطوات المطلوبة لإنجاز الهدف، بعدها ترقِّم جميع الخطوات بالترتيب التسلسلي الذي تقتضيه مرحلة التنفيذ، ثم تضع تلك الأرقام على الخط العمودي في الجدول من الجهة اليمنى، ومن ثم تضع التواريخ على الخط الأفقي بادئاً بوقت ابتداء العمل على الهدف ومنتهياً بموعد الانتهاء منه، بعد ذلك يُرسم خط عمودي عند بداية كل خطوة مع تحديد الفترة الزمنية التي تستغرقها، كما هو مبيّن أدناه.

---

(١) ماريون هاينز، إدارة الوقت، ترجمة عبد الله بلال، الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ص٤٢.



من الملاحظ في برنامج العمل أنَّ بعض الخطوات العملية قد لا ترتبط ببعضها البعض، لذلك قد لا تكون بداية الخطوة محددة بانتهاء ما قبلها أحياناً، من ذلك الآتي:

- لا داعي للانتهاء من كتابة المسودة (الخطوة ٤) بشكل كامل قبل الابتداء في طباعتها على الحاسوب/ الكمبيوتر (الخطوة ٥)، إذ يمكنك كتابة جزء منها ثم طباعة هذا الجزء وهكذا، لذلك لا داعي لتتابع هاتين الخطوتين، لكن يجب أن يُقام بهما بعد وضع المخطط التمهيدي.

- لا داعي للانتهاء تماماً من طباعة المسودة (الخطوة ٥) قبل الابتداء بالرسوم البيانية (الخطوة ٦)، لكن يجب إتمام الرسوم بعد كتابة المسودة (الخطوة ٤) لمعرفة ما هي الرسوم المطلوبة.

- لا داعي للانتهاء تماماً من إجراء الإصلاحات (الخطوة ٨) قبل تصميم الغلاف (الخطوة ٩).

لكن بعض الخطوات يجب أن تتم بالتتابع، مثال ذلك الآتي:

- يجب أن تجمع المصادر قبل قراءتها.

- ويجب وضع المخطط التمهيدي بعد قراءة المصادر.

- ويجب كتابة المسودة بعد قراءة المصادر ووضع المخطط التمهيدي.

- والمراجعة تكون بعد الانتهاء من كتابة المسودة وطباعتها والانتهاء من الرسوم البيانية.

- وإجراء الإصلاحات على البحث يُقام به بعد مراجعته.

من خلال هذا الجدول سيكون أمامك موجز للبرنامج الزمني الذي يجب أن يسير عليه تنفيذ الخطة، ويُستخدم هذا الرسم أثناء عملية تطبيق المخطّط بحيث يستعمل لون آخر لوضع الخطوط العامودية للتاريخ الفعلي لابتداء تلك الخطوة وانتهائها، ذلك لأنّ التواريخ الموجودة مسبقاً كانت تقديرية، وهذا اللون المميز ـ أحمر مثلاً ـ يجعل تقييم سير العمل أمراً سهلاً جداً ولا يحتاج سوى نظرة عابرة على هذا الرسم فيُعلم إن كان إنجاز الخطة يسير بتأخّر أو يسير حسب المخطط، وهل يحتاج المخطّط إعادة برمجة لبعض جزئياته.

٣ ـ بيان العلاقات التسلسلية:

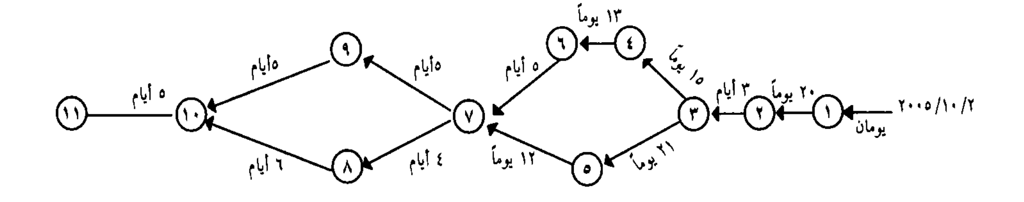
بيان العلاقات التسلسلية هو رسم بياني يمثل مستوى أكثر تعقيداً وتفصيلاً في عملية التخطيط، ويُطلق عليه أيضاً في المصطلح الإداري «رسم برت» نسبة لمن صممه، ومن أجل القيام به تُكتب لائحة بجميع الخطوات التنفيذية للهدف مع الوقت المتوقع للانتهاء من كل خطوة، ثم تُرقّم الخطوات جميعها، بعد ذلك تُرسم شبكة تمثل علاقة كل خطوة بالأخرى، يوضع رقم الخطوة في الدائرة والوقت ـ بالساعات أو الأيام أو

الأسابيع أو الأشهر ـ المتاح لكل خطوة على الخط الواصل دائرة الخطوة نفسها بالتي تليها، وتوضع هذه الخطوات بالتسلسل الذي تقتضيه الخطة، أما الخطوات التي لا داعي للقيام بها بالتتابع، بحيث يمكن القيام بها مع غيرها خلال نفس الوقت فتبين في الرسم على شكل تسلسل موازٍ آخر، كما هو مبيَّن في الرسم أدناه.

إذا نظرنا لجدول التوقيت البياني أعلاه، ومع فهمنا لكيفية كتابة ذلك البحث، يتبيَّنُ لنا أنَّه يجب أن يتم القيام ببعض الخطوات بالتتابع أو بتسلسلٍ زمني معيَّن، بينما يُقام بأخرى بشكل متزامن، أي خلال نفس الوقت ولو بشكل جزئي. يمكننا أن نشير إلى كل خطوة برقمها كالآتي:

٢ بعد ١ (تتابع).
٣ بعد ٢ (تتابع).
٤ بعد ٣ (تتابع).
٥ مع ٤ (تزامن).
٦ مع ٥ (تزامن).
٧ بعد ٦ (تتابع).
٨ بعد ٧ (تتابع).
٩ مع ٨ (تزامن).
١٠ بعد ٩ (تتابع).
١١ بعد ١٠ (تتابع).

بهذا يمكننا استخلاص بيان العلاقات التسلسلية المبيَّن أدناه.



أما أهمية هذا الرسم البياني فتكمن في أنه يحدد ما يسمى بـ«المسار

الحرج» أو «خط التسلسل الحرج» الذي يجب إظهاره بشكل مميز عن طريق لون خاص أو شكل خاص، وهذا الخط يتكون من الخطوات التنفيذية التي يجب القيام بها بتسلسل زمني، بحيث إذا تأخرت خطوة واحدة منه تأخر جميع ما بعدها، فيتأخر إنجاز الهدف بأكمله، وهذا الخط عادةً يكون أطول تسلسل في الشبكة، لذلك عند وجود أي ضرورة لتأخير جزء ما من العمل فيجب اختيار خطوة غير موجودة على الخط الحاسم، فحرصك يرتكز دوماً على تقييم سير العمل بحيث لا تتأثر أي خطوة على ذلك الخط فيؤثر على السلسلة كلها، ومن ثَمّ يُؤخر الموعد الذي يجب إنجاز الهدف عنده.

ويستخدم هذا الرسم أثناء تطبيق الخطة بحيث تلون الدائرة التي تم الانتهاء منها، ويوضع التوقيت الفعلي الذي تم عنده الانتهاء من ذلك العمل، ذلك حتى يُعلم بنظرة سريعة الفرق بين الوقت الحقيقي لسير العمل والوقت المخطط له، وهل ثمة فارق كبير بينهما، وأين أنت من إنجاز الخطة كاملة[١].

هذه الأساليب تمثل أبسط ما يمكن استخدامه للتخطيط بدون آليات إلكترونية معقدة، لكن معظم الأهداف والمشاريع الكبيرة يُستخدم لها برامج على الحاسوب تعرف ببرامج إدارة المشاريع، وهي تستخدم عادة للمشاريع الجماعية في الشركات المتخصصة، لكنني أستعرض هنا الأهداف والمشاريع الذاتية الخاصة بالفرد نفسه، ونادراً ما تتعقّد لدرجة تحتاج أساليب غير ما ذكرت أعلاه.

المطلب الخامس: وقفات دورية مع التخطيط

إنّ عملية التحكم بمسيرة الحياة وبلوغ الأهداف العظام تتطلب أكثر من مجرد التخطيط بين الحين والآخر، بل يجب أن نقوم بالتخطيط ضمن

---

(١) Marion E. Haynes, Personal Time Management, P.11-13.

برنامج دوري واضح، وبشكل يحافظ على توجهنا في كل يوم من أيام حياتنا، ويجب أن يكون نشاطنا في كل يوم متصلاً بما قمنا به في أمسنا وبما سنقوم به في غدنا، حتى تصبح الأيام سلسلة متصلة من نشاطات تصب في أهدافنا الكبرى التي قد يستغرق بلوغ بعضها أعواماً.

لذلك لا بد من وقفات دورية مع التخطيط لتقييم ما مضى والنظر فيما سيأتي، تلك الوقفات ضرورية جداً حيث إنّ أعباء الحياة كثيرة والمعوقات اليومية قد تمنعنا من المسير بحسب ما نخطط له، بل إنّ الواقع الذي نعيش قد يجرّنا من مسيرة خططنا لها إلى متاهات لا نريدها في حياتنا.

ومن خلال دراستي لعملية التخطيط لسنوات عدة وخبرتي في هذا الحقل، حيث يتطلب مجال عملي وارتباطاتي ومسؤولياتي تنظيماً دقيقاً يمكنني من التخطيط لمشاريع وأهداف كبرى في مجالات مترامية الأطراف، وفي نفس الوقت متابعة المهام الصغرى الشخصية والخاصة بعدد من الكوادر البشرية، بحيث لا أغفل عن حدث مهما صغر، ولا أفقد الصورة الكلية للعمل مهما كبر، مما يجعلني أستنتج ضرورة التخطيط الدوري على أربعة فترات زمنية: التخطيط اليومي، والتخطيط الأسبوعي، والتخطيط الشهري، والتخطيط السنوي.

وهذا بلا شك خلاف التخطيط الخاص بكل هدفٍ على حدة والذي يُقام به قبل الشروع في عملية التنفيذ، ذلك أنّ الفرد قد يخطط لبضعة أهداف ضمن فترات زمنية مختلفة، مثال ذلك قد يكون له خطة نيل درجة علمية تستغرق ست سنوات، وخطة لانتقاله لوظيفة أخرى خلال ثلاث سنوات، وخطة ثالثة تستغرق أحد عشر شهراً، وخطة رابعة تستغرق سنة واحدة. والتخطيط الدوري الذي أقصده هنا هو خلاف ذلك التخطيط للأهداف الخاصة قبل البدء في العمل على بلوغها، لكنّه يتعلق بتقويم سير كل هذه الخطط مجتمعة بشكل دوري منتظم.

وذلك التخطيط الدوري يجب أن يتناول تقييم الماضي والنظر في خطة المستقبل، وذلك من خلال دراسة سير العمل خلال الفترة الماضية بغية تسديد الخطى وتعديل الخطط متى كان ذلك ضرورياً، ولقد خلصت إلى أن يكونِ ذلك دوماً بحسب القاعدة التالية:

التخطيط الدوري يُعنى بتقويم الدورة الزمنية الماضية وتعديل خطة الدورة الزمنية القادمة

مثال ذلك أنّ التخطيط اليومي يعمل على تقييم عمل الأمس وتعديل خطة عمل اليوم، والتخطيط الشهري يقيّم عمل الشهر الماضي وينظر في خطة الشهر القادم، والتخطيط السنوي يقيّم مسيرة عام مضى ويخطّط لعام آت.

وكلما كبُرت الدورة الزمنية كان التخطيط أعم، حيث ينظر في الأهداف العامة والخطوات الأساسية، مثال ذلك التخطيط السنوي. وعلى العكس، كلما صغُرت الدورة الزمنية كان التخطيط أكثر دقة، فينظر في الخطوات التنفيذية الصغيرة وكيفية إنجازها، مثال ذلك التخطيط اليومي. وإنني سأبدأ من العام إلى الخاص، أي من التخطيط السنوي إلى اليومي في تبيان خطوات التخطيط الدوري.

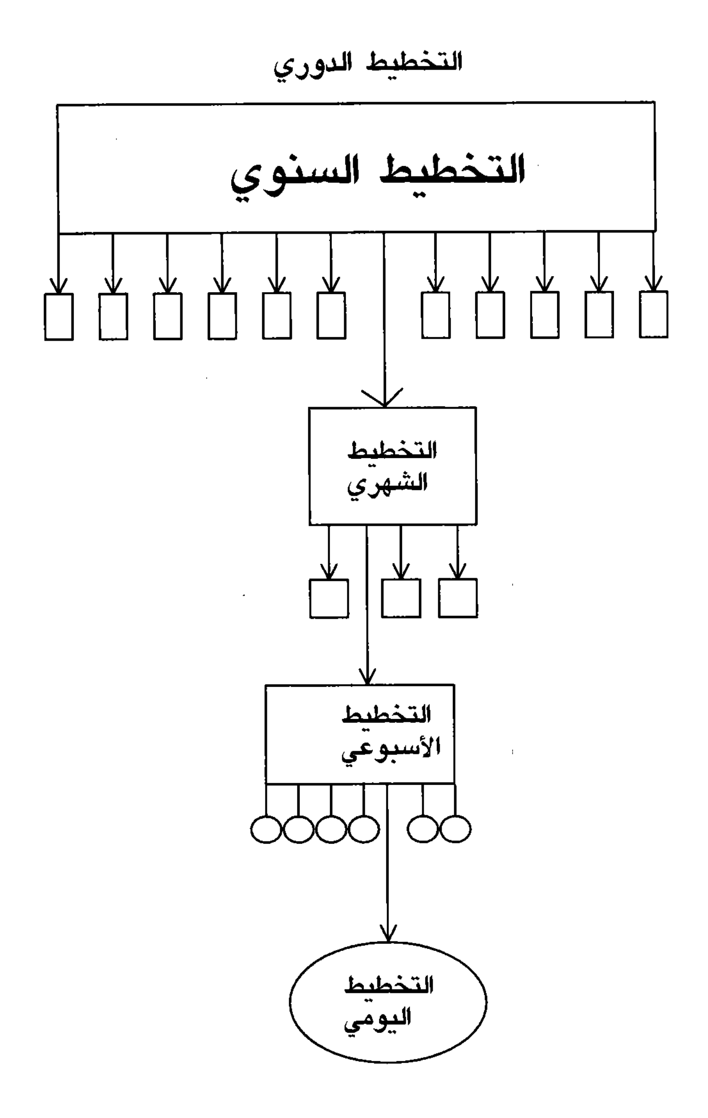
ولعله من الأهمية بمكان أن تستثمر في ذلك التخطيط الدوري أوقاتاً ثابتة بشكل دائم، وإنّني أنصحك بما جرّبته ووجدت فيه المنفعة الكبيرة، وذلك بأن يكون للتخطيط الأوقات الآتية:

* استثمر آخر أسبوع من كل عام للتخطيط السنوي، وفي ذلك فرصة مناسبة لمحاسبة نفسك عن عامٍ مضى، والنظر في العام المقبل.

* استثمر آخر يوم من كل شهر في التخطيط الشهري.

* استثمر ٢ ـ ٣ ساعات كل يوم جمعة في التخطيط الأسبوعي.

* استثمر قرابة ٢٠ دقيقة كل يوم في أوّله في التخطيط لذلك اليوم.



١ ـ التخطيط السنوي:

لا بد لكل إنسان من وقفة سنوية يراجع فيها نفسه ويحاسبها على مضي عام من عمره، ثم يحدد بدقة ووعي ما يريد أن يقوم به خلال العام

القادم، بدون تلك الوقفة السنوية قد تضيع السنون تلو السنين ولا يعلم الإنسان نفسه ماذا قدّم خلال حياته.

ولكل إنسان فعّال في اغتنام عمره أهداف طويلة المدى تستغرق سنة فأكثر أو أهداف مرحلية تستغرق أشهراً، تلك الأهداف المتعددة في مجالاتها وأحجامها ومدتها توقع صاحبها بالارتباك إن لم يكن على درجة عالية من التنظيم والدقة، وخاصة حينما تجمع الخطط المتعددة الخاصة بهذه المشاريع والأهداف. لذلك من المهم اتباع الخطوات التالية خلال التخطيط السنوي:

١ ـ مراجعة رسالتك الحياتية، وهي رؤيتك الكلية للحياة ودورك الخاص فيها[١].

٢ ـ راجع خطتك السنوية للعام الماضي، وتعرّف على ما أنجزت منها وما لم تنجز، وإلى أي مدى كان نشاطك خلال العام الماضي ترجمة لرسالتك الحياتية وأهدافك.

٣ ـ حدّد الأهداف العامة التي تريد إنجازها خلال العام المقبل، وهذه الأهداف تتكون من:

أ ـ أهداف قديمة لم تنجزها خلال العام الماضي.

ب ـ أهداف جديدة لم تتناولها من قبل.

جـ ـ مراحل أساسية لأهداف طويلة المدى يستمر العمل على إنجازها.

٤ ـ اكتب توصيف كل هدف بحسب ما ورد في المبحث الثاني[٢]، ثم

---

(١) لأهمية موضوع الرسالة الحياتية، فقد أفردت له فصلاً كاملاً وتناولته بتفصيل مناسب في الفصل الثاني، راجع: ص٢٥٣ ـ ٢٦٥.

(٢) راجع: ص٣٢٩ ـ ٣٣٢.

بيّن المراحل الكبرى لبلوغ كل هدف، ويمكنك هنا برمجة تلك المراحل خلال الأشهر بشكل عام غير مفصل.

٥ ـ اجمع توصيف الأهداف السنوية وخطواتها في لائحة واحدة تبيّن مجموع الأهداف في كل حقل من حقول حياتك المختلفة، ربما تكون النتيجة هدفاً كبيراً في مجال العمل الإسلامي، وهدفين في مجال الحياة العائلية، وهدفاً في مجال طلب العلم، وأربعة أهداف في مجال العمل الوظيفي، وهكذا.

٢ ـ التخطيط الشهري:

لا يختلف التخطيط الشهري كثيراً عن التخطيط السنوي سوى أنه أكثر دقة وتفصيلاً من التخطيط السنوي، وكونه خاصاً بمرحلة زمنية قصيرة هي شهر واحد، وهو يتعلق بمراجعة ما أنجزت خلال الشهر الماضي والتخطيط للشهر القادم بحسب القاعدة آنفة الذكر. وهذه المرحلة من التخطيط الدوري تتكون من الخطوات التالية:

١ ـ راجع رسالتك الحياتية.

٢ ـ راجع خطة الشهر الماضي، وحدّد ما أنجزت خلال الشهر وما لم تستطع إنجازه، وانظر هل كان سلوكك العملي خلال الشهر الماضي تبعاً لرسالتك الحياتية وأهدافك.

٣ ـ راجع خطة العام وما يجب أن تقوم به من تلك الخطة خلال الشهر القادم.

٤ ـ حدّد من خلال الخطوات أعلاه أهداف الشهر القادم، وقد تكون مجموعة من:

أ ـ أهداف لم تستطع إنجازها لسبب ما من خطة الشهر الماضي.

بـ ـ مراحل جديدة لأهداف يستمر العمل عليها بحسب الخطة السنوية.

جـ ـ أهداف طارئة جديدة.

٥ ـ اجمع ما تريد إنجازه هذا الشهر في لائحة أهداف الشهر القادم مع المراحل الأساسية التي يجب القيام بها لكل هدف.

٣ ـ التخطيط الأسبوعي:

التخطيط الأسبوعي يبين ما تريد أن تحققه خلال الأسبوع، وذلك من خلال تحديد المهام التي يجب إنجازها قبل نهاية الأسبوع القادم بحسب متطلبات أهدافك الحالية، وقد يُقام بهذا التخطيط عند نهاية الأسبوع أو عند بدايته، لكن يجب اختيار وقتٍ ثابتٍ في يوم محدد أسبوعياً من أجل هذا النشاط المتكرر.

وخطوات التخطيط الأسبوعي كالتالي:

١ ـ راجع نشاطات أيام الأسبوع الماضي يوماً بيوم، وانظر هل كان سلوكك العملي خلال هذا الأسبوع تبعاً لما خطّط له.

٢ ـ راجع خطة الشهر الحالي، وحدّد ما يجب أن تقوم به من تلك الخطة خلال الأسبوع القادم.

٣ ـ حدّد من خلال الخطوات أعلاه مهام الأسبوع القادم، وقد تكون مجموعة من:

أ ـ مهام لم تستطع إنجازها لسبب ما خلال الأسبوع الماضي.

ب ـ مهام جديدة لأهداف يستمر العمل عليها بحسب الخطة الشهرية.

ج ـ مهام طارئة جديدة.

٤ ـ استخدم مفكرة أو آلية لإدارة الوقت، ووزّع مهام الأسبوع عليها بحسب اليوم، كلٌ في يومه ووقته.

٤ ـ التخطيط اليومي:

إن نتيجة التخطيط العملية تكمن في الاستعمال الأمثل والأحكم لوقتك اليومي، وإنّ ذروة إنتاج الفرد تكمن في يومه الذي يعيشه، وقد

عرّفت الحياة الناجحة بأنّها النجاح في كل يوم[1]، فالحياة عبارة عن أيام متصلة ببعضها البعض مؤلفة لأسابيع وأشهر وأعوام، والنجاح في الحياة ككل عبارة عن مسيرة من النجاح اليومي، والنجاح في يومك يعني القيام بأهم ما تستوجبه مسؤولياتك من واجبات ومهام.

في كتابه «القوانين الطبيعية العشر في إدارة الوقت والحياة»، يشير هيرم سميث إلى وجود قوانين طبيعية في الكون والحياة، كقانون الجاذبية لا نعلم كيف يحصل ولماذا لكنه موجود وحاكم لكثير من حركة الإنسان على الأرض، كما أنّ هنالك الكثير من القوانين التي تسير حياتنا تبعاً لها دون أن نتمكن من مخالفتها أو تغييرها، إنّ كيفية تحليق طائرة بوينغ ٧٤٧ في الهواء تكون تبعاً لقوانين طبيعية، وكذلك بناء الإنسان لسد على نهر يجب أن يتماشى مع قوانين أخرى. أمّا القوانين العشر التي يتحدّث عنها الكاتب فهي التي تحكم الإنتاج الفردي، وأحد هذه القوانين هي: «التخطيط اليومي باستمرار يفعّل الوقت ويزيد التركيز»[2].

وجاء في كتاب «مدير الدقيقة الواحدة» الذي استمر لعامين من ضمن أكثر الكتب مبيعاً في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي بيع منه ٧ ملايين نسخة في عدة لغات حول العالم، يقول مؤلفاه إنّ النجاح في بلوغ الهدف يعتمد على خطوات ثلاث بسيطة للغاية، لكنها أساسية[3]:

١ ـ كتابة توصيف الهدف، بحيث لا يتعدى صفحة واحدة ولا تستغرق قراءته دقيقة واحدة.

٢ ـ قراءة توصيف الهدف يومياً، بحيث تأخذ دقيقة واحدة لمراجعته كل يوم.

٣ ـ تقييم عملك في ظل ذلك الهدف يومياً لمعرفة ما إذا كان سلوكك العملي يتوافق معه.

---

(١) Earl Nightingale, Lead The Field, Niles, Illinois, Nightingale-Conant Corporation, 1992, P.57.

(٢) Hyrum Smith, The Ten Natural Laws of Successful Time and Life Management, P.98.

(٣) Kenneth Blanchard, and Spencer Johnson, The One Minute Manager, P.34.

وبذلك تستطيع أن تنفذ القاعدة العملية للتأكّد أنّك تسير نحو أهدافك في كل يوم: «خذ دقيقة واحدة! انظر في هدفك! ثم انظر في حياتك! وانظر هل سلوكك يوافق هدفك»[1].

ولكي يمكنك التخطيط اليومي بشكل فعّال يجب أن تستخدم مفكرة يومية أو آلية لإدارة الوقت، وهذه الآلية هي أفضل مكان لتكوين قائمة بمهام اليوم، فتساعدك على تركيز جهودك وحصر انتباهك فيما يجب العمل عليه ذلك اليوم، وإنّ العمل بجد وحيوية على إنجاز المهام في هذا الجدول خلال يومك هو أساس الإنتاج الفعال، ذلك لأنّ الخطوات التنفيذية أو الأحداث تحصل بشكل يومي ومقياس الإنتاج الفعلي يحصل خلاله، بينما التخطيط قد يكون بشكل أسبوعي وشهري وسنوي وبحسب الحاجة.

إن شكل قائمة مهام اليوم قد تختلف من شخص لآخر، وقد تكتب على أي نموذج تحتفظ به يومياً، المهم أن تكون القائمة مبرمجة حسب الوقت وحسب الأولوية. لكنّني أؤكد على ضرورة استخدام آلية خاصة بإدارة الوقت، لا مجرد أوراق متناثرة، أو نماذج منفردة كل نموذج ليوم منفصل عن باقي الأيام، ذلك لأنّ اليوم جزء من الأسبوع والأسبوع جزء من الشهر، والشهر جزء من العام، لذلك فإنّ اتخاذ آلية إدارية تضم أيام العام كاملة للربط بين الماضي والحاضر والمستقبل مسألة غاية في الأهمية.

بعد تسجيلٍ كامل ودقيق لمهام وأحداث يومك، قد يطرأ عليك خلال النهار عمل غير متوقّع، عندها لا تجعل ذلك العمل يخرجك عن مخطّطك، بل سجّل هذا العمل الجديد على برنامجك، ثم قيّم أهميته بالمقارنة مع غيره، وبرمجه في وقت تراه الأنسب بحسب ما تقتضيه المصلحة، المهم أن لا تجعل عملاً خارجياً يثنيك عن برنامج يومك. وعند نهاية اليوم ـ أو عند بداية اليوم التالي ـ راجع برنامج المهام اليومية،

---

(١) المرجع السابق، ص٧٤.

وحول إلى اليوم الثاني أو إلى يوم آخر المهام غير المنجزة، هذا أبسط ما يقال حول التخطيط اليومي.

خطوات التخطيط اليومي:

إن استغلال أوقات النهار مطلب كل إنسان فعَّال في حياته، وإن التخطيط اليومي من خلال وضع لائحة المهام اليومية أعظم وأبسط أسلوب لإدارة الوقت، وهذا يحدد النشاطات اليومية المرتبطة بأهدافك الكبرى التي نتج عنها مخططاتك المرحلية، إنها تتضمن أيضاً مهام يومية أخرى وأحداث طارئة تخص معيشة الإنسان، كشراء حاجيات البيت وموعد الطبيب والرياضة اليومية وما شابه.

وينصح جون كندريك في كتابه «الإنتاجية الشخصية» أن يقوم الفرد بخمس خطوات عندما يضع لائحة مهام يومه، وهي كالتالي[1]:

١ ـ مراجعة الخطط المرحلية.

٢ ـ كتابة مهام اليوم.

٣ ـ ترقيم المهام حسب أهمية كل عمل.

٤ ـ تقدير الوقت المطلوب لإنجاز كل نشاط.

٥ ـ برمجة الأعمال في أوقات محددة.

لكنّ خطوات التخطيط اليومي تختلف إلى حدٍ بسيط بين إداري وآخر، لكنها جميعاً تهدف إلى تنظيم مهامك خلال اليوم لتقوم بأهم الأعمال بشكل فعّال. وهذا التخطيط اليومي ضروري لكل فرد يريد النجاح، لذا أقول: إنّ أهم أوقات يومك قرابة ٢٠ دقيقة عند بداية كل يوم تقضيها في برمجة أعمال ذلك اليوم بوعي عميق وبكل دقة، وذلك بما يتلاءم مع أهدافك المرحلية وأولوياتك الآنية، ومن خلال دراستي الطويلة في هذا المجال أرى أنّ خلال تلك الدقائق يجب القيام بالخطوات التالية:

---

(١) John W. and John B. Kendrick, Personal Productivity, P.116.

١ ـ اختر بيئة خالية تماماً من المقاطعات في وقت صفاء ذهني كامل عند بداية نهارك، وربما يكون ذلك في الصباح الباكر خلال ما أطلقت عليه الساعات المباركات، حيث أنّ معظم الناس يفكرون بصورة أفضل عند وجودهم في عزلة تامة، واجلس لأهم وقت في يومك.

٢ ـ راجع خطة الأمس، واختر منها ما لم تستطع إنجازه لتحويله لليوم أو للمستقبل، ويمكنك هنا إن أردت مراجعة أي لائحة بمهام غير مبرمجة في يوم محدّد.

٣ ـ حدد مهام اليوم ضمن قدراتك المتاحة، وتلك المهام عبارة عن خطوات تنفيذية يومية أو بعبارة أخرى أحداث يجب القيام بها لكي تصل لأهدافك، وهي تتكون من:

أ ـ مهام كانت مبرمجة لهذا اليوم حينما قمت بالتخطيط الأسبوعي.

ب ـ مهام من الأمس لم تستطع القيام بها.

جـ ـ مهام جديدة طارئة خلال اليوم.

د ـ تكملة لمهام لم تستطع الانتهاء منها في الماضي.

٤ ـ توقع العقبات وذلك من خلال برمجة سلم الأولويات، حتى وإن لم تستطع إتمام كل شيء فإنّك تقوم بالأهم أولاً. ولا أرى برمجة المهام بأوقات محددة إلّا إن كانت مواعيد واجتماعات محددة، وذلك لكي يكون التنفيذ بحسب الأولويات فقط مهما أخذت من وقت.

وإنّ برمجة سلم الأولويات خلال التخطيط اليومي أمر في غاية الأهمية، وكنت أود أن أفرد له فصلاً في مخطط الدراسة الأولي، لكنّ هذه الدراسة وصلت لحجم لا أريد تعديه فمنعني من ذلك، فاكتفيت بذكر مفهوم برمجة سلم الأولويات وكيفية تحديدها في الفقرات أدناه.

المطلب السادس: برمجة سلّم الأولويات

لقد ذكرت سابقاً أن كمية الوقت المتاح لكل فرد ثابتة لا تتغير، وأنَّ اختلاف إنتاج البشر يكمن في الاستعمال الأحكم لأوقاتهم، لكن الأعباء

ومتطلبات الحياة قد تتكاثر على الفرد، بحيث يصعب إنجاز كل شيء في ذلك الوقت المتاح، عندها يتوجب العمل حسب الأولويات، ذلك لأنّه عندما تقرر القيام بعمل معين خلال وقت ما، فأنت تقرر أيضاً عدم القيام بأعمال أخرى خلال هذا الوقت نفسه، لذلك من الحكمة أن يُستثمر الوقت في المهام ذات الأولوية فوق غيرها.

طالما يعتذر الناس عن عدم القيام بعملٍ ما بضيق الوقت، لكن عندما نتفكر في المشكلة نجدها أعمق من كونها «قلة وقت»، إنها مشكلة أولويات، لعلك تقول: إنّني أجدّ طوال النهار في اجتماعات، ومكالمات هاتفية، ووثائق، ومواعيد، وارتباطات متعددة، وإنّني أعمل إلى أقصى حدود طاقتي ولا أنام إلا مرهقاً، ثم أستيقظ في الصباح الباكر من أجل معاودة الكرة. لكن هل ما تقوم به حقاً كله هام؟ بالطبع لا! فإنّ «من أهم ما يجب أن تقنع نفسك به في حقل إدارة الوقت أنه يوجد وقت كاف لكل ما يهمك في حياتك، لكن يجب تحديد ما يهمك فعلاً»[(١)].

لذلك هنالك حقيقة هامة جداً قد تغيب عن الكثيرين أثناء التخطيط، وهي أن مهام أي إنسان ليست متساوية من حيث الأهمية، لنأخذ مثالاً أنّ برنامج يومك الذي وضعت يحوي اثنتي عشرة نقطة، ولأسباب خارجة عن مجال قدرتك قمت بإنجاز خمس منها فقط، فهذا جيد في حال كون ما أنجزت يمثل الأولويات من ضمن تلك الأعمال، حتى ولو قمت بإنجاز نقطتين أو ثلاث فقط، بينما في حال عدم برمجة الأولويات قد تجد عند نهاية النهار أنك قمت بثماني نقاط من تلك الاثنتي عشرة وغفلت عن النقطة المهمة جداً التي لا تؤجل أبداً، فتشعر عندها بالإحباط لضرر حصل بفواتها.

---

(١) Nina Tassi, Urgency Addication, Dallas, Taylor Publishing Company, 1991, P.137.



ذلك أنّ مصالح الدنيا والآخرة متفاوتة في الأهمية كثيراً، فمنها الراجح ومنها المرجوح، قال العز بن عبد السلام: «وتقديم المصالح الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن، ودرء المفاسد الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن، اتفق الحكماء على ذلك»(١).

وأوصى العباس بن الحسن العلوي، وكان من العلماء الأفذاذ وصحب الخليفة هارون الرشيد والخليفة المأمون بعده، فقال: «اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء، ففرغه للمهم، وأن مالك لا يغني الناس كلهم، فخُصَّ به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطبق العامة ـ أي لا تعمم وتتسع لهم ـ فتوخَّى بها أهل الفضل، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن دأبت فيهما، فأحسن قيمتهما بين عملك ودعتك من ذلك، فإن ما شغلتَ من رأيك في غير المهم ازدراء بالمهم، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق، وما عمدت من كرامتك إلى أهل النقص أضر بك في العجز عن أهل الفضل، وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة»(٢).

وقال الإمام المحدث الفقيه أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي:

---

(١) العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مرجع سابق، جـ ١ ص٥.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، جـ ١٢ ص١٢٦.

«فإن الاشتغال بالمفضول عائق عن الوصول إلى الأفضل، ومستهلك من الوقت ونشاط الجسم ما يقعد بالمرء عن بلوغ ما يحب ويريد»[1].

وإن أوضح ما قيل في الأولويات ما أوصى به خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﵁، عن أبي مليح أن أبا بكر الصديق ﵁ لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب ﵁ فقال: «إني أوصيك بوصية، إن أنت قبلتها عني، إن لله ﷻ حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله ﷻ حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإن الله ﷻ لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة»[2].

إنها وصية جامعة لخليفة خليفة رسول الله ﷺ، وهي بمثابة المدخل الأساسي لمفهوم الأولويات حيث أن لكل وقت عمله، فإن المغلوب على عقله قد يصلي النوافل ويترك الفرائض، أو يتصدق ولا يزكي، أو يعتمر ولا يحج، لأنه بذلك يقدم الأقل أهمية على الأهم.

وإنّ مراعاة الأولويات هي جزء أساس من التخطيط، وهذا يتطلّب تحديد أهم الأعمال لكي يستثمر الوقت فيها، وكثير من الناس يعتقدون أن برمجة الأولويات هي ترتيب الأعمال بحيث يُقام بهذا العمل أولاً ثم ذاك وهكذا، لكن يسبق هذا معرفة مراتب الأعمال بعد الدراسة الواعية لقيمة كل عمل بالنسبة لغيره.

١ ـ الاستثمار الأربح للوقت:

من أقدم وأشهر القصص حول عملية التخطيط بحسب الأولويات أن شارلز شواب، الذي كان رئيساً لمصنع «فولاذ بيت لحم» في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينات، طرح تحدياً في اجتماع أمام مستشاره

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، جـ ٤ ص٣٨٥. نقلاً عن عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٢) ابن زبر الربعي، وصايا العلماء عند حضور الموت، ص٣٢. نقلاً عن جاسم محمد بدر المطوِّع، الوقت عمار أو دمار، مرجع سابق، جـ ٢ ص٨٩.

الإداري قائلاً: «دلني على طريقة أنجز فيها أكثر بوقتي وسأدفع أي أجر تختاره ضمن المعقول»، فقال مستشاره أيفي لي بعد أن أعطاه ورقة فارغة: «اكتب هاهنا المهام التي يجب أن تقوم بها ليوم غد ثم رقّمهم بالترتيب حسب الأهمية، وغداً صباحاً ابدأ حالاً برقم ١، واستمر في العمل عليه بدون لفت انتباهك لأي شيء آخر حتى ينتهي، عندما تنهي أول مهمة أعد النظر في ترتيب الأولويات على الورقة، ثم ابدأ برقم ٢ واستمر بدون توقف وانتقل إلى ما بعده وهكذا. وإذا لم تنه كل المهام لا تقلق فبدون نظام معين كنت على أغلب الظن لن تبلغ ما أنجزته ولا حتى تحديد العمل الأهم»، ثم أضاف: «الآن اجعل هذه الطريقة عادة تقوم بها في كل صباح، وجربها لأي فترة تريد، وحينما ينجح هذا النظام لديك أرسل لي شيكاً بالأجر الذي أستحقه». وبعد عدة أسابيع عندما جرّب شارلز هذه الفكرة ووجدها ثمينة أرسل لأيفي لي شيكاً بـ٢٥,٠٠٠ دولاراً - وهذا المبلغ كان ضخماً جداً في الثلاثينات - ومع هذا المبلغ أرسل رسالة يقول فيها: «كان هذا الدرس الأكثر نفعاً لي من كل ما تعلمت في حياتي»، بعد ذلك صاغ شارلز شواب خطة إدارية تتبع من قبل جميع إداريي مصنعه مبنية على نظام إيفي لي في برمجة الأولويات، وكان يشرف بنفسه على تنفيذ ذلك النظام الذي كان سبباً في نقل المصنع إلى أكبر منتج للفولاذ في العالم في ذلك الوقت، وعندما سُئل شارلز من قبل أحد أصدقائه: «كيف تنفق هذا المال على فكرة بسيطة كهذه؟»، أجابه: «كان هذا المبلغ أفضل استثمار قمت به للمصنع في ذلك العام»[١].

ويطلق ريتشرد وينوود في كتابه «إدارة الوقت» الصادر عن مؤسسة فرنكلن للتدريب الإداري على عملية برمجة الأولويات عبارة «تفكير أشعة الليزر» فيقول: «برمجة الأولويات كأشعة الليزر، فكما أن أشعة الليزر هي

---

(١) Richard I. Winwood, Time Management, P.16-17.

شعاع دقيق ومركز من الطاقة موجه نحو هدف معين، فكذلك التفكير بحسب الأولويات حيث نركز فكرنا وطاقتنا على أهم أولوية في حياتنا لننجزها[1]. وإنّ برمجة الأولويات والعمل بحسب ذلك فيه حماية من ضياع الوقت والجهد في ما دون المهم، وإنّنا عندما نعيش حياتنا يوماً بيوم ضمن الأهم من الأعمال والنشاطات نستثمر بذلك عمرنا بالكامل، كما يذكر الدكتور عماد الدين خليل في قوله الموجز: «ترتيب الأولويات حماية للجهد واغتناماً لفرصة العمر»[2].

٢ ـ الأولويات أولاً:

مفهوم العمل بحسب الأولويات يدور حول هذه العبارة «أنجز الأهم أولاً»، ولقد ألف مؤسّس مركز كوفي للتدريب القيادي كتاباً حول ذلك بعنوان «أولى الأمور أولاً، فقال بأن: «القاعدة الأساسية لهذا المبدأ هي أن تجعل الأمر الأهم لديك هو الأهم فعلاً في حياتك»[3]، وهو يعني أن تجعل أولويات حياتك من منطلق نظري هي فعلاً ما تقوم به من منطلق عملي.

ومع سهولة وأهمية هذه العبارة واقتناعنا جميعاً بصوابها، إلا أن تصرفات السواد الأعظم من الناس تتناقض معها تماماً. ومع العلم أن الإنسان مسؤول عن تصرفاته وصاحب القرار فيما يفعل في معظم وقته، لكنه يصرف أوقاتاً طويلة فيما هو دون المهم تاركاً كماً ضخماً من المسؤوليات المناطة به والتي تقع ضمن أولوياته الحياتية.

لقد أمضى كراي حياته في بحثٍ سجَّل نتيجته في كتابه «العنصر المشترك للنجاح»[4]، فوجد أنّ الشخص الناجح عادته فعل الأشياء التي لا

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، مرجع سابق، ص١٣.

(٣) Stephen R. Covey, First Things First, P.75.

(٤) E.M. Gray, The Common Denominator for Success. Stephen R. covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.148-149.

يحب أن يقوم بها الفاشل، ذلك أنّ القيام بالأولويات يحتاج مجاهدة للنفس ومثابرة على تحمّل الصعاب، وفي بحثه هذا خلص إلى أن العنصر المشترك في جميع الناجحين في حياتهم هو: «الأولويات أولاً»، هذا يعني أنّ ذوي الفعالية والنجاح في عملهم عادتهم استثمار أوقاتهم بالمهام ذات الأهمية الأكبر قبل أي شيء آخر.

٣ ـ تحديد الأولويات:

عندما تكثر الأعمال وتتطلب أكثر من الوقت المتاح لديك يجب تقييم كل عمل لمعرفة ماذا تقوم به وماذا تترك، حتى لا نترك الأهم لنقوم بما هو أقل منه أهمية، ذلك لأن مصرف الوقت لمعظم الناس من دون تحديدٍ للأولويات كالآتي[1]:

١ ـ نقوم بما نحب القيام به قبل ما نكره القيام به.
٢ ـ نقوم بما نتقن فعله قبل ما لا نتقن فعله.
٣ ـ نقوم بالأمور السهلة قبل الأمور الصعبة.
٤ ـ نقوم بما يحتاج أوقات قصيرة قبل ما يحتاج أوقات طويلة.
٥ ـ نقوم بما له موعد قبل ما لا موعد له.
٦ ـ نقوم بطلبات الغير قبل أمورنا الخاصة.
٧ ـ نقوم بما هو اضطراري قبل ما هو هام.
٨ ـ نقوم بما يعطي نتائج عاجلة دون ما يعطي نتائج بعيدة المدى.

أمّا إذا أردنا أن نقوم بالأولويات أولاً، فعلينا أن نحددها أولاً، وذلك من خلال خطوتين بسيطتين:

أولاً: ضع لائحة بالمهام التي تود العمل على إنجازها.

ثانياً: حدّد درجة أولوية كل عمل على اللائحة بالمقارنة مع الآخرين.

---

(١) Merrill E. Douglass, Manage Your Time, Manage Your Work, Manage Yourself, P.27.

يمكنك استعمال الأرقام ١، ٢، ٣... أو الأحرف الهجائية أ(أهم) م(مهم) ع(عادي) للدلالة على درجة أولوية كل عمل عبر وضع أحد تلك الرموز بجانبه، ولقد رمزت لسلم الأولويات بالأحرف هذه ليسهل فهمها وتقسيمها إلى ثلاث درجات:

أ ـ الدرجة العليا: وهي تمثل الأعمال الأهم التي يجب القيام بها، وتمثل أعلى درجة أولوياتك، إنها مهام حساسة لا تحتمل التأجيل أو الإهمال، وهي عادة قليلة في عددها وتعطي النتاج الأضخم.

م ـ الدرجة الوسطى: وهي الأعمال المهمة التي يُفضل ويُستحسن القيام بها، وهي مهام ذات أهمية لكنها ليست الأهم، ويسبقها في سلّم الأولويات ما كان في الدرجة أعلاه، لذلك يقام بها فقط بعد الانتهاء من جميع المهام في الدرجة العليا.

ع ـ الدرجة السفلى: وهي الأعمال والنشاطات العادية التي يُمكنك القيام بها إن سنحت الفرصة، وهي أقل درجة في سلم الأولويات.

وإنّ أبسط نموذج لبرنامجك اليومي ما احتوى على لائحة بالنشاطات والمهام التي تريد القيام بها، إضافة إلى درجة أولوية كل عمل، وكذلك مواعيد النشاطات المؤقتة بأوقات خاصة، مثال ذلك الآتي:

درجة الأولوية	النشاط	الموعد
أ/ ١	إنهاء الخطة الإعلامية السنوية	
أ/ ٢	اجتماع الفريق الإعلامي	٣:٣٠
أ/ ٣	شراء الدواء لابنتي	
م	متابعة طباعة النشرة	
ع/ ١	الاتصال بالمحاسب	
ع/ ٢	كتابة رسالة لحسن	
ع/ ٣	زيارة الجار إن استطعت	٧:٠٠

قد تزيد على درجات الأولوية كما هو مبيّن أعلاه، بحيث إنّه في حال

وجود أكثر من عمل واحد في درجة الأولوية أ، يمكنك ترقيم كل المهام في تلك الدرجة بالتسلسل الذي تريد أن تتّبعه، فنرى في المثال أعلاه أنّ إنهاء الخطة الإعلامية وكذا اجتماع الفريق الإعلامي في نفس الدرجة، لكن يجب أنّ تنهي الخطة قبل البدء في الاجتماع، فتقوم بـ أ/ ١ ثم أ/ ٢ ثم أ/ ٣، وبعد ذلك تنتقل للدرجة الثانية م. وكما ترى جميع المهام أعلاه غير مؤقتة بموعد سوى أ/ ٢ التي يجب أن تقوم بها الساعة ٣:٣٠.

والأولوية قد تختلف حسب الوقت، فالأولوية لعمل معين اليوم قد تكون درجتها م وتصبح غداً أ بسبب موعد ما، والأولوية أ اليوم قد تصبح ع غداً، وفي الاستخدام الأمثل لهذا النظام عدد المهام يكثر كلما نزلنا في سلم الأولويات، فقد تجد مهام كثيرة في درجة ع بينما تكون قليلة في الدرجة الأولى، وهذا سببه أن الأولويات الحقيقية العليا في نهارك ليست بالضرورة كثيرة. الأمر الهام هنا أن لا تصرف وقتاً على عمل متوسط الأهمية بينما لديك عمل له أولوية عليا خلال هذا اليوم. وهنالك سبل عديدة لدراسة درجة أولويات كل عمل، وأنت الشخص الأمثل للحكم على ذلك.

٤ ـ معايير تحديد الأولويات:

هنالك ثلاثة معايير أساسية نستطيع من خلالها تحديد سلم الأولويات لأعمالنا وهي الآتي:

١ ـ **الحكم الشخصي**: إنّك الشخص الأمثل لمعرفة ما الذي يجب عمله ومتى وأهمية كل عمل.

٢ ـ **النسبية**: عند مقابلة المهام بعضها ببعض سيصبح واضحاً أن بعضَها يقع ضمن درجة الأولويات العليا وبعضَها دون ذلك، وهذا يُعين في معرفة ما هو أفضل لاستثمار وقتك في كل آن.

٣ ـ **التوقيت**: المواعيد النهائية لإتمام كل عمل والمدة التي يأخذها ذلك العمل تؤثر على درجة أولويته، بحيث يُبدأ العمل عليه في الوقت المناسب حتى يُنتهى منه في موعده.

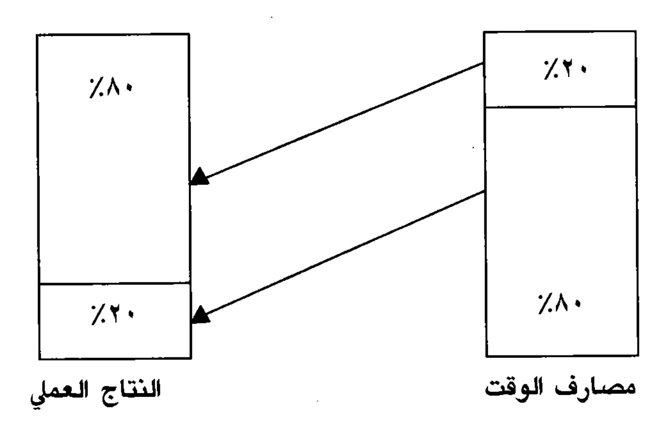
٥ - قانون باريتو[١] (قاعدة ٨٠/ ٢٠):

لقد وضع باريتو مبدءاً هاماً في الإنتاج الفردي والمؤسسي، فقال بأنّ الأعمال تنقسم من حيث مصارف الوقت والإنتاج الحاصل خلالها إلى قسمين أساسيين:

١ - الروتين اليومي.

٢ - الأهداف أو المشاريع.

واستنتج من دراسته التي أطلق عليها اسمه، والمعروفة أيضاً بقانون (٨٠/ ٢٠) أن الأعمال التي تقدم ٨٠٪ من الإنتاج تكمن في استثمار ٢٠٪ من الوقت فقط! ويحصل ذلك حينما يكون مصرف الوقت على المشاريع والأهداف والأولويات، بينما الـ ٢٠٪ الأخرى من الإنتاج تأتي من الـ ٨٠٪ من الوقت المتبقي، وهذا يتضح عبر الرسم أدناه[٢].



لذلك من المهم تماماً التركيز على الأعمال التي تكمن في مصرف الـ٢٠٪ لزيادة نسبتها وذلك بغية إنتاج أكبر، بينما نحاول جاهدين التقليل من النسبة الأخرى، وهذا يكون حينما نستثمر وقتنا في الأولويات الأساسية في حياتنا بدلاً للنشاطات الروتينية التي قد لا نقوم بها إلا لتعودنا عليها.

---

(١) Pareto Principle.

(٢) Managing Multiple Projects, Objectives and Deadlines, Skill Path Inc., P.7.

فصرف الوقت لا يعني بالضرورة استفادة وعملاً منتجاً، فإنَّ العمل على أشياء غير هامة ولا تمت للأولويات العليا بصلة هو عبارة عن مضيعة للوقت.

وهذا القانون يدل على أنه ليس المهم مقدار الوقت الذي صرفته في عمل ما، بل في أي نوع من النشاطات والأعمال صرفته، هذا يعني أننا لكي نستفيد من أوقاتنا يجب أن نصرفها في الأولويات التي تخدم أهدافنا ومشروعاتنا الحيوية، وهنا نخلص لما بدأنا به في الفصل الأول وهو أن أهمية الوقت تكمن في أهمية العمل الذي يُصرف فيه.

وهذا القانون متعارف عليه ومتفق عليه في المجالات الإدارية المختلفة، جاء في المجلة الإدارية الرائدة لجامعة هارفرد أنه «في الحياة الاجتماعية عدد قليل من الحوادث ـ ١٠٪ إلى ٢٠٪ على الأكثر ـ يكون مسؤولاً عن ٩٠٪ من النتائج الإجمالية، بينما أكثر الحوادث (النشاطات والأعمال) تعطي ١٠٪ أو أقل من النتاج العام»[1].

وهذا القانون صحيح كذلك في عالم التسويق بحيث إنَّ معظم الشركات تبيع قرابة ٨٠٪ من منتوجها إلى قرابة ٢٠٪ فقط من زبائنها. وفي مجال تمويل المشاريع الخيرية عن طريق جمع الصدقات، وجدت أن قرابة ٨٠٪ من المدخول يأتي من حوالي ٢٠٪ من المتبرعين، وباقي الـ٢٠٪ من المدخول يأتي من باقي المتبرعين وهكذا.

المطلب السابع: آليات إدارة الوقت

من خلال العرض السابق يتبيّن لنا أنّ إدارة الوقت تتعلق بتوصيف الأهداف والتخطيط لبلوغها، ثم التحكم بالنشاطات اليومية للسير بحسب ذلك التخطيط، لكنّ ذلك يتطلب استخدام آلية تستطيع من خلالها تنظيم

(١) Fifteen key Concepts for Managerial Success, Harverd Business Review, Boston, Harvard Business School Publication Corp, 1991, P.59.

المهام والأحداث في كل آن من وقتك، وإنّ الحاجة لهذه الآلية تتأكّد لمن ازدحمت حياته بالمسؤوليات الكثيرة والمهام العديدة. فإذا أضفنا مسؤوليات الفرد في عمله كالمهام الموكلة له، إلى مسؤولياته في بيته كالتسوّق وتدريس الأولاد، إلى علاقاته الاجتماعية كالزيارات العائلية، إلى أهدافه الخاصة على تنوع محاورها، إلى النشاطات الطارئة كمرض ولد أو تعطّل سيارة. . . إلخ، نرى أنّه لزم على ذلك الفرد أن يستخدم آلية تنظّم كل ذلك بطريقة فعّالة يستطيع من خلالها أن يتحكم بأحداث يومه ومن ثمّ حياته.

إنّ إدارة الوقت بسيطة جداً لصاحب كتاب «ما لا يعلمونك إياه في كلية الإدارة في جامعة هارفرد»[1]، وهو عنوان لطيف لكتاب يعرض الكثير من الأساليب الإدارية الفعّالة، والتي ليست بالضرورة مما يدرسونه في كليات الإدارة في الجامعات الكبرى ـ كجامعة هارفرد، فيقول: إنَّ إدارة الوقت تمثّل التالي:

١ ـ استخدام أي آلية لإدارة الوقت.

٢ ـ والمواظبة عليها في كل آن ومكان.

٣ ـ وتقييد كل شيء بالكتابة.

١ ـ أنواع آليات إدارة الوقت:

هنالك آليات متعددة لإدارة الوقت، وهي تختلف بحسب الشركة التي تنتجها وبحسب اختلاف النظم المتبعة، بعضها بدائي لا تقدّم سوى مكان لكتابة مهام أو مواعيد اليوم، وبعضها متقدّم يختص برجال الأعمال ذوي الارتباطات والمسؤوليات الكثيرة، وهي تقسّم بحسب الآتي:

---

(١) Mark McCormack, What they Still Don't Teach You at Harvard Business School, New York, Bantam Books, 1989, P.209.

(أ) ـ المفكرات:

وهي أبسط آليات إدارة الوقت، منها ما هو بحجم صغير يُحمل في الجيب، ومعظمها يوفّر صفحة واحدة أو صفحتين لكل أسبوع، ومنها ما هو بحجم كبير يُعلّق على الحائط أو يوضع على سطح طاولة المكتب، وهي عبارة عن لوحة كبيرة للعام بأكمله أو لكل شهر على حدة. ومع بساطة هذه الآلية إلّا أنها توفّر لصاحبها طريقة سهلة لحفظ مواعيده ومسؤولياته، وهي لأصحاب الأعمال الروتينية ولأولئك الذين ليس لديهم أهداف ومشاغل كثيرة.

(ب) ـ المخططات اليومية الورقية:

وهي إضافة إلى ما تقدمه المفكرات توفّر لصاحبها مزايا عديدة كإمكانية توقيت كل مهام بوضوح وبرمجة درجة أولويته، ومكان لتخطيط الأهداف، وآخر لكتابة المعلومات المستخدمة بشكل يومي، وهي عادة توفر صفحة واحدة لكل يوم، وبعضها صفحتين لليوم الواحد، إضافة إلى صفحة عامة لكل شهر لسنوات عدة للتخطيط طويل المدى.

(ج) ـ المخططات الالكترونية:

هي على نوعين: الآليات المحمولة في الجيب وهي خاصة بتسجيل المهام وبرمجة المواعيد وحفظ المعلومات[1]، وبعضها جزء من مزايا بعض الهواتف المحمولة. والنوع الآخر البرامج الإلكترونية المستخدمة على الحاسوب وهي كثيرة جداً ومتعددة، والأخيرة فعّالة جداً في إدارة المشاريع المختلفة وبرمجة المهام اليومية وتوفير رسوم بيانية واضحة لبرنامج اليوم ولسنين عدة إذا أُريد ذلك، كما أنّك تستطيع من خلالها المراسلة الإلكترونية وتبادل المعلومات بلحظات بين أناس في دول مختلفة.

كذلك معظم تلك الآليات توفّر نظام تذكيرك بالمهام المبرمجة قبل بلوغ موعدها بساعات، حيث إنّه يمكنك تسجيل موعد ما بعد سنة، وعند تشغيل ذلك البرنامج في صباح ذلك اليوم تأتيك رسالة تلقائية تذكرك بذلك

---

(١) مثال ذلك: Philips Nino, Palm One, HP iPAQ.

الموعد، كما أنّه يمكنك التخطيط لمشروع أو هدف طويل المدى وبرمجة خطواته التنفيذية بكل تفصيل إلى غاية الساعات، وباستطاعة الحاسوب حين الطلب إعطاءك مهام ذلك الوقت، أو هذا الأسبوع وما شابه.

لكن سلبية تلك البرامج أنها غير محمولة خارج مكتبك أو بيتك، وحتى لو حملت كمبيوتر لابتوب (محمول)، فقد لا يكون الكمبيوتر مفتوحاً في كل وقت، أو قد يكون مفتوحاً على برنامج آخر، ولا بد للانتقال لذلك البرنامج لاستخدامه، لذلك لا أنصح ببرامج الكمبيوتر لإدارة الوقت اليومي، بل لتخطيط المشروعات والأهداف الكبيرة.

أمّا آليات الجيب فهي أقل تعقيداً من برامج الحاسوب، لكنها محمولة في الجيب وأكثر مرونة منها، لذلك أفضّلها بلا ريب على برامج الحاسوب، إلّا في حال استخدام الأخيرة لأعمال الشركات في إدارة المشروعات الضخمة التي يشارك في تنفيذها فريق عمل مكوّن من عدة أفراد، حيث تصبح ضرورة ملحة في هذه الحال، بينما لا أراها تصلح في الحياة اليومية للفرد الواحد مهما تعدّدت أهدافه. ويمكنك شراء برنامج كمبيوتر لإدارة الوقت بقرابة ٥٠ دولاراً، بينما نجد ثمن النوعية الجيدة من آليات إدارة الوقت الإلكترونية المحمولة قد يرتفع إلى بضع مائة دولار.

والشركات التي تنتج تلك الآليات كثيرة، فمعظم الشركات المصنعة لبرامج الحاسوب لها إصدارات لإدارة الوقت والتخطيط، كما يوجد شركات متخصصة بآليات إدارة الوقت الورقية وكثير منها أنتج إصدارات إلكترونية لتلك الآليات، بعضها مذكور في الهامش أدناه[١].

---

(١) Day-Timers, Allentown, PA.
Day-Focus, Inc. San Juan Capistrano, CA.
Dartnell, Chicago, IL.
Time Management Center, Chesterfield, MO.
Time Masters Institute for Personal Excellence, Pleasant Grove, UT.
= Hobbs Corporation, Salt Lake City, UT.

وإنّني لم أجد آلية واحدة تتصف بالخصائص التي ذكرتُ لاحقاً بشكلٍ كامل، لكنني بعد بحث موضوعي وواسع النطاق للشركات المتخصصة في هذا المجال وجدت أنّ القسم الأكبر منها تجاريٌّ، والباقي قام فعلاً بالبحث التجريبي في مجال إدارة الوقت لإنتاج آليات فعّالة وجدتها شبيهة بعضها البعض من حيث المضمون والهدف منها، لكنها تختلف من حيث التصميم الفني والحجم والغلاف وجودة الأوراق، وسبب ذلك التشابه هو أنّ إدارة الوقت علم له مبادئه المتفق عليها بين المختصين دلّت عليها التجربة العملية والبحوث العلمية.

ولقد خلصت بعد دراستي لإصدارات الشركات المختلفة إلى أهم آليتين لإدارة الوقت، الأولى أصدرتها مؤسسة عريقة جداً في هذا المجال ولها مكاتب في دول مختلفة حول العالم، وهي معهد فرانكلن العالمي[1]، وأصدرت الآلية الورقية بأحجام مختلفة وتدعى «مخططة فرانكلن»، والشركة الثانية جديدة، أسسها ستيفن كوفي وهي مركز كوفي للتدريب القيادي[2]، وهما حسب نظري أفضل الشركات في مجال التدريب الإداري وإنتاج آليات لإدارة الوقت. وقد حصل منذ سنوات قليلة أن انضمت تلك الشركتان لتشكّلا شركة واحدة اختارا لها اسم مؤسسة فرانكلن ـ كوفي، ولها إصداران لإدارة الوقت بأحجام متعددة، أحدهما يوفر لليوم الواحد صفحتين لأهمية التخطيط اليومي بالنسبة لشركة فرانكلن، والآخر يوفر صفحتين للخطة الأسبوعية، حيث إنّ كوفي يعتقد أنّ الأسبوع ليس اليوم هو منطلق التخطيط ـ الشيء الذي لا أوافقه عليه ـ حيث إنّه كما أشرت سابقاً لا بد من التخطيط اليومي التفصيلي الدقيق، لأنّ اليوم يمثل ميدان العطاء

= Nightingate-Conant Corporation, Chicago, IL.
Dale Carnegie Training, New York, NY.
Time Mastery, Steffen-Steffen & Associates, Stamford, CT.

(١) Franklyn International Institute, Salt Lake City, Utah, USA.

(٢) Covey Leadership Center, Provo, Utah, USA.

الفعلي، ولا بد أيضاً من التخطيط الأسبوعي الذي يقيّم مسيرة الأسبوع الفائت، ولكل آلية ورقية منهما مثيلتها الإلكترونية.

٢ ـ خصائص آلية إدارة الوقت الفعّالة:

إنّ خبرتي إضافة إلى بحثي في هذا المجال جعلاني أخلص إلى أنّ الآلية المستخدمة لا بد أن تستوعب الصورة الكلية للأهداف وكذا النشاطات الجزئية الصغيرة، كما يجب أن تزوّد صاحبها بالمعلومات اللازمة خلال مسيرة أيامه، ذلك لأنّه من الضروري أن تمكنك من كتابة كل شيء عليها، وبذلك تستخدم لوحدها، حيث يقع الكثير في خطأ كبير، فتجد من يكتب ارتباطاته وواجباته على مفكرة جيب وتقويم حائط وبرنامج كمبيوتر، وهذا بذاته أسلوب للفوضى المنظمة! لذلك وجدت أنّ صفات آلية إدارة الوقت الفعّالة كالتالي:

١ ـ أن تحفظ الصورة الكلية لتوجه الفرد ورسالته الحياتية، حيث إن ثباته عليها يتطلب دراستها من وقت لآخر، وخاصة خلال أوقات التخطيط.

٢ ـ أن تحفظ توصيف الأهداف ومراحلها التنفيذية، إضافة إلى البرامج الزمنية التي تستغرقها.

٣ ـ أن تمكنك من الاحتفاظ بخطتك السنوية والشهرية وربما الأسبوعية.

٤ ـ أن تمكنك من تسجيل مهام يومك المؤقتة وغير المؤقتة.

٥ ـ أن تكون مرنة بحيث تستطيع تعديل أو إضافة مهام جديدة بشكل سريع في أي يوم من أيام العام.

٦ ـ أن تمكنك من برمجة سلم الأولويات لكي تقوم بالأهم قبل المهم، ولكي لا يضيع الوقت في نشاطات طارئة أو انفعالية على حساب الأولويات اليومية والحياتية.

٧ ـ أن تنظّم حياة المسلم كتوفير التواريخ الهجرية وأوقات الصلاة،

فيسهل عليه برمجة نشاطه بين الصلوات، وإذا أراد صيام النفل كالأيام البيض تمكنه من معرفتها بسهولة.

٨ ـ أن تحفظ المعلومات الأكثر استخداماً كأرقام الهواتف والعناوين، وهذا يحمل الفرد على الاحتفاظ بتلك الآلية معه أينما ذهب.

٩ ـ أن تكون تلك الآلية في متناول اليد أينما ومتى احتاج الأمر للنظر في مهام الوقت الآني.

في نهاية هذا المبحث حول منهجية التخطيط لبلوغ الأهداف، نتناول مثالاً عملياً للتخطيط.

مثال عملي: كيف تأكل حوتاً؟

لا أعني هنا بـ«الحوت» ما يطلقه أهل المغرب العربي على السمكة مهما صغرت، لكنني لا أقصد كذلك أكبره نوعاً! وهو الحوت الأزرق الذي قد يصل إلى ٩٥ متراً طولاً و٨٠ ألف كيلوغرام وزناً، حيث إنّ ذلك سيصبح هدفاً غير واقعي، بل المقصود هنا أصغر أنواعه ويسمى الحوت القاتل بوزن ١١٠٠ كيلوغرام فقط!

أردت اختيار مثالٍ يستطيع كل فردٍ مهما كانت خلفيته أن يفهمه، حيث إن مفهوم الطعام يتفاعل معه كل إنسان! وكأنني أسمع لسان حالك يقول: أأكل حوتاً بكامله؟! أقول: نعم بإمكانك ذلك إن كنت جاداً في بلوغ الأهداف الصعاب!

ربما تقول: كيف آكل حوتاً بهذا الحجم؟ والجواب على ذلك بكل بساطة: لقمة لقمة!

هذا السؤال وجوابه يمثلان قاعدة هامة في إدارة أي هدف أو مشروع مهما عظم وتعقّد، وذلك بأن يجزّئ الهدف الضخم الذي قد يصعب تصوره، كأكلك حوتاً بكامله ـ وليس العكس طبعاً، إلى أهداف صغيرة يسهل تصورها، بل ويتمتع بتنفيذها وخاصة عند الجوع!

لعلك تقول: لا أستطيع أكل الحوت بكامله بل جزءاً صغيراً جداً منه! أما إن كان المطلوب أكل الحوت، فيمكنني مع بعض الجزارين أن نقسمه إرباً ثم نوزعه بعد صلاة الجمعة على المصلين أو أدعوهم جميعاً للعشاء!

أقول: الهدف والتحدي أن تأكله كاملاً بمفردك، أوتعجز عن هذا ومتوسط الإنسان يأكل خلال حياته مئات من البقر والغنم؟! لكنني أسهِّل عليك المسألة قائلاً: بالطبع يفضل أن لا تأكله في وجبة واحدة بل خلال فترة من الزمن أقصاها سنة! وأسهّل عليك بلوغ ذلك الهدف أكثر فأسمح لك بمشاركة صديقين في تناوله معك.

إذن الهدف هو أن تأكل مع صديقين حوتاً وزنه قرابة ١١٠٠ كيلوغرام خلال سنة، إنه هدف واضح ومحدد بكمية وبزمن، الآن ماذا تفعل لبلوغ هذا الهدف؟ من خلال دراسة هذا الفصل يتضح لك أنك حتى تستطيع بلوغ ذلك الهدف لا بد من إدارة وقتك طوال العام، وهذا يعني التحكم بالحدث (طعامك) طوال هذه الفترة من حياتك، وهذا يحتاج لتخطيط حكيم لأحداث معينة تعينك على بلوغ الهدف خطوة خطوة ولقمة لقمة.

لكنك كيف ستجعل الحوت الضخم لقمات سائغة المضغ، هذا ما يعني بالتخطيط الإداري. للاستفادة من هذه الفقرة لا تتابع القراءة الآن، بل خذ قلماً وورقة وضع الخطة اللازمة لبلوغ الهدف، حاول جاهداً خلال ساعة تبسيط وتجزئة الهدف، ثم تابع قراءة هذه الفقرة.

خطتك المبدئية قد تكون كالتالي:

١ ـ النتيجة النهائية أولاً:

تخيل ماذا تود أن تكون النتيجة النهائية لهذا الهدف، إنها وجبات من لحم الحوت تؤكل بعد الطهي لقمة لقمة، هذه العملية عبارة عن تصور للمستقبل الذي يمليه الهدف، والوصول لهذه النتيجة النهائية يتطلب خطة عملية تنقله من حوتٍ ضخمٍ إلى لقمات سائغة لذيذة.

٢ ـ التخطيط الزمني:

الوقت المتاح لك سنة كاملة ووزن الحوت قرابة ١١٠٠ كيلوغرام، وقد يُصبح وزنه بعد التخلّص من أحشائه ورأسه وجلده وتنظيفه قرابة ٧٢٥ كيلوغرام. الآن احسب الكمية التي يجب أن تأكلها وصديقيك أسبوعياً، إنها ١٤ كيلوغرام، ربما تقول: الهدف أكل الحوت خلال سنة يعني أن آخر موعد للانتهاء منه بعد سنة من الآن، لكنني أستطيع الانتهاء من أكله خلال ١٠ أشهر إن أكلت ١٦ كيلوغرام أسبوعياً، أي لكل يوم حصة وزنها ٢,٣ كيلوغرام من لحم الحوت تأكلها مع صديقيْك هنيئاً مريئاً خلال وجبة واحدة أو أكثر، فاحسب الوقت المتوقع من أول حصولك على الحوت إلى آخر وجبة، هذه الفترة من الزمن لم يدخل فيها اصطياد الحوت في المحيط الأطلسي لأنه سيحضر لك بالشبك مباشرة، لكن لا بد من دراسة الوقت الكافي للمراحل ما قبل أكل الحوت كذلك.

٣ ـ مراحل بلوغ الهدف:

إنّ تقسيم الهدف الكلي إلى أجزاء ومراحل تقتضيها مرحلة التنفيذ أمر في غاية الأهمية لبلوغه كما أسلفنا، لذلك قد يتطلب بلوغ هذا الهدف خمس مراحل أساسية:

أ ـ مرحلة التنظيف.

ب ـ مرحلة التقطيع.

ج ـ مرحلة التخزين.

د ـ مرحلة إعداد الوجبات.

هـ ـ مرحلة تناول الحوت.

كلٌ من هذه المراحل عبارة عن خطوات عدة، فمرحلة التنظيف تتطلب إيجاد مكان ملائم لذلك وتوظيف جزارين، وإحضار المعدات اللازمة لذلك، فهو حوت ليس فرخة! أما مرحلة التقطيع فتتطلب تجزئة

الحوت لأجزاء كبيرة ثم أصغر وأصغر حتى تكون وجبات مغلفة تُتناول يومياً. ومرحلة التخزين ربما تتطلب استئجار مكان لذلك، مع عدد مناسب من الثلاجات الكبيرة، ونقل اللحوم لها. ومرحلة إعداد الوجبات تتطلب تحضيرها، وقد ترى أن لا تطهي الوجبات بنفس الطريقة، لأنّ ذلك ممل وقد تسأمه نفسك، بل تشويه مرة، وتقليه أخرى، وتطبخه مع الخضار ثالثة، ومرة فوق الأرز، وقد تستعين بكتاب «مائة طريقة وطريقة لطهي السمك»، لعلمك أن الحوت سمكة، لكنها كبيرة بعض الشيء.

٤ ـ التسلسل الزمني:

هذه الخطوة تعنى بتنظيم الخطوات الأساسية لبلوغ الهدف حسب نظام زمني تقتضيه مرحلة التنفيذ، فمن غير شك مرحلة التخزين في الثلاجات تأتي بعد مرحلة التقطيع، ومرحلة أكل الوجبات تأتي بعد التخزين، وكل مرحلة تتطلب فترة من الزمن، ولكي تتم تلك المراحل بتنسيق لا بد من تقدير تلك الفترات، وتحضير متطلبات كل فترة من أجل عدم تأخر العمل، والانتهاء من مرحلة التخزين قبل فساد لحم الحوت، وهكذا.

٥ ـ التجزئة النهائية:

هذه الخطوة عبارة عن تفصيل الخطوات ٣ و٤ أعلاه لكل مرحلة من المراحل الأساسية الكبرى، فمرحلة التقطيع بحاجة لمكان مناسب لذلك، وإيجاد جزارين وإحضار بعض الأدوات غير الاعتيادية كالمناشير الآلية، لأن السكاكين قد لا تصلح لذلك، ثم أكياس خاصة لوضع كل قطعة لوحدها، ويجب أن يكون هذا كله في وقت لا يتجاوز اليوم حتى لا يفسد اللحم، وقد يقطع الحوت بكامله لقطعات كبيرة ويحفظ في برادات ضخمة ثم يقطع كل جزء كبير في الأيام التالية إلى وجبات صغيرة، وهكذا.

أما إعادة الخطوة الرابعة فتُعنَى بأن تضع تسلسلاً زمنياً لجميع هذه

الخطوات الصغيرة ضمن المرحلة الخاصة بها، فأولاً ضع لائحة بالخطوات الصغرى ثم اجعل لها تسلسلاً زمنياً، وهذا يحتاج معرفة العلاقة بين خطوات العمل التي قد تقوم بها في نفس الوقت والتي تحتاج تسلسلاً، ومن يقوم بكل خطوة، وما الوقت التي تحتاجه وهكذا.

٦ ـ خريطة الهدف:

ضع رسماً توضيحياً يبين المراحل الأساسية وفي داخلها الخطوات الصغيرة مع التسلسل وتوضيح متى يقام بها، قد تستعمل لذلك أحد الجداول أو الرسوم البيانية الثلاثة التي تحدثت عنها آنفاً، بعض الأمور التي قد تتضمنها خطة العمل أو خريطة الهدف:

أ ـ اجعل لكل مرحلة أساسية نموذج منفصل مع خطة زمنية خاصة به.

ب ـ ارسم العلاقات بين الخطوات وضع أسهماً توضح تسلسل العمل.

جـ ـ قيّم العمل أثناء مرحلة التنفيذ وقد تحتاج لتغيير بعض المواعيد على الخطة حسب الحاجة، لكن من المهم إنجاز الهدف خلال موعده المحدد.

الآن قم بنفسك بتكملة خطة الهدف إن أردت تناول تلك الوجبات الشهية من لحم الحوت، لأنَّ ما سبق لم يكن خطة بل منطلقات يجب أن تفكر بها خلال عملية التخطيط. وكما ترى أنّ الأهداف كبرت أم صغرت يجب أن تمر بمراحل شبيهة بالفقرات أعلاه، من تصور ذهني للنتيجة النهائية إلى رسم بياني يمثل خريطة تطبيقية لإنجاز الهدف، وهي عملية بسيطة لكن نتيجتها عظيمة.

خلاصة المبحث الثالث

أهم ما بيّنته في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ التخطيط يُعنى بكيفية الوصول للهدف، وهو... عبارة عن إيجاد الجسر الذي يربط ما أنت عليه الآن والنتيجة التي تريد بلوغها.

٢ ـ أهم ما تقدمه عملية التخطيط هو تجزئة الهدف إلى مراحل وخطوات تنفيذية مؤقتة ضمن برنامج زمني واضح المعالم.

٣ ـ إنّ تقييم سير العمل خلال مرحلة التنفيذ مبدأ إداري ضروري، بحيث يصبح سير العمل عبارة عن إجراء متكرر يبدأ بالتخطيط ثم التنفيذ، ثم التقييم بين الحين والآخر، ثم تعديل الخطة تبعاً لذلك وهكذا.

٤ ـ التخطيط مهارة فنية ذات منهج علمي ثابت، وهي عملية تواكب مسيرة العمل، فتبدأ بتحديد الهدف ولا تنتهي إلّا ببلوغه.

٥ ـ أهم خطوات التخطيط هي توصيف الهدف، وتحديد الوقت المتاح لبلوغه، وتجزئته إلى مراحل، ووضع برنامجٍ زمنيٍ لخطواته التنفيذية، وعرض خطته برسم بياني أو جدول عملٍ مبوّب، مع تقييم سير العمل خلال مرحلة التنفيذ.

٦ ـ إدارة الوقت لدى معظم الناس لا تتعلق بالتخطيط لبلوغ هدف واحد، لكنها إدارة أهداف متزامنة، ممّا يؤكد ضرورة اتباع منهجية علمية منظمة لإدارة الأحداث اليومية لكي لا تتداخل خطط الأهداف المختلفة فتتعثّر الخطى لبلوغها.

٧ ـ أهم أساليب التخطيط الخاصة بالأهداف الشخصية ثلاثة: برنامج العمل وجدول التوقيت الزمني وبيان العلاقات التسلسلية (رسم

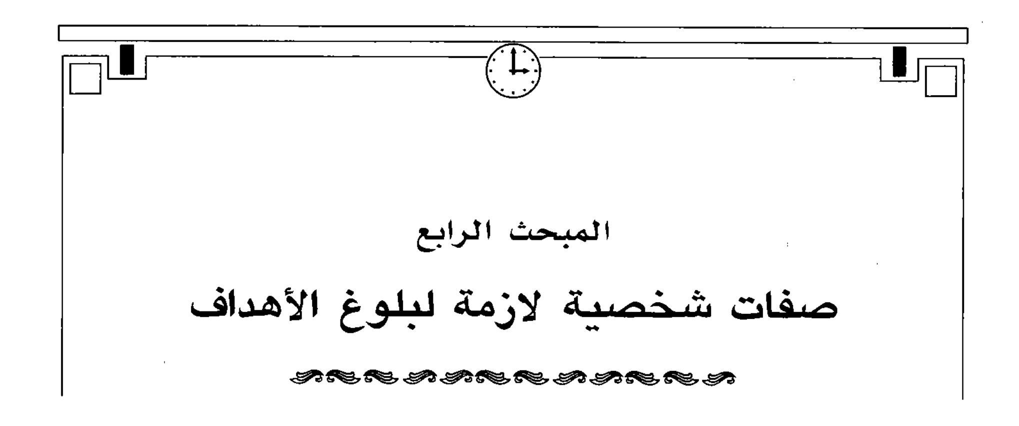
برت)، وهي فنون تنظّم خطة العمل بحيث يعرف الفرد ماذا يقوم به في كل وقت ولكل هدف يسعى له.

٨ ـ حيث أنّ بلوغ الأهداف الكبرى يستوجب أن يكون النشاط اليومي متصلاً بما قبله وما بعده، لا بد للفرد من وقفات دورية ليعلم أين هو من خططه، وهو ما أطلقت عليه التخطيط الدوري، ويتوجب حصوله بشكل يومي وأسبوعي وشهري وسنوي.

٩ ـ التخطيط الدوري يعنى بتقييم العمل خلال الدورة الزمنية الماضية كالشهر الفائت وتعديل خطة الدورة الزمنية القادمة كالشهر المقبل.

١٠ ـ أهم أوقات اليوم بضع دقائق عند بداية كل يوم تقضى في التخطيط وبرمجة أحداث اليوم، وهو ما يركّز جهود الإنسان على أولويات يريد إنجازها، وهذا ما يتوقف عليه تحكم الفرد بحياته إن استمر عليه يوماً بيوم، مع كونه أدنى مستوى في إدارة الوقت.

١١ ـ آليات إدارة الوقت مختلفة في أنواعها وأشكالها كالمفكرات والمخططات اليومية الورقية والإلكترونية، وإنّ سر النجاح في إدارة الوقت يكمن في استخدام آلية واحدة تمكن الفرد من الاحتفاظ بكل مخططاته طويلة المدى واليومية، وتكون في متناول يده في كل مكان وزمان.



المبحث الرابع

صفات شخصية لازمة لبلوغ الأهداف

مقدمة المبحث الرابع

لقد تعرضت في المباحث الثلاثة الماضية إلى التخطيط كآلية للتحكّم بالوقت ومسيرة الحياة، ثم تناولت موضوع الأهداف، ثم منهجية التخطيط لبلوغها، لكن القيام بالإجراءات اللازمة لعملية التخطيط قد لا توصل الفرد لأهدافه ولو قام بالتخطيط لها على أكمل وجه، ذلك لأنه مطالب بأن ينفّذ خططه ويسير عليها في خطوات عملية يومية يبذل في سبيلها ما وسعه من جهد وطاقة.

لذلك لا بد من صفات شخصية تحث الفرد على البذل والعطاء، وإنّ منها ما يتعلّق بالإيمان وثمراته كالتوكل على الله والاستعانة به، وكذلك قوة الإرادة والمثابرة على العمل، ومنها ما هو سلوكي كعدم التسويف وعلو الهمة والسرعة في العمل ومغادرة مواطن الراحة.

في هذا المبحث سأتعرض لهذه الصفات والسلوكيات الشخصية التي تعين الفرد على بلوغ أهدافه، مركزاً على المنطلق التنفيذي العملي بعد معرفتنا بالكيفية النظرية لتكوين الأهداف والتخطيط لبلوغها.

١ ـ الاستعانة بالله والتوكّل عليه

لا نغفل عن أهم عوامل اغتنام الوقت وهي الاستعانة بالله، ذلك لأن الله تعالى هو خير معين لنا على إنجاز الأعمال وتيسيرها، ولا شك أن في ذلك استثماراً أفضل للوقت، كم من الأعمال تعقَّد وإذا بدعاء خالص لله ييسرها ويسهلها، ورسول الله ﷺ كان حينما يقدم على العمل يقول: «اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحَزْنَ إذا شئت سهلاً»[١]، واستعانتنا بالله تعالى تكون بدعائه واعتمادنا وتوكلنا عليه وحده، فلا نركن إلى أنفسنا فقط بل نعلم يقيناً أنّ الله قادر على إحداث ما يشاء، فهو خير معين لنا إن أخلصنا في الطلب، ورحم الله ابن عطاء الذي قال في حكمه بمجاز كاف: «ما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك، وما تعسر مطلب أنت طالبه بربك»[٢]، فالعمل الذي تريد إنجازه قد يتعسر إذا سعيت له بنفسك فقط، لكنه يُيسر إن استعنت عليه بالله تعالى.

ولقد أمرنا الله تعالى أنه حينما نقدم على أمر ما أن نتوكل عليه فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرُزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[٤]، وهذا تيسير من الله في طلب الرزق، فالطيور تذهب أول النهار خاصرة البطون من الجوع وترجع آخره ممتلئة البطون فضلاً من الله لها.

وإن تحقيق معنى التوكل والاستعانة بالله لا ينافي السعي في الأسباب، فمن عطّل الأسباب لم يصح توكله، حيث إنّ التوكّل ليس مدعاةً إلى البطالة كما يظن بعض الناس. وهذا أمر هام جداً حيث نرى كثيراً من المسلمين بين

---

(١) رواه ابن حبان، كتاب الرقاق، باب: الأدعية (ذكر ما يستحب للمرء سؤال الباري جلَّ وعلا تسهيل الأمور عليه إذا صعبت)، حديث رقم (٩٧٤).

(٢) ابن عطاء الإسكندري، الحكم العطائية، مرجع سابق، رقم ٢٥، ص٢٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب: في التوكل على الله، رقم (٢٣٤٤).

إفراط أو تفريط، يتوكلون على الله ويقعدون عن الأسباب، أو يعتمدون كلياً على الأسباب دون توكل عليه، لكن الله تعالى أمرنا بتعاطي الأسباب من عمل وجهد مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة لله، والتوكل عليه بالقلب طاعة لله أيضاً، كما جاء في الحديث أن رجلاً قال: «يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أُطلقها وأتوكل؟ قال: أعقلها وتوكل»[1]، ومن التعريفات اللطيفة للتوكل ما رواه أبو نعيم في الحلية أن بشراً سئل عن التوكل فقال: «اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب»، فقال السائل: «فسره لنا حتى نفقه»، قال بشر: «اضطراب بلا سكون، رجل تضطرب جوارحه وقلبه ساكن إلى الله لا إلى عمله»، أي جوارحه تكون مشغولة لا تسكن من العمل، وقلبه متوكل على ربه[2]. وإن دعاء الاستخارة مثال في الاعتماد على الله، وذلك حينما يريد الإنسان عملاً ما ويحتار في أمره أيقوم به أم يختار آخر، فيستخير الله ليرشده وييسّر له ما فيه الخير عاجلاً وآجلاً.

٢ ـ علو الهمة

إن مغادرة مواطن الراحة تحتاج بذل الجهد في سبيل ذلك كما تحتاج إلى همة عالية، حيث أن مواطن الهمم العليا هي مواطن معاكسة لمواطن الراحة، فحينما تسمو الأرواح تبلغ الهمم مبلغاً عظيماً، لا يسعها حدود يسيرة، فتصبح الغايات ضخمة، والثقة بالنفس عظيمة، ويسهل أمامها كل هدف، لذلك قال الشاعر:

إذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

وقد عُرّف علو الهمة بأنه «استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند

---

(١) رواه الترمذي عن أنس ﷺ، كتاب صفة القيامة، حديث رقم (٢٥١٧).

(٢) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م، جـ ٢ ص٥٠٦.

العطية، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلبُ الغايات»[1].

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط التأنيب واللوم، وتزجره عن مواقف الذل، وترفعه من درجات الحضيض، حتى يصل إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد، ولا شك في أنّ هذا الخلق يورد صاحبه موارد التعب والعناء، ولكنّه سبيل الوصول إلى معالي الأمور، فهو الدواء المر الذي يستسيغه المريض لكي يبرأ من مرضه[2]. جاء في مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيّم: «فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يُعبر إليها إلا على جسر المشقة، فلا تُقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد»[3].

وحثّ الرسول ﷺ على طلب معالي الأمور وترك سفاسفها، فيما رواه الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إنّ الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها»[4]. وقال ابن الجوزي رحمه الله: «من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدُّون دنيٌّ»[5]، وقال أيضاً رحمه الله: «فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يُتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير إنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يُطلب الممكن. والسيرةُ الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[6].

---

(١) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، ص٢٨. نقلاً عن محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص١٠٧.

(٣) ابن القيِّم، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمود حسن ربيع، الإسكندرية، مكتبة حميدو، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، جـ ١ ص١٠٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٩٤)، جـ ٣ ص١٣١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٦).

(٥) ابن الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، جـ ١ ص٣٩.

(٦) المرجع السابق، جـ ٢ ص٢٢٤.

ولقد جرت سنّة الله في خلقه ألا ينهض بالمقاصد الجليلة، ويرمي إلى الغايات البعيدة، غيرُ النفوس التي عظم حجمها، وكبرت هممها، فلم تتعلق إرادتها بسفاسف الآمال، ولا محقرات الأعمال[١]. وقف القائد صلاح الدين الأيوبي يوماً على البحر قرب عكا وقال: «في نفسي أنه متى ما يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسمت البلاد وأوصيت وودّعت، وركبت هذا البحر، جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أُبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت»[٢].

وفي هذا يقول الإمام الشوكاني أيضاً: «ينبغي لمن كان صادق الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة، ألّا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلا ما يُراد، وأرفع ما يُستفاد، فإنّ النفوس الأبية والهمم العلية لا ترضى بما دون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرف»[٣].

ويقول الدكتور واس روبرت أنّ ثمة قاعدة أساسية في علم الإنتاج الذاتي وهي أنّ: «الأهداف السطحية تقود لنتائج سطحية»، لذلك يجب الرمي لأهداف كبيرة تتماشى مع الجهود التي يضعها الإنسان لتحصيلها، وقد قال أيضاً: «يجب دوماً الرمي نحو الأهداف العليا، والسعي وراء ما يحدث التغيير الملموس، بدل مجرد السعي في الطرق السهلة الآمنة»[٤].

ولقد انتشر داء الكسل والخمول بين شباب الأمة ورجالها، فلم تعد تجد الحركة والنشاط وعلو الهمة الذي كان سمةً مميزة لسلفنا الصالح، بل تجد

---

(١) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٢) محمود شيت خطّاب، بين القيادة والعقيدة، مرجع سابق، ص٣١١.

(٣) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص١١١.

(٤) Wess Roberts, Leadership Secrets of Attila The Hun, New York, Warner Books, 1987, P.106.

الدعة والتراخي والإخلاد للراحة والرضى بالدون، والقعود عن معالي الأمور، حتى أصبح سمة شبابنا في الوقت الحاضر، ولدنو الهمة هذا أسباب عدة.

أسباب دنو الهمة[1]:

أ ـ التوسّع في المآكل والمشارب: فهو مما يورث البلادة ويعيق عن التركيز، وهو مدعاة للكسل وكثرة النوم. قال لقمان عليه السلام لابنه: «يا بنيّ إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء»[2].

ب ـ كثرة المنام: حيث إنّ كثرته مضيعة للوقت، وهو يورث الكسل والبلادة، كما أنّ كثرة النوم تجر الفرد إلى نومٍ أكثر وهكذا حتى تضيع بركة الساعات والعمر كله، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر نومه لم يجد في عمره بركة»[3].

جـ ـ التحسّر على الماضي: فإنّ الندم على ما فات لا يحقق العلياء، بل يكون ذلك بالجد واغتنام الوقت الحاضر، وإلّا يضيع الحاضر كما ضاع الماضي.

د ـ ضعف الإرادة: فالإرادة هي المحرّك لقوى الإنسان، فهي الكهرباء لدى الآليات الضخمة التي لا تتحرك بدونه، والهمة تكمن كمون النار في الزند ما لم توقظها الإرادة، «فجميع ملكات الإنسان وقواه تكون في سبات عميق حتى توقظها الإرادة، فمهارة الصانع، وقوة عقل المفكّر، وذكاء العامل، وقوة العضلات، والشعور بالواجب، ومعرفة ما ينبغي وما لا ينبغي، كل هذه لا أثر لها في الحياة ما لم تدفعها قوة الإرادة، وكلها لا قيمة لها ما لم تُحوّلها الإرادة إلى عمل»[4].

---

(١) محمد بن إبراهيم الحمد، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، مرجع سابق، ص٣٩ ـ ٤٩.

(٢) الخولي، الأدب النبوي، ص٢١٢. نقلاً عن المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠.

(٤) أحمد أمين، الأخلاق، ص٥٣. نقلاً عن المرجع السابق، ص٦٩.

هـ ـ عدم تقييم الوقت: حيث إنّ الفرد الذي لا يدرك نفاسة الوقت لن يبالي بأن تكون أيامه مليئة بالكسل والخمول، فالوقت هو المادة الخام للإنسان كالخشب في يد النجار والحديد في يد الحدّاد، فكلٌّ يستطيع أن يصوغ من وقته ـ بتوفيق الله ـ حياة طيبة بالجد وجلائل الأعمال، كما أنّه يستطيع أن يصوغ من زمنه حياة سيئة، مليئة بالكسل، والخمول وسيء الأعمال[1].

إضافة إلى تلك الأسباب، ثمة عناصر أخرى تؤثّر على همة المسلمين، من ذلك غياب مفهوم الأمة المجاهدة المسؤولة والمستخلفة لإعمار الأرض وإصلاح الحياة فيها، وكذلك التربية على العبودية والخوف اللتين زرعتهما الأنظمة الظالمة في نفوس المسلمين مما ولّد الاستسلام والقعود عن النهوض لحمل الأمانة.

٣ ـ المثابرة والثبات

عندما يقسّم الهدف الكبير إلى أهداف صغيرة يبسَّط ويصبح إنجازه أسهل، بالمقابل ثمة عقبات تتبلور حينما تنظر لتلك الخطوات، وربما تكون تلك العقبات مصاعب جسيمة، لذلك ابتداءً لا تجعل أي شيء يثنيك أو يثبطك عن هدفك مهما وجدته معقداً، بل يجب أن تتساءل عن كيفية تخطي تلك العقبات والمشاكل، وإنّ البحث عن الحلول فور ظهور تلك العقبات دلالة على التفكير الإيجابي. وإنّ دراسة العقبات المتوقعة وإيجاد الحلول لها أثناء مرحلة التخطيط جزء مهم مما يسمى بالتخطيط الاستراتيجي.

وإن وضع أهداف شخصية يعني العمل على إنجازها، وهذا يتطلب المقدرة على معاهدة نفسك على المضي مهما بلغت الصعوبات، لذا لا بد من الثبات على الهدف وعدم الشعور بالإحباط مهما كلف ذلك من جهد وعقبات، واعلم أنّ بلوغ أهدافك هي مسؤوليتك الشخصية، ذلك لأننا مسؤولون عن فشلنا وعن نجاحنا.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣٦.

يقول تانر[١]: «إنك تعرف أنك على الطريق الصحيح حينما تكون صعوداً بشكل مستمر»، يقصد أنّ المشقة وبذل الجهد الكبير خلال المسير نحو بلوغ الأهداف من علامات صحتها، ذلك أنّ أي هدف كبير لا يتحقق إنجازه من دون بذل الطاقة ومواجهة الصعوبات في سبيل تحقيقه.

ولا ريب أنّ تحملك لمسؤولية القيام بهدف أو مشروع ما له تبعاته من تحمل مسؤولية الأخطاء وتخطي العقبات لأننا عندما نختار فعل شيء ما نختار معه تبعات ونتائج، كما يقول المثل الأمريكي: «إذا أمسكت بطرف العصا فهذا يعني تحملك مسؤولية الطرف الآخر»، ومن تلك التبعات تحمل الأخطاء، والأخطاء ليست عيباً، بل هي لأصحاب المبادرة دروس ووسيلة للتعلم والتطوير، وفيما بعد يتحول الفشل نجاحاً. يقول واتسون[٢] مؤسس شركة الكمبيوتر المشهورة آي بي أم: «النجاح يتأتى من جهة الفشل»[٣]، لعلها عبارة غامضة، لكنها تعني أن حصول النجاح يتأتى بعد الخطأ ويكون من نفس التوجه الذي حصل منه الفشل قبل التصويب والتسديد.

ولا تكاد تجد كتاباً يتحدث عن المثابرة إلا ويضرب مثلاً بالرئيس الأمريكي السابق أبراهام لينكولن، الذي كان نموذجاً للفشل المتتالي، لكنه لم ييأس وبقي مثابراً طموحاً، بعض وقفات حياته ما يلي[٤]:

* عام ١٨٣١ فشل في عمله الخاص.

* عام ١٨٣٢ خسر في ترشيحه كعضو الهيئة التشريعية.

---

(١) Richard I. Winwood, Time Management, P.151.

(٢) T.J. Watson, Founder of IBM.

(٣) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.91.

(٤) Arthur L. Williams, All You Can Do is All You Can Do, But All You Can Do is Enough, P.34.

* عام ۱۸۳۳ فشل ثانية في عمله.

* عام ۱۸۳٦ أصيب بانهيار عصبي.

* عام ۱۸۳۸ خسر في ترشيحه كرئيس للكونغرس.

* عام ۱۸٤۰ خسر في ترشيحه مرة أخرى.

* عام ۱۸٤۳ خسر في ترشيحه لعضوية الكونغرس.

* عام ۱۸٤۸ خسر في ترشيحه لعضوية الكونغرس.

* عام ۱۸٥٥ خسر في ترشيحه لعضوية مجلس الشيوخ.

* عام ۱۸٥٦ خسر في ترشيحه كنائب لرئيس الجمهورية.

* عام ۱۸٥۸ خسر في ترشيحه لعضوية مجلس الشيوخ.

* عام ۱۸٦۰ انتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك لا غرابة أن يقول مؤسس شركة هوندا: «النجاح هو ٩٩٪ فشل»[1]، الذي يعنيه أنه لا نجاح من دون فشل، ثم تصويب ومثابرة، ثم يأتي النجاح، فمسيرة الحياة درس مستمر، فطالما أنك تعيش تتعلم كيف تعيش. وكان لهنري فورد صاحب مصنع فورد المشهور نظرة إيجابية تجاه الفشل، يُروى أن أحد مديري مصنعه نال ميزانية لمشروع ما قدرها ٢٠ مليون دولاراً، لكن نتيجة عمل ذاك المدير كانت خسارة كامل المبلغ، قال المدير بكل أسى وحزن لفورد: «إنني أعتقد أن عملي قد انتهى في المصنع»، «لا! لا شيء من هذا» رد عليه فورد، وأضاف: «إننا صرفنا الكثير جداً لتثقيفك لدرجة أننا لا نحلم أبداً أن نخسرك!»[2]، مشيراً إلى أنّ

---

(١) Soichiro Honda, Pits and Pieces, Vol.R, No.18, 1997, P.2.

(٢) Alec Mackenzie, Time For Success, P.12.

خسارة هذا المبلغ كان فشلاً كبيراً، لكنه بلا شك تعلّم من خلاله ذلك المدير دروساً كبيرة أيضاً، فاعتبر هذا المبلغ قد صُرف لتثقيف وتدريب ذلك المدير.

أحد الشركات الاستشارية في نيويورك، أصدرت دراسة حول «استراتيجية النجاح»، جاء فيها: «النجاح عبارة عن رحلة ليس مجرد موضع ما نقصده، وإنه ليس مختصاً ببعض الناس دون غيرهم، بل هو استراتيجية معيشية تستطيع من خلالها تخطي الفشل إلى النجاح»[١]، فالنجاح مسيرة حياتية، ليس مجرد موضع ما أو منصب ما يصل الفرد له، لذلك فإنَّ النهوض من الفشل وتصويب الخطأ والمثابرة من تلك المسيرة الحياتية الناجحة.

٤ ـ البعد عن التسويف

التسويف هو تأجيل العمل أو تأخيره للمستقبل، وهو من أعظم أسباب ضعف الفاعلية على مختلف الأصعدة، يقول ألن مكنزي: «تسويف الأعمال الهامة نوع من العجز وهو وسيلة اللافعالية»[٢]. ومن بين جميع أمراض إدارة الوقت يظهر مرض التسويف بأنه الأوضح، وإنَّ تأخير العمل آفة عظيمة لأنها سلسلة متصلة لا تنتهي، حتى تصبح هذه الآفة عادة تمنع الفرد من تحقيق أهدافه، فيصبح شعاره «سوف أفعل ذلك غداً»، ويأتي الغد ويصبح حاضراً ثم يمضي وتتابع الأيام، والمرء في عالم «سوف أعمل» حتى يضيع عمره، لذا يتساءل محمد الغزالي قائلاً: «أتدري كيف يُسرق عمر المرء منه؟ يذهل عن يومه في ارتقاب غده، ولا يزال كذلك حتى ينقضي أجله، ويديه صفر من أي خير»[٣]. لذلك لا تزال «سوف» العدو

---

(١) Elaima Zuker, How to Discover Your Opportunity, New York, Time Magazine with Cooperation with Success Strategies Inc., P.11.

(٢) Richard I. Winwood, Time Management, P.103.

(٣) محمد الغزالي، جدِّد حياتك، مرجع سابق، ص٢٧.

اللدود التي يلزمنا أن نحذرها، قيل لرجل من عبد القيس: أوصنا، فقال: «احذروا سوف»[1]. وقال آخر: «سوف جند من جند إبليس»[2].

فسحة الوقت ليست في المستقبل:

إنّ الشعور الذي ينتاب الشخص حال تسويفه هو أنّ فسحة الوقت ستكون أفضل في المستقبل، لكن هل سيحمل المستقبل فسحة من الوقت أم سيحمل شواغله وعوائقه الخاصة؟ يحضرني هنا حديث رسول الله ﷺ: «هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً أو غنىً مطغياً أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً[3]، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائباً يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»[4]، فهذا الحديث ينبؤنا بما يحمله المستقبل لكل واحد منّا، حيث لا عمل خلال هذه الحالات وهذه الوقائع!.

يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله من خلال تجربته التي عاشها ولمسها: «وقد يخيل لبعضهم أن الأيام ستفرغ له في المستقبل من الشواغل، وتصفو له من المكدرات والعوائق، وأنه سيكون فيها أفرغ منه في الماضي أيام الشباب، ولكن الواقع المشاهد على العكس من هذا أيها الأخ العزيز، فأخبرك خبر من بلغ ذلك وعرفه: كلما كبرت سنك، كبرت مسؤولياتك، وزادت علاقاتك، وضاقت أوقاتك، ونقصت طاقاتك، فالوقت في الكبر أضيق، والجسم فيه أضعف، والصحة فيه أقل، والنشاط فيه أدنى، والواجبات والشواغل فيه أكثر وأشد! فبادر ساعات العمر وهي سانحة، ولا تتعلق بالغائب المجهول، فكل ظرف مملوء بشواغله وأعماله ومفاجآته»[5].

---

(١) الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص١١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١١٤.

(٣) مفنداً: أي موقعاً في الفند، وهو كلام المخرف.

(٤) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، كتاب الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث رقم (٢٣٠٦)، وفي سنده مُحرَّر بن هارون بن عبد الله التيمي، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «تقريب التهذيب» (٦٤٩٩) «متروك»، وقال: حديث حسن.

(٥) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص١١٦ ـ ١١٧.

والتسويف للغد له مخاطره، فهل تضمن العيش إلى الغد؟ وإذا عشت إلى الغد فهل سيكون وقت غدك فارغاً أم سيحمل معه واجباته ومشاغله؟ يروى أنه لما قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدا عليه الإرهاق من كثرة العمل: أخِّر هذا إلى الغد، فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟[١]، وذلك لأن تأجيل العمل إلى غد قد ينتج عنه اجتماع أعمال يومين في يوم واحد. ونتيجة التسويف إمّا عدم القيام بالشيء أو إنجازه متأخراً، وفي كلا الأمرين ضرر حاصل، هذا ما جعل شكسبير يقول: «ثلاث ساعات مبكراً أفضل من دقيقة متأخراً»[٢].

وإنّ اليوم الحاضر الذي تعيشه هو ميدان عملك، فالماضي ذهب ولن تستطيع أن تؤثر عليه والمستقبل تخطط له لكنه قد يحمل ما لا تتوقع خلاله مما يثنيك عن مخططاتك، وقد قيل: «ما مضى فات، والمستقبل غيب، ولك الساعة التي أنت فيها»، لذلك أهم وقت يعيشه الفرد هو «الآن»، فعلى الفرد أن يقوم بما بين يديه من عمل ومسؤوليات واضحة ولا ينتظر الأحلام البعيدة كما يقول الأديب الإنكليزي توماس كارليل: «ليس علينا أن نتطلع إلى هدف يلوح لنا باهتاً من بعيد، وإنما علينا أن ننجز ما بين أيدينا من عمل واضح بيّن»[٣]، وينصح الدكتور أوسلر قائلاً: «إنّ أفضل الطرق للاستعداد للغد هي أن نركّز كل ذكائنا وحماسنا في إنهاء عمل اليوم على أحسن ما يكون، وهذا هو الطريق الوحيد الذي نستعد به للغد»[٤].

طول الأمل يورث التسويف:

أهم أسباب التسويف طول الأمل، وهو استشعار طول البقاء في

---

(١) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٥. نقلاً عن المرجع السابق، ص١١٧.

(٢) Elaina Zuker, How to Master Your Future, P.1.

(٣) ديل كارنيجي، دع القلق وابدأ الحياة، ترجمة عبد المنعم الزيادي، مرجع سابق، ص٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦.

الدنيا، وهو يتغلب على القلب فينسى المرء أنه مهدد بالموت في كل لحظة، وهو من أخطر وأضر الأمراض على الإنسان، حيث يواجه المرء وقته ببناء الأماني والأحلام المستقبلية، والأماني لا تبني مجداً ولا تحقق أملاً، بل هي كما قال كعب بن زهير: إن الأماني والأحلام تضليل! وطول الأمل لا يجني سوى الندامة لأن العمر قصير والأجل آت، ولن يبقى من الأيام سوى صحائف الأعمال، والمسوِّف ـ إن لم يتدارك الأمر ـ يستمر بالتأجيل لطول أمله حتى يبادره الموت.

الأعمال البغيضة مدعاة للتسويف:

أخطر التسويف يكمن في أننا نسوّف أهم الأعمال إلى المستقبل لفعل أمور أقل أهمية، وذلك بسبب الراحة النفسية أو الجسدية التي نجدها عند القيام بتلك الأعمال الأقل أهمية من غيرها.

يقول وليم جيمس ـ وهو المتصف بأنه أب علم النفس في أمريكا ـ بأن هنالك ما يسمى بمبدأ المتعة في العمل وهو ببساطة أن سلوك الإنسان يتأثر إلى حد بعيد بما هو مريح وممتع له، فيميل دوماً إلى فعل الأمور المحببة والممتعة له، ويحاول جاهداً التهرب من الأعمال البغيضة وغير الممتعة له، لكن بينما يكون العمل بغيضاً على النفس، نجده في كثير من الأحيان غاية في الأهمية، لذلك إنّ ما نسوّفه في غالب الأحيان قد يكون أهم ما لدينا من الأعمال، وذلك لكونها بغيضة على النفس[١].

خطوات عملية للتقليل من التسويف:

هنالك أربع اقتراحات عملية يجب القيام بها حينما تشعر بأنك ستسوّف عملاً هاماً لمستقبل الأيام:

١ ـ حدّد موعداً نهائياً لإنجاز العمل: المواعيد النهائية تشعرنا بالضرورة، وعندما نواجه موعداً جاداً لإتمام عمل ما فإننا نتحرك أسرع

---

(١) Richard I, Winwood, Time Management, P.106.

وبطاقة أكبر للانتهاء منه، فقم بمعاهدة نفسك: «سأنتهي من فعل هذا الساعة الفلانية إن شاء الله» أو «سأكون منتهياً من هذا بعد ٥ أيام إن شاء الله»، فحينما تحدد موعداً نهائياً للقيام بمسؤولية ما قد تؤجله إلى فترة وجيزة ثم تقوم به قبل وصول ذلك الموعد.

٢ ـ **ابدأ بالأعمال الأكثر كراهية على نفسك**: لا شك في أننا نميل إلى البدء بالمهام السهلة والممتعة، لكن البدء بالعكس كطريقة للتغلب على التسويف أمر فعَّال، فعندما نبدأ نهارنا نكون في أعلى مراتب الطاقة، وحينذاك قد يسهل القيام بهذه المهام غير المحببة للنفس، ثم إنه بعد الانتهاء منها نقوم بالأمور الأخرى السهلة على أنفسنا، وذلك عند ضعف النشاط حينما يتقدم الوقت في النهار.

٣ ـ **تجزئة العمل المعقد إلى خطوات صغيرة**: إنّ كثيراً من الأعمال تكبر مع تأجيلها، وكلما كبر العمل وتعقّد أخافنا فنؤجله أو نهمله، لكن تجزئة العمل الكبير المعقد هو أفضل السبل لإمكان القيام به، يقول «هنري فورد»، صاحب مصنع سيارات فورد: إن المبدأ الأساس الذي بُني عليه نظام صناعة قطع السيارات وتجميعها كانت الفكرة التالية: «لا شيء صعب المنال إذا جُزّئ إلى أعمال صغيرة»، ويقول مارك توين: «إن سر التقدم يكمن في الابتداء بالعمل، وإن سر الابتداء بالعمل المعقّد يكمن في تجزئته إلى مهام صغيرة سهلة، ثم البدء بأول تلك المهام»[(١)].

٤ ـ **الشروع في العمل**: إذا كان العمل كريهاً على النفس يسهل تأجيله، وطالما يؤجل هذا العمل للمستقبل طالما يصعب القيام به، ويضخم في ذهن الفرد مع كونه قد يكون بسيطاً وسهلاً، ويسبب مع غيره قلقاً نفسياً لتراكم الأعمال واحدة فوق الأخرى بسبب التسويف، وبمجرد البدء في العمل المسوَّف سيظهر مباشرة حجمه الطبيعي غير المتأثر بالحالة

---

(١) Mark Twain, Pits and pieces, Vol. R, No.18, P.14.

النفسية هذه، وقد يحدث كثيراً أن تؤجل عملاً لظنك أنه صعب وكريه ولن تطيق فعله، لكنك بمجرد البدء به يظهر لك العكس وأنه سهل المنال وليس كريهاً كما ظننت، لذلك من الخطوات العملية لكسر سلسلة تسويف عمل ما من يوم لآخر هو الشروع به، ولو مجرد البدء به ثم إتمامه لاحقاً.

٥ ـ مغادرة مواطن الراحة

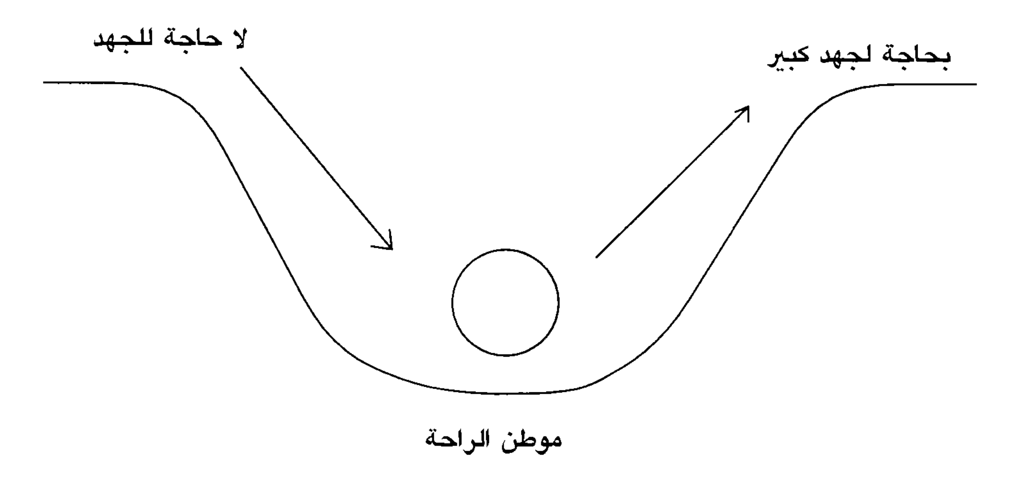
أعني بمواطن الراحة ما ترتاح له النفس البشرية من حالات وأوضاع معينة لا تحتاج الجهد الجسدي ولا العقلي الكبير، وكل إنسان لديه مواطن معينة يحب صرف وقته فيها، قد يكون موطن راحة الفرد أن يستلقي على ظهره وبيده جهاز التحكم بالتلفاز عن بعد، ويمضي الساعات في مشاهدة البرامج التلفزيونية منتقلاً بين محطة وأخرى، أما بالنسبة لآخر فقد يجد موطن راحته في الجلوس على الشرفة وقراءة المجلات السطحية التي تتكلم عن الممثلين والممثلات وتنقل أخباراً مثيرة عنهم، وقد يجد آخر أحد مواطن راحته في لقاءاته مع الأصدقاء في أوقات وأماكن مختلفة، وقد يكون موطن الراحة في كثرة النوم، ومواطن الراحة هذه منها ما هو نفسي ومنها ما هو جسدي أو كلاهما معاً.

يقول هيرم سميث في كتابه «القوانين الطبيعية العشر للفعالية في إدارة الوقت والحياة»: «إنّ تمكنك من تحقيق أي هدف يستوجب منك مغادرة مواطن الراحة»[١]. وإن الصراع دائر بين هوى النفس الإنسانية الداعية للراحة والدعة التي تجذبه للركون للأرض، وبين الروح الإنسانية المحبة للعلياء والنهوض بالأمانة وبلوغ الأهداف المنشودة. والإنسان الذي كوّنه الله من مادة التراب مشدودٌ دوماً للأرض، كموطن الراحة والأمان ومتاع الدنيا وزينتها من المال والمعيشة المريحة في البيوت الفاخرة والأطعمة الشهية، لكن الروح المؤمنة الربانية خلاف ذلك، إنها رامية للعلياء، تشده إلى غايات أسمى.

---

(١) Smith, Hyrum W., The Ten Natural Laws of Successful Time and Life Management, P.11.

لكن الصعود بهذه النفس من الركون للأرض إلى العمل الجاد يحتاج الجهد الكبير، وقد يشبه ذلك وجود الإنسان في منتصف هوة عميقة تمثل موطن راحته حيث لا يحتاج لجهد في بقائه فيها، لكن صعوده منها يحتاج لبذل الجهد والطاقة الكبيرة، وكلما بَعُد عن موطن راحته تطلب ذلك منه جهداً أكبر، وذلك كالكرة التي تتدحرج بقوة الجاذبية للأسفل وتحتاج الجهد والدفع القوي لصعودها بالجهة المعاكسة، كما نرى في الرسم أدناه.



وصرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية، بل تحتاج لتطويع وترويض تلك النفس عليها. لا شك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبُّداً لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم، وهو الجنة ونعيمها.

لا شك أن الجلوس والتراخي في البيت من مواطن الراحة لكن قد يأبى الداعي النشيط إلَّا الخروج للناس ومخالطتهم ودعوتهم وتحمل أذاهم أينما كانوا مستصغراً في سبيل ذلك تعب جسده، ولا شك أن الاطمئنان

على النفس والمال من أعظم مواطن الراحة الأساسية في حياة الإنسان حسب دراسات متخصصة في هذا المجال، لكن الكيِّس الطالب رضوان الله تعالى قد يتخطى ذلك الحاجز المادي الذي يشده للأرض، فيخاطر بنفسه وماله، بل قد يضحي بهما في سبيل أهداف يعيشها وغايات ينشدها.

ومواطن الراحة قد تتلاقى مع مواطن الكسل واللهو، وذلك إذا زادت أوقات الراحة عن حدها المعقول، فهذا لا يعني الاستغناء الكامل عن اللهو والراحة، بل لا بد من ساعات يستريح بها الإنسان ويروّح عن نفسه، لكن أن تتمحور الحياة بأكملها حول الراحة واللهو والكسل عن العمل فهو لعمري ضياع للعمر والحياة، وإن ملازمة مواطن الراحة صفة خسيس الهمة وسمة النفوس الفارغة، يقول فيها سيد قطب رحمه الله: «إنها صورة النفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواطن القداسة... والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبء ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة»[1].

٦ ـ اغتنام الساعات المباركات

لقد أطلقتُ هذه التسمية «الساعات المباركات» على ساعات الصباح الأولى مستحضراً دعاء الرسول ﷺ لأمته بالبركة خلال أوقات الصباح الباكر حيث قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[2]، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل، فتطيب أنفسنا وننشط طوال

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٤ ص٢٣٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب: ما جاء في التبكير بالتجارة. ورواه أبو داود، كتاب الجهاد (٢٦٠٦). وصححه ابن حبان من حديث صخر. واعتنى الحافظ المنذري بجمع طرقه فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين نفساً.

نهارنا، خلافاً لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ نشاط يومه بصلاة الفجر ومن فاتته: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإذا هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدة ثانية، فإذا هو صلى انحلت عقدة ثالثة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[1].

والفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها، فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج، والثاني نتيجته كسل وفشل، يقول الشيخ القرضاوي معلقاً على هذا الحديث: «وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة وانطلق إلى معترك الحياة، نشيط الجسم، طيب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان!»[2].

أي الساعات هي؟

قد تتساءل أي ساعات هي تلك الساعات المباركات وكم عددها، أهي من السادسة حتى التاسعة صباحاً؟ أم من السابعة حتى العاشرة؟ أم من الخامسة حتى السابعة؟ أعتقد أنها ابتداءً من وقت الفجر أو من قبيل وقته بقليل، وقد تكون لقرابة ثلاث ساعات، هذا حسب تجربتي الشخصية، فإن الذهن خلالها صاف وتنعدم المقاطعات خلال هذه الفترة وتسبق انغماس الإنسان في معيشته اليومية من وظيفة أو عمل ما.

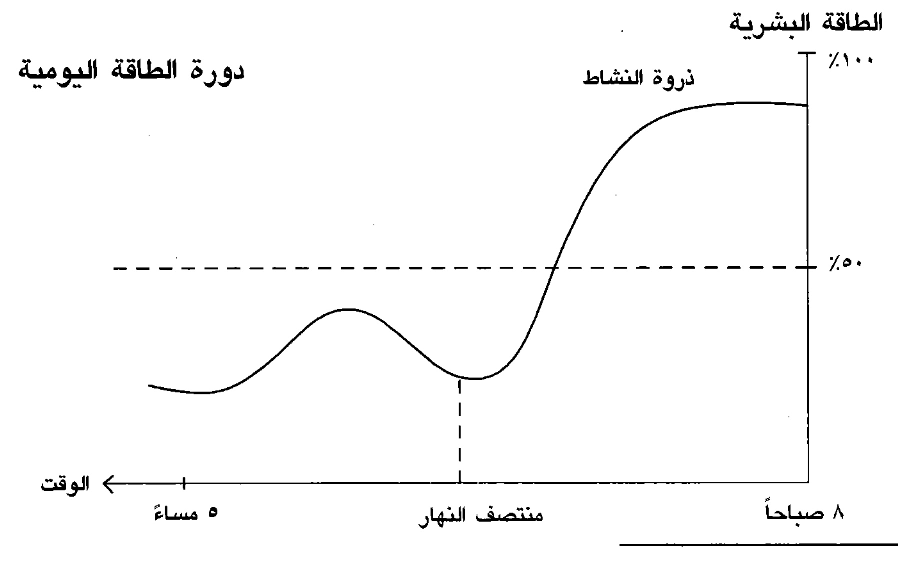
لم يتحدّث المسلمون فقط بأهمية هذه الساعات، بل هي مبدأ عالمي

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب التهجد، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس، حديث رقم (١١٤٢). ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل، حديث رقم (٧٧٦).

(٢) الوقت هو حياة المسلم، الشيخ يوسف القرضاوي، ص١٣.

هام في علم إدارة الوقت أُطلق عليها «وقت الذروة»[1]، فإن للإنسان ما يسمى بدورة الطاقة النموذجية التي تتغير حسب الوقت خلال اليوم، ولقد أثبتت التجارب العلمية أن الإنسان يمتلك أعلى درجات طاقته وصفاء ذهنه عند الصباح الباكر، وقد ارتأى معهد فرنكلن للتدريب الإداري قياس الطاقة البشرية منذ الساعة الثامنة صباحاً، كما هو مبيّن نتيجته في الرسم أدناه، وهذا أمر أراه خطأ ويجب أن يكون منذ الخامسة أو السادسة صباحاً، وأعتقد أنه لو قاس هذا المعهد الطاقة البشرية من قبل الساعة الثامنة بساعتين لوجدها أكبر مما هي عليه عندها، وقد تنبّه لهذا صاحب كتاب العادات العشر، حيث أطلق عبارة «الساعات السحرية» على أنها من الخامسة إلى الثامنة صباحاً بالنسبة له[2]، واشترط أن تكون تلك الساعات خاصة بالشخص وحده، وبعيدة عن كل المقاطعات، وخارجة عن نطاق الأعمال اليومية الروتينية. وذكر ماكنزي حاجة كل إنسان إلى ساعة أو ساعات هدوء مطلق لا يتخلله أي مقاطعة، قد تحدد في أي وقت مناسب حسب الشخص، لكنها الأفضل في أبكر ساعات الصباح، وأطلق عليها اسم «الساعة الهادئة»[3].



(١) Prime Time.

(٢) Hyrum W. Smith, The Ten Natural Laws Of Successful Time and Life Management, P.9.

(٣) Alec Mackenzie, Time for Success, P.141.

وحينما أختار أن وقت الذروة أو الساعات المباركات أو الساعات السحرية ـ حسب اختلاف تسميتها ـ تبتدئ من الفجر، فهذا يعني أن نفرغها لأهم أولويات حياتنا، فنختار أهم الأعمال والمشاريع وأكثرها تطلباً لحضور الذهن وصفائه قبل البدء بروتين العمل خلال اليوم، وإن ذلك يتطلب استعداداً مسبقاً لاستغلال اليوم من أوله، وذلك بأن ينام الفرد مبكراً مع استحضار آداب النوم، داعياً الله بالأذكار المأثورة قبل نومه، مستحضراً نية صادقة للاستيقاظ لصلاة الفجر، وليستعن بما ينبهه للاستيقاظ قبيل الفجر عسى الله أن يرزقه قيام ركعتين، طالباً من الله العون والتسديد، وهذا تحضير لاستغلال الساعات المباركات واليوم كله. ومن أجل استمرارية اغتنام الساعات المباركات أرى أنّه من الضروري المحافظة على قيلولة يومية لقرابة نصف ساعة إلى ساعة واحدة والله أعلم.

وإن هذا العمل المتواضع الذي تقرؤه مثالٌ على ذلك، حيث كان معظم إنتاجه خلال الساعات المباركات، فلقد أخذت على عاتقي كتابة صفحات في علم إدارة الوقت لشعوري بأهميته لشباب هذه الأمة والعاملين لدينه، ولقد ضاق وقتي تماماً لهذا العمل، فعزمت على تفريغ تلك الساعات للعمل عليه، فكنت أكتب ما تقرأ بُعيد صلاة الفجر ولقرابة ساعتين أو ثلاث، فكان ذلك في الصيف منذ الساعة الخامسة تقريباً حتى الثامنة وخلال الشتاء منذ السابعة حتى التاسعة، وذلك لصفاء ذهني آنذاك، ولانعدام وجود أي وقت آخر أتفرغ خلاله من جميع المشاغل اليومية، ولانعدام المقاطعات خلال هذه الفترة، وصدق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله حينما ذكر أنه «من الأعمال العلمية ما لا يكتمل حصوله على وجهه الأتم إلا في الأوقات التي تصفو فيها الأذهان، وتنشط فيها القرائح والأفهام، وتكثر فيها البركات والنفحات، كساعات الأسحار والفجر والصباح، وساعات هدأة الليل والفراغ التام والسكون الكامل للمكان»[1].

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص١٠٠.

٧ ـ الأخذ بالقليل الدائم

لقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: «. . .وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»[١]، وهذا المبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية، وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة.

لقد أصبحت الحياة اليوم أكثر تعقيداً مما مضى، فنرى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات التي لا تستطيع إنجازها جميعاً خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسّم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر.

وإنّ المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل، مثال ذلك: مفتي بغداد الإمام المفسر الآلوسي، حيث يروي حفيده محمود شكري الآلوسي أنه كان يدرّس ـ أيام اشتغاله بالتفسير ـ ثلاث عشرة حلقة علمية في المسجد، وهنا نتساءل: كيف استطاع الإمام الآلوسي الذي كان منشغلاً في الإفتاء والتدريس طوال يومه أن ينتج تفسيره الفريد الضخم الذي قيل فيه بأنه أعجوبة فريدة لدى العلماء من بين التفاسير؟! والجواب هو: أن الإمام الآلوسي كان يكتب بأواخر الليل ورقات قليلة من تفسيره في كل ليلة، وداوم على ذلك حتى أنتج ذلك التفسير، فألفه بالمداومة على العطاء، وضم القليل إلى القليل في كل يوم وبشكل مستمر، مما أكسبه الإمامة في التفسير وقيل عنه: هو خاتمة المفسرين[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: القصر والمداومة على العمل، حديث رقم (٦٤٦٤). ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم، حديث رقم (٧٨٢).

(٢) عبد الفتاح أبو غدة، قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٨١.

إنّما السيل اجتماع النقط:

وهذه فعالية ضم القليل إلى القليل بشكل مستمر فهي تشبه السيل الذي يجتمع نقطة نقطة. وبهذا المبدأ تسهل الغايات الضخمة، ورُب قائل: «إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة وتؤخذ كل خطوة على حدة»[1]. فإن من أهم لوازم النجاح وبلوغ الأهداف الثبات والاستمرارية في العمل اليومي، ولو قلّ حجمه.

يقص علينا كارينجي حكاية شجرة ضخمة نبتت منذ أربعمائة عام، وتعرضت في حياتها الطويلة للصواعق أربع عشر مرة، وهزّتها العواصف العاتية طوال أربعة قرون متوالية، ومع ذلك ظلّت الشجرة جاثمة في مكانها كأنها جبل عتيد، ثم حدث أخيراً أن زحفت جيوش الحشرات على هذه الشجرة الضخمة فما زالت بها تُنخرها وتقرضها حتى سوّتها بسطح الأرض، وجعلتها أثراً بعد عين، فتلك أعمال بسيطة لحشرات ضعيفة كالنمل قضت عليها بالمثابرة والمداومة على القليل[2].

ولقد أخبرني أحد الزملاء أن طريقة حفظه لكتاب الله كانت بمداومته على حفظ ٣ آيات كل صباح فقط مع بعض المراجعة، وبهذه المداومة والمثابرة ولو لوقت قليل كل صباح انتهى من حفظ القرآن خلال ٦ سنوات.

ويقاس على هذا جوانب الحياة المختلفة، فتُقسَّم الأوقات وتنظم، وقت للعبادة، ووقت للنمو العلمي، ووقت لتزكية النفس، ووقت لطلب المعيشة، ووقت للزوجة والأولاد، ووقت للراحة، وهكذا.

التوازن في مصارف الوقت:

إنّ عدم تقسيم الأوقات بين الأعمال المختلفة يورث الإفراط بأعمال

---

(١) Stephen R. Covey, The Seven Habits of Highly Effective People, P.7.

(٢) محمد الغزالي، جدِّد حياتك، مرجع سابق، ص٧٠.

والتفريط بأخرى، فإنني كثيراً ما أجد مبالغة في جانب معين من جوانب الحياة عند بعض الناس، وهذا بشكل طبيعي ينتج عنه إغفال لجوانب أخرى، فقد يبالغ أحدهم بواجب ويغفل تماماً عن واجب آخر، فيبالغ في العمل الدعوي ويغفل عن معيشة عائلته، أو يبالغ في القيام والصيام فيرهق بدنه حتى يعجز تماماً عن متابعتهما بعد حين أو عن القيام بمسؤوليات عمله اليومي، أو يبالغ في عمله لطلب الرزق فيغفل عن صلوات الجماعة وعن شأن أمته بشكل عام، والحل ما قاله رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»[1]، ومعنى الحديث كما قال المناوي في التيسير: «لا يتعمق أحد في العبادة ولا يترك الرفق كالرهبان إلا عجز فغلب، فسددوا، أي: الزموا السداد، وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط، وقاربوا، أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، وأبشروا أي بالثواب على العمل الدائم وإن قلّ»[2].

ومن هنا لم يجز المبالغة في العبادات إلى حد إعنات النفس وإيقاعها في المشقة الزائدة على المعتاد، وذلك لأن المسلم مكلف بأمور متنوعة كثيرة فإذا جاوز الاعتدال في أحدها قصّر في باقيها. فإن الكثير المرهق للنفس فيه الانقطاع، فصيام الأيام البيض الثلاثة من كل شهر بشكل دائم أفضل من صيام داود لأشهر ثم ترك صيام التطوع تماماً، وإن طلب الرزق في عمل يأخذ جزءاً من النهار أفضل من العمل طوال اليوم من الصباح إلى المساء منقطعاً عن واجبه نحو دينه وأهله بحجة أنه عندما يهيئ استقلالية مالية تامة سيتفرغ تماماً للعمل الإسلامي ولأهله والأمور الأخرى!

والأصل الاقتصاد والاعتدال في كل شيء فلا يطغى عمل على آخر،

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب: الدِّين يسر، حديث رقم (٣٩).

(٢) يوسف القرضاوي، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص٢٢.

ولقد نصح سلمان الفارسي أبا الدرداء ﵄، حيث بالغ في عبادته فنسي حقوق بدنه وزوجته، فقال له: «إن لربك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقّه»، وحينما روي ذلك للرسول ﷺ قال: «صدق سلمان»[١]. ومثله ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، حيث كان يصوم الدهر ويقوم الليل أبداً، فلما أُعلم النبي ﷺ بذلك قال: «لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإنّ لجسدك عليك حقّاً، وإنّ لعينك عليك حقاً، وإنّ لزوجك عليك حقّاً، وإنّ لزورك عليك حقّاً. . .»[٢]. وفي رواية مسلم زيادة: «وإنّ لولدك عليك حقّاً»[٣]. وفي هذا كله توازن في مصارف الوقت، ومداومة على القليل الدائم من العمل ضمن واجبات الحياة المتعددة.

٨ ـ المسارعة والسرعة

إنّ ثمة عنصراً هاماً في إدارة الوقت هو السرعة في إنجاز العمل، وهذا ما يتعلق بإنتاج الفرد، والإنتاج بلغة التجارة هي نسبة الربح على التكلفة، لكنها في عالم الإدارة هي نسبة النتيجة على الوقت، فكلما قلّ الوقت في إنجاز عمل ما زادت نسبة الفعالية في العمل وارتفعت نسبة الإنتاج خلال الوقت، مهما كان هذا الإنتاج: علماً أو عملاً أو قراءةً وما شابه ذلك[٤].

ومن أجل حمل أنفسنا على السرعة في أنشطتنا، ينصح الإداريون أن تضع لكل نشاط موعداً لإنجازه، لذلك «باستطاعتك رفع فعاليتك بشكل كبير، ببساطة حينما تحدد لنفسك موعداً نهائياً لإتمام كل عمل بالإضافة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، حديث رقم (١٩٦٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، حديث رقم (١١). ومسلم كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، حديث رقم (١١٥٩)، وقوله: «إنَّ لزورِك» أي: لضيفك.

(٣) رواه مسلم، كتاب الصوم، باب: النهي عن صوم الدهر، حديث رقم (١١٥٩).

(٤) Alec Mackenzie, Time for Success, P.37.

إلى الالتزام به، سبب ذلك أن معظم الناس يعملون بشكل أفضل تحت بعض الضغوط وتلك المواعيد تعطيك شعوراً دافعاً بالحاجة للانتهاء من ذلك النشاط قبل الموعد المحدد»[1]. ونذكر قانون باركينسون[2] القائل: «إنّ العمل يتمدّد ليملأ الوقت المتاح لإتمامه»، لذلك اجعل الوقت المتاح للعمل أقل فتنتهي منه بطريقة أسرع، لذلك كان عكس هذا القانون أسلوباً نافعاً في إدارة الوقت، هذا يعني أن تحدد موعداً نهائياً لكل عمل وتلتزم به[3].

مثال ذلك: سرعة القراءة، أحد نتائج دراسة مصارف وقت المدراء وُجد أن معدل ما يصرف المدير في القراءة يمثل ثلث يومه، فإذا ارتفعت سرعة قراءته فهذا سيعطيه وقتاً أكثر لأمور هامة أخرى، وذلك حينما يقرأ نفس الكمية بصورة أسرع، فنرى أنّ معدل الناس يقرأون ٢١٠ كلمات في الدقيقة، لكن من خلال التدريب على كيفية القراءة السريعة يمكنك قراءة ضعفي ذلك بسهولة[4].

وهنالك فرق بين المسارعة والسرعة، فالأول يعني المبادرة بالأعمال قبل فوات الأوان، والثاني يعني إنجازها بأقل وقت ممكن، جاء في القاموس المحيط أنّ معنى السُرْعةُ نقيض البُطء[5].

ولقد أمر الله تعالى بالمسارعة في الأعمال الصالحة قبل أن تشغلنا عنها العوائق فقال: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[7].

---

(١) Edwin Bliss, Getting Things Done, P.26.

(٢) Parkinson's Law.

(٣) Edwin Bliss, Getting Things Done, P.78-79.

(٤) Arthur K.Robertson, and William Proctor, Work A 4-Hour Day, New York, William Morrow and Company Inc., First Ed., 1994, P.70, 139.

(٥) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، مادة: سرع.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وأمر الله تعالى بالمسابقة إلى مغفرة الله فقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ولقد أثنى الله تبارك وتعالى على أنبيائه بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[2]، ومدح المؤمنين الصالحين فقال: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾[3].

وهذان المبدآن هامان في اغتنام الوقت وبلوغ الأهداف، فالمسارعة في العمل تعني عدم تأجيله والشروع فيه بأسرع وقت، أمّا السرعة فتُعنى بأن نقوم به بأقل وقت ممكن، ذلك أنّ الأوّل الهدف منه ابتداء العمل سريعاً والثاني الانتهاء منه بسرعة. وفي كلا الحالتين ـ المبادرة في العمل في الحال قبل فوات الأوان وإنجازه بسرعة ـ يزيد الإنتاج الشخصي إن شاء الله.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١١٤.

خلاصة المبحث الرابع

إنَّ أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ إنّ خير ما نستعين به لتحقيق أهدافنا هو الله ﷻ، وذلك من خلال ملازمة دعائه وتوكلنا عليه والاعتماد على قدرته وتدبيره في كل عمل نسعى له.

٢ ـ إنّ تحقيق معنى التوكُّل على الله لا ينافي السعي في الأسباب، ومن عطّل الأسباب لم يصح توكله، ذلك أنّ الله تعبدنا بالسعي في الأسباب بجوارحنا وبالتوكل عليه بقلوبنا.

٣ ـ إنّ تحقيق أي هدف يستوجب تخطي الصعوبات وتحمل الأعباء ومواجهة العقبات، وإنّ حصول الخطأ والفشل المرحلي طبيعي في مسيرة أي نجاح لتحقيق الأهداف العظام.

٤ ـ إنّ عادة التسويف من أخطر أمراض إدارة الوقت، حيث أنّها آفة عظيمة تمنع صاحبها من تحقيق أي هدف، حتى يصبح التسويف سلسلة متصلة من اليوم للغد والذي يليه من غير الوصول لعمل جاد.

٥ ـ إنّ النهوض من مواطن الراحة يتطلّب بذل ما في الوسع من الجهد والعزم حتى يُرتقى إلى مواطن أصحاب الهمم العليا، حينها تسمو الأرواح وتعظم الغايات وتسهل المصاعب والمتاعب لبلوغ معالي الأمور وتحقيق عظام الأهداف.

٦ ـ لكل إنسان مواطن راحة تصبو نفسه إليها، وهي أحوال ونشاطات لا تتطلب الجهد الجسدي ولا العقلي، وإنّها مواطن الدعة والتراخي والإخلاد للراحة والمتعة، ومصارف الوقت في تلك المواطن مضيعة له حيث أنّ بلوغ أي هدف يحتاج بذل الجهد ولو كرهته النفس.

٧ ـ إنّ ثمة وقتاً يزهد فيه الكثير، لكنه أثمن وقت للإنتاح والعطاء، وهو ساعات الصباح الأولى، إنها ساعات مباركات، تبلغ طاقة الإنسان خلالها مبلغ الذروة من يومه، وفيها يصفو الذهن وتقل المقاطعات، وتسهل الخلوة مع النفس للتسديد والتخطيط.

٨ ـ إنّ لاستمرارية ضم القليل إلى القليل فعالية كبرى، حيث المداومة اليومية على القيام بالجهد القليل في حقلٍ ما عظيمٌ في تأثيره وفعاليته الإنتاجية على المدى البعيد في مختلف المطالب الحياتية.

٩ ـ إنّ التوازن في صرف الوقت مطلب حيوي لكل إنسان لكي لا يقصّر في واجب أو يغفل عن آخر، ويكون ذلك من خلال تقسيم الأوقات بحسب الواجبات المتعددة.

١٠ ـ إنّ السرعة في إنجاز الأعمال تزيد في الإنتاج وتكسب وقتاً لعطاء أكثر، ولحصول ذلك يجب تحديد موعد نهائي لإنجاز كل عمل، ذلك لأنّ أي عملٍ تمتد فترة تنفيذه لتملأ الوقت المتاح له، وكلما اتسع الوقت المتاح لذلك العمل بطأ تنفيذه.

١١ ـ إنّ أمر الله في المسارعة في الأعمال الصالحة يُراد منه الشروع والمبادرة إليها قبل أن تشغلنا عنها العوائق وقبل فوات الأوان، وهي غير السرعة التي تُعنى بإنجاز الأعمال بأقل وقت ممكن، وفي كليهما اغتنام لفسحة العمر في الحياة الدنيا.

خاتمة الفصل الثالث

إنّ لب إدارة الوقت تُعنى بتحديد: ماذا تريد وكيف تحقق ما تريد؟ نتيجة السؤال الأوّل أهداف تريد بلوغها، بينما نتيجة السؤال الثاني خطة ترسم لك طريق الوصول إلى ذلك. فالتخطيط كالجسر الذي يربط واقعك الحالي بمستقبلك المنشود، مبيناً مراحل بلوغ ما تريد وخطواته التنفيذية وبرنامجه الزمني.

وإنّ تصرفات الفرد نتاج شخصي، وهي إمّا أن تكون انفعالية عشوائية تتفاعل مع الحدث بعد حصوله أو بمبادرة شخصية تسبق وقوع الحدث، والتخطيط المنهجي سمة أصحاب المبادرة الذين يعلمون ماذا يريدون في مستقبل الأيام وكيف يصلون لذلك، ساعين في حركتهم اليومية لبلوغ ذلك.

والتخطيط يتطلب درجة عالية من الحضور الذهني ومقدرة قوية على الخروج بالمخيلة من عالم الواقع إلى عالم البصيرة لكي يقيّم الفرد حاضره ويرسم مستقبله. وإنّ التخطيط واجب شرعي وضرورة حياتية أملتها سنّة الله الكونية في خلقه في أنّ النتائج مترتبة على المقدمات، وأنّ الأسباب قائمة على المسببات، ولا سيما أنّ مهمة الدين الكبرى جاءت لإعداد الإنسان لحياة المستقبل، سواء أكان ذلك لغده القريب في الدنيا أو البعيد في الآخرة.

وإنّ الرجل الناجح يعلم إلى أين المسير، فيوجه دفة حياته نحو أولويات ينشدها وأهداف يريدها، وإلّا كانت مسيرة الحياة كإبحار سفينة من غير ميناء تقصده، تاركة العنان للأمواج والرياح تتقاذفها تارة يمنة وتارة يسرة. وإنّ الفشل في تحديد الأهداف وغياب التخطيط نتيجته الواقع المعاصر الذي تعيشه أمتنا من تخبُّط وضياع.

وحيث إن طبيعة الحياة الفعّالة تتطلّب العمل على تحقيق أهداف مختلفة في مجالات الحياة المتعددة، لذا يتطلب ذلك مستوى أعلى من التخطيط، وذلك يكمن في حقل إدارة الأهداف المتزامنة، ممّا يؤكد ضرورة اتباع منهجية منظمة لإدارة السلوكيات اليومية، لكي لا تتداخل المخططات فتتعثر الخطى. لذلك لا بد من استخدام أسلوب علمي للتخطيط وآلية لإدارة الوقت، مع الحذر من فقدان توجه الفرد في حياته، فيخطط لليوم بدقة، وله وقفات دورية لتقييم الماضي والنظر في المستقبل، متمحوراً حول تلك الأهداف والمخططات، يسير بهمة عالية تقربه كل يوم من بلوغ ما يريد. وبذلك تكون الرؤى قد أصبحت أهدافاً منشودة، والأهداف خططاً، والخطط حركة، والحركة واقعاً ملموساً.

وإنّ مسيرة النجاح تتطلب سلوكيات عملية مساعدة على بلوغ الأهداف، فلا بد للفرد خلال مسيرة تنفيذ خططه من الثبات والمثابرة أمام المعيقات والعقبات اليومية، كما أنّ عليه ألّا يسوّف عمله للغد، فيعمل بجد ودقة مقسماً وقته بين أهدافه المختلفة، فتصبح نشاطاته مدروسة وأحداث حياته بمبادرة شخصية، يعلم كل صباح ماذا يريد وكيف يحقق ما يريد وأين هو الآن من ذلك وكيف يصرف وقت يومه هذا لمتابعة المسير.



الفصل الرابع

استقراء واقع المسلمين المعاصر

الفصل الرابع
استقراء واقع المسلمين المعاصر

مقدمة الفصل الرابع

تطرّق البحث في الفصول الثلاثة السابقة إلى جولة نظرية شاملة لإدارة الوقت من منطلق علمي معاصر، وإلى تطور هذا العلم وجذوره الراسخة في تراثنا الإسلامي. واستخلصنا أهمية الوقت في حياة المسلم، وأنَّه وعاء كل عمل، وأنَّه النعمة المسخّرة التي يلزم اغتنامها لفلاح الفرد عاجلاً وآجلاً. كما علمنا أنَّ إدارة الوقت سلوك يتعلق بتوظيف هذه المادة لبلوغ ما يريده الفرد من أهداف وكيفية تحقيقها.

لكن مجرد الدراسة النظرية في هذا الباب قد لا تعمّ فائدتها بشكل كامل ما لم نقف على مكامن المرض الذي يجعلنا نحن المسلمين اليوم أقل إنتاجاً وعطاءً من غيرنا، بعد أن كان حالنا خلاف ذلك في سالف عهدنا. لذلك فإنَّ هذه الدراسة العملية تهدف إلى استقراء واقع المسلمين الحالي في كيفية إدارة أوقاتهم، وذلك من خلال جمع عينة إحصائية كافية تكون نموذجاً يمكّننا من خوض غمار البحث في مكامن الخلل لاستخلاص الداء فيسهل علينا وصف العلاج الناجع، وللتوصل إلى أهم التوصيات التي من شأنها أن تعيننا على تفعيل طاقتنا لنصبح أكثر استثماراً للوقت والحياة.

وقد تمّ تقسيم هذا الفصل إلى ستّة مباحث كالآتي:

المبحث الأوَّل: طبيعة الدراسة ومادتها وكيفية إجرائها:

حيث تطرّق البحث إلى الإجراءات العملية ابتداءً من الاستبيان وأسئلته، وانتهاءً بكيفية التعامل مع البيانات الإحصائية. بالإضافة إلى التركيبة الديمغرافية للعينة الإحصائية المشاركة في الدراسة.

المبحث الثاني: استقراء مصارف الوقت لدى مسلمي اليوم:

من خلال البحث في مصارف أوقات المسلمين ومدى إنتاجيتهم اليومية، وكيف يختلف هذا جغرافياً، وبحسب الجنس، والعمر، والدرجة العلمية.

المبحث الثالث: استقراء المعالم الشعورية في تعاملنا مع الوقت:

من خلال البحث في المعالم الشعورية لدى المسلمين في تعاملهم مع أوقاتهم؛ كشعور الفرد بالحرص على وقته، ومدى فاعليته في المجتمع، وهل يشعر بأنَّ لديه الحرية في التحكم بوقته وبمجرى الأحداث في حياته أم أنه يشعر بالعجز حيال ذلك؟ وهل لديه توجُّه داخلي يقوده نحو الأهم؟

هذه المعالم الوجدانية هي أساس هام للتوجه العملي في إدارة الوقت، ذلك أننا من خلال دراسة العنصر النفسي الداخلي نستطيع تفهُّم بعض أسباب ضعف الإنتاج العملي لدى البعض.

المبحث الرابع: استقراء المعالم التنفيذية في تعاملنا مع الوقت:

من خلال السعي إلى معرفة المعالم التنفيذية في تعاملنا مع الوقت، وذلك باستقراء مدى تطبيق المبادئ الأساسية لإدارة الوقت؛ كتحديد الأهداف وكتابتها، ومن ثم التخطيط للوصول إليها، وهل نقوم بتبويب سلّم الأولويات ومن ثم نعمل بحسب ذلك، وما مدى استخدامنا لأي آليات إدارة الوقت. بالإضافة إلى معرفة ما إذا كنا نمتلك رسالة حياتية نحيا بها ولها، وهل فعلاً نسعى لتحقيقها إن وُجدت، وما هي مجالات أهدافنا الحياتية وكيف تتغيَّر بحسب اختلاف معلومات العينة الديمغرافية.

المبحث الخامس: استقراء أسباب ضياع الوقت:

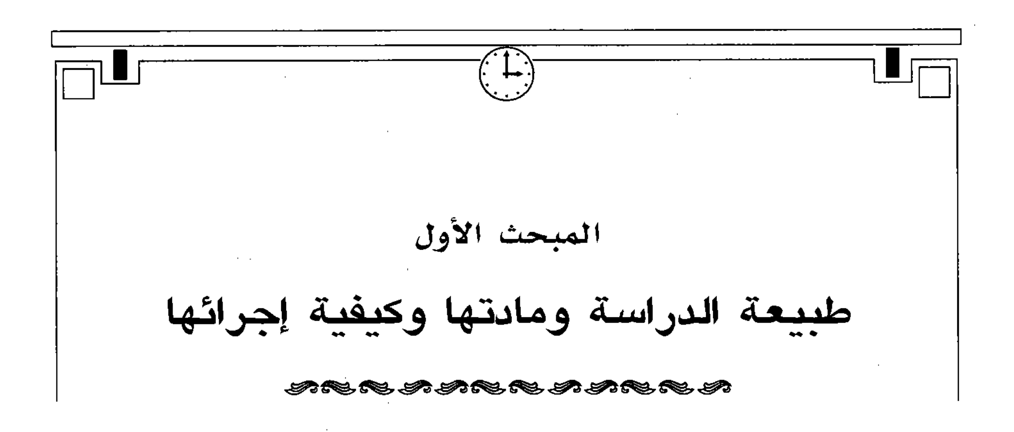
حيث سأدرس هنا أسباب ضياع أو تضييع الوقت، وهي على

اختلافها كثيرة، منها ما هو داخلي يتعلق بالشخص نفسه، ومنها ما هو خارجي يتعلق بالبيئة التي يعيشها، بالإضافة إلى كيفية اختلاف هذه الأسباب بحسب التمايزات الديمغرافية في العينة الإحصائية.

المبحث السادس: استقراء معوقات الإنتاج:

حيث سأدرس في هذا المبحث معوّقات الإنتاج والفعالية في مجال العمل، وعلاقة ذلك بالاختصاص والرغبة الداخلية، وتحليل الأسباب المختلفة المعيقة عن الإنتاجية وخلفياتها حسب المعلومات المتوافرة في العينة الإحصائية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة الإحصائية لم تخلُ من الصعوبات الجمّة، منها ضخامتها وحاجتها لجهود كبيرة، وتشكيك البعض في الهدف منها ظاناً أنها عمل استخباراتي!



المبحث الأول

طبيعة الدراسة ومادتها وكيفية إجرائها

مقدمة المبحث الأوَّل

يتناول الجزء العملي من هذه الدراسة استقراءً لواقع المسلمين في تعاملهم مع الوقت. وحتى تكون الدراسة نافعة وشاملة لم أتوقف على عينة صغيرة من المسلمين في مكان واحد وضمن مواصفات خاصة؛ كالطلاب المسلمين في أمريكا مثلاً، بل هدفت لأن تجمع فئات متنوعة من المجتمع: رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، من عدة أقطار جغرافية مما جعل هذه الدراسة واسعةً كمّاً وعميقةً مادةً.

سأتناول في هذا المبحث طبيعة الدراسة الإحصائية من حيث الاستمارة ومادتها والهدف منها. كما سأتناول كيفية إجراء هذه الدراسة من حيث الخطوات العملية التي اتخذتها، ابتداءً من جمع المادة الإحصائية إلى تحليلها. وأخيراً سأتطرق إلى التركيبة الديمغرافية للعينة الإحصائية من حيث حجمها ومكان إقامة المشاركين، وتقسيمهم بحسب الجنس، والموقع من الأسرة، والعمر، والتحصيل العلمي.

المطلب الأوَّل: طبيعة الدراسة

إنها دراسة إحصائية تحليلية استخدمت استبياناً مكتوباً يُملأ مباشرة من قِبَل المشاركين في الدراسة أنفسهم، وهذا الاستبيان يهدف في أسئلته إلى استقراء واقع المسلمين اليوم في نظرتهم للوقت، ومدى استخدامهم لمهارات

إدارته، وعلاقة ذلك بمختلف المعطيات الإحصائية بعضها ببعض وبالمعلومات الديمغرافية للعينة التي شاركت في ملء الاستبيان.

ويتكوّن الاستبيان من خمسة أجزاء، كل جزء من عدة أسئلة (انظر الاستبيان ص٤٣٠)، وحرصت أن لا يذكر المشارك اسمه وأن يملأه بمفرده لتكون الإجابات أقرب للواقع بعيداً عن أي حرج أو مبالغة، والإجابات المطلوبة عبارة عن أرقام، أو وضع علامة «✓» أمام الإجابة المختارة، أو الإجابة بـ: نعم أم لا، ونادراً ذكر كلمة أو كلمات قصيرة.

أنموذج من الاستبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الفاضل/أختي الفاضلة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا استبيان استقرائي يُعدّ لقياس فاعلية المسلم في اغتنام وقته في عالمنا المعاصر، ويشكل جزءاً هاماً من رسالة أكاديمية لنيل درجة دكتوراه فلسفة، لذلك فإننا نهيب بك أن تأخذ الاستمارة بمستوى المسؤولية بغية التوصل إلى معرفة الواقع الحقيقي للمسلمين في هذا المجال. وعلى ضوء تبويب المعطيات وتحليلها سيقوم الباحث باستخلاص النتائج وعرضها على أبناء الأمة الإسلامية بالأمانة الأكاديمية، كما نرجو ملاحظة الآتي:

١ ـ لا حاجة لنا بمعرفة اسم المشارك ولا عنوانه.

٢ ـ نرجو وضع العلامة [×] أمام الإجابة التي تختارها.

٣ ـ إذا شعرت بالحرج في الإجابة على سؤال ما، فاترك الإجابة فارغة، علماً بأننا نأمل عدم حدوث ذلك حرصاً على معالجة مشاكل المسلمين بصراحة وانفتاح، حيث إن الإجابة عن جميع الأسئلة أمر هام جداً ويعكس مدى اهتمام المشارك بمشاركته في هذا البحث.

٤ ـ نرجو كتابة المعلومات الكمية بشكل معدل يومي حتى ولو لم تقم بالنشاط كل يوم. فعلى سبيل المثال: إذا كنت تقوم بعمل ما لمدة ٧ ساعات خلال الأسبوع ويختلف ذلك بين يوم وآخر، فالمعدل اليومي الذي تصرفه في ذلك هو ساعة واحدة.

٥ ـ إنّ أفراد العينة يبلغون الآلاف، وهم موزعون على الأقطار الإسلامية التي غالبية سكانها من المسلمين، وأقطار غربية وشرقية تمشياً مع الإمكانات المتاحة، فنرجو المساهمة الإيجابية فيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الباحث في إدارة الوقت

محمد أمين شحادة

استمارة الاستبيان

أولاً:

١ ـ كم من الوقت تصرف يومياً في التالي:

النشاط	عدد الساعات
* تحضير وجبات الطعام؟	......
* تناول طعام الفطور والغداء والعشاء؟	......
* مشاهدة التلفاز؟	......
* المواصلات؟	......
* قراءة الصحف والمجلات؟	......
* طلب العلم؟	......
* تنمية الخبرات؟	......
* زيارات اجتماعية؟	......
* في العمل؟	......
* في المدرسة أو الجامعة؟	......
* مجرد الراحة؟	......
* في التسوّق؟	......
* في الرياضة؟	......
* اللهو واللعب؟	......
* النوم؟	......
أمور أخرى (نرجو التحديد):	
*	......
*	......
*	......

٢ ـ كم ساعة يومياً تكون خلالها منتجاً بشكل جدي أثناء عملك؟

.... ساعة يومياً.

٣ ـ كم معدل الوقت الذي تصرفه يومياً في الواجبات العبادية (كصلوات الفرائض، والنوافل، والقيام، والأذكار، وقراءة القرآن. . .) إلخ؟

. . . . ساعة يومياً.

٤ ـ كم معدل الوقت الذي تصرفه يومياً في أعمال ونشاطات إسلامية؟ (كالعمل الدعوي، وطلب العلم الشرعي، وإعانة المحتاجين. . .) إلخ؟

. . . . ساعة يومياً.

٥ ـ كم معدّل ما لديك من أوقات الفراغ يومياً؟ (الخارج عن نطاق العمل المعاشي والعبادي).

. . . . ساعة يومياً.

٦ ـ هل تحافظ على الصلوات اليومية في وقتها؟

☐ نعم، أصليها جميعها في وقتها.

☐ أصلي بعضها في وقتها.

☐ لا أصلي.

ثانياً:

١ ـ هل أنت راضٍ على تعاملك مع وقتك؟

☐ نعم ☐ لا

٢ ـ هل تشعر بالندم لعدم الاستفادة من وقتك حينما تمضي ساعات طويلة في مشاهدة التلفاز أو في سهرة لاهية؟

☐ نعم ☐ لا

٣ ـ هل تشعر عند نهاية كل يوم أنّك عنصر فعّال في المجتمع من خلال ما قمت به خلال نهارك؟

☐ نعم ☐ لا

٤ ـ هل تجد نفسك تصرف أوقات طويلة في أمور غير هامة مع وجود مسؤوليات وأهداف أهم منها؟

☐ نعم ☐ لا

٥ ـ هل تشعر بأنك حرّ في كيفية صرف وقتك؟

☐ نعم ☐ لا

٦ ـ هل تشعر بأنّك متحكّم بمجرى الأحداث في حياتك؟

☐ نعم ☐ لا

٧ ـ هل تشعر بالعجز حيال إنجاز ما تريده في حياتك بسبب ظروفك المعاشية؟

□ نعم □ لا

٨ ـ هل تداوم على تنمية مهاراتك وثقافتك في مجال اهتمامك الشخصي (مثل زيادة تعلم وتدريب)؟

□ نعم □ لا

ثالثاً:

١ ـ هل لديك هدف أو أهداف تريد إنجازها في مستقبل حياتك؟ (إذا كان جوابك على هذا بـ: نعم، فنرجو الإجابة على الأسئلة من ٢ إلى ٦ أدناه).

□ نعم □ لا

٢ ـ ما هو مجال أهم أهدافك؟

□ الحياة العائلية.
□ العمل المعاشي.
□ طلب العلم الأكاديمي.
□ طلب العلم الشرعي في المساجد أو المعاهد الشرعية.
□ طلب العلم ذاتياً.
□ الواجبات الدينية.
□ المتعة واللهو.
□ المعافاة الجسدية.
□ التزكية الروحية.
□ تنمية القدرات الذاتية.
* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

٣ ـ هل لديك تفصيل مكتوب للهدف الذي تريد إنجازه؟

□ نعم □ لا

٤ ـ هل وضعت خطة للوصول لذلك الهدف؟

□ نعم □ لا

٥ ـ ما هي المدة التي تخطّط لها لإنجاز ذلك الهدف؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة واحدة).

□ لا أخطط.

☐ أخطط بشكل يومي أو أسبوعي.
☐ لدي خطة لشهر.
☐ لدي خطة لعام.
☐ لدي خطة لخمس سنوات.
* غير ذلك: (نرجو التحديد) ....

٦ ـ هل قمت بالخطوات العملية اللازمة لإنجاز ذلك الهدف؟
☐ نعم ☐ لا

٧ ـ هل تستخدم مفكرة أو نظام لإدارة الوقت لتنظيم مهامك ومسؤولياتك؟
☐ نعم ☐ لا

٨ ـ هل تصرف بعضاً من الوقت يومياً لكتابة برنامج عملك اليومي؟
☐ نعم ☐ لا

٩ ـ هل تقوم بتبويب سلم أولوياتك اليومية؟
☐ نعم كل صباح.
☐ لا أفعل ذلك.
☐ لا أدري ماذا يعني هذا.

١٠ ـ هل لديك وضوح ذهني تام حول ما هو مهم فعلاً في حياتك؟
☐ نعم ☐ لا

١١ ـ هل ترى لنفسك رسالة تعيش من أجلها؟
☐ نعم ☐ لا
* إن كان الجواب: «نعم»، ما هو مجالها؟ ....
* وهل تعمل كل ما بوسعك من طاقة لأجل تلك الرسالة؟
☐ نعم ☐ لا

رابعاً:

١ ـ هل يذهب وقتك سدى دون اغتنامه بشكل سليم؟
☐ نعم ☐ لا

٢ ـ ما هي أسباب ضياع وقتك؟ (حدّد أعظم ثلاثة أسباب لضياع وقتك).
☐ الشبكة الإعلامية (التلفاز مثلاً).
☐ ضعف التكنولوجية.

☐ كثرة النوم.
☐ مقاطعات الغير لنشاطي.
☐ الفوضى.
☐ المواصلات.
☐ الإجراءات الرسمية.
☐ الجلسات الاجتماعية.
☐ كثرة الزوار.
☐ النزاعات الشخصية.
☐ عدم تعاون الآخرين.
☐ تأجيل عمل اليوم للغد.
☐ ضعف التخطيط.
☐ لا يوجد شيء أقوم به.
* أمور أخرى:
☐ . . . .
☐ . . . .
☐ . . . .

خامساً:

١ ـ هل لديك عمل، وما هي طبيعته؟
☐ نعم، لدي عمل في الحقل التالي:
☐ موظف مدني.
☐ موظف عسكري.
☐ عامل.
☐ تاجر.
☐ مدرّس.
* غير ذلك (حدّد): . . . .
☐ لا عمل لدي.
☐ إنني أبحث عن عمل.

٢ ـ إن كان لديك عمل، كيف حصلت عليه؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة).
☐ بمؤهلاتي.
☐ بسهولة ويسر.

☐ باستخدام المحسوبية.

☐ اضطررت له اضطراراً.

* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

٣ ـ إن كان لديك عمل، هل عملك في مجال اختصاصك أو هوايتك؟

☐ نعم ☐ لا

٤ ـ هل أنت قانعٌ بإنتاجك في عملك؟

☐ نعم ☐ لا

٥ ـ ما هي المعوقات التي تحدّ من إنتاجك؟

☐ تدني الأجور.

☐ تدني الأرباح.

☐ الروتين الطويل والمعقّد.

☐ عدم الرغبة في ذلك العمل.

☐ تدني مستوى التطوّر الآلي.

* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

رجاءاً توفير المعلومات الديمغرافية التالية عنك:

١ ـ الجنس:

☐ ذكر ☐ أنثى

٢ ـ العمر:

☐ ١٨ إلى ٣٠ عاماً

☐ ٣١ إلى ٦٠ عاماً

☐ فوق ٦١ عاماً

٣ ـ موقعك في أسرتك:

☐ رب الأسرة.

☐ الزوجة.

☐ أحد الأبناء الذكور.

☐ أحد الأبناء الإناث.

* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

٤ ـ مكان الإقامة:

* المدينة: . . . .

* الدولة: . . . .
* مدة الإقامة في ذلك البلد: . . . .
* إن لم تسكن في بلدك، من أين أتيت؟ . . . .

٥ ـ التأهيل والتحصيل العلمي:

☐ ابتدائي/ متوسط.
☐ ثانوي.
☐ ليسانس/ بكلوريوس.
☐ ماجستير/ دكتوراه.

نشكرك على ملء الاستمارة سائلين الله القبول.
نرجو تسليم الاستمارة باليد للشخص الذي يجمعها أو بالبريد على العنوان الآتي:
Mohammad Chehade
P.O.Box 2145, Bridgeview, IL. 60455, USA

المطلب الثاني: كيفية إجراء الدراسة

بعد دراستي النظرية المتبحّرة لإدارة الوقت وتحديد المفاهيم والمهارات الأساسية لهذا العلم، وضعتُ استبياناً لأُقوِّم واقع المسلمين في تعاملهم مع الوقت، ولمعرفة مواطن الضعف وعوامل الداء التي تمكّنني وغيري من الباحثين في هذا الباب من معالجة ذلك على بصيرة.

بعد ذلك تمّ ترجمة الاستبيان إلى عدة لغات: الإنكليزية والأردو والفارسية والبنغالية والتركية والكردية والفرنسية، وهي اللغات المحلية للدول التي أردت جمع الاستبيان منها، ثم طبعت بضعة آلاف مطوية من ذلك الاستبيان، وبعد ذلك وخلال سنة ونيف جمعت العينة الإحصائية بمعاونة بعض الأصدقاء والمهتمين في بلدان عدة حول العالم.

كما أنني وضعتُ موقعاً على الإنترنت ليسهل المشاركة بملء الاستبيان عليه، ولقد صاحب ذلك العديد من اللقاءات العامة وخاصة في المساجد وخلال المؤتمرات الإسلامية في أمريكا، وكذلك الكتابات في الصحف والمجلات، لحض المسلمين على المشاركة ولجمع المادة الإحصائية.

وبعد جمع الاستبيانات المملوءة من دول مختلفة، قمتُ ببناء نظام معلوماتي ببرنامج Access لحفظ البيانات، واستغرق إدخال البيانات على الحاسوب ستة أشهر من العمل المضني من قِبَل عدة أفراد شاركوا فيه، إذ تجدر الإشارة إلى أن بيانات هذه الدراسة ضخمة جداً؛ فعدد الإجابات لكل استبيان ٦٤ معلومة، وحينما نعلم أن عدد الاستبيانات الصالحة للاستخدام ٤١٠٥، يصبح عدد بيانات الدراسة ٢٦٢,٧٢٠ معلومة. ودراسة كهذه تقوم بها عادة مؤسسات ومعاهد بحوث، لكن الله قد منَّ عليَّ بمساعدة العديد ممَّن أرادوا أن يشاركوا في دراسة نافعة فيها صدقة جارية بإذن الله، ومساعدة هؤلاء كانت على مستويات مختلفة من جمع المادة، إلى إدخالها على الحاسوب، إلى مسائل فنية مختلفة.

وبعد إدخال جميع البيانات على الحاسوب بدأت في دراسة نتائج كل سؤال، وأحياناً علاقة تلك النتائج بجزئيات أخرى في الاستبيان كما سنرى، وعلاقة ذلك بالبلد والجنس والدرجة العلمية، وهذا يفسح المجال أمام المختص أن يبحث في مئات الجزئيات الإحصائية من خلال تحليل بيانات الدراسة، لكنني حرصت على أن أقتصر على أهم عناصر الدراسة، تاركاً العديد من المسائل التي يمكن دراستها في المستقبل أو لدراسات أخرى، ذلك أنَّ إمكانية البحث في المعلومات التي جمعت غير متناهية. أسأل الله أن يفيد بها ويجعلها صدقة جارية إلى يوم القيامة.

وقد تمَّ العمل أولاً بتحليل البيانات الإحصائية باستخدام برامج الحاسوب المختلفة وخاصة Access و Excel، ثم دراسة واقعية النتائج للتأكد من خلوّها من الخطأ، وبعد التأكُّد من صحة البرمجة للقواعد التحليلية، تمَّ عرض النتائج في جداول ورسوم بيانية بأشكال مختلفة وبواسطة برامج مختصة، لكنها باللغة الإنكليزية.

بعد ذلك أخذت بعض النتائج الأساسية التي تهمّني في دراستي، ولم أستخدم الكثير من الرسوم البيانية؛ لأنها ستجعل من هذا الفصل كتاباً

لوحده، لكنني استخدمت بعض الجداول وقليل من الرسوم البيانية التي وجدتها ضرورية.

المطلب الثالث: ديمغرافية العينة الإحصائية

بلغ مجموع العينة الإحصائية الصالحة التي استخدمت في الدراسة ٤١٠٥ عينة، من المسلمين البالغ أعمارهم ١٨ عاماً فما فوق، موزعة على ٣١ بلداً. وفي هذا المطلب نستعرض التركيبة الديمغرافية لهذه العينة من خلال المعطيات التالية: ١ ـ مكان الإقامة. ٢ ـ الجنس. ٣ ـ العمر. ٤ ـ الموقع من الأسرة. ٥ ـ التحصيل العلمي.

١ ـ التوزيع الجغرافي:

توزع المشاركون في هذه الدراسة على ٣١ بلداً، وقد اختلف عدد المشارَكات بين بلدٍ وآخر، فقد جاءت أعداد قليلة من بعض الدول لا أستطيع أن أكتفي بها، مثل مشاركة ٢٦ فرداً من كندا أو ٣٦ فرداً من إسبانيا، لذلك قررتُ أن أجعل أي بلدٍ لم أحصل منه على خمسين مشاركة صالحة تحت خانة «بلدان أخرى»، بحيث أنني لن أشرك هذه الدول في التحليل حسب البلد؛ لأنها غير كافية. لذا أصبح التوزيع الجغرافي للمشاركين كالآتي:

البلد	عدد المشاركين
الولايات المتحدة الأمريكية	١٠٧٢
لبنان	٥٣٨
بنغلادش	٣٦٤
باكستان	٢٩٢
السعودية	٢٠٦
العراق	١٩٠
الكويت	١٨٩
تركيا	١٧٨
السودان	١٧١

البلد	عدد المشاركين
الأردن	٨٩
المغرب	٧٥
سوريا	٦٧
الإمارات	٥٩
ألمانيا	٥٧
بلدان أخرى	٥٥٨

وهذه البلدان الأخرى التي لم أحصل لكل منها على أكثر من ٥٠ عينة هي: إسبانيا وكندا وبريطانيا والسويد وإيطاليا وكوسوفا والجزائر والهند وبلغاريا وفرنسا وتونس وهولندا وموريتانيا وفلسطين والصومال ومصر وماليزيا وسريلانكا. كما أن هنالك بعض الاستبيانات لم تحدد بلد الإقامة فوضعتها في تلك الخانة.

وبما أنَّه من الطبيعي أحياناً أن يوجد تشابه في واقع المشاركين في العينة من بعض البلدان، من حيث حياة أهلها وعاداتهم، لذا كانت نتيجة المقارنة بين تلك الدول متشابهة أو لا فرق كبير بينها، مثال ذلك: أنه في جوانب معينة قد تتشابه نتائج معلومات العينة لدى المشاركين من الكويت والإمارات والسعودية، أو ألمانيا وإسبانيا وبريطانيا، لذلك يكون أحياناً تحليل البيانات حسب تقسيم البلدان إلى مناطق جغرافية، تجمع عدداً من البلدان، منها تلك التي لم أحصل لها على عددٍ كافٍ من المشاركين، فكان التقسيم على النحو التالي:

* أمريكا الشمالية: وهي العينة التي حصلت عليها من الولايات المتحدة وكندا وعددها ١٠٩٨ عينة.

* أوروبا: وهي العينة التي حصلت عليها من مختلف الدول الأوروبية، وبلغ عددها ١٢٧ عينة.

* البلدان العربية: وهي من مختلف الدول العربية وبلغت ١٥٩٧ عينة.

* القارة الهندية: وهي من باكستان وبنغلادش والهند وبلغت ٦٦٢ عينة.

لكن الإشكالية كانت حول العينة من تركيا، ذلك أنني لم أرد جمعها مع البلدان العربية في خانة أطلق عليها الشرق الأوسط؛ لأنَّ هنالك اختلافاً في طبيعة حياة المسلمين فيها عن المسلمين في الدول العربية، وكذلك لشمول الشرق الأوسط على بقعة كبيرة قد تستوعب دولاً أخرى أيضاً.

كما أنني لم أرد ضمها لدول أوروبا للسبب نفسه، لذلك لم تدخل في تحليل البيانات حسب المناطق الجغرافية، وإنما فقط في الدراسة حينما نحلل المادة حسب كل بلدٍ على حدة.

وقد خصَّت الدراسة المغتربين بمعلومات إضافية؛ مثل مكان إقامة المشاركين، ومدة الإقامة، والبلد الأصلي، ذلك أن العديد من المسلمين في الدول الأجنبية هم في الأصل مغتربون. وهذه المعلومات الدقيقة قد تفيد في التعمق أكثر في البحث من قبل المتخصصين والراغبين في خوض غمار البحث العلمي الجاد، لكنني في دراستي هذه لم أجدها ذات أهمية حينما نظرت في تحليل البيانات الخاصة بها.

٢ ـ التوزيع حسب الجنس:

حرصت أن يشارك في العينة الرجال والنساء لمقارنة اختلاف تفاعل الجنسين مع الوقت، فبلغت نسبة المشاركة من النساء ٣٢٪ والباقي من الرجال.

٣ ـ التوزيع حسب العمر:

يعتبر التوزيع العمري للمشاركين في الدراسة من أساسيات التحليل البياني، فكانت مشاركتهم في ثلاث فئات حسب الآتي:

الفئة العمرية	نسبة المشاركة
١٨ إلى ٣٠ عاماً	٥٩٪
٣١ إلى ٦٠ عاماً	٣٨٪
فوق ٦١ عاماً	٣٪

يمثل هذا الجدول من الناحية الاستقرائية النموذج الهرمي للدول النامية والغنية، حيث ترتفع نسبة الفئات الشابة وهو يعكس واقع معظم الدول الإسلامية.

٤ ـ التوزيع حسب الموقع من الأسرة:

تناولت الدراسة أيضاً موقع المشاركين من أسرهم، وذلك لبحوث اجتماعية متخصصة قد تتجاوز هذه الدراسة. وقسمتها إلى خمسة أقسام حسب الآتي:

الموقع من الأسرة	نسبة المشاركة
رب الأسرة	٣٧٪
الزوجة	٢١٪
أحد الأبناء الذكور	٢٤٪
أحد الأبناء الإناث	١٦٪
غير ذلك	٢٪

٥ ـ التوزيع حسب التحصيل العلمي:

كذلك تناولت بعين الاعتبار التحصيل العلمي للمشاركين في العينة الإحصائية، لمقارنة الإنتاج والفعالية الحياتية حسب التحصيل العلمي، وقسَّمت ذلك إلى أربعة أقسام حسب الآتي:

التحصيل العلمي	نسبة المشاركة
ابتدائي/ متوسط	١٣٪
ثانوي	٣٢٪
ليسانس/ بكالوريوس	٤٠٪
ماجستير/ دكتوراه	١٥٪

وتشير المعطيات البيانية هنا إلى أنَّ نسبة كبيرة من العينة هي من حاملي الشهادات الجامعية بنسبة تفوق النصف (٥٥٪).

خلاصة المبحث الأوَّل

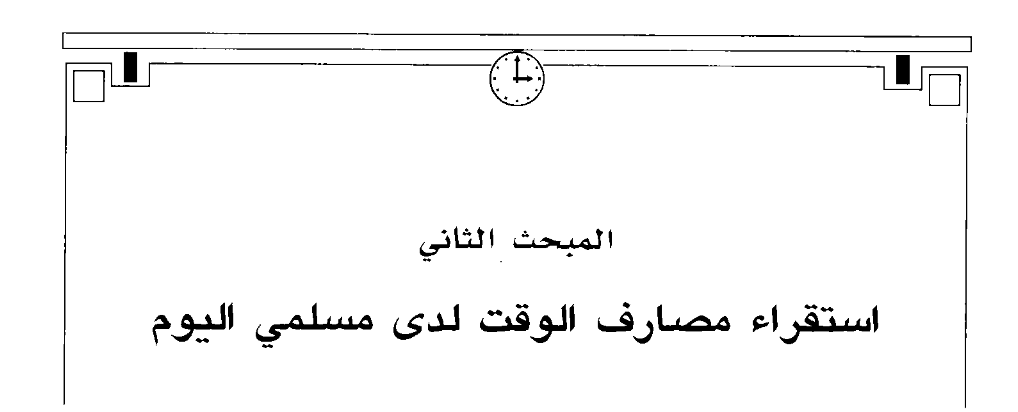
إن أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ تهدف هذه الدراسة الإحصائية إلى استقراء واقع المسلمين في نظرتهم للوقت وكيفية تعاملهم معه، كما تهدف إلى مقارنة المعطيات حسب خلفيات المشاركين من حيث التحصيل العلمي والعمر والجنس وبلد الإقامة، إضافة إلى تحليل مختلف معطيات الدراسة وعلاقة بعضها ببعض.

٢ ـ أُجريت الدراسة عبر استخدام استبيان مكتوب يملأ مباشرةً من قِبَل عينة من المسلمين تتوزع على فئات مختلفة من المجتمع في ٣١ بلداً إسلامياً وغربياً.

٣ ـ أهم الخطوات الأساسية لإجراء الدراسة كانت تحضير الاستبيان وترجمته إلى عدة لغات، فطباعته ونشره، ثم جمع العينات المشاركة، فإدخال بياناتها على الحاسوب، ثم تحليلها، فعرض نتائجها.

٤ ـ عدد الاستبيانات الصالحة المستخدمة في الدراسة بلغت ٤١٠٥ استبياناً، وتحتوي بمجملها على ٢٦٢,٧٢٠ معلومة.



المبحث الثاني

استقراء مصارف الوقت لدى مسلمي اليوم

مقدمة المبحث الثاني

هنالك العديد من النشاطات التي يقوم بها كل الناس؛ كالنوم وتناول الطعام والراحة، وأخرى يقوم بها معظم الناس كالعمل أو الدراسة، ومشاهدة التلفاز واللقاءات الاجتماعية، مما يشكِّل مصارف الوقت العامة لدى الإنسان. هذا المبحث سيتناول دراسة معدلات مصارف الوقت اليومية لدى مسلمي اليوم.

سأقوم في هذا المبحث بعرض بعض النتائج الهامة حول تلك المصارف وتحليلها، إضافة إلى مقارنة بعضها بحسب البيئة والعمر والتحصيل العلمي. وبما أنَّه معلوم أن الفرق كبير بين ساعات دوام العمل والإنتاج العملي أو الفعلي خلاله، فإنني سأدرس مقدار الإنتاج اليومي خلال العمل بشيء من التفصيل. كما سأتناول هنا مصارف الوقت في الواجبات العبادية والنشاطات الإسلامية، متناولاً الصلاة في وقتها كأنموذج عمليّ لمدى الانضباط في تأدية أهم واجبات الوقت. وأخيراً، سأدرس معدلات أوقات الفراغ اليومي بحسب المعطيات الديمغرافية للعينة. وهذا ما تسمح به نتائج الأسئلة الواردة في الفقرة الأولى من الاستبيان.

المطلب الأوَّل: مصارف الوقت العامة

يحلّل هذا المطلب بيانات الإجابات على السؤال الأوَّل من الفقرة الأولى من الاستبيان وهو:

١ ـ كم من الوقت تصرف يومياً في التالي:

النشاط	عدد الساعات
* تحضير وجبات الطعام؟	......
* تناول طعام الفطور والغداء والعشاء؟	......
* مشاهدة التلفاز؟	......
* المواصلات؟	......
* قراءة الصحف والمجلات؟	......
* طلب العلم؟	......
* تنمية الخبرات؟	......
* زيارات اجتماعية؟	......
* في العمل؟	......
* في المدرسة أو الجامعة؟	......
* مجرد الراحة؟	......
* في التسوّق؟	......
* في الرياضة؟	......
* اللهو واللعب؟	......
* النوم؟	......
أمور أخرى (نرجو التحديد):	
*	......
*	......
*	......

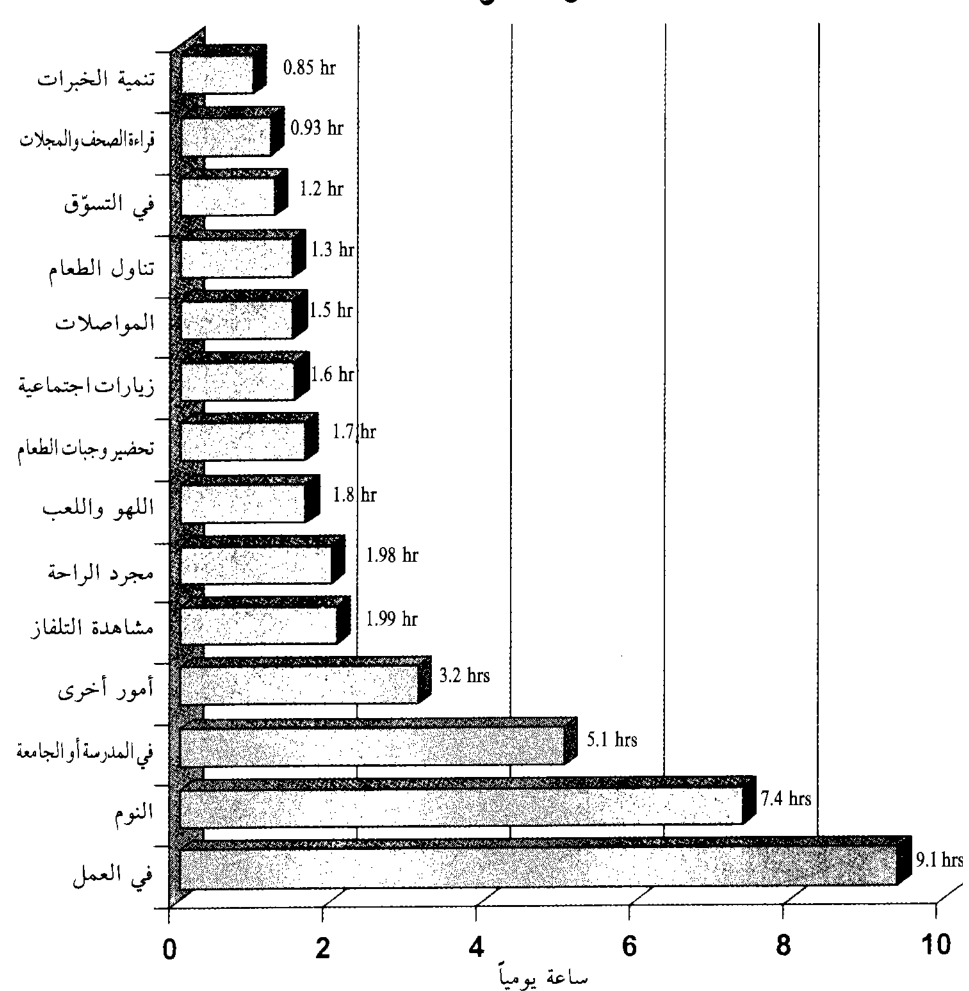
تحليل البيانات:

تُظهر لنا نتائج تحليل الإجابات على هذا السؤال أن أكبر نشاط يصرف المسلم عليه وقته هو العمل، إذ يبلغ ذلك ٩,١ ساعة يومياً خلال أيام الدوام لمن لديهم وظائف وأعمال. بالمقابل وجدتُ أن أقل نشاط يصرف فيه الوقت هو تنمية الخبرات الذاتية إذ تبلغ ٤٨ دقيقة يومياً فقط، هذا لمن أجاب على تلك الفقرات من السؤال، أي للذين يقومون بذلك بشكل منتظم. حيث لم نأخذ بعين الاعتبار ما ترك فارغاً ذلك أن صاحب الاستبيان ربما قد عنى أنه لا يصرف أي وقت أو لا يعلم معدل ما يصرفه في ذلك، وليس من الحكمة أخذ معدل ساعات العمل لكل العينة

الإحصائية، فلم آخذ من وضع صفراً أو ترك تلك الخانة فارغة للسبب نفسه، ولأنهم قد يكونون طلاباً مثلاً أو عاطلون عن العمل.

وبين هذين النشاطين تكمن أنشطة كثيرة يصرف فيها الوقت؛ كمشاهدة التلفاز وتناول الطعام والدراسة وغير ذلك. يتبيَّن لنا من الرسم البياني أدناه المعدل العام اليومي لكل نشاط من هذه الأنشطة. لكنني لم أتناول طلب العلم، إذ إنه ربما يشتمل فيما ذكر «في المدرسة أو الجامعة»، وكذلك لم أتناول ما يصرف في الرياضة إذ إنه ربما اشتملته إجابة «في اللهو واللعب» لدى الكثير مع أنهما مختلفان.

مصارف الوقت العامة



* **ساعات العمل:**

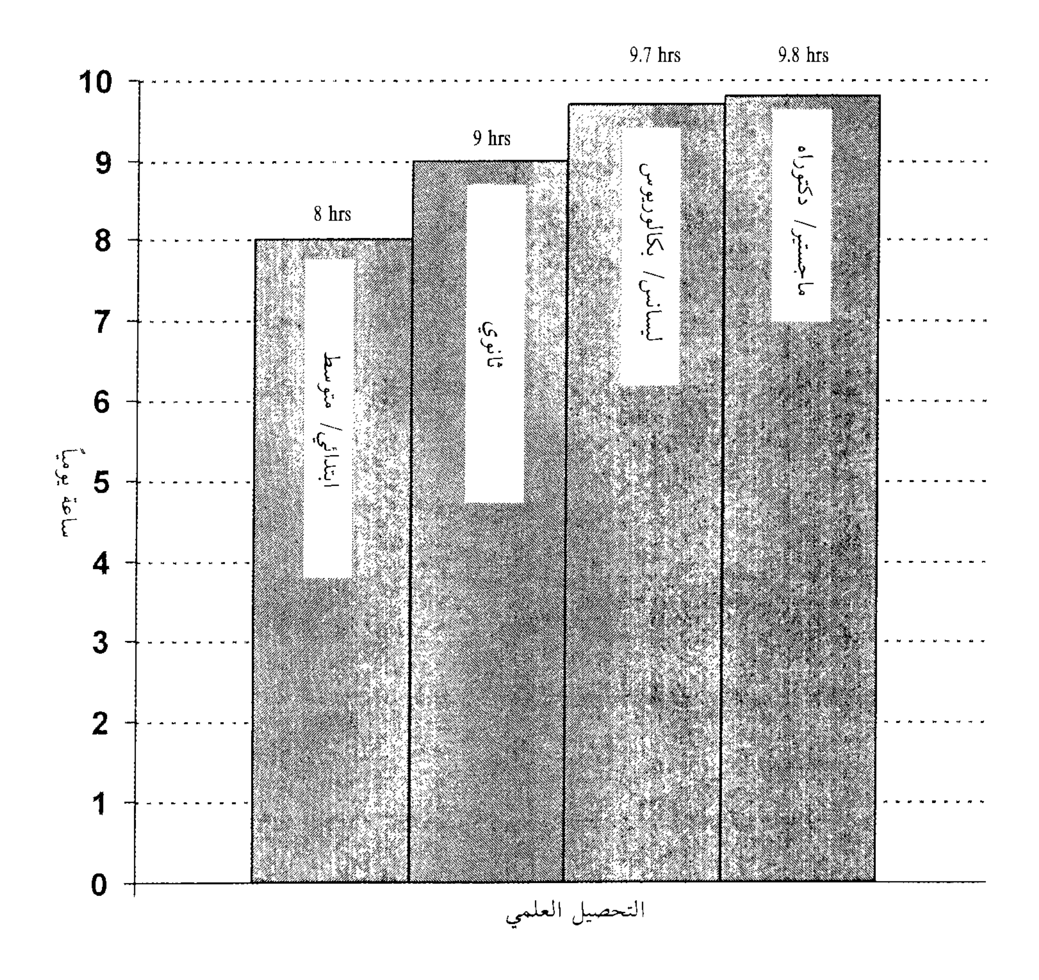
لاحظت أنَّ عدد ساعات العمل اليومي أكثر ممَّا توقعت، وقد يشير هذا إلى أن نسبة كبيرة من العينات ليسوا موظفين بل من أصحاب الأعمال الحرة والتجار مما يأخذ عملهم ساعات أطول من الموظف، وهذا ما سنلاحظه لاحقاً عندما نحلل حقول أعمال المشاركين في العينة، كما أنَّ ذلك قد يكون سببه الضيق الاقتصادي الخانق للمسلمين في العديد من الدول التي يضطر الفرد إلى العمل خلال يومه في وظيفتين أو حقلين من العمل؛ كالموظف الذي يسوق التاكسي كل مساء، والمدرس الذي يعطي دروساً خصوصية في بيته بعد دوام المدرسة، وهكذا.

وساعات العمل لأصحاب الأعمال الحرة والوظائف تراوحت ما بين ٧ ساعات إلى ١٠,٧ ساعة يومياً حسب البلد، ولقد قسَّمتها حسب المناطق الجغرافية، فكانت كالآتي:

المناطق الجغرافية	معدل ساعات العمل يومياً
أمريكا الشمالية	١٠,١ ساعة يومياً
أوروبا	٩,٣ ساعة يومياً
البلدان العربية	٩,٢ ساعة يومياً
شبه القارة الهندية	٨,٣ ساعة يومياً

كما وجدتُ هذه النسبة تكبر حسب التحصيل العلمي، فبينما هي ٨ ساعات لخريجي الابتدائي أو المتوسط، و٩ ساعات لخريجي الثانوية العامة، فهي ٩,٧ ساعة لأصحاب شهادات البكالوريوس، و٩,٨ ساعة لأصحاب شهادات الدكتوراه، كما هو مبيَّن في الرسم أدناه. وربما يكون سبب ذلك أن الموظفين في الدوائر الحكومية معظمهم من غير حملة الشهادات الجامعية، أو أن معظم أصحاب الشهادات الجامعية والدراسات العليا يثمّنون الوقت أكثر من غيرهم، فيعملون خارج مجالات الوظائف الراتبة.

ساعات العمل حسب التحصيل العلمي



*** النوم:**

لا شك في أن النوم من الحاجات البشرية الأساسية، لكن الفترة التي ينامها الفرد تختلف بين كونها ما يحتاج إليه أو ما تعوَّد عليه، إذ إنَّ الإنسان يحتاج عادةً لفترة من النوم أقل ممَّا عوَّد نفسه عليه، فقد يشعر بالتعب والنعاس إذا قلَّل من ساعات نومه لاعتياده على النوم الطويل، لكنَّه ما يلبث أن يروِّض جسده على فترة أقصر.

وطول فترة النوم سببه الكسل أو عدم وجود وظيفة أو مسؤولية ما تجعل الفرد ينهض في الصباح الباكر لمزاولتها.

وتختلف حاجة الفرد للنوم بحسب عمره وطبيعة عمله، فالصغار أحوج من الكبار لفترات أطول، وذَوُو الأعمال المرهقة جسدياً وذهنياً يحتاجون لفترة أطول من غيرهم، لكن تلك الفترات الكافية تتراوح بين ٦ إلى ٧ ساعات للبالغين، وقيل: إنها قد تكون أقل من ذلك.

طبيعيٌّ أن تكون الأرقام التي حصلتُ عليها في العينة أقل من الواقع أو بتقدير حدٍّ أدنى، ذلك أن النوم «نشاط» غير واعٍ وقليل جداً هم الذين يجعلون له موعداً محدداً ابتداءً وانتهاءً.

والمسلم بشكل عام إن التزم بتعاليم دينه ينام أقل من غيره، فعليه واجب صلاة الفجر ويسن اغتنام الوقت بعدها، وهنالك اغتنام الثلث الأخير من الليل في قيام جزء منه، وهكذا.

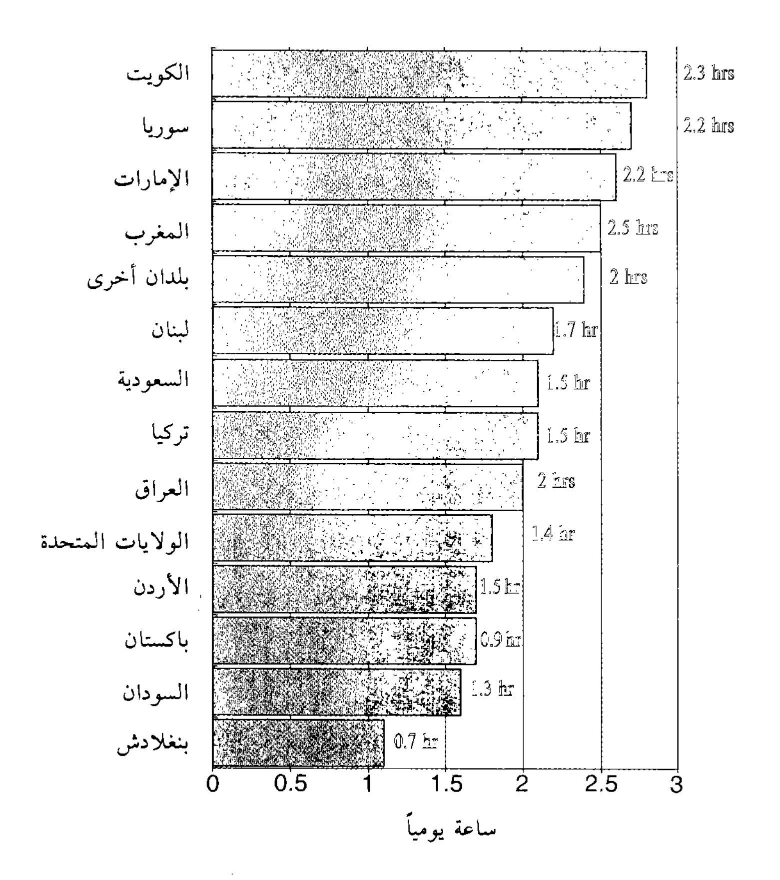
لقد وجدتُ أنَّ معدل فترة النوم لدى المسلمين بشكل عام ٧,٤ ساعة يومياً، ويختلف هذا المعدل بين بلد وآخر، فهو الأقصر في السعودية حيث بلغ ٦,٩ ساعة يومياً وربما يكون ذلك أنّ قسماً كبيراً من السعوديين يؤدي صلاة الفجر في المسجد ولا ينامون بعده.

أمَّا أطول الفترات فوجدتها في ألمانيا والأردن والكويت وباكستان حيث بلغت ٧,٥ ـ ٧,٧ ساعة يومياً. ولعل طول نوم المسلمين في ألمانيا سببه أن قسماً كبيراً من الجالية لاجئة لأسباب سياسية وتتعاطى راتباً من الحكومة بدون عمل. أمَّا مقدار ساعات النوم في دول أخرى فهي ٧,٤ ساعة في لبنان والسودان والإمارات والعراق، و٧,٣ ساعة في المغرب وسوريا ولمسلمي أمريكا، و٧,٢ ساعة يومياً في تركيا وبنغلادش.

*** مشاهدة التلفاز:**

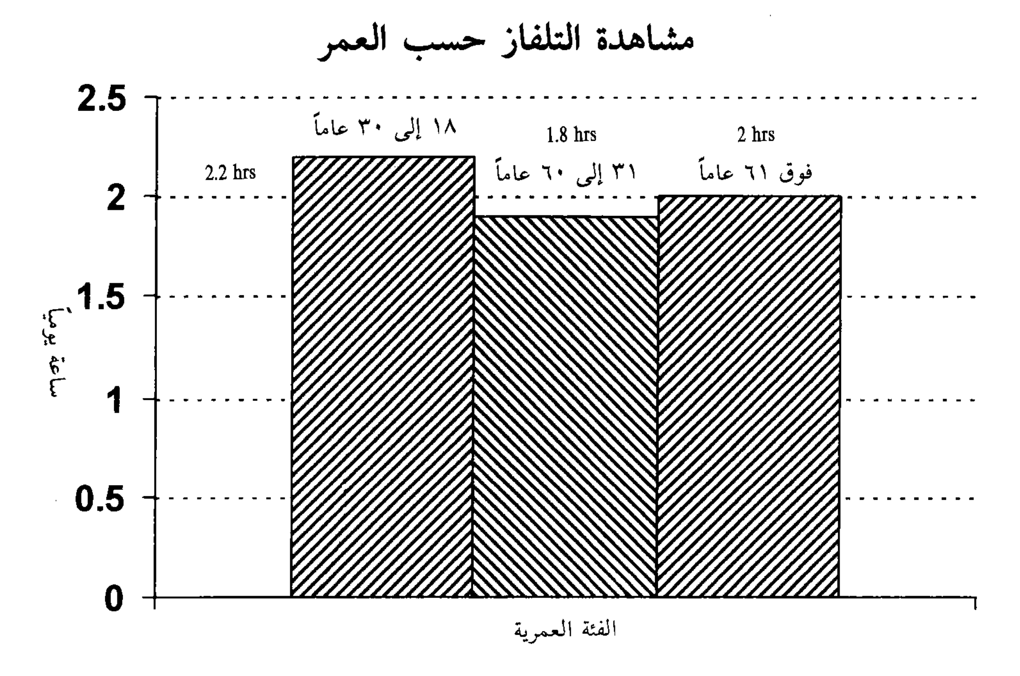
وجدتُ أن معدل مشاهدة التلفاز ساعتان يومياً تقريباً، ويتراوح حسب البلد، فيبدأ بأقل من ساعة بقليل في بنغلادش إلى ٢,٥ ساعة لمن يشاهده في المغرب. انظر الرسم أدناه حيث يعرض المعدل اليومي لمشاهدة التلفاز حسب البلد.

مشاهدة التلفاز حسب البلد



أمَّا نسبة مشاهدة التلفاز حسب الجنس فهي عند النساء أكثر من الرجال، إذ يبلغ معدل مشاهدته للنساء ٢,٣ ساعة وهي قرابة ١,٨ ساعة للرجال يومياً. وهي نتيجة متوقعة لمكوث كثير من النساء في بيوتهن ساعات أطول من الرجال. لكن مرة أخرى أقول: إنها نتيجة نسبية وربما هي في الواقع أكثر مما اعترف به المشاركون والمشاركات في العينة الإحصائية، ذلك لأنَّ مشاهدة التلفاز ليست بالنشاط الواعي المبرمج بشكل يومي مثل ساعات العمل، لذلك فإن تلك النتائج تؤخذ على أقل تقدير ممَّا يصرف من الوقت في ذلك، فقد يجلس الفرد ٣ ساعات في مشاهدة التلفاز وهو يظن أنه مكث يشاهده لقرابة ساعة فقط!

أمَّا نسبة مشاهدة التلفاز حسب العمر فهي، كما هو مبيَّن في الرسم البياني أدناه، أطول لذوي الأعمار من ١٨ إلى ٣٠ عاماً، إذ تبلغ ٢,٢ ساعة يومياً، ثم تنخفض إلى ١,٨ ساعة للأعمار من ٣١ إلى ٦٠ عاماً، ثم ترتفع لساعتين لمن بلغ فوق ٦١ عاماً.



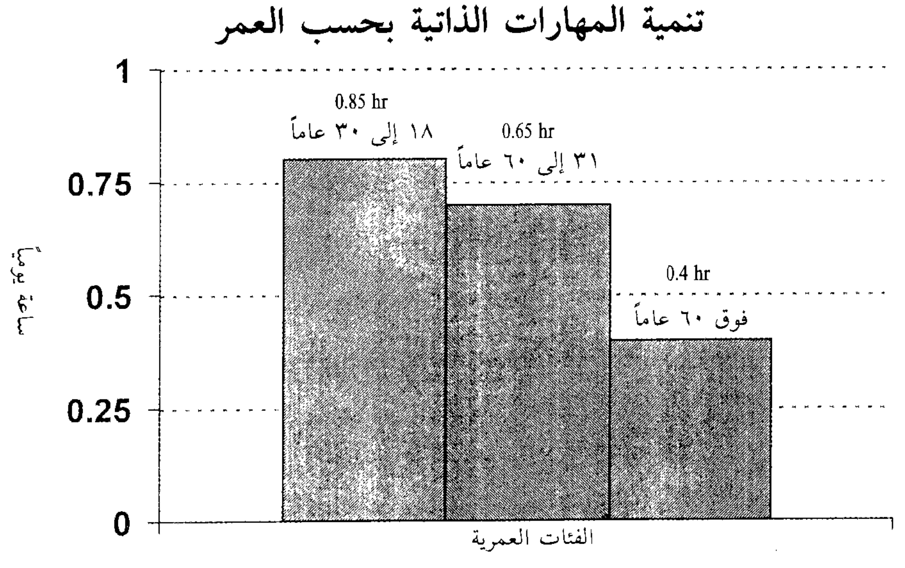
ومما يؤسف له أن المسلمين في عمر الشباب، عمر الإنتاج والعطاء، يقضون أطول الفترات في مشاهدة التلفاز، وهذا مصرف للوقت فيه ضياع للعمر والحياة فضلاً على أن معظم ما يشاهد اليوم له أضراره الخلقية والنفسية العظيمة. وإن كان يعكس أحياناً مستوى البطالة المقنّعة والتي هي من خصائص الدول النامية.

*** تنمية الخبرات:**

تنمية المهارات والخبرات هو نشاط إيجابي يكون عادةً خارج نطاق الدراسة الرسمية؛ كالقراءة الموجهة لتعلّم مهارات معينة، أو حضور دورات تدريبية، أو القيام بتعلّم استخدام آليات؛ كالحاسوب أو بعض برامجه.

وهذا النشاط هو عنصر هام لتنمية الفعالية الشخصية ويستمر بعد الانتهاء من الدراسة الجامعية، وله تأثيره الكبير على عطاء الفرد وإنتاجه، ذلك أنَّ الدراسات الجامعية معظمها نظري وبدون النشاط التدريبي العملي يكون قليل الفائدة خاصة في ظل التطور السريع للعلوم والتكنولوجيا. لذلك نرى جميع الشركات الفعَّالة الكبرى تُخضع كل موظف جديد لفترة يتدرب خلالها على العمل مهما كان تحصيله العلمي، وإنها تفضّل الخبرات على الشهادات خلال تقويمها للمتقدمين لوظيفة ما شاغرة.

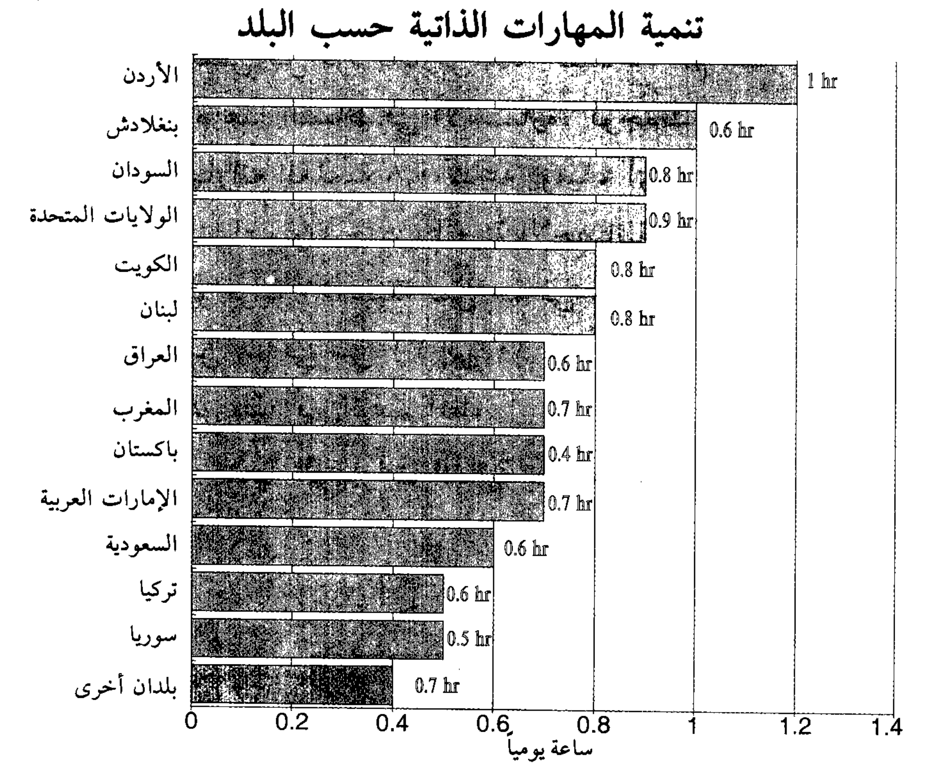
وبما أنه ليس كل فرد يمارس هذا النشاط، لم أتناول الذين لم يضعوا رقماً أمام هذا النشاط في الاستمارة. فوجدتُ المعدل العام لمن يمارس تنمية مهاراته العلمية ٠,٨ ساعة يومياً، أي ٤٨ دقيقة في اليوم، وهو للرجال والنساء سواء حسب العينة الإحصائية، لكنه يختلف حسب العمر، فبينما هو قرابة ٥١ دقيقة لمن هم في سن ما بين ١٨ و٣٠ عاماً، فهو ٣٩ دقيقة لمن هم في سن ٣١ إلى ٦٠ عاماً، و٢٤ دقيقة لمن هم فوق ٦٠ عاماً، كما هو مبيّن في الرسم أدناه.



وارتفعت نسبة الوقت المصروف على تنمية الخبرات بحسب التحصيل العلمي، فهي ٠,٦ ساعة لحاملي شهادات المتوسطة والثانوية، و٠,٨

لحاملي شهادات البكالوريوس، و٠,٩ ساعة لحاملي شهادات الماجستير والدكتوراه.

وبحسب البلد نلاحظ في الرسم أدناه أن النسبة في الأردن أعلى منها في البلدان الأخرى، وهو شيء إيجابي وربما يكون سببه أن قسماً كبيراً من العينة في الأردن هم طلاب جامعيون، بينما تبلغ أدنى مستويات لها في باكستان وسوريا.



وإنَّ مما يؤسف له أننا قسنا مشاهدة التلفاز بالساعات بينما نقيس تنمية الخبرات بالدقائق.

*** تحضير الطعام:**

وددت هنا لفت الانتباه إلى هذا النشاط؛ لأنَّه يشكل قدراً كبيراً من مصارف الوقت لدى النساء، وإن كنَّ اعترفن بأنهن يصرفن ساعتين فقط في تحضير وجبات الطعام اليومية، فهذا لعمري تقدير متدن، أو على الأصح

ضعيف بالنسبة للكثيرات، لكن كما ذكرتُ سابقاً هذا النشاط لا يتطلب دقة التوقيت، فربما تصرف المرأة عليه الساعات الطوال بدون أن تشعر، وخاصة إذا ترافق مع مشاهدة التلفاز أو سماع الراديو. لكنَّ الرجال قالوا: إنهم يصرفون يومياً ١,٤ ساعة في تحضير الطعام، وربما يكون هذا أكثر واقعية مما ذكرته النساء، وخاصة أن معظم الرجال لا يحضّرون الوجبات المعقدة إن فعلوا.

*** ساعات اللاجدية:**

من الملاحظ أنَّ عدد الساعات التي تصرف في مجرد الراحة واللهو ومشاهدة التلفاز والسمر أو اللقاءات الاجتماعية قد تجاوز ٧,٢ ساعة يومياً، وهذه فترات طويلة وخاصة إذا أضفنا إليها ساعات النوم وتناول الطعام وغير ذلك. لذلك لا غرابة في ضعف أو انعدام الإنتاج لدى شريحة كبيرة من المسلمين، وبكل بساطة يُسَبّبُ ذلك عدم صرف الوقت فيما هو مهم، وسيظهر لنا فيما يلي أسباب أخرى.

*** اللّاوعي في مصارف الوقت:**

لا نستطيع القول بأنَّ جميع تلك النتائج دقيقة تماماً من منظور واقعي؛ لأن معظم الناس يقلّلون بصورة غير واعية من مصارف أنشطة اللهو والتسلية؛ كمشاهدة التلفاز والنشاطات الاجتماعية ومجرد الراحة، لذلك ربما تكون تلك المصارف المشار إليها أعلاه أكثر ممّا ذكرنا في واقع الحال، وسبب ذلك يعود إلى عدم انتباه الشخص إلى الفترة الزمنية التي بدأ فيها وانتهى من تلك الأنشطة، في المقابل قد يحصل تواز في بعض النشاطات، مثال ذلك مشاهدة التلفاز وتناول الطعام ولقاء اجتماعي كلٌّ في الوقت نفسه.

كذلك قد يبالغ الشخص نفسه في عدد ساعات عمله اليومي بغير قصد متجاهلاً الساعات التي تكون من ضمن الدوام، لكنها تصرف في نشاطات أخرى؛ كقراءة الصحف والمناقشات الطويلة الخارجة عن نطاق العمل وما شابه، فيحسب ذلك كله من ضمن ساعات العمل. لكن جميع

تلك النتائج نسبية، حسب المعطيات الديمغرافية للمشاركين.

وهذا اللّاوعي في مصارف الوقت واضحٌ في معدل مجموع مصارف النشاطات اليومية للعينة الإحصائية، ذلك أنني جمعتُ الوقت الذي يُصرف في كل النشاطات المذكورة إضافة إلى الأمور الأخرى المتروك تحديدها لصاحب الاستبيان، فوجدنا أن معدل طول اليوم لديهم ١٧ ساعة فقط! لذا هنالك ٧ ساعات لا يُعلم بوعي كيفية صرفها كل يوم، وهذا بعد أن حفّزنا المشترك على سرد كل ما نراه مصارف عامة يشترك فيها معظم الناس؛ كالنوم والطعام واللهو والعمل والقراءة وغير ذلك كما سبق بيانه، وتركنا ثلاث خانات للأمور الأخرى. هذا يعني بوضوح أنَّ الوقت يضيع بلا رقيب من صاحبه إذ إن أصحاب العينة الإحصائية على اختلاف مستوياتهم وتوجهاتهم لا يعلمون كيف تصرف ٧ ساعات كل يوم.

*** مصارف أخرى:**

أمَّا النشاطات الأخرى التي ذُكرت في العينة، فقد برز منها تصفح «الإنترنت»، وهذا النشاط قد ذُكر بمعدلات متفاوتة بحسب توفرها في البلدان المختلفة، هذا النشاط قد يكون عملاً فعّالاً منتجاً وخاصة إذا استخدمت الإنترنت للتواصل السريع عبر البريد الإلكتروني، وللبحث والمطالعة الجادة، وكذلك للقيام بالأعمال المهنية التي تستخدم فيها الإنترنت حالياً ومجالاتها كثيرة.

كذلك قد يكون تصفح الإنترنت هذا مجرد مضيعة للوقت، وخاصة ما كان منه في قراءة ومشاهدة اللّامُهِم من أخبار الفنانين والفنانات والمحادثات غير الهادفة مع مجهولين بغية التسلية. أما تصفح الإنترنت للاطلاع السريع على أخبار العالم من حولنا وقراءة ما هو مفيد من تقارير تهم الفرد في حقل مهنته أو أولوياته بما لا يتجاوز الساعة يومياً، فهذا لا بأس به، أما أن يدمن الشخص على التنقل بين المواقع المعدَّة للاطلاع على كل خبر مثير وقراءة ما لا فائدة منه، فإنّ ذلك بلا شك تضييع للوقت.

المطلب الثاني: تقدير الإنتاج اليومي خلال العمل

هذا المطلب يتطرق إلى تحليل الإجابات على السؤال رقم ٢ من الفقرة الأولى من استمارة الاستبيان وهو:

س٢: كم ساعة يومياً تكون خلالها منتجاً بشكل جدي أثناء عملك؟

. . . . يومياً.

تحليل البيانات:

بعد دراسة هامة لمصارف الوقت لدى مسلمي اليوم وتحليل بعض تلك المصارف، نحاول دراسة الفعالية والإنتاجية في مجال العمل وعلاقة هذا بالمعطيات الديمغرافية للمشاركين.

معلومٌ أن الفرق شاسع بين عدد ساعات الدوام والإنتاج الفعلي خلاله، وهذا الفرق هو أساس هام في نسبة تقدُّم وإنتاجية المجتمع بشكل عام. فالفرق قد يكون كبيراً بين أحمد وعلي اللذين يداومان من الثامنة إلى الخامسة يومياً في مكتبيْهما؛ لأنّ أحمد يقضي معظم وقته في قراءة الصحف، وزيارة المواقع العديدة على الإنترنت بدون هدف، وقضاء الوقت الطويل في المكالمات الهاتفية العبثية، فتكون إنتاجيته اليومية تحسب بالدقائق لا بالساعات، بينما قد تكون إنتاجية علي ٦ أو ٧ ساعات يومياً.

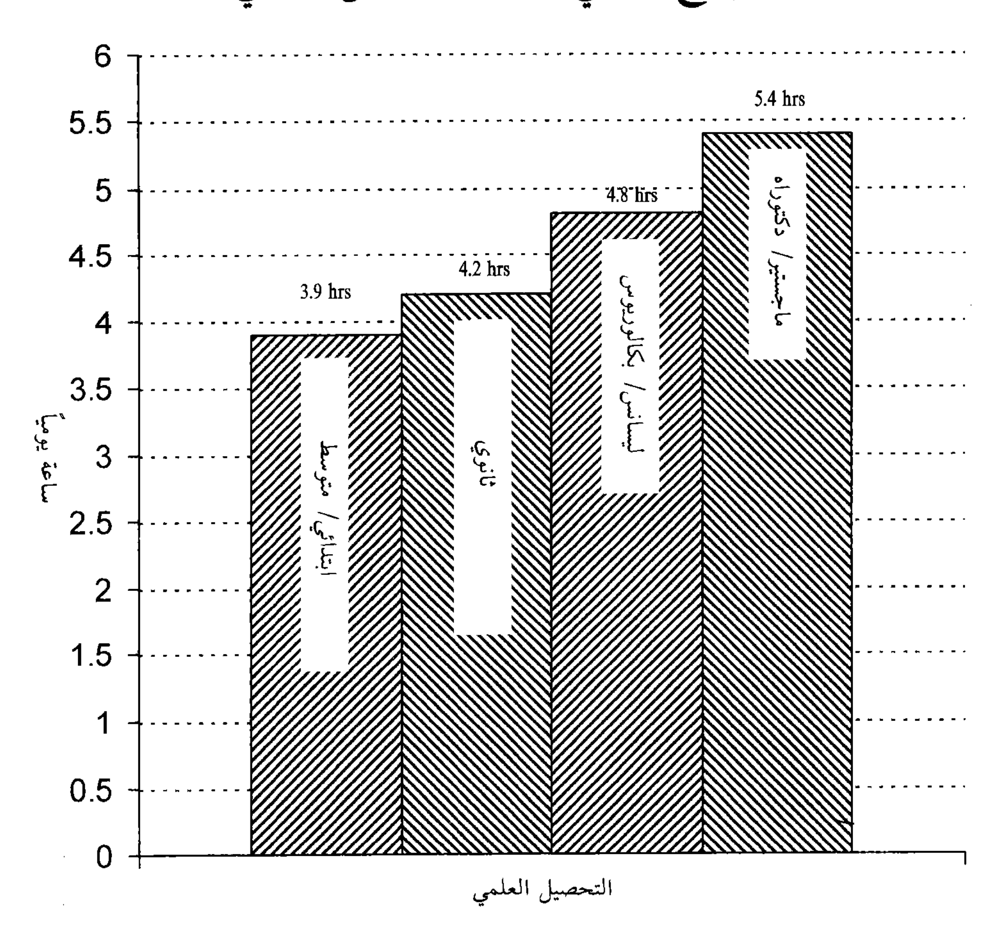
وجدتُ بشكل عام أن معدل إنتاجية الفرد في العينة المشاركة من أصحاب الأعمال الحرة والوظائف هي ٤,٧ ساعة، وقد تكون نسبة مبالغاً فيها إلى حدّ ما بصورة غير مقصودة؛ لأنّ المضيعين لأوقاتهم لا يدركون حجم إنتاجهم بشكل فعلي. وهذا السؤال حسَّاس جداً ويحتاج لتقدير فترة الإنتاج الفعلية من ضمن فترة العمل وهو أمرٌ صعب، لكن تتوضح أهمية هذا المبحث من الدراسة حينما نقارن نسبة الإنتاج حسب التحصيل العلمي والبيئة.

وجدتُ في تحليل البيانات هنا أن فترة الإنتاج تكبر مع ارتفاع درجة

التحصيل العلمي وهذا متوقع، فبينما نراها ٣,٩ ساعة لحاملي الشهادات الابتدائية والمتوسطة، تصل إلى ٥,٤ ساعة لحاملي الشهادات الجامعية العليا. وانظر الرسم البياني أدناه الذي يعرض هذه النتيجة.

أودّ أن أضيف هنا أن هذه المعلومات قد أخذت للذين لديهم عمل وفي أيام عملهم، ذلك أنني لم آخذ بعين الاعتبار من قال بأنّ ليس لديه عمل.

الإنتاج اليومي حسب التحصيل العلمي

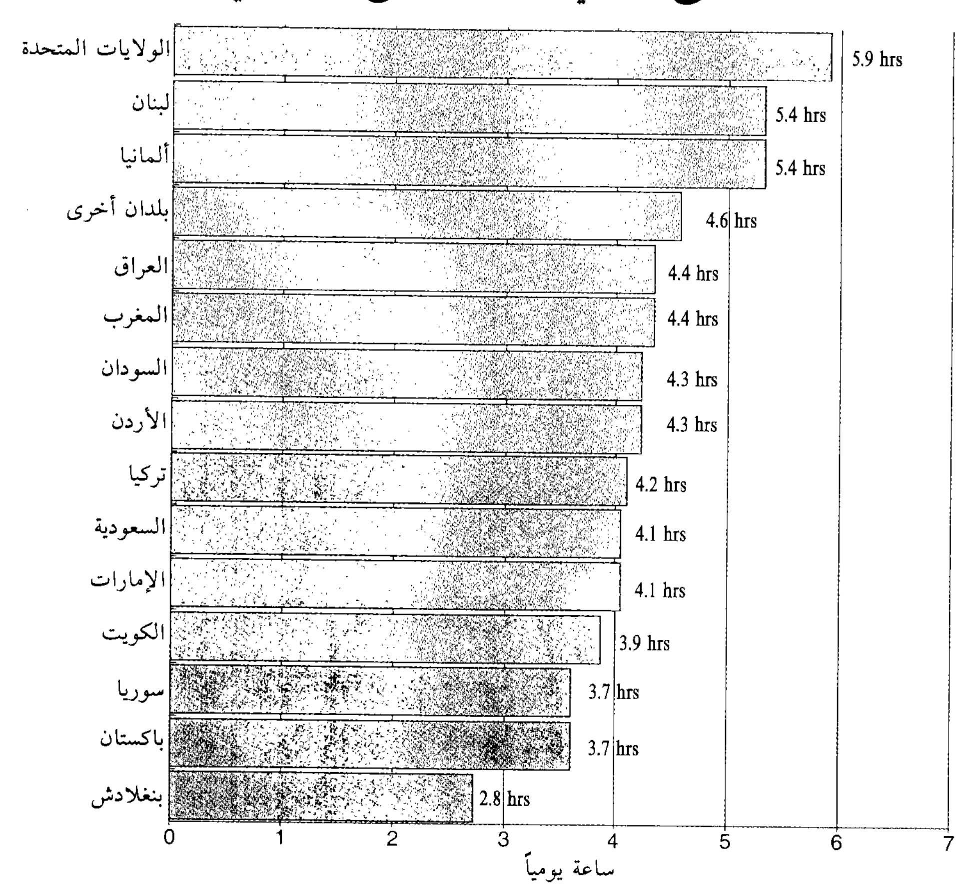


أمّا نسبة الفعالية والإنتاج فهي تختلف كذلك بحسب البيئة الجغرافية، فوجدتها أعلى ما تكون لمسلمي أمريكا إذ بلغت ٥,٩ ساعة يومياً، وأقل ما تكون في بنغلادش إذ بلغت ٢,٨ ساعة يومياً. وهذه النتيجة واقعية وسبب

ذلك الاهتمام بالنظم الإدارية، وتقنيات العمل والتدريب، وقياس الأداء في مجالات العمل المختلفة في أمريكا مما يؤدّي إلى زيادة الإنتاجية والعطاء.

ومن الدول المتدنية في الإنتاج أيضاً هي: سوريا والكويت وباكستان. وانظر الرسم أدناه لمعرفة إنتاجية الفرد اليومية في كل بلد.

الإنتاج اليومي حسب التوزيع الجغرافي



وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الأرقام باعتراف المستبينين أنفسهم، وهو تقدير نسبي إذ لا نستغرب إن وجدنا أن الإنتاجية الحقيقية خلال دوام العمل قد لا تتجاوز الساعة أو الساعتين فقط في بعض البلدان إن دُرس ذلك بشكل دقيق من قِبل جهة مستقلة عن الأشخاص أنفسهم. لكن الاعتراف بذلك مسألة إيجابية وتشير إلى الاستعداد للتغيير نحو الأفضل.

ارتباط الإنتاجية بالعمل ضمن التخصّص:

إذا نظرنا في مدى ارتباط الإنتاج بالعمل في مجال التخصّص نجد أن هؤلاء الذين قالوا: إنهم يعملون في مجال تخصّصهم المهني أو العلمي ينتجون أكثر من أولئك الذين يعملون في غير مجال تخصّصهم، فقد بلغ معدل إنتاج العاملين في مجال تخصّصهم ٥,٣ ساعة يومياً، بينما بلغ المعدل ٣,٩ ساعة لغيرهم ممّن لا يعملون في مجال تخصّصهم، مما يشكل ارتفاعاً بنسبة ٣٦٪ لمن يعملون في مجال تخصّصهم. وهذه النتيجة متوقعة لسببين:

الأول: إنّ الفئة الأولى مؤهلة أكثر للإنتاج لتخصّصهم في مجال العمل.

والثاني: إنها تكون أكثر رغبة في العمل؛ لأنّ اختيار التخصّص من علامات الرغبة فيه، ولا شك أن من يرغب في دراسة تخصُّص معيَّن يحب أن يعمل في نفس مجاله.

ارتباط الإنتاجية باستخدام آلية لإدارة الوقت:

وجدتُ أن الإنتاجية ترتفع أيضاً حينما يستخدم الفرد آلية لإدارة الوقت لينظم مهامه وأعماله اليومية ويبرمجها ضمن جدول زمني، فقد ارتفعت إلى معدل ٤,٨ ساعة يومياً مقابل ٤,٤ ساعة لمن لا يستخدم أي آلية لإدارة وقته، وهذه نسبة تشكل ارتفاع ١٠٪ لمن يستخدمها.

وهذه النتيجة يجب أن تكون أفضل من ذلك، لكن سبب ذلك التدني بالفارق أنَّه ليس كل من استخدم بين الحين والآخر مفكرة مثلاً يحسن على المدى الطويل الانضباط بها، وقد لا يعلم بشكل صحيح كيفية استخدامها تبعاً للمبادئ الأساسية لإدارة الوقت.

المطلب الثالث: تقدير ما يُصرف في العبادة والنشاطات الإسلامية

يتناول هذا المطلب نتائج الإجابات على السؤال رقم ٣ و٤ من الفقرة الأولى من الاستبيان.

س٣: كم معدل الوقت الذي تصرفه يومياً في الواجبات العبادية (كصلوات الفرائض، والنوافل، والقيام، والأذكار، وقراءة القرآن. . .) إلخ؟

. . . . ساعة يومياً.

تحليل البيانات:

بلغ المعدل العام لمن أجاب على هذا السؤال ١,٧ ساعة يومياً، لكنَّ هذه النسبة قد اختلفت بحسب العمر بين الفئات الثلاثة، فبينما وجدتُ أنَّ الشباب أصحاب السن من ١٨ إلى ٣٠ عاماً يصرفون ١,٧ ساعة يومياً في العبادات، انخفضت إلى ١,٦ ساعة لذوي الأعمار ما بين ٣١ إلى ٦٠ عاماً، ثم تعود لترتفع إلى ٢,٣ ساعة للشيوخ.

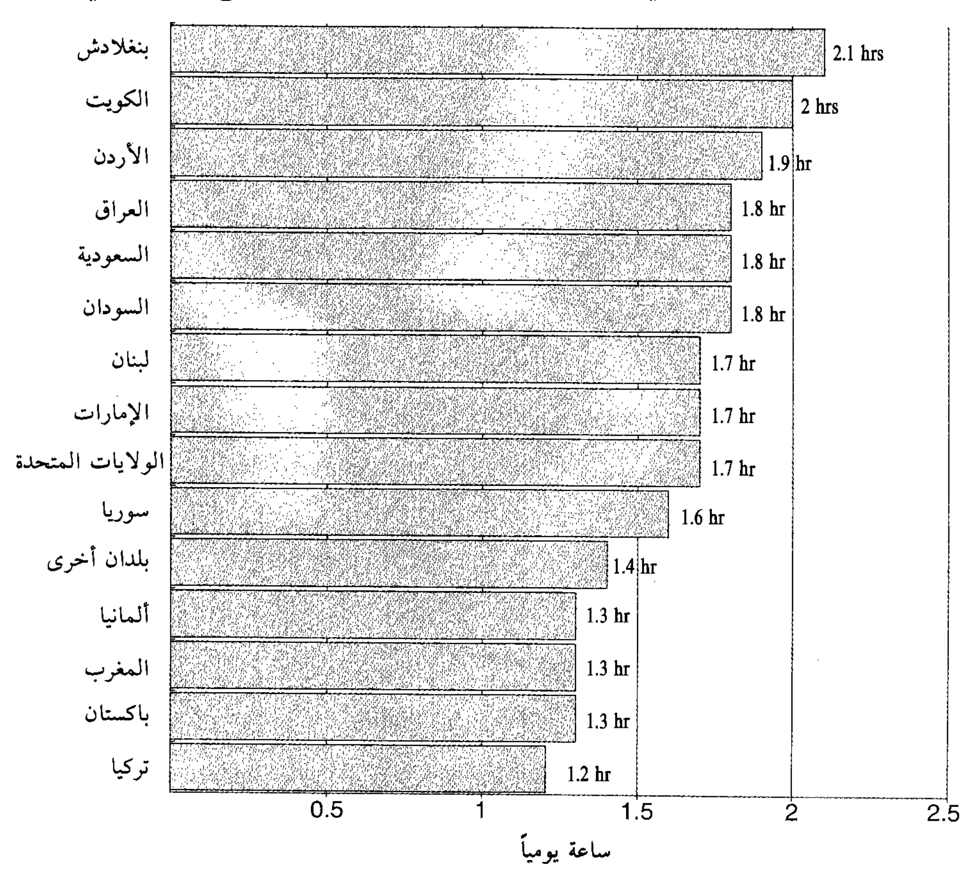
وهذه النتيجة تدل على أنّ غالبية الناس في عمر الشباب يصرفون في واجباتهم العبادية وقتاً أطول بيسير من جيل والديهم، وهذا مؤشر مستقبلي يدل على انتشار الالتزام في صفوف الشباب، بينما هو متوقع لمن بلغ سنّ التقاعد وقلّة المسؤوليات والاقتراب من سنّ الشيخوخة أن يتقرب إلى الله أكثر، ويصرف في عباداته وقتاً أوسع.

أمّا علاقة هذه النسبة بالجنس فلم أجد الفرق كبيراً، حيث بلغت ١,٨ ساعة للنساء و١,٧ ساعة للرجال. ومع كون الاختلاف في النسبة قليل إلّا أنّه كان من المتوقع أن يكون هذا المعدل أكبر للرجال لكونهم يُسن لهم تأدية الصلوات اليومية في المساجد، كما يتوجب عليهم صلاة الجمعة، مما يتطلب وقتاً أطول من الصلوات في البيت. وهذه النتيجة تشير إلى أنّ النساء المسلمات نشيطات في تأدية واجباتهن العبادية، ممّا يدل على قوة علاقتهنّ بالله، وهذا ما يعم تأثيره على أولادهن في مستقبل الأيام.

* **علاقة مصارف وقت العبادات بالتوزيع الجغرافي:**

تباين قليلاً الوقت الذي يصرف في الواجبات العبادية بين بلد وآخر، فبينما وجدته ٢,١ ساعة يومياً في بنغلادش وهو الأطول، وجدته ١,٢ ساعة في تركيا وهو الأقصر. ونرى في الرسم أدناه أن الكويت حصلت على أطول نسبة بين الدول العربية إذ تبلغ ساعتين يومياً، بينما بلغت ١,٨ ساعة في السعودية والعراق والسودان، وهي في لبنان والإمارات العربية والولايات المتحدة ١,٧ ساعة. وهذه النسب بين أواسط المصلين عادية ولا تختلف كثيراً، حيث تتراوح بين ساعة وساعتين على أكثر تقدير، لكن الاختلاف يكمن في النشاطات الإسلامية خارج نطاق العبادات الفردية، كما سيأتي في السؤال التالي.

معدل ما يُصرف في الواجبات التعبدية حسب التوزيع الجغرافي



س٤: كم معدل الوقت الذي تصرفه يومياً في أعمال ونشاطات إسلامية (كالعمل الدعوي، وطلب العلم الشرعي، وإعانة المحتاجين. . .) إلخ؟

. . . . ساعة يومياً.

تحليل البيانات:

بلغ المعدل العام لما يُصرف يومياً في النشاطات الإسلامية أكثر بقليل من ساعة واحدة يومياً (١,٠٥ ساعة)، هذا مع التأكيد أن هذه العينة جُمعت من خلال متطوعين على درجة من الالتزام بالإسلام، ولذا جمعت في معظمها من أوساط ملتزمة، مما يجعلنا نعتقد أنها تمثل المعدل العام بين الأوساط الإسلامية الملتزمة. وهذه النسبة لا تشير إلى كثير من النتائج إلا إذا نظرنا أكثر في تركيبة العينة وعلاقة النشاط الإسلامي بالسن والجنس والتوزيع الجغرافي.

النشاط الإسلامي حسب العمر:

المفاجأة المميزة حصلت في تحليل البيانات حسب العمر حيث كان واضحاً أن جيل الشباب مرة أخرى يبرز أكثر من جيل الآباء وجيل الأجداد، فبلغ معدل مصارف الوقت في النشاطات الإسلامية للجيل ما بين ١٨ ـ ٣٠ عاماً من العمر ١,٢ ساعة يومياً، أي ٧٢ دقيقة يومياً، بينما هو قرابة ٠,٩ ساعة، أي ٥٤ دقيقة يومياً، لمن هم في الفئتين الأخريين من العمر.

وهذا بلا شك يدل على أنّ جيل الشباب يحمل على عاتقه مسؤولية الرسالة الإسلامية أكثر من غيره، وهذا مؤشّر على أن المجتمع الإسلامي بشكل عام يميل نحو الالتزام بمنهج الإسلام أكثر من الأجيال التي مضت، وذلك أن الشباب كما هو ظاهر بدأ يتوجه نحو المساجد ويشارك بالنشاطات والفعاليات الإسلامية أكثر من أهليهم.

النشاط الإسلامي حسب الجنس:

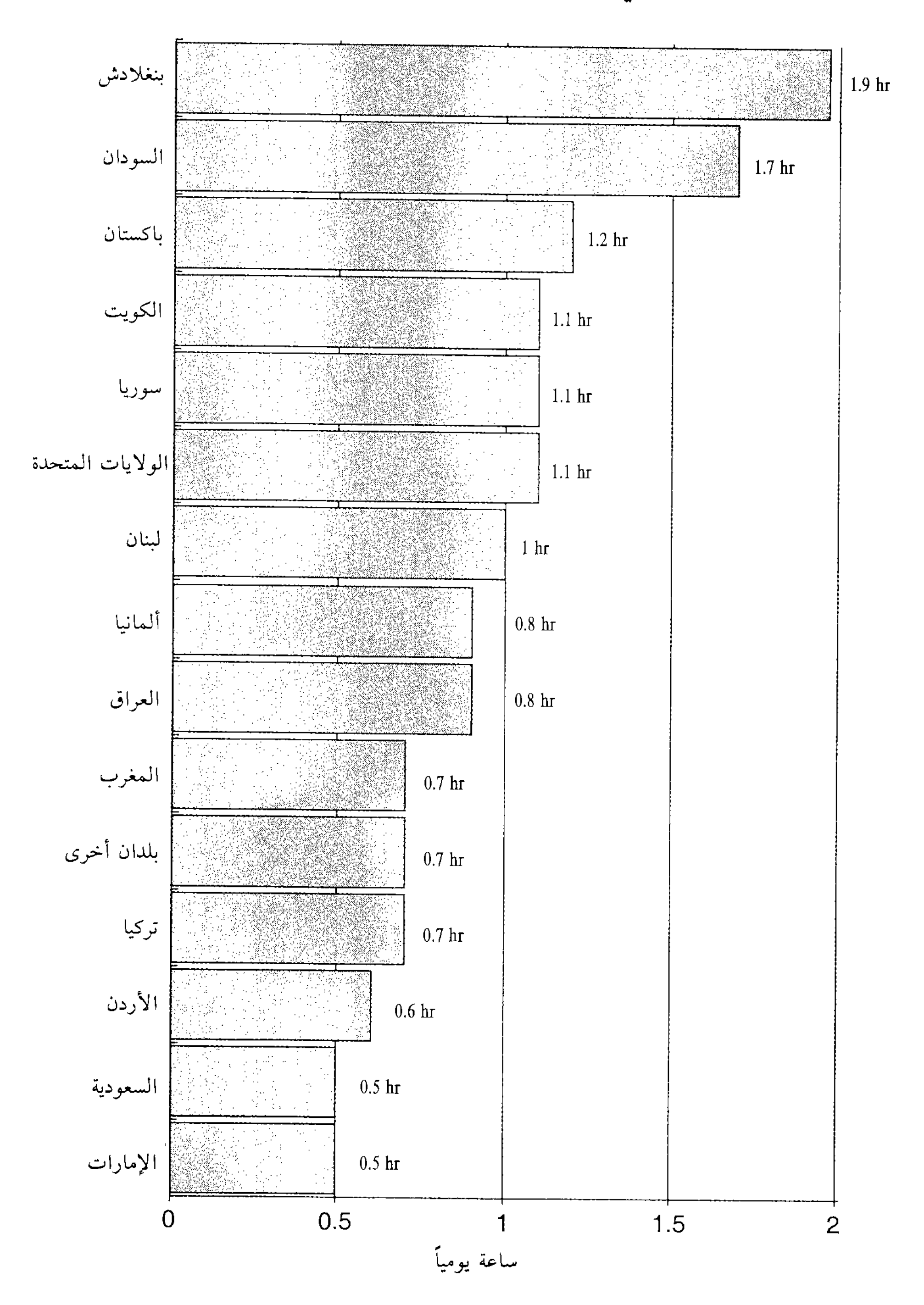
لا يزال هنالك فارق نسبي بين نشاط الرجال والنساء في هذا المجال، وقد تبين لنا أن النساء يصرفن أوقاتاً تقل بنسبة ١٨٪ عن الرجال في النشاط الإسلامي، فمعدل ما تصرف المرأة يومياً في هذا المجال أقل من ساعة، قرابة ٥٤ دقيقة، بينما يصرف الرجل ١,١ ساعة، أي ٦٦ دقيقة يومياً. ومرة أخرى أقول: إنّ هذه النسبة لمن أجابوا على هذا السؤال؛ أي هي للمشاركين في العمل الإسلامي بصورة ما مهما كانت هذه الصورة.

النشاط الإسلامي حسب التوزيع الجغرافي:

أما نسبة المشاركة في النشاطات الإسلامية حسب البلد، فكانت النتائج مثيرة للاهتمام، إذ إنها في أمريكا بشكل عام أوسع بكثير من البلدان العربية، فبينما هي قرابة ١,١ ساعة يومياً في أمريكا، فهي ساعة واحدة في لبنان، و٠,٨ ساعة في العراق، ونصف ساعة فقط في السعودية والإمارات، وهي أقل نسبة من بين الدول المشاركة. انظر الرسم الوارد في الصفحة التالية.

وإنَّه من المتوقع أن تكون هذه النسبة في بلاد الغرب أكبر منها في بلادنا للحرية الموجودة. وقد تكون أيضاً الحاجة للتمسك بالالتزام الإسلامي أكبر في وسط غير إسلامي للحفاظ على العائلة وخاصة الأولاد. ولا ريب أن كثيراً من دولنا الإسلامية تعاني من ضعف الحريات في هذا المجال، لكن المستغرب هو كيف تكون السعودية والإمارات في ذلك الموضع مع كون حريات النشاط الإسلامي متوافرة إلى حدّ ما والبيئة أكثر إسلامية من غيرها. أمَّا كون بنغلادش تمثل أعلى دولة في مصارف الوقت في النشاط الإسلامي فهو مفهوم ومتوقع من حيث كون معظم الملتزمين في بنغلادش يصرفون ساعات يومياً في نشاط جماعة الدعوة والتبليغ مع كون معظم المشاركة مجرد حضور تجمعاتهم في المساجد، وهذا مما يأخذ الوقت الطويل مع تفاوت فاعلية هذه النشاطات.

معدل ما يصرف في النشاطات الإسلامية حسب التوزيع الجغرافي



المطلب الرابع: تقدير أوقات الفراغ

هذا المطلب ينظر في معدلات أوقات الفراغ حسب المعطيات الديمغرافية، وهو تحليل بيانات السؤال رقم ٥ من الفقرة الأولى من الاستبيان.

س٥: كم معدّل ما لديك من أوقات الفراغ يومياً (الخارج عن نطاق العمل المعاشي والعبادي)؟

.... ساعة يومياً.

تحليل البيانات:

إنَّ تقدير أوقات الفراغ سيكون على الحد الأدنى؛ لأنّ الفرد عادة لا ينتبه لقياس تلك الفترات، فطبيعي أن يعلم الفرد مقدار دوامه في العمل، لكن كيف يقدر الأوقات الضائعة وأوقات الفراغ، لذا فكل ما سنسرده من نتائج حول هذه الجزئية يُفترض أنه أقل من الواقع الفعلي، لكنَّ التحليلات النسبية ستظهر لنا معلومات هامة حول أوقات الفراغ لدى المسلمين.

لقد وجدتُ المعدل العام لأوقات الفراغ لدى أفراد العينة هو ٢,١ ساعة يومياً حسب المعطيات المتوافرة في العينة. وهذا المعدل يختلف حسب الجنس، فبينما هو ٢,٣ ساعة للنساء، فهو ١,٩ ساعة للرجال. ومع العلم أنَّه متوقع أن يكون للنساء أوقات فراغ أكثر من الرجال، لكنها من منطلق واقعي أظنها أطول من ذلك، وذلك لأنه يصعب على النساء اللواتي لا يعملن تقدير عدد ساعات الفراغ اليومي لهن. أما أوقات الفراغ حسب العمر فبلغت ٢,٢ ساعة للشباب، و١,٩ ساعة لجيل الآباء، وساعتين لمن بلغ فوق ٦١ عاماً.

واختلفت هذه النسبة من بلدٍ لآخر، فأعلى قدر منها في الكويت حيث بلغت ٢,٨ ساعة، وفي سوريا ٢,٧ ساعة يومياً، وهي فوق ساعتين في معظم الدول العربية، بينما هي أقل من ذلك في كافة الدول الأخرى، وتوزيع المعدلات حسب القطاعات الجغرافية، يظهر النتيجة كالآتي:

القطاع الجغرافي	معدل أوقات الفراغ اليومي
البلدان العربية	٢,٣ ساعة
أوروبا	ساعتان
القارة الهندية	١,٩ ساعة
أمريكا الشمالية	١,٨ ساعة

ووقت الفراغ ـ إن وُجد ـ نعمة عظيمة متى اغتنمه صاحبه في مزيد من النشاط الهادف الذي يخدم رسالة الفرد وأولوياته الحياتية. فلطالما تمنّى البعض وجود بعض أوقات الفراغ لمجرد القراءة أو للتدرب على مهارة ما، وربما للمشاركة في عمل مؤسسي ذي هدف خيري مثل: مساعدة الفقراء، ورعاية ذوي الحاجات الخاصة. بينما تطول أوقات الفراغ للعاطلين عن العمل أو لأسباب أخرى وتبلغ بضع ساعات في اليوم، ومن ثم تضيع هذه الأوقات بدون اغتنامها.

وإن السويعات القليلة من الوقت دون مسؤوليات تُذكر يمكن أن تغتنم بفعالية عظيمة على المدى الطويل؛ إذا ما تم اغتنامها لأيام طويلة بشكل منتظم، كما أشرت إليه فيما سبق، حيث يمكن توظيف تلك السويعات لبلوغ هدف أو أهداف ضخمة في مستقبل الأيام.

لكن كثرة أوقات الفراغ تشير إلى قلة الفعالية؛ لأنَّه لو اغتنم الفرد أوقاته بحكمة لما ترك أوقاتاً طويلة للفراغ، كما أنَّ البطالة وضعف الشعور بالمسؤولية يرفعان معدل ساعات الفراغ.

المطلب الخامس: قياس أداء الصلوات في وقتها

هذا المطلب يبحث في أداء الصلوات في وقتها كأهم واجبات الوقت، ونتائج هذا السؤال لا تدل على درجة الالتزام بالإسلام فحسب، بل مدى حرص المسلمين على اغتنام الوقت؛ لأنّ أداء الصلاة في وقتها تدل كمثال نموذجي على حسن الانضباط في تعاملنا مع وقتنا. كما يدرس هذا المطلب علاقة ذلك بالعمر والدرجة العلمية والتوزيع الجغرافي. وهذا المطلب يتناول تحليل بيانات السؤال رقم ٦ من الفقرة الأولى من الاستبيان وهو الآتي:

س٦: هل تحافظ على الصلوات اليومية في وقتها أم ماذا؟

☐ نعم، أصليها جميعها في وقتها.

☐ أصلي بعضها في وقتها.

☐ لا أصلي.

تحليل البيانات:

أجاب على هذا السؤال ٣٨٦٨ مشارك من أصل ٤١٠٥ استمارة صالحة، وهذه النتيجة متوقعة حيث أشرنا سابقاً أن العينة المأخوذة معظمها من أوساط إسلامية ملتزمة.

وكانت البيانات كالتالي: ٢٤٧٢ فرداً قالوا: إنهم يصلون الصلوات على وقتها (٦٤٪)، وذكر ١٢٢٩ فرداً أنهم يصلون لكن بدون المحافظة على أوقات الصلاة (٣٢٪)، بينما ذكر الباقي ١٦٧ فرداً (٤٪) أنهم لا يصلون، هذا بشكل عام للجميع، لكنه اختلف بحسب العمر كما هو مبيَّن أدناه.

المحافظة على الصلوات في أوقاتها حسب العمر:

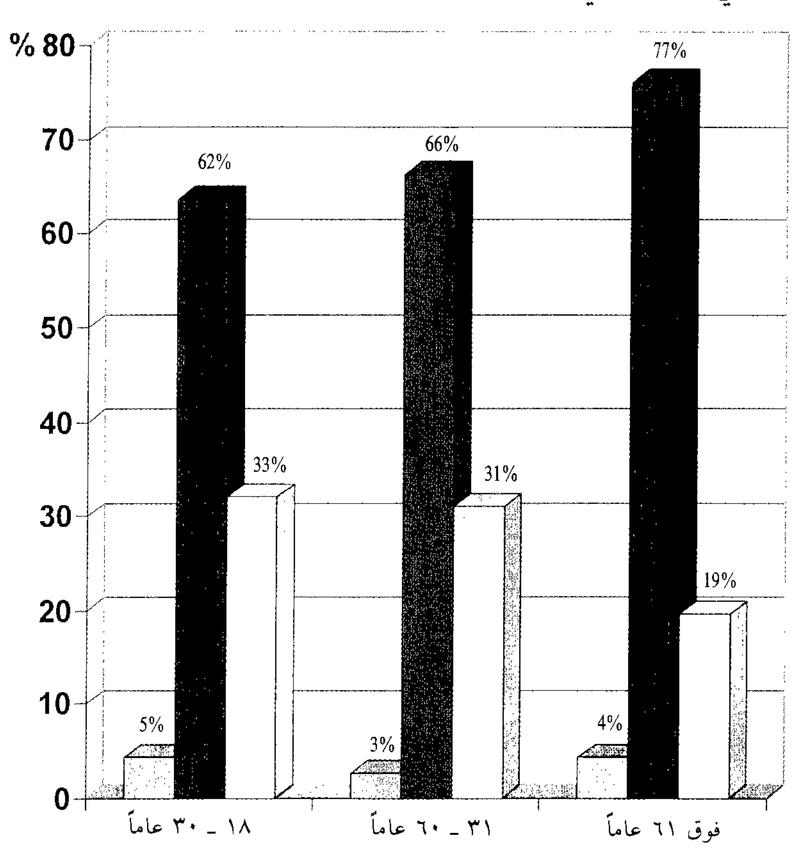
بلغت نسبة المصلين على الوقت للشباب ٦٢٪، وقرابة الثلث يصلون بعض الصلوات في وقتها، وربما يقضون الأخرى أو يصلونها في نهاية وقتها، وقرابة ٥٪ لا يصلون البتة. ونسبة المصلين على الوقت تنمو قليلاً مع العمر بحسب الرسم أدناه، حتى تصل إلى ٧٧٪ لأصحاب العمر فوق ٦١ عاماً.

وإنَّ نسبة ٣٣٪ من الشباب لا يصلون الصلوات الخمس في وقتها هي نسبة كبيرة تدل على التفريط بأهم واجبات الوقت مع كون العينة من الوسط الإسلامي في معظمها. وهنا قد نظن أن هذه النتيجة تناقض ما رأيناه في تحليل مستوى ساعات العبادة والنشاط الإسلامي ورابط الالتزام الديني، ويمكن القول هنا بوجود عناصر أخرى مؤثرة لم تلحظها الدراسة، أو قد تكون مرتبطة بعامل عدم الانضباط بالوقت لدى قسم كبير من الشباب وعدم ترتيب الأولويات في مصارف الوقت على الأرجح.

أداء الصلاة في وقتها حسب العمر

☐ لا أصلي.　　　　☐ نعم، أصليها جميعها في وقتها.

☐ أصلي بعضها في وقتها.



المحافظة على الصلوات حسب الدرجة العلمية:

وجدتُ بوضوح أن نسبة المصلين على الوقت تنمو من ٥٨٪ لحاملي الشهادة الثانوية، إلى ٦٥٪ لحاملي شهادة البكالوريوس، إلى ٧٠٪ لحاملي شهادات الماجستير والدكتوراه. وهذه نتيجة متوقعة، حيث كلما نما الفرد في علومه، عَلِمَ الله أكثر، فحافظ على علاقته معه أكثر.

أمّا المستغرب الذي وجدته خلاف النتيجة أعلاه فهو أنّ حاملي شهادة الابتدائية فقط لديهم نسبة عالية من المحافظة على صلواتهم إذ بلغت ٦٧٪.

أمّا نسبة الذين لا يصلّون بتاتاً فهي تنخفض بشكل واضح مع ارتفاع

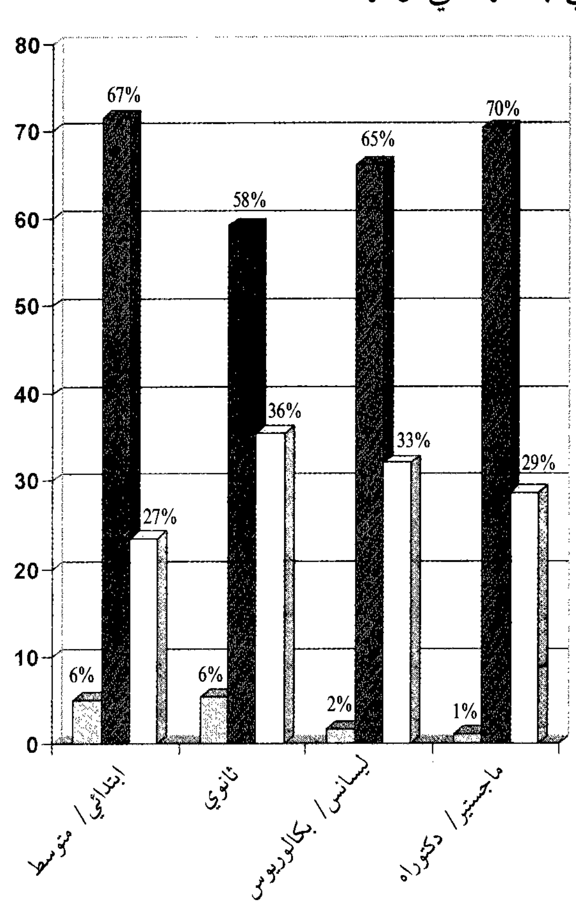
الدرجة العلمية كما هو مبيَّن في الرسم أدناه، حتى تتدنى لتصل إلى ١٪ فقط لحاملي الشهادات العليا، بينما هي ٢٪ لحاملي البكالوريوس، و٦٪ للذين لم يبلغوا مرحلة الدراسة الجامعية. وهذا يشير إلى أنَّه كلما نمى الفرد في علومه، ازداد إيماناً بالله تعالى، فنمت كذلك علاقته به.

أمَّا أداء الصلاة بدون المحافظة على وقتها فتنخفض مع ارتفاع التحصيل العلمي من الثانوي إلى الدكتوراه، ويستثنى من ذلك حاملي شهادات الابتدائي والمتوسط.

أداء الصلاة في وقتها حسب التحصيل العلمي

□ لا أصلي.　　■ نعم، أصليها جميعها في وقتها.

□ أصلي بعضها في وقتها.



المحافظة على الصلوات حسب التوزيع الجغرافي:

اختلفت نسبة المحافظة على الصلوات على وقتها بين بلدٍ وآخر، فبينما بلغت أعلى نسبة لها في بنغلادش إذ بلغت قرابة ٨٢٪، بلغت أدنى مستوى لها في الإمارات إذ بلغت ٢٦٪ فقط. أمَّا في الدول الأخرى فقد بلغت في السعودية ٧٦٪، وفي لبنان ٦٤٪، وفي أمريكا ٦٤٪، وفي السودان ٦٩٪، وفي المغرب ٤١٪، كما هو مبيَّن في الجدول أدناه.

أداء الصلوات حسب التوزيع الجغرافي

البلد	يصلون بانتظام	يصلون بغير انتظام	لا يصلون بتاتاً
الولايات المتحدة	٦٤٪	٣٣٪	٣٪
لبنان	٦٤٪	٢٨٪	٨٪
السعودية	٧٦٪	٢٤٪	٠
الكويت	٦٠٪	٣٨٪	٢٪
الإمارات العربية	٢٦٪	٧٢٪	٢٪
سوريا	٤٨٪	٤٦٪	٦٪
السودان	٦٩٪	٣١٪	٠
المغرب	٤١٪	٥٦٪	٣٪
العراق	٥٠٪	٤٨٪	٢٪
تركيا	٥٥٪	٣١٪	١٤٪
بنغلادش	٨٢٪	١٦٪	٢٪
الأردن	٦٥٪	٣٣٪	٢٪
باكستان	٥٢٪	٣٧٪	١١٪

أمَّا نسبة عدم المصلين بتاتاً فقد انعدمت تقريباً في السعودية والسودان وارتفعت في لبنان وباكستان وتركيا.

أمَّا نسبة المصلين بشكل غير منتظم، فأعلاها في الإمارات العربية إذ بلغت ٧٢٪، وتلتها المغرب إذ بلغت ٥٦٪. وهذه النتائج متماسكة ومنسجمة أيضاً مع المعطيات الأخرى في مجمل نتائجها.

خلاصة المبحث الثاني

بعض أهم النتائج التي خلصنا إليها في هذا المبحث هي الآتية:

١ ـ معدل إنتاج العمل الفعلي حسب المعطيات البيانية للمشاركين في الدراسة بلغ ٤,٧ ساعة يومياً على أكثر تقدير، من ضمن ٩,١ ساعة تصرف في العمل لمن لديهم وظائف أو أعمال خاصة. ويرتفع معدل الإنتاج من ٣,٩ ساعة إلى ٥,٤ ساعة يومياً حسب الدرجة العلمية، وتختلف حسب التوزيع الجغرافي إذ هي أعلى ما تكون لمسلمي أمريكا إذ بلغت ٥,٩ ساعة وأقلها لمسلمي بنغلادش إذ بلغت ٢,٨ ساعة يومياً.

٢ ـ تنمية المهارات والخبرات الذاتية من أهم عناصر زيادة الفعالية، إلَّا أنَّ القيام به لا يتجاوز ٤٨ دقيقة يومياً لمن يقوم به فعلاً.

٣ ـ بلغ معدل مشاهدة التلفاز قرابة ساعتين يومياً، واختلفت حسب التوزيع الجغرافي وحسب الجنس، لكنها حسب العمر أطول ما تكون للشباب إذ تبلغ ٢,٢ ساعة يومياً على أقل تقدير، مما يستدعي الانتباه إلى تلك الظاهرة.

٤ ـ تجاوز مجموع ساعات اللَّاجدية التي تصرف في مجرد الراحة واللهو ومشاهدة التلفاز واللقاءات الاجتماعية والسمر ٧ ساعات يومياً، وهي فترات طويلة إذا ما أضفنا إليها ساعات النوم وتناول الطعام وغير ذلك. لذلك وجدت أن من أهم أسباب ضعف الإنتاج والفعالية الحياتية بكل بساطة عدم صرف الوقت فيما هو هام ومنتج فعلاً.

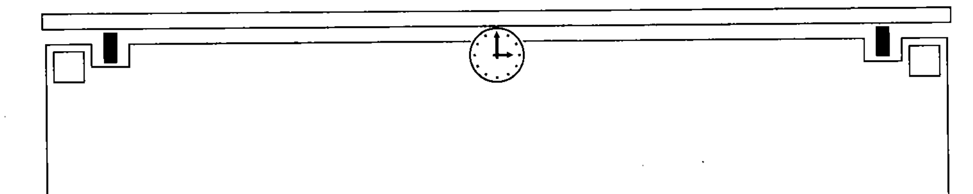
٥ ـ لا يوجد وعي كاف في تقدير مصارف الوقت لدى معظم الناس، وبخاصة أنّ أنشطة اللهو والنشاطات الاجتماعية تطول دون تقديرٍ واعٍ لكمّ الوقت الذي يُصرف فيها. تبيّنَ هذا جلياً حينما جمعنا معدلات مصارف الوقت إذ بلغت ١٧ ساعة يومياً، فاستقراء البيانات يظهر أنَّ هناك ٧ ساعات تمر بدون معرفة كيفية إضاعتها كل يوم.

٦ ـ يرتفع الإنتاج اليومي بنسبة ٣٦٪ حينما يعمل الفرد في مجال اختصاصه لتصل إلى ٥,٣ ساعة، بينما هي ٣,٩ ساعة لمن يعمل خارج نطاق اختصاصه.

٧ ـ معدل ما يُصرف في الواجبات العبادية ١,٧ ساعة يومياً، وهي ترتفع بقليل لجيل الشباب مقارنة بجيل والديهم. كما بلغ معدل ما يُصرف في النشاطات الإسلامية أكثر بقليل من ساعة واحدة لمن يقوم بذلك، وهي ١,٢ ساعة لجيل الشباب، أي أكثر من جيل والديهم أيضاً.

٨ ـ معدل ما يملك الفرد من أوقات الفراغ حسب العينة المشاركة بلغ ٢,١ ساعة يومياً، وهو في البلدان العربية أكثر منه في جميع الدول الأخرى إذ يبلغ معدله ٢,٣ ساعة يومياً، ويرتفع هذا المعدل ليصل إلى ٢,٨ ساعة في بعض الدول.

٩ ـ بلغ معدل من يصلون الصلوات الخمس في أوقاتها ٦٤٪ من المسلمين، واختلفت هذه النسبة حسب العمر والتوزيع الجغرافي، لكنها ترتفع بشكل عام مع درجة التحصيل العلمي من الثانوية إلى الدكتوراه. كما أن عدم الصلاة بتاتاً ينخفض بشكل ملحوظ من ٦٪ لحاملي شهادات الابتدائي لتصل إلى ١٪ فقط لحاملي شهادات الماجستير والدكتوراه. أمَّا نسبة المصلين بدون انتظام بالوقت فبلغت ٣٣٪ لجيل الشباب مع كون العينة المشاركة كانت من أوساط إسلامية ملتزمة، مما يدل على ضعف الانضباط بالوقت وعدم اغتنامه لدى الشباب.



المبحث الثالث

استقراء المعالم الشعورية في تعاملنا مع الوقت

مقدمة المبحث الثالث

إنّ العنصر الشعوري الداخلي فيما يتعلق بتثمين الوقت والقناعة بالفعالية الشخصية خلاله، له أبلغ الأثر في كيفية تعاملنا مع وقتنا. فإن كان الفرد لا يستشعر أهمية وقته، فإنَّه لن يبالي بتضييعه، كما أنّ اعترافه بوجود خلل ما في تعامله مع وقته يعكس استعداده لتعلُّم مهارات إدارته.

نستقرئ في هذا المبحث علاقة الرضى عن تعامل الفرد مع وقته وبعض معطيات الدراسة الأخرى؛ كوضع برنامج اليوم، وبرمجة سلّم الأولويات. كذلك أيضاً مدى حرص المسلم الوجداني على اغتنام وقته، ولو لم يترجم هذا الشعور إلى واقع عملي؛ كالندم على ضياع الوقت، وكذلك رضاه عن فعاليته في المجتمع، وارتباط ذلك بوضوح الرسالة الحياتية التي يعيش الفرد لها، والأهداف التي يريد إنجازها، والقيام بالتخطيط اليومي.

كذلك نستعرض في هذا المبحث ما تظهره العينة المشاركة من تقويم الأفراد لأنفسهم من حيث صرفهم للوقت بحسب أهمية الأعمال، وعلاقة ذلك ببرمجة سلّم الأولويات. كما تتناول كذلك مدى الشعور بالعجز وعدم الفاعلية في مصارف الوقت وأسباب ذلك، حسب التوزيع الجغرافي وعلاقته بالتخطيط وعدمه.

وأخيراً، نستعرض مدى المداومة على تنمية المهارات الذاتية في مجال اهتمام الفرد، وعلاقة ذلك بالرضى بإنتاجه. وهذه المسائل جميعها تشكل دراسة نتائج الإجابات على أسئلة الفقرة الثانية من الاستبيان.

المطلب الأوَّل: الشعور بالرضى والفعالية

يتناول هذا المطلب الإجابات عن الأسئلة الأربعة الأولى من الفقرة الثانية من الاستبيان وأولها:

س١: هل أنت راضٍ على تعاملك مع وقتك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

الهدف من هذا السؤال وأمثاله معرفة العنصر الشعوري لدى أفراد العينة الإحصائية، والتي تنقسم إلى فئتين أساسيتين:

الأولى غير راضية، وشعورهم بعدم الرضى إزاء تعاملهم مع وقتهم عنصر إيجابي؛ يدل أولاً على إقرارهم بوجود خلل ما واقع في كيفية تعاملهم مع وقتهم، وقد يعود هذا الخلل إلى عنصر داخلي خاص بالفرد أو إلى عنصر خارجي، ويمكن للفرد التعامل معه عبر التدريب وممارسة مهارات إدارة الوقت، كما يدل ثانياً على الإشارة إلى استعدادهم لتغيير هذا الواقع.

أمَّا هؤلاء الراضون عن تعاملهم مع وقتهم، فوضعهم يحتاج لتحليل أكثر لمعرفة السبب الذي قد يكون لأمرين: إمَّا أنه ناتج عن واقع جيِّد في تعاملهم مع وقتهم، أو لجهلهم بأنَّ حياتهم تمر دون اغتنامها في تحقيق أهداف مرجوة، وهذا يحدث عادة لهؤلاء الذين لا أهداف واضحة لحياتهم ويجهلون ما يحيون لأجله، فلِمَ الحرص على الوقت إذاً، فهم راضون عن تعاملهم مع وقتهم لعدم مبالاتهم بأهمية عنصر الوقت أساساً.

هذا وقد أظهرت الدراسة أن ٤٠٪ من العينة الإحصائية بشكل عام راضون عن تعاملهم مع وقتهم، وشكَّل هذا ١٦٥٠ فرداً من أصل مجموع ٤١٠٥ فرداً. وبالطبع قال الباقي (نسبة ٦٠٪): إنهم غير راضين عن تعاملهم مع وقتهم، وهذه النتيجة بشكل عام إيجابية وتشير إلى أن نسبة كبيرة من المسلمين تعترف بوجود مشكلة في اغتنام وقتها، وأبدوا رغبتهم في الاستعداد لتغيير واقعهم.

ولقد قمت بمزيدٍ من التحليل لدراسة علاقة ذلك ببعض المعطيات الأخرى من الاستبيان.

*** علاقة الرضى عن تعامل الفرد مع وقته وبرمجة مهام اليوم:**

من خلال تحليل نتيجة السؤال الماضي مع السؤال الثامن من الفقرة الثالثة من الاستبيان، وجدتُ أن ٧١٪ (١٧٤٨ فرداً) من هؤلاء الذين قالوا: إنهم غير راضين عن تعاملهم مع وقتهم؛ لا يقومون بتنظيم أعمال يومهم من خلال كتابة لائحة بمهام اليوم وما ينوون القيام به، بينما تنخفض هذه النسبة إلى ٥٦٪ لمن قالوا: إنهم راضون عن تعاملهم مع وقتهم. هذا يعني أن هؤلاء الذين لا يستخدمون مفكرة أو آلية لإدارة الوقت هم أكثر الناس غير الراضين عن تعاملهم مع وقتهم، وذلك سببه الفوضى وعدم التخطيط مما يجعل النهار يمر دون القيام بما يجب القيام به. كما أن هذا يدل على أن أكثر من نصف الراضين عن تعاملهم مع وقتهم لا يعني رضاهم هذا نجاحهم في حسن اغتنامهم للوقت، بل إنهم لا يحددون حتى مهام يومهم، لذلك هم جاهلون إلى حدّ ما بواجبات الوقت، ورضاهم هذا سلبي لعدم اعترافهم بسوء اغتنامه.

*** علاقة الرضى عن تعامل الفرد مع وقته وبرمجة سلّم الأولويات:**

برمجة سلّم الأولويات مهارة أساسية في إدارة الوقت، وتأتي بعد تحديد برنامج العمل اليومي، وهي تظهر بوضوح عند من بلغ مرحلة متقدمة في حسن اغتنام وقته.

ومن خلال تحليل نتيجة الإجابات على السؤال السابق بالمقارنة مع السؤال التاسع من الفقرة الثالثة من الاستبيان. وجدتُ أن ٦٦٪ ممَّن قالوا: إنهم لا يبرمجون سلّم أولويات يومهم، ذكروا أيضاً أنهم غير راضين عن تعاملهم مع وقتهم، وهذا طبيعي حيث يعني أنّ عدم برمجة سلّم الأولويات سببٌ لضياع الوقت وإساءة اغتنامه، وهذا ينعكس على عدم رضاه عن تعامله مع وقته.

أمّا هؤلاء الذين يبرمجون سلّم أولوياتهم كل صباح حسب درجة أهمية كل عمل، ثم يقومون بمهام يومهم بحسب ذلك البرنامج، فلا يقومون في الوقت المعيَّن إلّا بأهم نشاط لذلك الوقت، وبعد الانتهاء منه يُنتقل للأقل أهمية بالتتابع، عندها لا بد أن يكون الفرد راضياً عن كيفية تعامله مع وقته؛ لأنَّه يقوم دوماً بأهم ما لديه من مسؤوليات، هذا إن قام فعلاً ببرمجة سلّم الأولويات بصورة صحيحة، ونفَّذ برنامجه هذا بدقة.

س٢: هل تشعر بالندم لعدم الاستفادة من وقتك حينما تمضي ساعات طويلة في مشاهدة التلفاز أو في سهرة لاهية؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

الهدف من هذا السؤال معرفة حرص الفرد الوجداني على اغتنام وقته ومدى تقويمه له، ولو لم يترجم هذا الشعور إلى واقع عملي. والندم لضياع الوقت يحصل عادةً لمن يحيا لغرض ما، سواء كان ذلك رسالة عامة أم أهدافاً محددة يود إنجازها في حياته، ذلك لأنَّ وجود رسالة حياتية وأهداف واضحة تحث الفرد على اغتنام وقته لبلوغها، وتجعله يشعر بالندم حيال ضياع بعض وقته. أمَّا من يحيا لغير هدف فالوقت لا يعني له الكثير، فلا يثمّنون قيمته ولذا لا يندمون على تضييعه؛ لأنه لا قيمة له في أنفسهم.

والشعور بالندم عند ضياع الوقت أمرٌ إيجابي إذ يدل على استشعار الفرد بأهميته، كما قد يدل على الاستعداد النفسي لاغتنامه ما تعلم الفرد مهارات إدارته.

وقد أظهرت الدراسة أن ٧٣٪ من العينة الإحصائية يشعرون بالندم لعدم استفادتهم من وقتهم، وبشكل محدّد حينما يمضون الساعات الطويلة في مشاهدة التلفاز أو في سهرات لاهية، بالمقابل قال ٢٧٪: إنهم لا يندمون لذلك، وهذا ما يستدعي الأسف الشديد حيث إن أكثر من ربع المسلمين لا يشعرون حتى بمجرد الندم لضياع الوقت.

لكنني أود دراسة العلاقة بين ذلك الشعور بالندم عند ضياع الوقت ووجود رسالة حياتية ووضوح ذهني حول الغاية التي يرى المرء أنَّه يعيش من أجلها.

*** علاقة الشعور بالندم لضياع الوقت ووضوح الرسالة الحياتية:**

الهدف هنا دراسة وضع من قال بأنَّ لديه وضوحاً ذهنياً تاماً حول ما هو فعلاً هام في حياته، كرسالة حياتية يحيا من أجلها، وذلك من خلال دراسة السؤال رقم ١١ من الفقرة الثالثة من الاستبيان.

وقد أظهرت الدراسة هنا أن ٨٠٪ (٢٤٣١) ممَّن لديه رسالة واضحة يشعر بالندم عند ضياع الوقت، وهذا واقعي جداً لأن هذه الرسالة تحثّه على اغتنام فرصة حياته، التي تمثل الوقت الذي يحياه. لذلك حتى يقدِّر الفرد قيمة وقته لا يكفي حثه على اغتنامه دون توجيهه نحو الغاية التي خُلِقَ لها وحَثَّه على إيجاد أهداف تنبثق منها.

*** علاقة الندم على ضياع الوقت بوجود أهداف حياتية:**

أما الهدف هنا فهو دراسة نتائج السؤال رقم ١ من الفقرة الثالثة بالمقارنة مع السؤال أعلاه لمعرفة علاقة الندم على ضياع الوقت بوجود أهداف يريد الفرد إنجازها في مستقبل حياته، وعدم ذلك.

وجدتُ هنا أن ٨٨٪ (٢٦٥٩ فرداً) ممَّن قالوا: إنهم يندمون لضياع الوقت، قالوا أيضاً: إنَّ لديهم أهدافاً واضحة يودون تحقيقها، مما يدل بوضوح على أنَّ وجود أهداف فردية يسعى الفرد لتحقيقها تساعد على تثمين الوقت ومن ثم إلى حسن اغتنامه. لذلك علينا أن نساعد المضيّعين لأوقاتهم في تحديد أهدافهم الحياتية وحثّهم على السعي لها بغية استشعارهم بأهمية وقتهم وحسن اغتنامه والندم على ضياع ما فات منه.

س٣: هل تشعر عند نهاية كل يوم أنّك عنصر فعّال في المجتمع من خلال ما قمت به خلال نهارك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

الهدف من هذا السؤال دراسة نظرة الفرد لنفسه من حيث إنَّه فعَّال في حياته أم لا، وعلاقة ذلك بالتخطيط اليومي ووضوح الرسالة الحياتية، وهذا السؤال مرة أخرى يسعى لقياس العنصر الشعوري لدى الفرد لكن من زاوية أخرى.

لقد أجاب بـ: (نعم) على هذا السؤال ٢٤٤٩ فرداً، أي إن ٥٩٪ من العينة الإحصائية تعتقد أنها فعَّالة عنه نهاية كل يوم، لكنَّ هذه النسبة تختلف كسابقتها حسب التوزيع الجغرافي، لكنني أود دراسة علاقة هذه الجزئية بمن لديهم وضوح حول رسالتهم الحياتية.

*** علاقة الشعور بالفعالية بوضوح الرسالة الحياتية:**

تظهر الدراسة أن ٧٨٪ (٢١٣٤ فرداً) ممَّن قال: إنَّ لديهم رسالة حياتية واضحة، قالوا أيضاً: إنهم عناصر فعَّالة في المجتمع. وهذا متوقع حيث إنَّ وجود رسالة حياتية واضحة للفرد تحثه على السير باتجاه واضح وثابت فيصبح فعَّالاً فيما يقوم به، بينما ذلك الذي لا رسالة واضحة لحياته يقضي أيامه في نشاطات متفرقة ويضيع وقته فيما هو غير مهم، فتتوالى الأيام هكذا حتى يدرك بحق أنَّه ليس فعَّالاً في حياته، وخاصة عندما يرى أن أيامه تمر بلا أثر يذكر.

ومع العلم أنَّه يوجد لدى الكثير من الناس رسالة حياتية واضحة، لكنهم مع ذلك يفشلون في ترجمة هذه الرسالة إلى مشاريع وأهداف عملية يخطط لها بشكل دوري ويومي، مما ينتج عنه عدم أو قلة الفعالية والإنتاج. لذلك سأدرس علاقة هذا السؤال أعلاه بالتخطيط اليومي.

*** علاقة الشعور بالفعالية والتخطيط اليومي:**

تظهر الدراسة أن ٧٣٪ ممَّن قالوا: إنَّهم غير فعَّالين لا يقومون بأدنى درجات التخطيط، وهو التخطيط اليومي الذي ينتج عنه كتابة لائحة بما

يريد الفرد إنجازه خلال اليوم، بالمقابل لمن يخطط ليومه بحكمة ويقضي وقته حسب أولوياته فيُصبح أكثر إنتاجاً في حياته، لذلك يشعر بأنه عنصر فعَّال في المجتمع من خلال ما قام به خلال يومه من مسؤولياتٍ وأولوياتٍ خطط لها.

س٤: هل تجد نفسك تصرف أوقاتاً طويلة في أمور غير هامة مع وجود مسؤوليات وأهداف أهم منها؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

معلوم أنَّ الوقت يمر على الجميع بالسرعة نفسها والكل متساوٍ في طول يومهم، لكن الفرق الشاسع بين عطاءات البشر يكمن في مدى أهمية مصارف الوقت لديهم، فمنهم من يركِّز تركيزاً تاماً على الأهم وفي كل آن، فيكون إنجازه عظيماً، ومنهم لا يبالي بذلك فيصرف وقته في سفاسف الأمور وغثها وما تهواه نفسه، فيكون إنجازه ضعيفاً. وقد كان الهدف من هذا السؤال معرفة ما يراه أفراد العينة في تقويم أنفسهم من حيث هذه الجزئية.

وقد أظهرت الدراسة أنَّ ٤٧٪ من أفراد العينة اعترفوا بأنهم يصرفون الوقت الطويل فيما هو دون الأهم من الأمور. وهذه نسبة كبيرة وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ قسماً كبيراً من العينة قد لا يعلم بوضوح الأهم من المهم لكونه لا يخطط برنامج يومه ولا يحدد سلّم أولوياته، لذلك أعتقد أنَّ النسبة الحقيقية أكثر من ذلك. أمَّا ما تدل عليه نتيجة هذا السؤال فهو أن نسبة كبيرة من المسلمين، قرابة النصف على أقل تقدير، يصرفون أوقاتهم فيما دون الأهم من الأمور، وخطورة ذلك عظيمة، حيث إن النفس البشرية تحث الفرد على الركون إلى مواطن الراحة، وهي الأمور السهلة التي لا تحتاج لجهد كبير ولا تركيز، وهي عادة الأمور غير المهمة، فتصبح مصارف الوقت لدى هؤلاء أموراً مضيعة له، مع استهانتهم بالهام من الأمور.

مثال ذلك: كمن ترك صلاة الفرض لأداء الراتب منها، أو كالطالب

الذي يترك الدراسة لامتحان الغد ليقرأ مقالات صحفية مختلفة، أو كرجل الأعمال الذي يصرف الساعات الطويلة في مراجعة كيفية صرف بضعة دولارات غافلاً عن الاهتمام بكيفية الترويج لبضائع بقيمة مئات الآلاف من الدولارات.

*** علاقة مصارف الوقت بحسب أهمية العمل مع برمجة سلّم الأولويات:**

عند دراسة نتائج السؤال أعلاه بالمقارنة مع برمجة سلّم الأولويات، وهو السؤال رقم ٩ من الفقرة الثالثة من الاستبيان، أظهرت الدراسة أن ٥٩٪ ممَّن لا يبرمجون سلّم أولوياتهم قالوا: إنهم يصرفون أوقاتهم فيما دون الأهم، وهذا يبين أنَّ القيام ببرمجة سلّم الأولويات كل صباح يساعد الفرد على التركيز على الأهم، وهذه النتيجة متوقعة؛ لأنَّ من لم يدرك بوضوح أولويات وقته سيصرفه بأي شيء، غافلاً عن الأهم والمهم وغير ذلك، لكنني توقعتُ أن تكون هذه النسبة أكبر من ذلك، وهذه النتيجة تدل على أنَّ من يبرمجون سلَّم أولوياتهم لا يحسنون هذا العمل، لأنّهم لو قاموا بذلك بصورة صحيحة لكانت تلك النسبة المئوية أكبر من ذلك بكثير.

المطلب الثاني: الشعور بالحرية أو بالعجز في مصارف الوقت

يدرس هذا المطلب السؤال رقم ٥ و٦ و٧ من الفقرة الثانية من الاستبيان، وأولها الآتي:

س٥: هل تشعر بأنك حرّ في كيفية صرف وقتك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

بعض الناس يدركون ما هو فعلاً مهم لديهم، كما أنهم يحرصون على أن تكون مصارف أوقاتهم في ذلك المجال، لكنهم قد لا يتمتعون بالحرية التي تمكّنهم من ذلك، سواء كان ذلك بسبب البيئة الاجتماعية أو نظام العمل وغير ذلك من الأسباب.

ابتداءً وجدتُ أنَّ قرابة نصف أفراد العينة، تحديداً ٤٩٪ من العينة

الإحصائية لا يشعرون بأنَّهم أحرار في كيفية صرف أوقاتهم. وهذه النسبة كبيرة وتشير إلى الشعور بالعجز عند الكثير منهم، وذلك لسببين: سبب حقيقي، ذلك أنهم فعلاً لا يستطيعون القيام بما يريدون، أو سبب شعوري غير حقيقي، ذلك أنهم يظنون أنهم غير قادرين على فعل شيء، ويكون ذلك أحياناً لمجرد الاعتذار عن الفشل بصرف اللائمة على الظروف والواقع، لكن الحقيقة قد تكون أن الفرد نفسه قد لا يعلم كيفية تحديد الأهداف والتخطيط لبلوغها، ثم مجاهدة نفسه على القيام بما يتطلبه ذلك. وهذه النسبة تختلف حسب بلد الإقامة كما هو مبيَّن أدناه.

*** الشعور بعدم الحرية في مصارف الوقت حسب البلد:**

البلد	النسبة
الإمارات	٣٢٪
السودان	٣٣٪
تركيا	٣٨٪
الكويت	٤٠٪
باكستان	٤٣٪
السعودية	٤٣٪
ألمانيا	٤٢٪
أمريكا	٤٥٪
لبنان	٤٥٪
سوريا	٤٦٪
الأردن	٥٠٪
المغرب	٥١٪
العراق	٥١٪
بنغلادش	٧١٪

وكما ذكرتُ سابقاً قد تكون هذه الأرقام مبالغاً فيها، لكن الدول التي يشعر أبناؤها بالحرية في مصارف وقتهم إلى حدٍ كبير هي: السودان والإمارات وتركيا، ثم يأتي في المرتبة الثانية: الكويت وألمانيا والسعودية وأمريكا ولبنان وباكستان وسوريا، بينما نجد أن أكثر الدول التي يشعر

أبناؤها بالعجز حيال مصارف وقتهم هي: العراق والأردن والمغرب وبنغلادش.

س٦: هل تشعر بأنّك متحكّم بمجرى الأحداث في حياتك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

هذا السؤال شبيه بما قبله للتحقق من نتيجة السؤال السابق، ولدراسة الشعور بالعجز وعدمه من زاوية أخرى.

أظهرت الدراسة بشكل عام أن ٥٦٪ ذكروا أنهم يشعرون بعدم التحكم بمجرى الأحداث في حياتهم، وهذه نسبة أكبر من النسبة في السؤال الأوَّل، وتشير مرة أخرى إلى مدى الشعور بالعجز الذي يعاني منه المسلمون، سواء كان ذلك لأسباب وجيهة تتعلق بعدم حرية الإنتاج والإبداع وقلة الفرص، أو لمجرد عدم معرفة الفرد مهارات التحكم بالأحداث الحياتية الشخصية. لكننا سندرس بتعمُّق أكثر علاقة هذه النسبة بالتخطيط وعدمه.

*** علاقة الشعور بالتحكم بمجرى الأحداث مع التخطيط:**

أظهرت الدراسة أنَّ ٥٩٪ ممَّن قالوا: إنهم لا يستطيعون التحكم بالأحداث في حياتهم، قالوا أيضاً: إنهم لا يقومون بأدنى درجات التخطيط، وهي كتابة لائحة بمهام اليوم، لذلك ليس كل من قال بأنه لا يستطيع التحكم بمجرى الأحداث في حياته يعود ذلك لأسباب خارجية، بل هناك سبب هام لذلك؛ هو الفشل في الأخذ بالأسباب اللازمة لتحكم الفرد في أحداث حياته. وهذا لا يلغي كون البيئة والظروف الخارجية قد تكون سبباً حقيقياً للبعض الآخر.

س٧: هل تشعر بالعجز حيال إنجاز ما تريده في حياتك بسبب ظروفك المعاشية؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

وهذا السؤال شبيه باللذين سبقاه، إذ يدرس شعور الفرد بعدم الفاعلية وبالعجز، لكن هنا بسبب ظروفه المعيشية. كانت نتيجة هذا السؤال أن ٢٣٤٢ من أصل ٤١٠٥ فرداً، أي بنسبة ٥٧٪، ذكروا أنهم يشعرون فعلاً بالعجز بسبب ظروفهم المعيشية، وهي نسبة تتفق مع ما قبلها، وتدلل على أنَّ العينة الإحصائية متماسكة في إجاباتها على السؤال في صور وبصياغات مختلفة، لذا لا داعي لمزيد من التحليل هنا حول علاقة ذلك بأسباب خارجية فعلاً أم داخلية؛ لأننا رأينا فيما سبق أنَّ ذلك ليس لأسباب خارجية تتعلق بالبيئة والظروف العامة فحسب، بل لأسباب داخلية تتعلق بانعدام أو ضعف التخطيط.

وهذا السؤال يدلنا بوضوح على سببٍ آخر للشعور بالعجز، ألا وهو صعوبة الظروف المعيشية التي ربما تجبر الفرد على ممارسة عمل ما يستوعب كل يومه بغية طلب الرزق له ولعائلته، مما لا يترك له مجالاً للقيام بما يريد إنجازه، وقد يكون ذلك زيادة في طلب العلم أو إنجاز مشروع ما، وربما العمل في مجالٍ آخر يرغب به، لكنه مضطر للبقاء في عمل لا يرغبه طلباً للقمة العيش.

المطلب الثالث: مدى المداومة على تنمية المهارات الذاتية

يتناول هذا المطلب دراسة نتائج تحليل بيانات السؤال رقم ٨ من الفقرة الثانية وهو الآتي:

س٨: هل تداوم على تنمية مهاراتك وثقافتك في مجال اهتمامك الشخصي (مثل زيادة تعلم وتدريب)؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

تنمية المهارات الذاتية أحد أهم الأسباب لزيادة الإنتاج والفعالية في

الحياة، ذلك أن الفرد مهما بلغ من مرتبة علمية يظل محتاجاً لتطوير مهاراته وثقافته مع تطور العلوم والتكنولوجية.

وقد أظهرت الدراسة هنا أن ٢٨٠٦ من أصل ٤١٠٥ فرداً، أي بنسبة ٦٨٪، أجابوا أنهم يداومون على تنمية مهاراتهم، ومن الواضح أنَّ هذه النسبة كبيرة جداً، وقد يعود ذلك إلى أنَّ جزءاً كبيراً من العينة الإحصائية من طلاب الجامعات، وهؤلاء يجيبون بوضوح بـ: نعم على هذا السؤال.

لكن لننظر إلى علاقة هذه النسبة بالقناعة بإنتاجية الفرد، وهذا بالمقارنة مع نتائج السؤال رقم ٤ من الفقرة الخامسة.

٭ علاقة القناعة بإنتاج الفرد مع تنمية مهاراته الذاتية:

أظهرت الدراسة أنَّ ٧١٪ ممَّن قالوا: إنهم لا يداومون على تنمية مهاراتهم، ذكروا أيضاً: أنهم غير قانعين بإنتاجهم. وهذه نتيجة متوقعة ذلك أنَّ من يداوم فعلاً على تنمية مهاراته حسب ما يحتاجه في حياته وفي مجال عمله ترتفع فعاليته الحياتية، ومن ثم يصبح قانعاً بإنتاجهم، بينما أولئك الذين لا يتقدمون في مهاراتهم لن يكونوا على درجة مقبولة من العطاء والإنتاج.

خلاصة المبحث الثالث

أهم النتائج التي خلصنا إليها في هذا المبحث هي الآتية:

١ ـ ٦٠٪ من أفراد العينة الممثلة للمسلمين غير راضين عن تعاملهم مع وقتهم، والمزيد من التحليل دلنا على أنَّ ٧١٪ من هؤلاء لا يقومون بأدنى درجات التخطيط، وهي كتابة برنامج يومهم. لذلك فإنَّ هؤلاء الذين لا يستخدمون آلية ما أو أي نظام لبرمجة مهام يومهم هم أكثر الناس غير الراضين عن تعاملهم مع وقتهم؛ لأنَّ ذلك مما يستدعي الفوضى وانعدام التخطيط.

٢ ـ عدم برمجة سلّم الأولويات سببٌ لضياع الوقت وعدم اغتنامه، فقد وجدتُ أنَّ ٦٦٪ ممن لا يبرمجون سلّم أولوياتهم هم غير راضين عن تعاملهم مع وقتهم؛ لأن برمجة سلّم الأولويات والتقيُّد به يعين الفرد على تركيز جهوده على الأهم مما لديه، وعندها سيُنتج بفعالية وسينعكس ذلك على رضاه عن اغتنام وقته.

٣ ـ أكثر من ربع أفراد العينة، تحديداً ٢٧٪ منهم، لا يشعرون بمجرد الندم لضياع الوقت. وإنّ هذا الندم يحصل حينما يحيا الفرد لرسالة أو أهداف يريد إنجازها في حياته، فقد وجدتُ أن ٨٠٪ ممَّن لديهم رسالة حياتية و٨٨٪ ممَّن لديهم أهداف واضحة يشعرون بالندم عند ضياع الوقت. لذلك حتى يقدّر الإنسان قيمة وقته لا يكفي حثّه على اغتنامه فحسب، فلِمَ يحافظ على وقته إن لم يملك مشاريع يريد إنجازها خلاله، لذا ينبغي توجيهه نحو حمل رسالة حياتية يحيا من أجلها ونشود أهدافٍ واضحة تنبثق عنها مما يدفعه إلى اغتنام وقته

لبلوغها، وعندها سيستشعر أهمية الوقت لحاجته إليه وسيندم على ضياعه.

٤ - يعتقد ٤١٪ من أفراد العينة أنهم عناصر غير فعَّالة في المجتمع، وبمزيدٍ من التحليل خلصنا إلى أنَّ ٧٣٪ من هؤلاء لا يقومون بأدنى درجات التخطيط، وهو التخطيط اليومي. لذلك نرى أنَّ من يخطط ليومه بحكمة ويمضي وقته بحسب ذلك يصبح أكثر فعالية في المجتمع.

٥ - برغم أنَّ الجميع متساوون في طول يومهم، فإنَّهم يختلفون في عطائهم وفعاليتهم في حياتهم بحسب أهمية مصارف الوقت لديهم، فمنهم من يصرف جهده ووقته في أمور مهمة ومنهم من لا يبالي بذلك، وبهذا يختلف إنتاجه. فقد اعترف ٤٧٪ من أفراد العينة أنهم يصرفون أوقاتهم فيما هو دون الأهم من الأمور، فتراهم يركنون إلى مواطن الراحة مما لا يحتاج لبذل مجهود جسدي كبير أو تركيز ذهني طويل، فيضيع وقتهم ويضعف عطاؤهم. وإنّ أهم أسباب ذلك عدم برمجة سلّم الأولويات، إذ إن ٥٩٪ ممَّن لا يبرمج أولوياته اعترف بأنه يصرف وقته بغير الأهم من الأمور؛ لأنَّ من لا يملك وضوحاً حول أولويات وقته سيصرفه بأي شيء حسب رغباته البشرية غافلاً عن مدى أهمية ما يَهدر من وقته وطاقته.

٦ - يشعر ٤٩٪ من أفراد العينة أنهم ليسوا أحراراً في كيفية مصارف وقتهم، وهذا الشعور بالعجز قد يكون لأسباب حقيقية خارجية أو لأسباب داخلية غير واقعية. وبعد مزيدٍ من التحليل تبيَّن أنَّ ٥٩٪ ممَّن يشعرون بأنهم لا يستطيعون التحكم بأحداث حياتهم هم في واقع الأمر لا يقومون حتى بكتابة لائحة بما يريدون إنجازه يومياً. لذلك يعود قسم كبير من الشعور بالعجز أو الفشل في ذلك إلى عدم الأخذ بالأسباب اللازمة، أو عدم توافر المهارات الذاتية التي تمكّن

الفرد من التحكم في أحداث ومجريات حياته. كما أنَّ البيئة والظروف الخارجية تشكل السبب الآخر لذلك، حيث إنَّ ٥٧٪ يشعر بالعجز حيال ما يريدون تحقيقه بسبب ظروفهم المعيشية حسب تعليلهم.

٧ ـ اعترف ٣٢٪ من أفراد العينة بأنهم لا يقومون بأي جهد لتنمية مهاراتهم الذاتية، وقال ٧١٪ من هؤلاء: إنهم غير قانعين بإنتاجيتهم، ذلك أنَّ تنمية المهارات والخبرات الذاتية أحد أهم سبل زيادة الإنتاج والفعالية في الحياة، وإنَّ من يداوم عليها بحسب حاجته سوف ترتفع فعاليته، وتزيد ثقته بقدراته، فيصبح قانعاً بعطائه.



المبحث الرابع

استقراء المعالم التنفيذية في تعاملنا مع الوقت

مقدمة المبحث الرابع

معلومٌ أنَّه ليس كل من لديه هدف نجح بفعالية في إنجازه، بل لا بدّ لمن امتلك هدفاً أن يسجل احتياجاته الأولية، ومن ثم يخطط لإنجازه بصورة علمية، ثم يجعل في برنامجه خطوات تقربه نحو تحقيق الهدف يوماً بعد يوم، ومن ثم يثابر على مواصلة خطته يومياً حتى يصل إلى هدفه.

يتناول هذا المبحث أهداف المسلمين من حيث أهم حقولها واختلافها حسب الجنس والتوزيع الجغرافي، وكيفية التعامل معها ابتداءً من تحديدها وانتهاءً بالإجراءات التنفيذية لبلوغها. كما يدرس مدى استخدام المسلمين لآليات أو أنظمة لإدارة وقتهم، وهل يبرمجون سلّم أولوياتهم اليومية كأهم مهارات إدارة الوقت التي تحمل الفرد على التركيز على إنجاز أهدافه.

كذلك يستقرئ هذا المبحث أيضاً وضوح الرسالة الحياتية لدى المسلمين، التي تشكل مصدراً وأساساً لأهدافٍ تنبثق عنها، والتي تحفز الإنسان نحو اغتنام وقته لبلوغها. كما يتناول بعض الجوانب لهذه المسألة من حيث دراسة الوضوح الذهني لدى المسلمين حول ما هو فعلاً مهم في حياتهم، وهل يرى هؤلاء أنهم يحيون لأداء رسالة، وإن حصل فهل يبذلون ما في وسعهم لتحقيقها.

وهذا المبحث يتناول تحليل نتائج الأسئلة الواردة في الفقرة الثالثة من الاستبيان.

المطلب الأوَّل: مجالات الأهداف وتفصيل كتابتها

يتطرق هذا المطلب إلى دراسة نتائج الإجابات على الأسئلة الثلاث الأولى من الفقرة الثالثة من الاستبيان، أولها هو الآتي:

س١: هل لديك هدف أو أهداف تريد إنجازها في مستقبل حياتك؟ (إذا كان جوابك على هذا بـ: نعم، فنرجو الإجابة على الأسئلة من ٢ إلى ٦ أدناه).

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

هذا السؤال هام لما سيأتي بعده، ومن المتوقع أن تكون الإيجابات بـ (نعم) تشكل نسبة ١٠٠٪ حيث يندر أن تجد فرداً يقول: ليس لي أي هدف أريد إنجازه خلال حياتي! وحتى لو تصرّف الكثير وكأنهم يحيون بلا هدف يصعب عليهم الاعتراف بذلك. لكنني وجدتُ أن ٦٨٧ من أصل ٤١٠٥ فرداً، أي بنسبة ١٧٪ اعترفوا أنهم لا يجدون أي هدف في حياتهم! هذه النسبة فاجأتني، وهي مما يؤسف له أن جزءاً لا بأس به من الأمة الإسلامية لا يجدون أي هدف يحيون لأجله، لا لإعمار دنياهم ولا لإعمار آخرتهم.

لا شك أن لهذا أسبابه، لكن ما يهمنا هو أن جزءاً من المسلمين يحيا بدون أن يفكِّر حتى بماهية حياته، لماذا خُلق؟ وما هدفه في الحياة؟ فيأكل وينام، وطالما حصل ذلك فهو يشعر أنه محقِّقٌ لما يريد من حياته.

وأما دراسة توزيع هذه النسبة بين الجنسين، فهي متساوية لدى الرجال والنساء. أما الذين قالوا: إنَّ لديهم أهدافاً، فلننظر في مجالات أهدافهم ومدى تحديدهم لها بتفصيل مكتوب.

س٢: ما هو مجال أهم أهدافك؟

☐ الحياة العائلية.

☐ العمل المعاشي.

☐ طلب العلم الأكاديمي.

☐ طلب العلم الشرعي في المساجد أو المعاهد الشرعية.

☐ طلب العلم ذاتياً.

☐ الواجبات الدينية.

☐ المتعة واللهو.

☐ المعافاة الجسدية.

☐ التزكية الروحية.

☐ تنمية القدرات الذاتية.

* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

تحليل البيانات:

الهدف من هذا السؤال دراسة حقول الأهداف أو الاهتمامات العامة التي يحملها مسلمو اليوم. وكما هو مبيَّن في السؤال، فقد سردتُ عدداً من مجالات الأهداف تاركاً حقلاً فارغاً لما يحدده المشارك غير هذه الحقول. وإنَّ الإجابات على هذا السؤال تخبرنا الكثير حول مستقبل المسلمين، إذ إن توجهاتهم وأهدافهم تشير إلى مستقبلهم.

ومن دراسة نتائج هذا السؤال حسب الجنس وحسب التوزيع الجغرافي تظهر التالي:

*** الأهداف حسب الجنس:**

ولدراسة الفرق بين إجابات الرجال والنساء على هذا السؤال، وضعت جدولاً بتلك النتائج كما جاءت، مع ذكر نسبة عدد المرات التي اختير فيها كل من الحقول الواردة.

الأهداف حسب الجنس

أهم الأهداف	للرجال %	للنساء %
الحياة العائلية	16.13	19.28
العمل	11.77	8.74
طلب العلم الأكاديمي	10.08	9.31
طلب العلم الشرعي	10.72	10.28
طلب العلم ذاتياً	7.95	8.18
الواجبات الدينية	14.71	15.15
المتعة واللهو	1.64	1.74
المعافاة الجسدية	7.64	8.69
التزكية الروحية	8.85	8.82
تنمية المهارات	9.97	9.43
غير ذلك	0:54	0.38
المجموع	100	100

ومن الجدول أعلاه يتبيَّن لنا أن أهم اهتمامين للرجال وللنساء هي الحياة العائلية والواجبات الدينية. وتبدو العائلة لكلا الجنسين أنها أهم هدف حياتي، وهي بنسبة أكبر عند النساء، وهذا أمرٌ إيجابي فالعائلة هي لبنة المجتمع الأساسية، وتماسكها مطلب هام لأي مجتمع صحيّ. لكن ربما يقصد الرجال من الحياة العائلية غير ما يقصده النساء بعض الشيء، فالأوَّل قد يقصد تقديم ما تحتاجه العائلة لحياة عزيزة، بينما الثاني قد يقصد رعايتها وتنشئتها.

أمّا الاهتمام الثاني فهو الواجبات الدينية للرجال والنساء، وهو بنسبة أكبر بقليل لدى النساء منه للرجال. وهذا أمرٌ إيجابي آخر يدل على التوجيه الديني لدى المسلمين في المستقبل، مع أنَّ الملاحظ أنه جاء في المرتبة الثانية، بينما الأولى أن تكون حقوق الله مقدمة على حقوق العباد.

كما جاء طلب العلم الشرعي في المرتبة الثالثة من اهتمامات النساء وهو كذلك أمر إيجابي آخر أن تحرص النساء على طلب العلم، بينما جاء العمل المعاشي ثالث اهتمامات الرجال، وذلك نتيجة لضيق وصعوبة طلب الرزق في العالم الإسلامي بشكل خاص، ولواجب الرجال في السعي لكفاية عوائلهم، بينما لا يُتطلب هذا من النساء بشكل عام.

أمَّا أقل حقل يهتم به أفراد العينة الممثلة للمسلمين اليوم هو المتعة واللهو، وهذا إيجابي مع كونه يتناقض مع البيانات في المباحث الأولى التي بيَّنت لنا أن أوقاتاً كثيرة تذهب في اللهو ومشاهدة التلفاز وغير ذلك. وهنا يجب أن ندرك من هذه الدراسة الاستقرائية أن الفرق كبير بين توجهات المسلمين النظرية وأدائهم العملي في واقع الحياة، لذلك من المهم على المدربين والمربين تدريب جيل المسلمين على المقاربة بين هذا وذاك، لتصبح الأهداف واقعاً عملياً لا مجرد أحلام، وتصبح اهتماماتنا الحياتية هي نفسها ما نعيشه في الواقع لا ما نقوله فحسب.

*** الأهداف حسب التوزيع الجغرافي:**

أمَّا إذا نظرنا إلى تلك الاهتمامات أو الأهداف حسب البلد، فإنا نجدها تتشابه في بعض الدول، لذلك سأسرد أهم حقلين لأهداف المسلمين حسب القطاعات أو المناطق الجغرافية، حيث كانت النتيجة كالآتي:

القطاع الجغرافي	أهم حقلين لأهداف المسلمين
البلدان العربية	العمل والواجبات الدينية
أمريكا الشمالية	العائلة والدراسة الأكاديمية
أوروبا	العائلة وتنمية القدرات الذاتية
القارة الهندية	الواجبات الدينية والعمل

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الكثير من مسلمي أمريكا جاءوا للدراسة الأكاديمية، لذا كان هذا الحقل مع المحافظة على العائلة من آفات

المجتمع من حولهم أهم حقول اهتمامهم. كما يظهر أن العالم الثالث مثل دول القارة الهندية والدول العربية حيث يشكّل العمل لطلب الرزق أحد أهم اهتماماتهم، وذلك سببه صعوبة الظروف المعيشية وقلة الإمكانيات المادية.

س٣: هل لديك تفصيل مكتوب للهدف الذي تريد إنجازه؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

معلوم في إدارة الوقت أنَّ كتابة الهدف بوضوح وبتفصيل دقيق عنصر أساس لتحقيقه، ذلك أنَّ الأهداف الارتجالية التي يحلم الفرد بها دون أن يكتبها أولاً، ثم يخطط بجدية لكيفية إنجازها، ومن ثم يسعى بجد للعمل على تنفيذ خطواتها، تبقى أمنيات لا تخرج للواقع العملي. لذلك أردت هنا تحديد نسبة هؤلاء الذين يكتبون أهدافهم من تلك الفئة التي ذكرت أن لديهم هدفاً أو أهدافاً في حياتهم.

وقد أظهرت الدراسة أنَّ ٣٤٪ فقط من أصحاب الأهداف يكتبونها، هذا بغض النظر عمَّا إن كانت تُكتب بتفصيل مناسب. هذا يعني أنَّ الباقي لا يملكون أهدافاً بالمعنى الإداري بل لديهم أحلاماً وأمنيات غير جدية ولا يبنى عليها عمل.

وسننظر في المطلب التالي ما إذا كانت هذه الفئة ممَّن يكتبون أهدافهم يخططون فعلاً للوصول إليها.

المطلب الثاني: التخطيط للوصول للأهداف

يتناول هذا المطلب نتائج تحليل الإجابات على السؤالين رقم ٤ و٥ من الفقرة الثالثة من الاستبيان، وأولها السؤال الآتي:

س٤: هل وضعت خطة للوصول لذلك الهدف؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

حتى ولو كتب ذلك الهدف ووُصِّف بجدية فإنَّه يبقى حبراً على ورق ما لم يُخطط لإنجازه ويُعمل بحسب ذلك.

وقد أظهرت الدراسة أن ٥٥٪ ممَّن لديهم أهدافاً قالوا: إنهم يخططون لبلوغها، لكنَّ التخطيط بدون كتابة للهدف والخطة أمرٌ غير واقعي. لذا من خلال النظر في تلك الفئة الجادة التي لديها هدف مكتوب ثم وضعت خطة للوصول له، وجدت أن عدد أفرادها هو ١١٨٥، أي ٢٨٪ من العينة الكاملة.

هذا بغض النظر عن معرفة هؤلاء لكيفية التخطيط السليم، وهل هو مجرد سرد بسيط لأكبر الخطوات التنفيذية لبلوغ الهدف دون برمجة زمنية ولا تفصيل دقيق؟ أم ماذا؟. ما تعرّفنا إليه هنا هو أن ٢٨٪ من العينة تقول إنها تخطط لأهدافها، وسنرى فيما يلي بعض التوضيح عن مدى الجدية في التخطيط وتنفيذ الخطة.

س٥: ما هي المدة التي تخطّط لها لإنجاز ذلك الهدف؟ (يمكنك اختيار أكثر من إجابة واحدة).

- ☐ لا أخطط.
- ☐ أخطط بشكل يومي أو أسبوعي.
- ☐ لدي خطة لشهر.
- ☐ لدي خطة لعام.
- ☐ لدي خطة لخمس سنوات.

* غير ذلك: (نرجو التحديد) . . . .

تحليل البيانات:

ليس كل من قال: إنه يخطط، يدرك ماهية التخطيط وخطواته الإجرائية، كما أنَّ المدة التي يُخطط لها تختلف من عدة سنوات ليوم واحد. هنا كان البحث في المدة التي يخطط لها المسلمون.

بعد تحليل الإجابات خلصنا إلى الجدول أدناه الذي يعرض تلك النتائج.

مدى التخطيط	النسبة المئوية
أخطط بشكل يومي أو أسبوعي	٣٢٪
لا أخطط	٢١٪
لدي خطة لعام	١٨٪
لدي خطة لخمس سنوات	١٥٪
لدي خطة لشهر	١١٪
غير ذلك	٣٪

تشير هذه النتيجة إلى أن أكثر من الخمس بقليل من المسلمين لا يخطط بتاتاً، لا يومياً ولا شهرياً ولا مرة في العام، بينما قرابة الثلث يخطط يومياً أو أسبوعياً. أمَّا الذي يقول بأن لديه خطة شهرية أو سنوية أو خمسية (للخمس سنوات القادمة) ولا يتواصل مع خطته هذه ببرنامج يومي أو أسبوعي، فهو في الحقيقة لا يخطط ليترجم تلك الخطة لممارسات عملية يقوم بها خلال أيامه.

*** التخطيط لحاملي الشهادات الجامعية:**

درستُ المعلومات نفسها لأصحاب الشهادات الجامعية وغيرهم فلم أجد فرقاً كبيراً بين الصنفين، فقد وجدتُ أن ٢٠٪ من حاملي الشهادات الجامعية لا يخططون مقابل ٢٢٪ لغيرهم، وكذلك ٣١٪ يخططون يومياً أو أسبوعياً مقابل ٣٢٪ لغيرهم. وهذا فرق جاء أقل من المتوقع.

لكن قد يعود السبب وراء ذلك أنَّ الدراسات الأكاديمية لا تزال تقتصر على الأمور النظرية فقط ولم تتعداها إلى الاهتمام بالتطبيقات العملية الخاصة بالفعالية الفردية إلا في بلدان قليلة، إلا من نال من هؤلاء الطلاب دورات تدريبية خارجة عن نطاق الدراسة الأكاديمية، فندُرَ أن تجد في جامعات أمريكا مثلاً اختصاصاً يدرِّس «إدارة الوقت»، لكن يوجد مئات المعاهد ودور التدريب التي تقدِّم دورات تدريبية، ليوم أو ثلاثة أيام أو أسبوع، في مجالات عملية مختلفة تتعلق بتنمية المهارات الذاتية.

المطلب الثالث: القيام بالخطوات التنفيذية لإنجاز الهدف

يتناول هذا المطلب دراسة نتائج السؤال رقم ٦ من الفقرة الثالثة من الاستبيان وهو الآتي:

س٦: هل قمت بالخطوات العملية اللازمة لإنجاز ذلك الهدف؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

بالطبع وجود هدف وخطة لبلوغه لا يعني بالضرورة إنجازه، حتى تنفذ الخطة ويُقام بالخطوات العملية اللازمة لبلوغ الهدف.

وجدتُ أنَّ ٦١٪ ممَّن لديهم أهداف يقومون بخطوات عملية لإنجازها. لكن بدراسة هذه الجزئية بدقة يظهر لنا أنه من غير المعقول منطقياً وجود هدف متروك في الذهن من غير كتابة ولا تفصيل ولا تخطيط، ومن ثم يُقام بخطوات عملية لإنجازه!

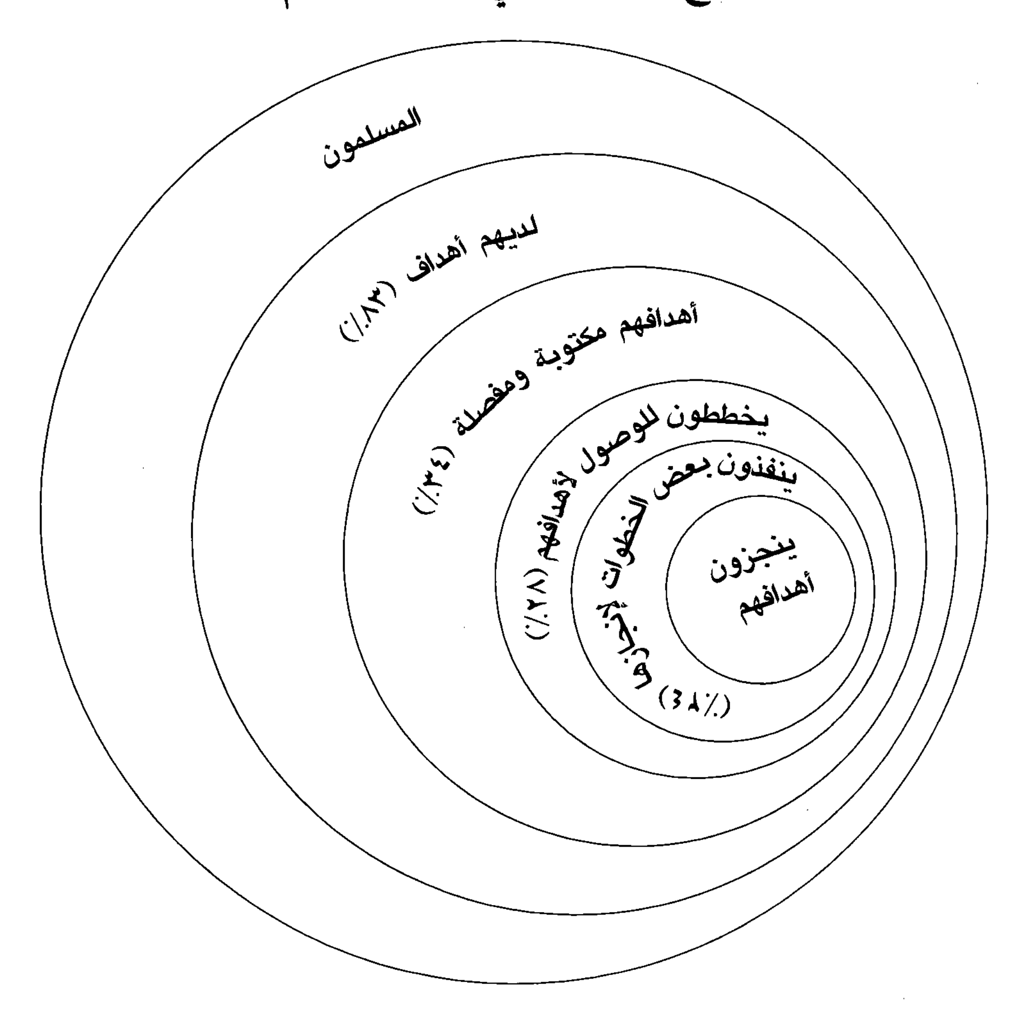
لذلك عملنا على دراسة من يقوم بالخطوات العملية لبلوغ الهدف المنشود ممَّن لديهم هدف مكتوب ومخطط له، فتبين أنَّ عددهم ٩٨٣ فرداً، أي بنسبة ٢٤٪ من مجموع العينة فقط. وهذا على أكثر تقدير، فما يدرينا أن تلك المجموعة تقوم بالتخطيط بشكل صحيح، وحتى لو قامت تلك الفئة بخطوات عملية، فهل هذا يعني بأنهم سيواصلون المسيرة إلى إنجاز الهدف؟ بالطبع هنالك عقبات كثيرة دون الوصول للأهداف، وقسم كبير من الأهداف يفشل أصحابها في إنجازها بشكل كامل لأسباب تتعلق بسوء التخطيط أو عدم المثابرة على متابعة تنفيذ الخطة.

ما نعلمه هنا أن ٢٤٪ فقط من أفراد العينة ـ أي قرابة الربع ـ لديهم أهداف ويخططون للوصول إليها ويقومون ببعض الخطوات العملية لذلك.

وهنا نستخلص أنَّ واقع المسلمين في إنجاز أهدافهم ليس بالمستوى الذي ينهض بمجتمعنا وأمتنا. فقد وجدنا أن ٨٣٪ قد ذكروا أن لديهم هدفاً

أو أهدافاً حياتية يودون إنجازها، لكنها في واقع الحال هي مجرد أحلام وأماني، حيث إنَّ مزيداً من الدراسة أظهر لنا أنَّ ٣٤٪ فقط أهدافهم مكتوبةً ومفصلة، ثم انخفضت النسبة إلى ٢٨٪ ممَّن يخطط لإنجازها فعلاً، وانخفضت مرة أخرى إلى ٢٤٪ ممَّن قام ببعض الخطوات العملية من أجل إنجازها. ولا شك أنَّ من ينجز أهدافه فعلاً هي نسبة أصغر من ذلك بكثير (انظر الرسم أدناه). فهؤلاء الذين يحملون أهدافاً ويتوصلون إلى إنجازها هم فئة ضئيلة جداً، وهي نسبة قليلةٌ من نسبةٍ قليلةٍ من المسلمين.

واقع المسلمين في إنجاز أهدافهم



المطلب الرابع: التخطيط اليومي

يتناول هذا المبحث نتائج السؤالين رقم ٧ و٨ من الفقرة الثالثة من الاستبيان وأولهما الآتي:

س٧: هل تستخدم مفكرة أو نظاماً لإدارة الوقت لتنظيم مهامك ومسؤولياتك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

استخدام مفكرة كأبسط وسيلة لإدارة الوقت دلالة على حرص الفرد على تنظيم أعماله ومواعيده، وهي من أبسط أبجديات مهارات إدارة الوقت، مع بدائية فعاليتها.

وجدتُ أن ١٦٥٥ من أصل ٤١٠٥ فرداً، أي بنسبة ٤٠٪، ذكروا أنهم يستخدمون مفكرة أو آلية ما لإدارة الوقت، وهذه نسبة قد يكون مبالغ فيها حيث يحسب البعض أن اقتناء الرزنامات المعلقة على الجدران والتي يمكن الكتابة عليها أو مفكرة الجيب البسيطة تعد آلية لإدارة الوقت، لكنّ مجرد امتلاك واحدة من تلك غير كافٍ بل يجب استخدامها يومياً لتصبح فعلاً أداة لإدارة الوقت، مع بساطتها وقلة فعالية هذه الوسائل. الأسئلة التالية ستساهم في دراسة مدى الجدية في استخدام آليات ومهارات إدارة الوقت.

س٨: هل تصرف بعضاً من الوقت يومياً لكتابة برنامج عملك اليومي؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

هب أنَّ لدى البعض آلية لإدارة الوقت، فهل تستخدم بشكل يومي؟

ذكر ١٤٢٤ فرداً أنهم يكتبون برنامج يومهم كل صباح، أي أنَّ ٣٤٪ من العينة تقوم بذلك، مع كوني أظنها نسبة مبالغ فيها، فلندرس أكثر هذه الفئة التي تكتب مهام اليوم وعلاقة ذلك بوجود أهداف مكتوبة أو عدمها.

*** الأهداف وكتابة مهام اليوم:**

وجدت أن معظم من لا يكتبون أهدافهم لا يخططون لبرامج مهامهم اليومية، فقد ظهر لي أنَّ ٧٤٪ من هؤلاء الذين ليست لديهم أهداف مكتوبة قالوا: إنهم لا يكتبون برنامج يومهم، بينما ٢٦٪ فقط ممَّن لديهم أهداف مكتوبة لا يكتبون برنامج يومهم. ذلك أنَّ من لديه أهداف جدية يجب أن يخطط لها بشكل دوري، وهذا يتطلب منه وضع الخطوات العملية التي يحتاجها لوصوله للهدف.

المطلب الخامس: برمجة سلّم الأولويات

يتناول هذا المطلب نتائج السؤال رقم ٩ من الفقرة الثالثة من الاستبيان وهو الآتي:

س٩: هل تقوم بتبويب سلّم أولوياتك اليومية؟

☐ نعم، كل صباح.

☐ لا أفعل ذلك.

☐ لا أدري ماذا يعني هذا.

تحليل البيانات:

برمجة الأولويات من أهم مهارات إدارة الوقت كما سبق ذكره، فقد يضع الفرد لائحة طويلة كل صباح بالعديد من المهام التي يود إنجازها، ثم يجرفه واقع اليوم وطبيعته الإنسانية وميله نحو القيام بما هو سهل ولا يتطلب التركيز الطويل أو الجهد الكبير، فتكون النتيجة قيامه بمهام عديدة وغفلته عن الأهم. وحينما يحصل ذلك كل يوم يصبح الفرد يقوم بالعديد من الأعمال والنشاطات ولكن ليست بالضرورة أن تكون هامة أو ذات منفعة كبيرة.

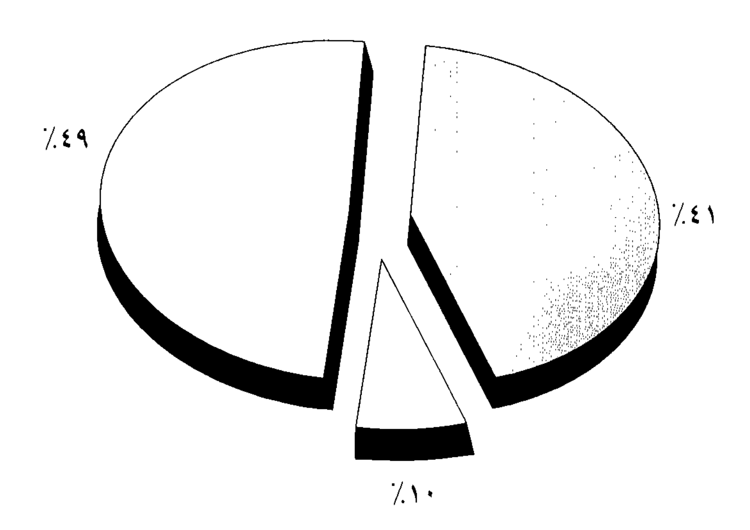
نتيجة هذا السؤال كانت مثيرة إذ إنَّ ٤٩٪ ذكروا أنهم يبوّبون سلّم أولوياتهم كل صباح، و٤١٪ ذكروا بأنهم لا يفعلون ذلك، بينما اعترف ١٠٪ أنهم لا يدرون ما يعني ذلك (انظر الرسم ص٥٠١).

هل تقوم بتبويب سلّم أولوياتك اليومية؟

▩ لا أفعل ذلك.

☐ نعم، كل صباح.

☐ لا أدري ماذا يعني هذا.

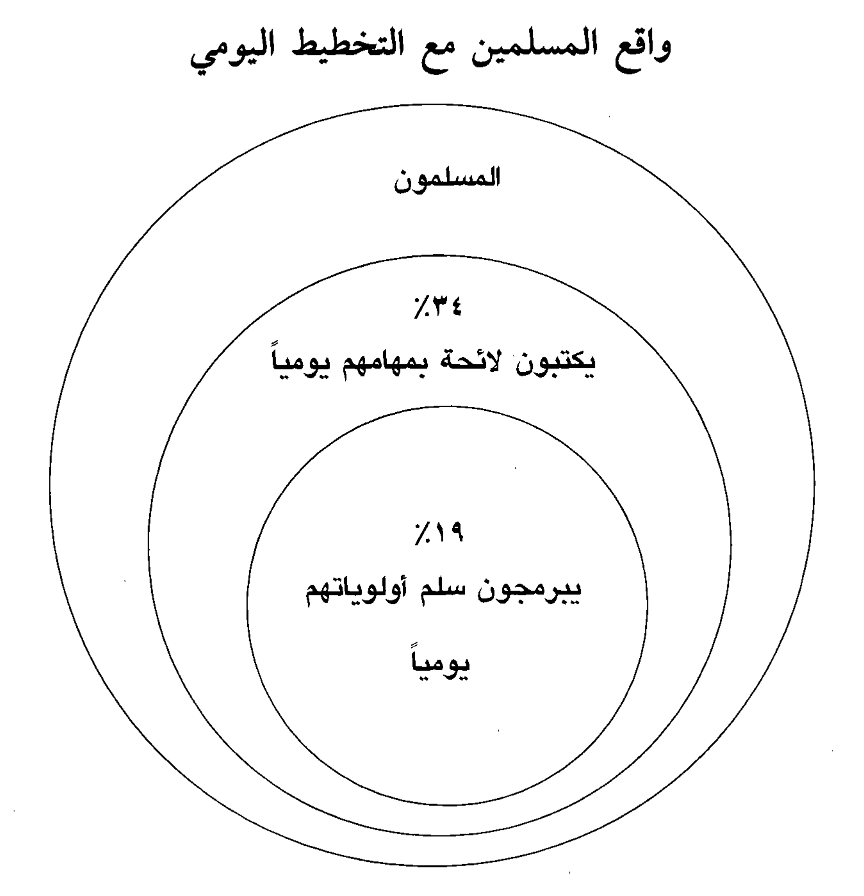


هذه النتيجة لا تؤخذ على محمل الجد حيث إنها مبالغ فيها كثيراً، فقد وجدنا سابقاً أن ٣٤٪ فقط من العينة الإحصائية يكتبون برنامج عملهم اليومي. ولا يكون تبويب سلّم الأولويات إلا بعد كتابة لائحة مهام اليوم، لذلك ليس من المعقول أن يكون عدد من يبرمج سلّم أولوياته أكبر ممّن يضع برنامجه اليومي. أعتقد أن ذلك حصل لأنَّ قسماً من العينة المشاركة قد ظن ـ لجهله لقصدنا بتبويب سلّم الأولويات ـ أن ذلك قد يكون ذهنياً.

لذلك كان لا بدّ من النظر في إجابات هذا السؤال فقط لمن أجاب بأنه يكتب برنامجاً أو لائحة بالمهام التي يود إنجازها كل يوم. قمتُ بذلك فوجدت أنَّ ٨١٦ فرداً فقط ممَّن يكتبون لائحة بمهام يومهم يبرمجون أولوياتهم اليومية، وهذه النسبة تشكل ٦١٪ من هذه الفئة وأيضاً ١٩٪ من كامل العينة الإحصائية (انظر الرسم ص٥٠٢).

وهذه نسبة أكثر واقعية لمن يقوم بهذه المهارة سواء أكان ذلك بشكل صحيح أو بأبسط أوجه برمجة سلّم الأولويات.

واقع المسلمين مع التخطيط اليومي



المطلب السادس: وضوح الرسالة الحياتية

يُدرس في هذا المطلب الإجابات على السؤالين الأخيرين من الفقرة الثالثة من الاستبيان وأولهما الآتي:

س١٠: هل لديك وضوح ذهني تام حول ما هو فعلاً مهم في حياتك؟

☐ نعم ☐ لا

هذا السؤال على بساطته هام جداً، وخاصة عندما نقارن نتائجه مع

نتائج بعض الأسئلة الأخرى. من المتوقع أنَّ يكون الجواب: «نعم» من قبل كامل العينة، وخاصةً أنَّ العينة من المسلمين الذين ينبغي أن يدركوا بوضوح أهم شيء في حياتهم.

وقد أظهرت الدراسة أنَّ ٧٦٪ أجابوا بـ: نعم على هذا السؤال، وهي نسبة دون توقعاتي، وتعني هذه النتيجة بالمقابل أنَّ ٢٤٪ من أفراد العينة الممثلة للمسلمين لا يدركون ما هو فعلاً مهم في حياتهم، وهي نسبة كبيرة وتدل على أن قرابة الربع تائهون بلا توجُّه هادف لحياتهم، ونتيجة هذا أنهم يعيشون بلا معنى لحياتهم ولا رسالة ولا هدف.

س١١: هل ترى لنفسك رسالة تعيش من أجلها؟

☐ نعم ☐ لا

* إن كان الجواب: «نعم»، ما هو مجالها؟ . . . .

* وهل تعمل كل ما بوسعك من طاقة لأجل تلك الرسالة؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

هذا السؤال شبيه بالذي سبقه، حيث إن الرسالة الحياتية تمثل التوجه العام الذي يُشعر الإنسان بما هو فعلاً مهم في الحياة.

وقد أظهرت الدراسة أنَّ ٨٠٪ أجابوا بـ: نعم على هذا السؤال، وهذا يعني أن ٢٠٪ من المشاركين لا يدرون رسالتهم في الحياة، والنتيجة تخبط وضياع للعمر والحياة.

أمَّا من أجاب على هذا السؤال بـ: نعم، فقد قال ٦٣٪ منهم: إنهم يعملون ما بوسعهم لتحقيق رسالتهم الحياتية، وهذه النسبة تشكل ٥١٪ من مجموع العينة الإحصائية، لكنها لا تعني سوى أن قرابة نصف المشاركين يدركون أنَّ لديهم رسالة حياتية ويعتقدون أنهم يعملون ما بوسعهم من طاقة من أجل تحقيقها. لكن هل ذلك يعني أن جهدهم فعَّال ونتيجته ناجحة؟

هذا ليس بالضرورة كذلك، فقد يكون ذلك نتيجة إعاقة عوامل داخلية تتعلق بالفرد نفسه ومهاراته وإمكاناته، وخارجية تتعلق بالبيئة والظروف المحيطة به.

أمَّا مجالات تلك الرسالة فتعدَّدت، ذلك أنني تركت الحرية للمشتركين في تحديدها، ومن بعض ما ذكر من رسالات حياتية هي: إرضاء الله، والفوز بالجنة، والدعوة إلى الله، وطلب العلم، وإقامة الخلافة، وتربية الأولاد، والزواج، وجمع المال... إلخ. ويصعب تحليل تلك البيانات لكثرتها وكذلك لأنها لم تكن جميعها رسالات حياتية بل بعضها أهداف، كما أنَّ بعض ما ذُكر كان مجرد وسائل وأحياناً غايات، والسبب هو عدم معرفة قسم كبير من المشاركين بمعنى الرسالة الحياتية، كما تطرقنا له في الفصل الثاني من هذه الدراسة.



خلاصة المبحث الرابع

بعض أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ أهم حقلين لأهداف الرجال والنساء هي: الحياة العائلية والواجبات الدينية، بينما جاء الحقل الثالث لدى الرجال العمل المعاشي ولدى النساء طلب العلم الشرعي.

٢ ـ أظهرت العينة الإحصائية أنَّ أقل حقل يهتم به المسلمون هو المتعة واللهو، وخالف ذلك واقعهم حيث وجدنا أنَّ ساعات طويلة تمضي يومياً في هذا الحقل. لذلك نرى أنَّ الفرق شاسع بين توجهات المسلمين النظرية وأدائهم العملي في واقع الحياة، لذلك على المربين تدريب جيل المسلمين على المقاربة بين هذا وذاك لتصبح أهدافهم وتوجهاتهم واقعاً لا مجرد أحلام وأماني. فإنَّ النوايا والغايات لمعظم المسلمين سليمة وإيجابية لكنَّ ترجمتها للواقع العملي فيه خلل.

٣ ـ اعترف ١٧٪ من أفراد العينة الإحصائية الممثلة للمسلمين أنهم لا يجدون أي هدفٍ في حياتهم، بينما ذكر الباقي أن لديهم أهدافاً. لكنَّ الهدف المكتوب بتفصيل عامل أساسي لكي يؤخذ بجدية، ذلك أنَّ الأهداف العامة المتروكة للذهن لا تخرج للواقع العملي. فبينما يقول ٨٣٪ أنَّ لديهم أهدافاً، وجدنا أن ٣٤٪ يكتبونها، مما يعني أن لدى الباقي أحلاماً وأماني وليست أهدافاً جادة.

٤ ـ حتى ولو كُتب الهدف ووُصِّف بجدية فإنَّه يبقى حبراً على ورق ما لم يُخطط لإنجازه ويعمل بحسب ذلك. وجدتُ أنَّ ٢٨٪ من أفراد العينة لديهم أهداف مكتوبة ويخططون لها.

٥ - وجدنا أن قرابة خُمس أفراد العينة، تحديداً ٢١٪، لا يخططون البتة، بينما ذكر قرابة الثلث، تحديداً ٣٢٪، أنهم يخططون يومياً أو أسبوعياً. أمَّا الباقي فلديهم خطة لشهر أو لعام أو لخمسة أعوام، لكنَّ التخطيط طويل المدى بدون التواصل معه على المستوى اليومي أو الأسبوعي ليس تخطيطاً جاداً؛ لأنَّه يفتقر إلى المقدرة على ترجمة تلك الخطة إلى خطوات عملية يقام بها خلال الأيام.

٦ - لم أجد لتقدم التحصيل العلمي في الجامعات فائدة تذكر في مجال تنمية المهارات الذاتية، وخاصة في حقل إدارة الوقت، إذ لم أجد فرقاً يُذكر بين حاملي الشهادات الجامعية وغيرهم في فعاليتهم في مهارات التخطيط، لذلك لزم تلقّي تلك المهارات في المعاهد ودور التدريب الخارجة عن نطاق الجامعات حتى الآن، أو إدخال مواد في التنمية الذاتية في الكليات والجامعات على مختلف الاختصاصات.

٧ - حتى وإن وُجد هدفٌ مفصل وخطةٌ لإنجازه، فإن ذلك لا يعني بالضرورة النجاح في الوصول له حتى تنفذ الخطة ويقام بالخطوات العملية اللازمة لبلوغ الهدف. وجدتُ أنَّ ٢٤٪ من أفراد العينة لديهم هدف أو أهداف مكتوبة ويخططون للوصول إليها كما يقومون ببعض الخطوات العملية لإنجازها. وتلك الخطوات العملية لا تعني مواصلة المسيرة إلى إنجاز الهدف، فدون ذلك المثابرة وتخطّي عقبات كثيرة، مما يجعل من يصلون لأهدافهم نسبة قليلة جداً ما لم ينجح الفرد بجميع المراحل والخطوات المؤدية لذلك.

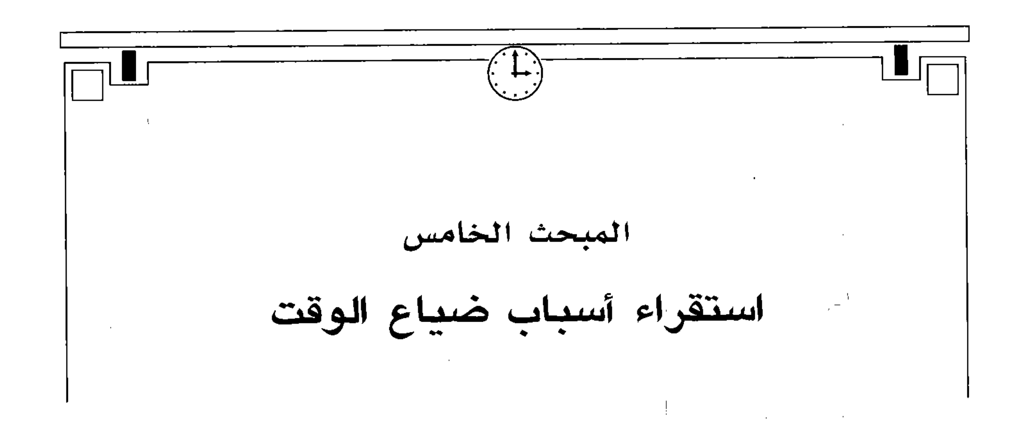
٨ - إنَّ استخدام آلية مهما كانت بسيطة لإدارة الوقت؛ كمفكرة مثلاً، دلالة على حرص الفرد على تنظيم أعماله، وهي أبسط أبجديات مهارات إدارة الوقت مع بدائية فعاليتها. وجدتُ أن ٤٠٪ قالوا: إنهم يستخدمون بصورة ما آلية لإدارة الوقت، بينما ذكر ٣٤٪ من العينة أنهم يكتبون برنامج يومهم كل صباح.

٩ ـ تبيَّن لنا أنَّ معظم من لا يكتب أهدافه لا يكتب برنامج يومه، فقد وجدتُ أن ٧٤٪ ممَّن ليس لديهم أهداف مكتوبة لا يكتبون أيضاً مهام يومهم، ذلك أن من لديه أهدافاً جدية يخطط لها بشكل دوري، ويقوم يومياً بتحديد الخطوات العملية اللازمة التي تقربه من إنجازها.

١٠ ـ برمجة سلّم الأولويات من أهم مهارات إدارة الوقت، إذ بدون التقيّد به يجرف واقع اليوم الفرد نحو القيام بما هو أسهل من غيره ولا يتطلب تركيزاً طويلاً أو جهداً كبيراً، فيغفل عن الأهم من الأمور. وجدتُ أنَّ ١٩٪ من أفراد العينة فقط يبوّبون سلّم أولويات مهامهم اليومية، هذا بغض النظر عما إذا كانت هذه النسبة تقوم بذلك بشكل صحيح.

١١ ـ اعترف ٢٤٪ من أفراد العينة أنهم لا يدركون ما هو فعلاً مهم في حياتهم، مما ينتج عنه أن ربع المسلمين تائهون بلا توجه واضح لحياتهم. كما ذكر ٢٠٪ من أفراد العينة أنهم لا يدركون رسالتهم في الحياة، ونتيجة ذلك أن هؤلاء يعيشون بلا معنى ولا رسالة ولا أهداف لحياتهم.

أمَّا من لديهم رسالة حياتية فقد ذكر ٦٣٪ منهم أنهم يقومون بما في وسعهم لتحقيق رسالتهم، وهي نسبة تشكل ٥١٪ من كامل العينة، أي قرابة نصف أفراد العينة يرون لأنفسهم رسالة حياتية ويعتقدون أنهم يقومون بما في وسعهم من طاقة لأجلها، بغض النظر عن نجاحهم في تحقيقها.



المبحث الخامس

استقراء أسباب ضياع الوقت

مقدمة المبحث الخامس

ضياع الوقت سببٌ أساسيٌّ لعدم اغتنامه في عملٍ جاد. ولقد رأينا فيما مضى أنَّ وقتاً طويلاً للمسلمين يضيع يومياً بدون فائدة، فهل يدرك أصحابه ذلك، وهل يختلف هذا بحسب الجنس. وحيث إنَّ كل شخص هو أعلم من غيره، بأسباب ضياع وقته، لذا تناولنا في الدراسة أعظم ثلاثة أسباب لضياع الوقت حسب ما يراه المشاركون، ودرسنا ذلك حسب التوزيع الجغرافي للبلدان التي أجريت فيها الدراسة.

وهذا المبحث يتناول دراسة نتائج الإجابات على السؤالين الواردين في الفقرة الرابعة من الاستبيان.

س١: هل وقتك يذهب سدى دون اغتنامه بشكل سليم؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

نعلم مما سبق أن واقع الفرد المسلم في تعامله مع وقته ليس بجيِّد، لكن كم من المسلمين يشعر فعلاً بضياع وقته من غير اغتنامه بشكل سليم. وارتفاع هذه النسبة شيء إيجابي؛ لأنَّ الاعتراف بذلك مقدمة التغيير نحو الأفضل.

أجاب ٤٧٪ من العينة الإحصائية على هذا السؤال بـ: نعم، مع العلم

أن المضيعين لأوقاتهم أكبر من ذلك بكثير، لكنَّ هذه النسبة تشكل من اعترف منهم بذلك.

* **إضاعة الوقت حسب الجنس:**

حينما ندرس الإجابات على هذا السؤال حسب الجنس نرى أنَّ ٤٥٪ من الرجال و٤٩٪ من النساء يشعرون بأن وقتهم يضيع سدىً، وهي نسبة متقاربة، إلَّا أنَّه من المعلوم اجتماعياً أن النساء ـ وخاصة اللواتي لا يعملن ـ يضيعن أوقاتهن بنسبة أعلى من الرجال، لكنَّ اعترافهن بذلك بنسبة أكثر بقليل من الرجال تدل على إدراكهن لذلك واستعدادهن لتصحيحه.

وندرس في السؤال التالي أسباب ضياع الوقت كما تراه العينة المشاركة في الاستبيان.

س٢: ما هي أسباب ضياع وقتك؟ (حدّد أعظم ثلاثة أسباب لضياع وقتك).

☐ الشبكة الإعلامية (التلفاز مثلاً).

☐ ضعف التكنولوجيا.

☐ كثرة النوم.

☐ مقاطعات الغير لنشاطي.

☐ الفوضى.

☐ المواصلات.

☐ الإجراءات الرسمية.

☐ الجلسات الاجتماعية.

☐ كثرة الزوار.

☐ النزاعات الشخصية.

☐ عدم تعاون الآخرين.

☐ تأجيل عمل اليوم للغد.

☐ ضعف التخطيط.

☐ لا يوجد شيء أقوم به.

* أمور أخرى:

☐ ....

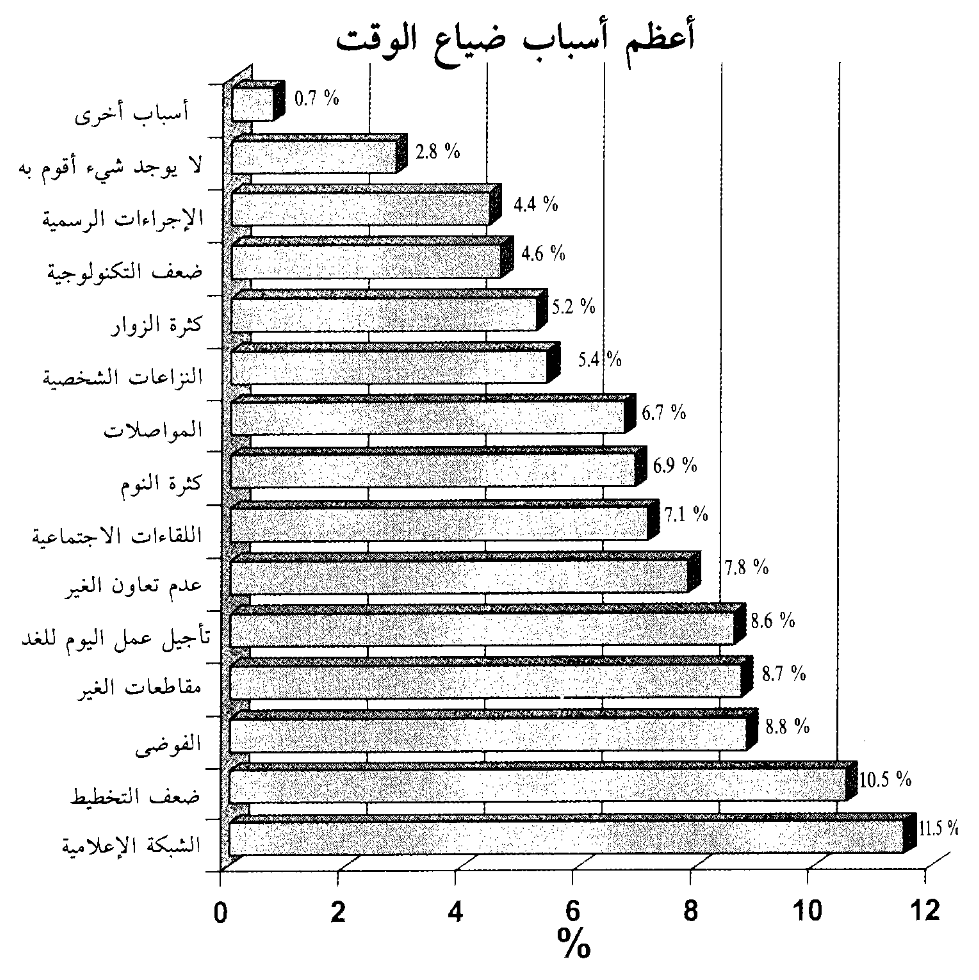
☐ ....

☐ ....

تحليل البيانات:

إنّ الفرد نفسه هو أعلم بأسباب ضياع وقته من غيره من الناس، ذلك أنَّه يدرك كيف يصرف وقته بشكل عام، ويشعر بالذنب حينما يقضي الأوقات الطويلة أمام شاشة التلفاز أو في مجرد تصفح مواقع الإنترنت بدون فائدة تذكر، هذا إن كان مثمِّناً لوقته. طلبتُ هنا من كل مشارك أن يحدّد أعظم ثلاثة أسباب لضياع وقته بعد أن وضعت لائحة تتكون من ١٤ سبباً تشكل الأسباب المنتشرة لضياع الوقت، إضافة إلى إبقاء ثلاث خانات فارغة لترك متسع من الحرية لاختيار أسباب أخرى.

أمَّا نتيجة دراسة الإجابات على هذا السؤال فكانت بشكل عام أن أعظم الأسباب لضياع الوقت هي الشبكة الإعلامية، وقد اختيرت بنسبة ١١,٥٪ من كامل الإجابات، ثم ضعف التخطيط بنسبة ١٠,٥٪، ثم الفوضى بنسبة ٨,٨٪، ثم مقاطعات الغير بنسبة ٨,٧٪، وتأجيل عمل اليوم للغد بنسبة ٨,٦٪. كما كانت كثرة اللقاءات الاجتماعية، وعدم تعاون الآخرين، والمواصلات، وكثرة النوم، من الأسباب المرتفعة لضياع الوقت كما هو مبيَّن في الرسم ص٥١١.



هذه النتائج تبيِّن للمدربين والخبراء في حقل إدارة الوقت على وجه الخصوص، وللمربين والمدرسين على وجه العموم أن أحد أهم سبل معالجة الخلل في تعامل المسلمين مع أوقاتهم توجيههم نحو الاستخدام الأسلم للوسائل الإعلامية وخاصة التلفاز والإنترنت، وتعليمهم مهارات التخطيط والتنظيم وحسن إدارة أنفسهم ونشاطاتهم وأعمالهم، وكذلك كيفية التعامل مع مشكلة التسويف.

*** أسباب ضياع الوقت حسب التوزيع الجغرافي:**

معظم هذه الأسباب المضيعة للوقت هي في الحقيقة الأسباب المنتشرة عالمياً، ولقد عالجت معظمها في الفصول السابقة، لكنَّ كثرة النشاطات الاجتماعية وضعف التكنولوجيا وتعقيد الإجراءات الرسمية هي أسباب أكثر ظهوراً في بلاد المشرق وبين المسلمين. فلا شك أن تطور وانتشار

التكنولوجيا اليوم وسهولة استخدامها يوفّر الوقت ويختصر العديد من النشاطات مثل استخدام البريد الإلكتروني، بينما نجد أنّ تعقيد الإجراءات الرسمية البيروقراطية في العالم الثالث يضيِّع أوقات طويلة، فبينما يستغرق التقدم لنيل جواز سفر أو الحصول على تذكرة سفر دقائق فقط في بعض البلدان، تحتاج عدة ساعات وربما أياماً في بلدان أخرى. وكذلك الفوضى في المعاملات الشخصية، ابتداءً من كثرة الزيارات، والتي تكون في معظمها بلا مواعيد مسبقة والتي تطول في مدتها، أسباب جوهرية لضياع الوقت، ومن حكمة الشارع أن جعل عيادة المريض لفترة وجيزة لعدم الإضرار به، ومع ذلك اعتاد مجتمعنا العربي أن تتجاوز الساعة أو الساعتين وربما أكثر من ذلك.

أما أهم أسباب ضياع الوقت حسب البلد، فلا أريد سرد تفاصيل نتائج ما ذُكر في كل بلدٍ حول ما يرونه أسباب لضياع الوقت، حيث تتوسع التفاصيل في ذلك كثيراً، لكنني أريد عرض أهم ثلاثة أسباب لضياع الوقت في كل بلد أجرينا فيه الدراسة، وكانت النتيجة كالآتي:

البلد	أهم ثلاثة أسباب لضياع الوقت (لدى المسلمين)
الولايات المتحدة	الشبكة الإعلامية ـ ضعف التخطيط ـ التسويف
ألمانيا	التسويف ـ كثرة النوم ـ عدم تعاون الآخرين
تركيا	الشبكة الإعلامية ـ الفوضى ـ التسويف
الإمارات العربية	الشبكة الإعلامية ـ النزاعات الشخصية ـ ضعف التخطيط
سوريا	ضعف التخطيط ـ الفوضى ـ عدم تعاون الآخرين
السودان	ضعف التكنولوجية ـ المواصلات ـ كثرة الزوار
السعودية	ضعف التخطيط ـ اللقاءات الاجتماعية ـ الفوضى
باكستان	ضعف التكنولوجيا ـ كثرة النوم ـ النزاعات الشخصية
المغرب	الشبكة الإعلامية ـ الإجراءات الرسمية ـ كثرة الزوار
لبنان	كثرة الزوار ـ عدم تعاون الآخرين ـ المواصلات
الكويت	التسويف ـ اللقاءات الاجتماعية ـ الشبكة الإعلامية
الأردن	الفوضى ـ اللقاءات الاجتماعية ـ الشبكة الإعلامية
العراق	ضعف التكنولوجيا ـ النزاعات الشخصية ـ الإجراءات الرسمية
بنغلادش	الفوضى ـ لا يوجد شيء أقوم به ـ كثرة النوم

نرى كما سبق ص٥١٢ أنَّ كثرة الزوار سبب أساس لضياع الوقت في بعض الدول مثل: السودان والمغرب ولبنان، وكذلك اللقاءات الاجتماعية التي تشكل سبباً أساساً لضياع الوقت كما في السعودية والكويت والأردن، وأنَّ الفوضى سبب عظيمٌ لضياعه في سوريا وتركيا والسعودية والأردن وبنغلادش. والسبب المثير لضياع الوقت أن يذهب سدًى لعدم وجود أي شيء يقوم الفرد به كحال ما ذكرته العينة في بنغلادش.

لذلك نرى أن للبيئة وللتقاليد الاجتماعية أثراً كبيراً في نوعيّة أسباب ضياع الوقت في كل بلد مما يستدعي معالجة تلك الأسباب بعينها بشكل خاص.

فمع العلم أننا لم نُجرِ هذه الدراسة في اليمن، على سبيل المثال، لكننا لو فعلنا لرأينا أن تناول القات أهم سببٍ لضياع الوقت في هذا البلد، لأنَّه كسلوك وعادة يضيع عدداً من الساعات يومياً لمعظم أفراد الشعب. لذلك يجب على المختصين معالجة أسباب ضياع الوقت بتناول جذور تلك الأسباب، ولا بد من تضافر الجهود المختلفة لتغيير واقع كل بلد بحسب أسبابه الخاصة المضيعة لأوقات أهله.



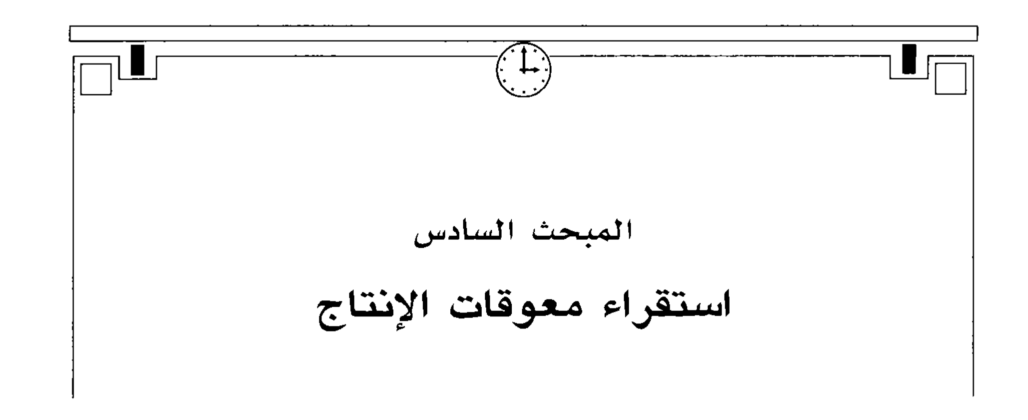
خلاصة المبحث الخامس

أهم ما خلصنا له في هذا المبحث هو الآتي:

١ ـ اعترف ٤٧٪ من العينة الإحصائية الممثلة للمسلمين أن وقتهم يذهب سدى دون اغتنامه بشكل سليم، وارتفعت هذه النسبة إلى ٤٩٪ للنساء، بينما بلغت ٤٥٪ للرجال. وهذه النتيجة تشير إلى إدراك هذه النسبة منهم إلى وجود خلل في المحافظة على وقتهم، لكن نسبة المضيعين فعلاً لأوقاتهم أكبر من ذلك بكثير.

٢ ـ تبيّن لنا مما ذكرته العينة المشاركة أن أعظم ثلاثة أسباب لضياع الوقت هي الشبكة الإعلامية وضعف التخطيط والفوضى، مما يشير إلى أن على المدربين والمربين أن تكون معالجتهم لتفعيل عطاء الفرد المسلم، من خلال توجيهه نحو الاستخدام الأحكم للوسائل الإعلامية وخاصة التلفاز والإنترنت، وتعليمه مهارات التخطيط والتنظيم وحسن إدارة نشاطاته وأعماله.

٣ ـ تشكل كثرة النشاطات الاجتماعية كالزيارات المتبادلة وكثرة اللقاءات، وكذلك ضعف التكنولوجيا والفوضى وتعقيد الإجراءات الرسمية أسباباً إضافية خاصة بالمسلمين في العالم الثالث في مقابل تلك الأسباب العالمية الأكثر انتشاراً؛ كالشبكة الإعلامية وضعف التخطيط والتسويف. وتختلف أسباب ضياع الوقت بين بلدٍ وآخر حسب البيئة والتقاليد الاجتماعية، مما يستدعي أن يعالج المختصون تلك الأسباب الخاصة معالجة اجتماعية سلوكية تتناول جذورها، مما يتطلب تضافر الجهود المختلفة بغية تغيير بعض السلوكيات والعادات الاجتماعية التي تنهب أوقات المسلمين لتصبح أيامهم فارغة من أعمال هادفة إلا القليل منها.



المبحث السادس

استقراء معوقات الإنتاج

مقدمة المبحث السادس

يشكل العمل لطلب الرزق ضرورة حياتية لمعظم الناس، وبخاصة أرباب العوائل الذين يحملون على عاتقهم إعالة الأسرة وتلبية متطلباتها. كما أنَّ من أهم مجالات الإنتاج والعطاء في حياة الإنسان هو العمل الذي يأخذ وقتاً طويلاً من يومه.

يتناول هذا المبحث نسبة من لديهم عمل ومجالات أعمالهم، كما يدرس كيف حصل هؤلاء على أعمالهم، وهل هي في مجالات اختصاصهم أو اهتمامهم الشخصي، كذلك يتناول رؤية هؤلاء لإنتاجهم في العمل والمعوقات التي تحدّ من ذلك.

وهذا المبحث يدرس نتائج الإجابات على الأسئلة الواردة في الفقرة الخامسة والأخيرة من الاستبيان.

المطلب الأوَّل: مجالات العمل وكيفية الحصول عليه

يتناول هذا المطلب نتائج الإجابات على الأسئلة رقم ١ و٢ و٣ من الفقرة الخامسة من الاستبيان، وأولها الآتي:

س١: هل لديك عمل، وما هي طبيعته؟

☐ نعم، لدي عمل في الحقل التالي:

☐ موظف مدني.

☐ موظف عسكري.

☐ عامل.

☐ تاجر.

☐ مدرّس.

* غير ذلك (حدّد): ....

☐ لا عمل لدي.

☐ إنني أبحث عن عمل.

تحليل البيانات:

بعد دراسة الإجابات على هذا السؤال وجدتُ أنَّ قرابة ٢٦٪ لا يعملون، حيث قال ١٩,٤٪ منهم: إنهم بلا عمل، وهؤلاء طلاب، أو ربّات بيوت لا يرون ضرورة للعمل، بينما قال ٦,٩٪ منهم: إنهم يبحثون عن عمل، فهؤلاء عاطلون عن العمل ولا يجدون عملاً يناسبهم. أمَّا الباقي فهم من الموظفين المدنيين والعسكريين والمدرسين وغيرهم، ومن أصحاب الأعمال الحرة؛ كالتجار. ونرى ذلك حسب الجدول أدناه.

العمل	النسبة
موظف مدني	٢١,٨٪
لا عمل لدي	١٩,٤٪
غير ذلك	١٧,٩٪
مدرِّس	١٤,٦٪
عامل	٨,٧٪
تاجر	٧,٨٪
أبحث عن عمل	٦,٩٪
موظف عسكري	٢,٨٪

ولا توفر هذه النتائج الكثير من المعلومات إلا إذا تناولنا تحليلها مع نتائج الأسئلة الأخرى، مثال ذلك: دراسة مصارف الوقت وكيفية التعامل معه ومهارات إدارته بحسب كل حقل من حقول العمل هذه، للمدرسين والعسكريين والتجار وهكذا. لكن مجال دراستنا هذه لن يتناول ذلك،

ويبقى باستطاعة المتخصصين الرجوع لمادتنا الإحصائية للقيام بتلك البحوث وغيرها. لكنني سأتناول في السؤال التالي كيف حصل هؤلاء على أعمالهم.

س٢: إن كان لديك عمل، كيف حصلت عليه؟ (يمكن اختيار أكثر من إجابة).

☐ بمؤهلاتي.

☐ بسهولة ويسر.

☐ باستخدام المحسوبية.

☐ اضطررت له اضطراراً.

* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

تحليل البيانات:

هدف هذا السؤال معرفة نسبة من تولى عمله بمؤهلاته العلمية والمهنية أو بطرق أخرى، وهذا يؤثر بلا ريب على الإنتاج والإبداع، فإن حصل الفرد على عمله بمؤهلاته وضمن اختصاصه فهذا مدعاةٌ لإنتاج أكبر، بينما من نال وظيفته بالرشوة أو عن طريق العلاقات الخاصة فإنَّه على أغلب الظن لن يكون منتجاً في عمله بشكل مناسب.

كانت النتيجة أن ٦٢٪ من العاملين قد حصلوا على أعمالهم بمؤهلاتهم الخاصة، بينما ١١٪ فقط اعترفوا بأنهم استخدموا المحسوبية للحصول على أعمالهم، فيما ذكر ١٣٪ أنهم اضطروا اضطراراً لعملهم، وهذا الأخير يعني أنهم لا يرغبون فيه، وربما لا يكون ذلك العمل في مجال اختصاصهم، لكنهم تحت وطأة ظروف الحياة المعيشية القاسية اضطروا إليه، كمن هو حاصل على شهادة جامعية ويبيع الخضار على سبيل المثال. كما أنَّ ١٤٪ ذكروا أنهم حصلوا على عملهم بسهولة ويسر، ويكون هذا عادة في مجال رغبتهم.

هذه النتائج عامة لكامل العينة الإحصائية، وبالطبع تختلف بين بلد وآخر، حيث يتضاعف استخدام المحسوبية في بلدٍ ما عن نسبته العامة ويقرب من أن ينعدم في بلدٍ آخر وهكذا. غير أني لن أخوض في تحليل ذلك واختلاف تلك النسب في كل بلد؛ لأنه يخرج عن إطار مجال هذه الدراسة، لكنني سأنظر في إحدى جزئيات هذا السؤال فيما يلي.

س٣: إن كان لديك عمل، هل عملك في مجال اختصاصك أو هواياتك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

ذكر ٥٢٪ أن عملهم ليس في مجال تخصصاتهم أو هواياتهم. وهذه النتيجة تظهر لنا أنَّ أكثر من نصف أفراد العينة يضطرون للعمل خارج نطاق رغبتهم الخاصة، مما يعني ضعفاً في الحماس للعمل وتدنِّياً في العطاء والإنتاج.

وهذه المسألة هامة جداً ومنطلق أساسٌ لاغتنام الوقت بفعالية، ذلك أنَّ من يقضي الوقت الطويل في عملٍ لا يرغبه ولا يشكل حقل تخصصه أو اهتمامه فإنَّه سوف يضيِّع الوقت الطويل في عطاءٍ بطيء ينعدم فيه الإبداع.

*** العمل ضمن الاختصاص حسب التوزيع الجغرافي:**

اختلفت نتائج هذا السؤال من بلدٍ وآخر، حيث تفاوتت نسبة العاملين في مجال تخصصاتهم أو هواياتهم، فهي ٧٠٪ في السعودية، مما يدل على رضى العاملين عن مجال عملهم إذ هو ضمن مجال اهتمامهم، وارتفعت تلك النسبة في السودان والمغرب فبلغت ٥٢٪، لكنها انخفضت في باكستان وبنغلادش وسوريا كما هو مبيَّن في الجدول أدناه.

البلد	نسبة العاملين ضمن اختصاصهم أو هوايتهم
السعودية	٪٧٠
المغرب	٪٥٢
السودان	٪٥٢
لبنان	٪٤٩
الولايات المتحدة	٪٤٦
العراق	٪٤٥
تركيا	٪٤٤
ألمانيا	٪٤٢
الكويت	٪٤٠
الأردن	٪٤٠
الإمارات	٪٣٧
سوريا	٪٣٦
باكستان	٪٢٩
بنغلادش	٪٢٢

وكما نرى فإن هذه النسبة في الدول الغربية متوسطة، ذلك أن معظم المسلمين هنالك مهاجرون وعادة يعملون في أي عمل ممكن لهم بغض النظر عن تخصصاتهم؛ لأنه يصعب أحياناً تعديل شهاداتهم التي حصلوا عليها من بلادهم أو يواجهون عقبات خاصة بهم. أمَّا تلك الدول التي تتدنى بها تلك النسبة فذلك يعني أن نسبة العطاء فيها سيكون ضعيفاً؛ لأن مجال عمل الكثير ليس ضمن الحقول التي يرغبون فيها كما سبق ذكره.

المطلب الثاني: معوقات الإنتاج

تناول هذا المطلب نتائج إجابات السؤالين رقم ٤ و٥ من الفقرة الخامسة من الاستبيان أولهما الآتي:

س٤: هل أنت قانعٌ بإنتاجك في عملك؟

☐ نعم ☐ لا

تحليل البيانات:

الشخص نفسه يعلم في معظم الحالات أكثر من غيره مدى إنتاجه في عمله،

أي إنَّ رضاه بإنتاجه من عدمه أمرٌ واقعي إلى حدٍّ ما. وقد أظهرت الدراسة أنَّ ٥٦٪ من العاملين ذكروا بأنهم غير قانعين بإنتاجهم في عملهم، وهذا يعني أن أغلبية من لديهم عمل يعتقدون بأنهم غير منتجين بشكل مناسب وهي نسبة كبيرة، ولها أسبابها التي قد تكون شخصية وذلك حينما يعمل المرء في مجال لا يرغبه وليس ضمن اختصاصه كما سبق بيانه، وهذه النسبية تتجاوز نصف من لديهم عمل أيضاً. وقد يكون لذلك أسباب خارجية تتعلق ببيئة العمل أو تدنِّي مستوى التكنولوجيا أو تعقيد النظام الداخلي، وفي السؤال التالي بعض أسباب ضعف الإنتاج.

س٥: ما هي المعوقات التي تحدّ من إنتاجك؟

☐ تدنِّي الأجور.
☐ تدنِّي الأرباح.
☐ الروتين الطويل والمعقّد.
☐ عدم الرغبة في ذلك العمل.
☐ تدنِّي مستوى التطوّر الآلي.
* غير ذلك (نرجو التحديد): . . . .

تحليل البيانات:

يستطيع كل فردٍ أن يزيد من عطائه وإنتاجه إذا طوَّر بعض أساليب عمله أو تحسّنت طبيعة وإجراءات عمله.

لذا ندرس هنا من وجهة نظر العاملين ـ وخاصة الذين ليسوا قانعين بإنتاجهم ـ المعوقات الأساسية التي تحد من فعاليتهم وعطائهم، وتتلخّص أسباب ذلك حسب الجدول الآتي:

المعوقات	النسبة المئوية
تدنِّي الأجور	٣٢,٦٪
الروتين الطويل والمعقَّد	٢٨,٤٪
تدنِّي مستوى التطور الآلي	١٣٪
عدم الرغبة في ذلك العمل	١٢,٧٪
تدنِّي الأرباح	٩٪
معوقات أخرى	٤,٣٪

هذا يعني أن قرابة ثلث العاملين يشكون تدنِّي الأجور ويجعلونه سبباً أساساً أمام تحسُّن إنتاجهم وعطائهم في أعمالهم. ثم يأتي في المرتبة الثانية الإجراءات الروتينية الطويلة والأنظمة الداخلية المعقدة كثاني أهم المعوّقات التي تحد من الإنتاج. لندرس تلك الأسباب بحسب البلدان التي أجرينا فيها الدراسة.

*** معوقات الإنتاج حسب البلد:**

لا داعي لسرد النسب المئوية لكل سبب وفي كل بلد، لكن نعرض أهم سبب في كلٍّ من الدول الآتية:

البلد	أهم معوقات الإنتاج
الولايات المتحدة	الروتين الطويل والمعقَّد
السعودية	الروتين الطويل والمعقَّد
لبنان	تدنِّي الأجور
باكستان	تدنِّي الأجور
المغرب	الروتين الطويل والمعقَّد
السودان	تدنِّي مستوى التطوُّر الآلي
العراق	تدنِّي الأجور
الكويت	الروتين الطويل والمعقَّد
سوريا	تدنِّي الأرباح
الإمارات	عدم الرغبة في ذلك العمل
الأردن	تدنِّي الأرباح
تركيا	الروتين الطويل والمعقَّد
بنغلادش	تدنِّي الأجور
ألمانيا	عدم الرغبة في ذلك العمل

يتبيَّن لنا من الجدول أعلاه أن هنالك معوّقات تتعلق بعدم الرضى عن المردود المادي؛ كتدنِّي الأجور والأرباح، وهذا السبب ذُكر تكراراً في لبنان وباكستان والعراق وسوريا والأردن. بينما اشتكى آخرون من إجراءات العمل من حيث الروتين الطويل والمعقد، وكان ذلك في الولايات المتحدة والسعودية والكويت وتركيا ودول أخرى، لكن قد ذكر قسم كبير من العينة

الإحصائية من الإمارات العربية أن سبب عدم الإنتاج هو عدم الرغبة في ذلك العمل، وهذا يتَّفق مع ما سبق، حيث وجدنا أنَّ ٣٧٪ فقط من العاملين في الإمارات يعملون ضمن اختصاصهم أو هوايتهم، لذلك لا غرابة أن لا يرغب الكثير من هؤلاء في عملهم فيتدنى عطاؤهم وإنتاجهم.

خلاصة المبحث السادس

أهم النتائج التي خلصنا لها في هذا المبحث هي الآتية:

١ ـ إنَّ العمل ضمن مؤهلات الفرد مدعاة لدرجة عالية من الإبداع والإنتاج، لكننا وجدنا أن ٦٢٪ فقط من العاملين حصلوا على أعمالهم بمؤهلاتهم الخاصة، بينما اعترف ١١٪ من الباقي أنهم حصلوا عليها بواسطة العلاقات الخاصة وربما الرشوة، وتلك النسب تختلف من بلد إلى آخر.

٢ ـ ذكر ٤٨٪ فقط أن عملهم في مجال اختصاصهم أو اهتمامهم، وهذا يشير إلى أنَّ أكثر من نصف أفراد العينة الممثلة للمسلمين يضطرون للعمل خارج نطاق رغبتهم الخاصة، مما يقلّل من مستوى إبداعهم وعطائهم وحماسهم للعمل. واختلفت نتائج هذا السؤال من بلدٍ لآخر، فارتفعت في السعودية (٧٠٪)، بينما انخفضت إلى مستويات متدنِّية في بنغلادش (٢٢٪) وباكستان (٢٩٪) وسوريا (٣٦٪). وتوسطت تلك النسبة لأفراد العينة في البلدان الغربية؛ لأنهم مهاجرون في معظمهم، ولذا يواجهون عقبات خاصة وفرص محدودة للعمل ضمن تخصصاتهم.

٣ ـ بلغت نسبة العاملين غير القانعين بإنتاجهم في عملهم ٥٦٪، ولهذا أسباب شخصية تتعلق بعدم الرغبة في ذلك العمل أو ضعف المهارات، أو أسباب خارجية تتعلق ببيئة العمل من تدنِّي استخدام التكنولوجيا أو سوء الأنظمة الداخلية. وبمزيد من الدراسة وجدنا من وجهة نظر العاملين، أنَّ أهم المعوقات التي تحد من إنتاجهم مادية،

إذ ذكر ٤١,٦٪ أنها تدنِّي الأجور أو الأرباح، بينما جاء في المرتبة الثانية الروتين الطويل والمعقَّد بنسبة ٢٨,٤٪، ثم جاء تدنِّي مستوى التطور الآلي بنسبة ١٣٪، وعدم الرغبة في مجال العمل بنسبة ١٢,٧٪. واختلفت الأسباب بين بلدٍ وآخر، حيث رأينا بوضوح أنَّ الأسباب المادية تكررت في البلدان التي تعاني سوءاً اقتصادياً.

خاتمة الفصل الرابع

يشكل هذا الفصل الجزء العملي من دراستي لإدارة الوقت، والذي هدف إلى استقراء واقع المسلمين في نظرتهم للوقت وكيفية تعاملهم معه، وتحليل ذلك بحسب التحصيل العلمي والعمر والجنس والتوزيع الجغرافي، وذلك من خلال إجراء مسح إحصائي عبر استبيان مكتوب لعينة من المسلمين منتشرة بين فئات المجتمع المختلفة وفي مناطق متعدّدة من العالم، وبلغ عدد عينات الدراسة ٤١٠٥ استبياناً حوت بمجملها على ٢٦٢,٧٢٠ معلومة.

علمنا في هذا الفصل أن إنتاج المسلم الفعلي بلغ ٤,٧ ساعة يومياً على أكثر تقدير، ويرتفع بنسبة ٣٦٪ لمن يعمل في مجال تخصصه. بينما تجاوزت ساعات اللَّاجدية التي تصرف في مجرد الراحة واللهو ومشاهدة التلفاز واللقاءات الاجتماعية ٧ ساعات يومياً، هذا غير الوقت الذي يُمضى في النوم وتناول الطعام وغير ذلك. لذلك نستخلص من خلال الدراسة أنَّ أهم أسباب ضعف الإنتاج والفعالية عدم صرف الوقت فيما هو منتج وهام. كما أنَّه لا يوجد وعي في تقدير مصارف الوقت إذ إنَّ أنشطة اللهو والتسلية تطول دون وعي، ذلك أننا وجدنا أن مجموع مصارف الوقت لكل النشاطات اليومية بلغ معدله ١٧ ساعة يومياً، مما يعني أن ٧ ساعات تضيع يومياً دون معرفة مصارفها.

ورأينا أنّ المحافظة على الصلوات في وقتها معيارٌ للمحافظة على الوقت؛ لأنها أهم واجبات الوقت بالنسبة للمسلم، ووجدنا أن ثلث الشباب يصلون بدون انتظام بالوقت مما يدل على ضعف انضباطهم بالوقت وقلة اغتنامهم له.

كذلك علمنا في هذا الفصل أن ٤١٪ من أفراد العينة الممثلة للمسلمين يعتقدون أنهم غير فعَّالين في المجتمع، وأنَّ ٦٠٪ منهم غير راضين عن تعاملهم مع وقتهم. ووجدنا أنَّ معظم الفئتين لا يقومون بأدنى درجات التخطيط لاغتنام وقتهم. كما أنَّ ٢٧٪ من الأفراد لا يشعرون بمجرد الندم لضياع الوقت، وذلك لأنهم لا يحملون رسالة واضحة وأهدافاً حياتية تدفعهم نحو الشعور بأهمية الوقت وحاجتهم له. وإنَّ أهم أسباب ضياع الوقت في الأمور الأقل أهمية عدم برمجة سلّم الأولويات، بينما يقوم به ١٩٪ من أفراد العينة فقط.

أما حول الأهداف الحياتية اليومية، فقد وجدنا أن أهم حقولها بالترتيب: الحياة العائلية، والواجبات الدينية، والعمل المعاشي للرجال وطلب العلم الشرعي للنساء. بينما اعترف ١٧٪ أنهم لا يجدون أي هدفٍ في حياتهم. كما وجدنا أن خُمس أفراد العينة لا يخططون البتة، بينما يخطط قرابة الثلث يومياً أو أسبوعياً، والباقي لديه خطط طويلة المدى لكنه لا يتواصل معها على المدى اليومي، لذلك فهي ليست جادة من منطلق عملي.

أما واقع أفراد العينة في إنجاز أهدافهم ـ حينما توجد ـ فهو ليس بالمستوى الذي ينهض بأمتنا ومجتمعنا، فقد وجدتُ أنَّ ٨٣٪ منهم يقولون بأنَّ لديهم هدفاً أو أهدافاً، لكنَّ مزيداً من الدراسة أظهر لنا أنها مجرد أمانٍ وأحلام. فقد تبيَّن لنا أن ٣٤٪ فقط أهدافهم مكتوبة ومفصّلة، وبنسبة أقل بلغت ٢٨٪ للذين يخططون للوصول لها، وبنسبة أقل بلغت ٢٤٪ لمن قام ببعض الخطوات لإنجازها، ولا شك أن من ينجز أهدافه فعلاً أقل من هذه النسبة.

كما وجدنا أن العمل ضمن تخصص الفرد وفي مجال رغبته الخاصة يرفع من درجة إبداعه وعطائه وحماسه لما يقوم به، وقد وجدنا أنَّ ٤٨٪ فقط يعملون ضمن تخصصاتهم أو اهتماماتهم.

وأخيراً، وجدنا أنَّ ٥٦٪ من العاملين غير قانعين بإنتاجهم، ويُرجع ٤١,٦٪ منهم سبب ذلك لتدنِّي الأجور أو الأرباح، و٢٨,٤٪ منهم لإجراءات العمل الروتينية المعقدة، والباقي إلى ضعف مستوى التطور الآلي وعدم الرغبة في مجال العمل.

ولقد تطرّقت في هذا الفصل للعديد من المباحث التي نَظرت في مصارف أوقات المسلمين ومدى استخدام آليات وأنظمة إدارة الوقت، وعلاقة ذلك بمختلف جزئيات الدراسة والمعلومات الديمغرافية للعينة المشاركة. وهي كثيرة جداً ويصعب اختصارها، لذلك تركتها في طيّات هذا الفصل.



الخاتمة والتوصيات

أود في خاتمة هذه الدراسة عرض خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها بعد إنجاز هذا البحث، وذلك من خلال نقطتين:

- إدارة الوقت ـ نظرة شمولية.
- إدارة الوقت في الإسلام.

ثم سأستعرض توصياتي للمربين والأفراد على النحو التالي:

- توصياتي لأولي الأمر والمربين: كيف نحمل الجيل الصاعد على اغتنام وقته للنهوض بالمجتمع؟
- توصياتي للأفراد: كيف تنجح في إدارة وقتك، وبالتالي حياتك؟

إدارة الوقت ـ نظرة شمولية:

الوقت مقدار من الزمن، ووقت الإنسان هو المقدار المحدد بعمره، ذلك أنَّ أجزاءه من أيام وأشهر وأعوام تشكل عمره، لذلك نقول: إن وقت الإنسان هو مادة حياته. ولقد ارتبطت حياة الإنسان مُنذ وجوده على الأرض بالوقت، فقد تابع توالي الأيام والفصول وحركة الكون من حوله، مستخدماً أجهزة عديدة لقياسه وضبطه، ابتداءً بالمزولة الشمسية ووصولاً إلى الساعات الذرية. وكانت نهضته عبر التاريخ مرتبطة باهتمامه بالوقت وحسن اغتنامه.

ليس للوقت وزن ولا رائحة ولا طعم ولا صفات مادية تخضعه للتجربة المعملية، وهو لا يُدَّخر ولا يُعَوَّض الفائت منه، ولا يتداول به، كما أنَّه منقضٍ بنفسه بسنة كونية تتعلق بحركة الأجرام. لذلك لا سيطرة

للإنسان على وقته، ولا يمكنه توقيفه ولا إسراعه ولا إبطاءه، لكنه يملك حرية الانتفاع به من خلال تحكمه فيما يحصل خلاله، ذلك أنَّه ميدان كل عطاء ووعاء كل عمل، وجميع المصالح تتأتى من خلال استخدامه.

إذا كانت الإدارة بشكل عام تُعنى بتوظيف الموارد المتاحة على أمثل وجه لتحقيق الأهداف، فإدارة الوقت تُعنى بتوظيف وقت الإنسان منذ ولادته إلى وفاته لبلوغ مراده، وهذا يحصل بإدارة الفرد نشاطاته اليومية من خلال تحكمه بالحدث خلال أوقاته، وهو سلوك إداري لا يخرج عن نطاق الشخص ذاته، لذلك صُنِّف في حقل إدارة الذات.

والتخطيط هو المهارة التي تستطيع بمشيئة الله من خلالها التدبير للحدث المستقبلي في حياتك، ومحاولة التحكم فيه ليكون أقرب ما يكون لما تريد، وهو عبارة عن إيجاد الجسر الذي يربط ما أنت عليه الآن بالنتيجة التي تريد بلوغها. ذلك أنَّ الأعمال تولد مرتين: الولادة الأولى عبر التخطيط، وهو الوجود الذهني للعمل، والولادة الثانية عبر التنفيذ، وهو الوجود المادي للعمل، وإذا أغفلنا الولادة النظرية ـ مرحلة تكوين الخطة ـ تعثرت الولادة العملية ـ مرحلة تنفيذ الخطة ـ لأنها نتيجة طبيعية لها.

والتخطيط يتطلب درجة عالية من الحضور الذهني ومقدرة قوية على الخروج بالمخيلة من عالم الواقع إلى عالم البصيرة لكي يقوِّم الفرد حاضره ويرسم مستقبله.

وإنّ تقويم سير العمل خلال مرحلة تنفيذ الخطة عمل إداري ضروري، ليصبح العمل عبارة عن إجراء متكرر يبدأ بالتخطيط ثم التنفيذ، ثم التقويم، فتعديل الخطة تبعاً لذلك وهكذا. لذلك يواكب التخطيط مسيرة العمل كاملةً، ابتداءً بتحديد الهدف ولا ينتهي إلَّا ببلوغه.

لكي نخطط يجب أن يكون لدينا هدفٌ أو أهدافٌ نريد الوصول إليها، فالهدف يرتكز ابتداءً على النتائج المرجوة، فهو يحدّد أين نريد أن نكون في مستقبل الأيام، لذلك قيل بأنَّ الهدف هو حدثٌ مخططٌ له. ولكي

يكون الهدف فعَّالاً يجب أن يوافق ما يؤمن الإنسان به، وأن يقيَّد بالكتابة المفصلة، وأن يُحدد إنجازه بموعدٍ نهائي، وأن يكون واقعياً بحسب القدرات الشخصية لصاحبه. ومحاور الهدف الثلاثة هي الوقت من حيث المدة المتاحة لبلوغه، والجودة من حيث حجمه ودرجة إتقانه، والتكلفة من حيث الجهد البشري والموارد المالية التي تتطلبه. ومن الأهداف ما هو كبير أو يتطلب وقتاً طويلاً لإنجازه، ومنها ما هو صغير أو يتطلب وقتاً قصيراً، أمَّا الأوّل فيدعى هدفاً استراتيجياً أو طويل المدى، وأمَّا الثاني فيدعى هدفاً مرحليّاً أو قصير المدى.

أهم ما تقدمه عملية التخطيط هو تجزئة الهدف إلى مراحل يسهل بلوغها، ابتداءً بتوصيف ما نريد أن نصل إليه، وتحديد الوقت المتاح لبلوغه، وتجزئته إلى خطوات عملية، ووضع برنامج زمني لخطواته تلك، إلى عرض خطة بلوغ الهدف برسم بياني أو جدول عمل مبوّب، مع التقويم الدوري لمسيرة العمل خلال مرحلة تنفيذ الخطة. وأهم أساليب التخطيط الخاصة بالأهداف الشخصية ثلاثة: برنامج العمل، وجدول التوقيت الزمني، وبيان العلاقات التسلسلية (رسم برت)، وهي فنون تنظّم خطة العمل بحيث يعرف الفرد ماذا يقوم به في كل وقت ولكل هدف يسعى له.

لقد تطوَّر علم إدارة الوقت على أربعة أجيال، الجيل الأوَّل اهتم بحصر الأعمال في جداول، والثاني اهتم بتحديد مواعيدها، بينما اهتم الثالث ببرمجة سلم أولوياتها، وبتحديد الأهداف والتخطيط لبلوغها، أمَّا الجيل الرابع والأخير فقد جاء ليركّز عل إيجاد رسالة وقيم حياتية تكون موجهة للحياة على نطاق يسبق ذلك كله.

إنَّ إدارة الوقت تُعنى بكيفية الوصول لما يريده الفرد في حياته، لكن لا بد أن يسبق ذلك تحديد ماذا يُراد تحقيقه ابتداءً، لذلك إنَّ الفعالية الحياتية لا تتوقف على مجرد كم وكيف يصرف الفرد وقته لتحقيق هدف ما، بل هل ما يبذله يكمن في الهدف المناسب. فلا عبرة بالاهتمام بالوقت

وحسن إدارته ما لم يوجد غاية تستحق استثمار الوقت لتحقيقها. لذا لزم قيادة الذات أن تسبق إدارة الوقت، ذلك أنَّ الأوَّل تكوين نظري للرسالة التي يراد تحققها في الحياة، بينما الثاني هو ترجمة لتلك الرسالة للواقع العملي. والرسالة الحياتية تُعنى بفلسفة الفرد في حياته، وهي بلورة للغاية التي يُحيى من أجلها، فهي كالبوصلة التي توجه مسيرة الفرد بالاتجاه الصحيح، مما يوجد قاعدة صلبة للانطلاق منها في مسيرة الحياة المتشعبة.

ويمثل «الهرم الإنتاجي» أهم النماذج الغربية لإدارة الوقت، وهو يشير إلى أن السلوكيات اليومية تبنى على الأهداف، وأنَّ الأهداف تولدها القيم. لكنَّ هذه النظرة تبقى بتراء ومجزوءة إن لم تشتمل على المنظومة العقدية لأنها أساس كل سلوك بشري، لذلك وضعتُ أنموذجاً أشمل وأصوب أطلقت عليه «شجرة الحياة»، ممثلاً بجذور الشجرة للعقيدة وبثمارها للأعمال، وبساقها للرسالة الحياتية، وبغصونها وفروعها للأهداف، ولا ريب أن فساد المفاهيم والمعتقدات التي يحملها الفرد لا تولد عملاً فعَّالاً، بينما إذا ضربت المنظومة العقدية السليمة جذورها في أعماق النفس لا بد أن تثمر وتؤتي أكلها بإذن الله.

إدارة الوقت في الإسلام:

للوقت قدسية خاصة في حياة المسلمين، فهو نعمة مسخّرة من عند الله، وقيمته من المنظور الإسلامي لا تقاس بمجرد الكم المادي فحسب، بل تتباين بحسب الأحداث الحاصلة خلاله وبمدى الفاعلية الناتجة عن استثماره. والمسلم مسؤول أمام خالقه عن أوقاته، وقد ربط الله الفوز بالجنان بما أسلف الإنسان في أيامه الخالية في الدنيا.

إنَّ الإسلام بشعائره وأحكامه يشكل منهجاً منبهاً للإنسان بمسيرة الزمن، فجعل الله أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج تتطلب مراقبة الوقت، وجعل عنصر الوقت أساس في معظم أحكام الشريعة، ولعل

المقصد من ذلك أن لا يغفل الإنسان عن مضي الوقت في مسيرته الحياتية.

والتخطيط واجب شرعي وضرورة حياتية أملتها سنّة الله الكونية في خلقه في أنَّ النتائج مترتبة على المقدمات، وأنَّ الأسباب قائمة على المسببات، ولا سيما أنَّ مهمة الدين الكبرى جاءت لإعداد الإنسان لحياة المستقبل، فترى كتاب الله بكليته يوجّه الأنظار نحو المستقبل بصورة ما، سواء أكان ذلك لغده القريب في الدنيا أو البعيد في الآخرة.

إنَّ للإسلام منهجاً أسبق وأكمل من المنهج الغربي في إدارة الوقت، وهو يحقق التوازن بين الحياة الدنيا والآخرة، وبين حق الله وحق النفس وحقوق العباد. كما أنَّ فاعلية إدارة الوقت لدى المسلمين تتمثل في آثار العمل خلاله من حيث بعده الزمني وبلوغ منفعته للناس، وهذا ما لا نجده عند الوضعيين، حيث ينحصر استثمار وقتهم في حدود الكسب المادي العاجل. وإنَّ الأساس الإسلامي لإدارة الوقت أن تكون الغاية من وجهة الإنسان في اغتنام وقته هو الله، وهو منهج يدعو الناس للسبق بالخيرات تحقيقاً لإصلاح الحياة على منهج يرتضيه الله، شاملاً جوانب الحياة المختلفة: المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، الفردية والجماعية، ممَّا يحقق النهوض والارتقاء إلى حالٍ أفضل وإلى السعادة الحقة في الدارين.

وقصة خلق الإنسان تشير إلى أنّ الله تعالى خلقه ليكرمه وليرفع قدره وليعلي منزلته في العالمين، فلقد تولى الله بيديه خلق آدم ونفخ فيه من روحه تشريفاً له، وجعل خلقه الحدث العظيم في تاريخ الخلق، فأمر الملائكة بالسجود له إعظاماً لقدره. فجاء خلقه بكل تلك الحفاوة والتكريم ليحمل رسالة ربانية هي خلافة الله في أرضه، ولكي يقوم بذلك فقد ذلّل الله الكون لخدمة الوجود الإنساني، فجعل ما فيه مسخّراً له، وجعل جميع الموجودات موافقة لوجوده، وأودع فيه قدرات جسدية وروحية وعقلية،

وجعل له إرادة حرة، كما خلق الله سنناً كونية مكّنه من استيعابها لينتفع بها في مسيرة حياته.

وأساس استخلاف الله للإنسان كمال العبودية له، وهي الإذعان لله والانقياد إليه، وهي تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه حتى تصبح الحياة كلها محراباً لعبادة الله. والإنسان يستكمل إنسانيته بالعبادة، ويسمو بقدر عبادته التي خُلق لأجلها، كما أنّه ينسلخ من إنسانيته إذا ما رفضها. لذلك كانت عزّة الإنسان في سمو مقصده، فإذا كان مقصده مرضاة الله علا على ما سواه من الموجودات، وكان حقاً سيد الخلق وسيد الكون، وهو يزداد قدراً كلما قصد وجه الله في حركته، وإنّ من حصر همّه في إشباع شهوة واتباع هوى، فقد هبط بذات الإنسان من إنسانيته التي ارتضاها الله له إلى بهيمية سائر الحيوانات.

توصياتي لأولي الأمر والمربين:

كيف نحمل الجيل الصاعد على اغتنام وقته للنهوض بالمجتمع؟

إن الإصلاح في إدارة الوقت يتطلّب توجيه القادة والمربين وأولياء الأمور، وإلى هؤلاء أقدم التوصيات الآتية:

١ ـ تربية أبنائنا وشبابنا على اغتنام أوقات الفراغ وعلى الشح في مصارف وقتهم إلا فيما يحقق للفرد رسالته وينفعه في الدنيا والآخرة، فلقد تجاوز مجموع ساعات اللّاجدية التي تصرف في مجرد الراحة واللهو ومشاهدة التلفاز واللقاءات الاجتماعية معدل ٧ ساعات يومياً، وهذه ساعات طويلة تغيِّر حال الفرد والمجتمع إذا ما اغتنمت. لذلك يجب تصحيح نظرة هؤلاء نحو الوقت كأثمن ما يملكون، فهو العنصر الأساس الذي يجب اغتنامه لنجاحهم وتحقيق مصالحهم.

٢ ـ إشعار المسلمين بمسؤوليتهم تجاه العجز الذي يشعرون به إذ يرى ٤٩٪ منهم أنهم ليسوا أحراراً في تعاملهم مع وقتهم. فينبغي أن

نعلمهم أن حياتهم مجموعة خيارات يأخذها الفرد بوعي أو تتكوّن له بغير وعي، فهم من يدير دقّة حياتهم من خلال مبادراتهم بتحكُّمهم بالأحداث والنشاطات خلال أيامهم. فلهم الخيار والحرية في كيفية صرف أوقاتهم، إمَّا إعماراً للعمر بالعمل والعطاء أو عجزاً وفشلاً وهدراً للحياة.

٣ ـ توجيه الناس نحو الاستخدام الأحكم للتلفاز والإنترنت وتعليمهم مهارات التنظيم وحسن إدارة أنشطتهم وأوقاتهم، ذلك أننا وجدنا أن أعظم الأسباب لإضاعة الوقت تكمن في الشبكة الإعلامية وضعف التخطيط والفوضى والتسويف. كما تشكل النشاطات الاجتماعية؛ كالزيارات المتبادلة واللقاءات لمجرد الحديث اللَّاهي سبباً كبيراً لضياع الوقت في عالمنا الإسلامي، مما يستدعي معالجة اجتماعية سلوكية تتناول جذور ذلك، ومما يتطلب تظافر الجهود بغية تغيير تلك السلوكيات والعادات التي تجعل أيامنا فارغة من عمل هادفٍ إلا ما ندر منها.

٤ ـ لا يكفي مجرد حثّ الفرد على اغتنام وقته بل ينبغي توجيهه نحو حمل رسالة حياتية وأهداف واضحة يحيا من أجلها تدفعه نحو اغتنام وقته لبلوغها، فإنَّ ٢٧٪ من المسلمين لا يشعرون بمجرد الندم لضياع الوقت، ووجدنا أن أهم أسباب ذلك عدم وجود رسالة ولا أهداف في حياة هؤلاء.

٥ ـ للتأكد من نجاح الفرد في حياته لزم توجيهه نحو قيادة ذاته قبل إدارة وقته، لذلك يجب التأكد من صحة ما يحمل في نفسه من معتقدات ومفاهيم وأفكار. بل حالنا يستوجب إعادة بناء كيان الإنسان المسلم ليخرج من غفلته ابتداءً من تكريم الله له، وجعله سيد الخلق، وبما سخّر له من الموجودات والسنن الكونية، لحمل رسالة ربانية، وإلى استعادة المنظومة العقيدية الأصيلة، التي تصحِّح تصوره لدوره في الكون والحياة، ولماذا وُجد، وإلى أين وجهته، انطلاقاً من كتاب الله وسنّة رسوله. وعندما تتضح

في نفسه رسالته الحياتية تأتي تبعاً لذلك الأهداف، وعلى ضوئها تتكون لديه قوة دافعة مفجرة لطاقاته، فيصبح سلوكه العملي ترجمة لما يحمله في نفسه. وعندها تحيا الأمة مرة أخرى كما حصل للجيل الأوَّل من المسلمين ذلك أنَّ التجديد في عالم السلوك الفردي يجب أن ينتج عن التجديد في عالم الاعتقاد، فما نقوم به هو انعكاسٌ لما نؤمن به، وتغيير ما بالأنفس من أفكار ومفاهيم هو أساس كل تغيير.

٦ ـ عندما درسنا حقول أهداف مسلمي اليوم وجديتهم في بلوغها، خلصنا إلى الاعتقاد بأنَّ ما يرونه أهدافاً هو في حقيقته أمنيات وأحلاماً لا يعملون من أجلها لتصبح واقعاً. فلقد وجدنا أنَّ ٨٣٪ من المسلمين قالوا بأنَّ لديهم هدفاً أو أهدافاً يودون إنجازها، لكن ٣٤٪ فقط يكتبونها، وهذا معيار للجدية في تحقيقها، و٢٨٪ فقط يخططون لبلوغها، وتتدنى هذه النسبة إلى ٢٤٪ فقط ممَّن قام ببعض الخطوات العملية بغية الوصول لها، فتصبح نسبة من يحقق أهدافه بنجاح ضئيلة جداً. كما وجدنا أن أقل حقل من حقول الأهداف التي يهتمون به هو المتعة واللهو، لكن خالف ذلك بوضوح واقعهم، إذ وجدنا أن الساعات الطوال تمضي يومياً في هذا الحقل. لذلك نرى أنَّ الفرق شاسع بين التوجهات النظرية والواقع العملي، وعلى المربين المقاربة بين هذا وذاك لتصبح الأهداف والتوجهات واقعاً حياتياً، وذلك من خلال التدريب على المهارات والآليات التي تجعل بلوغ الأهداف ممكناً؛ كمهارات تحديد الأهداف بجدية والتخطيط المنهجي لها والسعي نحو إنجازها يوماً بيوم.

٧ ـ إنَّ إدارة الوقت ليست مجرد المحافظة على الدقائق والساعات، بل لبها تحديد الفرد ما يريده وكيف يحقق ذلك، لذا يجب مساعدة النشء أولاً على تحديد ما يريدون تحقيقه بفاعلية ودقة؛ لأن النجاح في الحياة يتطلب أن يعلم الفرد بوضوح أهدافه. كما ينبغي حملهم على التخطيط لبلوغ تلك الأهداف. ولا غرابة إذ وجدنا أن ٦٠٪ من المسلمين غير

راضين عن تعاملهم مع وقتهم، و٤١٪ يشعرون أنهم عناصر غير فعَّالة في المجتمع، وعندما نظرنا في هؤلاء وجدنا معظمهم لا يقومون بأدنى درجات التخطيط، وهو التخطيط لبرنامج يومهم. أمَّا على المستوى العام، فإنَّ ٣٢٪ فقط يخططون يومياً أو أسبوعياً، ومن لديه خطط طويلة المدى من الباقي لا يتواصل معها على المستوى القصير فتبقى حبراً على ورق. لذلك يجب أن ندرب الفرد على استخدام أسلوب علمي وآلية لإدارة وقته، وعلى أن يكون له وقفات دورية ليقوِّم حاضره ولينظر في مستقبله، فيعلم كل صباح أين هو مما يريد تحقيقه وكيف سيقربه يومه من بلوغ أهدافه.

٨ ـ توجيه أولادنا وتربيتهم على تركيز جهودهم من خلال برمجة سلّم أولوياتهم بشكل يومي؛ لأن اليوم يمثل ميدان العمل الفعلي. ذلك أنه بدون أولويات يتجه الفرد لاشعورياً نحو القيام بما لا يحتاج جهداً ولا تركيزاً بل ما تهواه نفسه، وهو مما يضيِّع الوقت والجهد في سفاسف الأمور. ولقد وجدنا أن ١٩٪ فقط هم من يبوّبون سلّم أولوياتهم، واعترف ٤٧٪ أنهم يصرفون أوقاتهم في غير الأهم من الأمور.

٩ ـ توجيه الشباب إلى العمل بما يتماشى مع مؤهلاتهم واختصاصاتهم ورغبتهم الخاصة؛ لأنَّ ذلك يرفع من درجة الإنتاج والإبداع والحماس تجاه ما يقومون به، فقد وجدنا أنَّ معدل الإنتاج الفعلي للعاملين ٤,٧ ساعة يومياً، وينخفض ذلك إلى ٢,٨ ساعة في بعض الدول العربية. أمَّا لمن يعمل ضمن اختصاصه فوجدناها ترتفع بنسبة ٣٦٪. فالرغبة في مجال العمل من أهم عناصر زيادة الإنتاج والإبداع فيه.

١٠ ـ تنمية الخبرات والمهارات الشخصية لكونها أهم سبل زيادة الإنتاج والفاعلية في الحياة، فقد اعترف ٣٢٪ أنهم لا يقومون بأي جهد لهذا الغرض، أمَّا من يقوم بذلك فلا يتعدى مقداره ٤٨ دقيقة يومياً.

توصيات للأفراد:

كيف تنجح في إدارة وقتك، وبالتالي حياتك؟

لكي تنجح في إدارة وقتك وإدارة حياتك، اتبع الخطوات المنهجية الآتية (يُرجع للفصول السابقة لمزيد من الإيضاح):

١ ـ الرسالة:

ما هي رسالتك الخاصة في الحياة؟ إنَّه ذلك التوجه الذي يشكل أعظم الأولويات الأساسية التي ترى أنك تحيا من أجلها. اكتب رسالتك هذه بحدود سبعة أسطر.

٢ ـ الأهداف الكبرى:

ما هي الأهداف الكبرى التي تريد إنجازها خلال خمسة إلى عشرة سنوات تبعاً لرسالتك؟ يفضل أن لا تتجاوز ثلاثة أهداف، ويجب توصيف كل هدف بدقة بحيث تجعله مقاساً، وضمن جدول زمني، ويتماشى مع قدراتك ورغبتك في هذه المرحلة من حياتك. قد يكون أحدها مبرمجاً ليبدأ بعد عام وينتهي بعد ثلاثة أعوام، والآخر مبرمجاً ليبدأ حالياً وينتهي بعد ثمانية أعوام وهكذا.

٣ ـ الأهداف المرحلية:

ما هي الأهداف المرحلية التي تريد إنجازها خلال عام؟ قد يكون بعضها أجزاءً مرحلية من الأهداف الكبرى، ويجب أن تُكتب بدقة وتفصيل كأعلاه.

٤ ـ خطة العام:

ضع خطةً لكيفية الوصول لكل هدفٍ من أهدافك المرحلية بتفصيل بحيث تجزّئ الهدف إلى خطوات عملية تقوم بها بشكلٍ منهجي وضمن برنامج زمني يوصلك للهدف، ثم اختمها برسم بياني أو برنامج زمني يوضّح الأجزاء التنفيذية الأساسية التي يجب أن تقوم بها في كل شهر (أو في كل أسبوع) من العام للوصول لتلك الأهداف.

٥ ـ خطة الأسبوع:

قُمْ عند بداية كل أسبوع بتحديد المهام التي يجب أن تقوم بها هذا الأسبوع من خلال النظر في خطتك، ثم وزِّع ذلك على أيام الأسبوع في مفكرتك أو مخططتك.

٦ ـ البرنامج اليومي:

اصرف عشرين دقيقة صباح كل يوم لمراجعة وتعديل برنامج يومك، مضيفاً مهامَّ لم تقم بها في اليوم الفائت ومسؤوليات عائلية ومعيشية لهذا اليوم. بعد ذلك برمج سلّم أولوياتك بحسب درجة أهمية كل عمل.

٧ ـ التركيز على الأولويات:

ركِّز على أهم عمل في برنامجك ولا تنتقل لغيره أو تغفل عنه حتى تنهيه، ثم قم بالآخر بحسب سلّم أولوياتك وهكذا. ولتحرص على وقتك طوال النهار؛ لأنَّه ميدان العطاء الفعلي، واصرف وقتك في كل آن بأهم ما لديك، فإنَّ نجاحك في اغتنام أيامك يتبعه نجاحك طوال الحياة، مما ينتج عنه عطاءً عظيماً وإنجازات مميزة.

٨ ـ الوقفات التقويمية:

ليكن لك وقفات للتقويم والتخطيط الدوري بحيث تقوِّم خلالها الدورة الزمنية الماضية وتخطط للدورة الزمنية القادمة واستثمر بعضاً من الوقت لذلك عند بداية كل عام، وعند بداية كل أسبوع، وعند كل صباح. مثال ذلك: أن تقوم على رأس كل عام بمراجعة رسالتك وأهدافك وتقوِّم ما أنجزت من خطتك خلال العام الفائت، ثم تحدّد الأهداف المرحلية للعام الجديد وتضع خطتك لبلوغها وتتابع تنفيذ الخطة كما سبق ذكره.

٩ ـ استخدام آلية لإدارة الوقت:

استخدم آلية لإدارة الوقت، وأنصح بمخططة ورقية يومية، تسرد فيها رسالتك وأهدافك وخططتك، إضافة إلى تخصيص صفحة لبرنامج كل يوم

وسلّم أولوياته. ولتحمل مخططتك هذه أينما كنت، ولتستخدمها بمرونة مضيفاً فيها مهام طارئة ومعدلاً برنامجك فيها، وانظر فيها مرات عديدة كل يوم ليتمحور نشاطك حول ما تحمله.

١٠ ـ الاستعانة بالله أولاً وآخراً:

استعن بالله على الدوام، ولا تعجز مهما بلغت العقبات المتوقعة، بل عليك بالمثابرة والثبات والحرص على الدعاء.

١١ ـ الإخلاص والصواب:

احرص دائماً على تحقيق شرطي قبول الأعمال: الإخلاص والصواب، لتنال السعادة الحقة في الدارين.



الفهارس



فهرس الآيات القرآنية

طرف الآيـــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً . . .﴾	٢٤ ـ ٢٥	٢٧٦
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ . . .﴾	٣٣ ـ ٣٤	٧٩ ـ ١٧٦ ـ ١٧٧
سورة الحجر		
﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ . . .﴾	٤٧	١٥٧
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ . . .﴾	٢٨	١٦٣
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	٩٢ ـ ٩٣	١٦٥
سورة النحل		
﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ . . .﴾	٢١	١٨٧
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ . . .﴾	٣٦	١٨٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ . . .﴾	١٤	١٧٧
﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا . . .﴾	٥ ـ ٨	١٧٧
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ . . .﴾	١٢	٧٩
سورة الإسراء		
﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ . . .﴾	١٨ ـ ٢٠	٢٤١
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ . . .﴾	٧٠	١٧١
سورة الكهف		
﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا . . .﴾	٤٨	١٥٦
سورة طه		
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ . . .﴾	١٠٥ ـ ١٠٧	١٥٥
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ . . .﴾	٢٥	١٨٤
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ . . .﴾	٩٠	٤١٧
﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ . . .﴾	١٠٤	٧٨

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المراجع العربية

١ ـ آل سيف عبد الله البوطي، فن إدارة الوقت، ويليه البرنامج التفصيلي لطالب العلم، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢ ـ الأُبيّ، محمد بن خليفة، ومحمد بن محمد السنوسي، شرح الأبيّ والسنوسي على صحيح مسلم، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣ ـ الأحدب، خلدون، سوانح وتأملات في قيمة الزمن، بيروت، الدار الشامية، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ الإسكندري، ابن عطاء، الحكم العطائية، دمشق، وزارة الإعلام السورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥ ـ الأصبهاني، الراغب، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، تحقيق عبد المجيد النجّار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦ ـ الأصفهاني، شمس الدين البيضاوي، شرح المنهاج في علم الأصول، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ.

٧ ـ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٨ ـ الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٩ ـ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٠ ـ الأميري، أحمد البراء، حُسن الاستفادة من الوقت ـ طريقٌ للسعادة والنجاح، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١ ـ أمين، أحمد، فيض الخاطر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، (د.ت.).

١٢ ـ أمين، أحمد، فجر الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

١٣ ـ أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، (د.ت.).

١٤ ـ أوستن، كلير، مهارات تفعيل وتنظيم الوقت، ترجمة هبة المرعب قبلان، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥ ـ الباش، حسن، الإنسان في ميزان القرآن، طرابلس، ليبيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦ ـ باور، جوزيف، فن الإدارة، ترجمة أسعد لبدة، عمان، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٧ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

١٨ ـ بركات، أحمد قائد، التخلُّف... لماذا؟ والتقدّم... لِمَ لا؟، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١٩ ـ البغا، مصطفى ديب، نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٠ ـ البغدادي، الخطيب، اقتضاء العلم العمل، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٢١ ـ البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت.).

٢٢ ـ البغوي، شرح السنة، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٣ ـ بكّار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة ـ رؤية إسلامية، بيروت، الدار الشامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٤ ـ البيَّاع، محمد حسن عبد الهادي، التنمية الإدارية ودورها في معالجة المشكلات الإدارية، العراق، دار واسط، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٥ ـ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

٢٦ ـ بينيس، وارن، القيادة الإدارية، ترجمة هشام عبد الله، عمان، دار البشير، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٢٧ ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، فضائل الأوقات، تحقيق عدنان عبد الرحمٰن القيسي، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٨ ـ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، وفي ذيله: الجوهر النَّقي، علي بن عثمان المارديني (ابن التركماني)، بيروت، دار الفكر، (د.ت.).

٢٩ ـ التاج، فضل الله، إدارة الوقت في الإنتاج الزراعي، بحث: مجلة بحوث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو/ أيار ١٩٩٩م.

٣٠ ـ الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣١ ـ التويجري، محمد بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الله البرعي، معجم المصطلحات الإدارية، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٢ ـ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، العبودية، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

٣٣ ـ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمٰن بن محمد العاصي النجدي، الرياض، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٤ ـ الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٥ ـ الجابري، بشير شكيب، القيادة والتغيير، جدة، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٦ ـ ابن الجوزي، عبد الرحمٰن، صيد الخاطر، دمشق، دار الفكر، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

٣٧ ـ الحاكم، أبو عبد الله محمد النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، (د.ت.).

٣٨ ـ حامد، عبد الحليم محمد، إدارة الوقت في الإنتاج الفكري، بحث: مجلة أبحاث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو ١٩٩٩م.

٣٩ ـ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٤٠ ـ الحسب، فاضل، ظاهرة الاغتراب في ضوء المرتكزات الفكرية للاقتصاد الإسلامي، بغداد، بيت الحكمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤١ ـ الحسب، فاضل، مفهوم العمل في المذهب الاقتصادي الإسلامي، بغداد، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد.

٤٢ ـ الحمد، محمد بن إبراهيم، الهمة العالية ـ معوقاتها ومقوماتها، الرياض، دار ابن خزيمة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٤٣ ـ حميش، عبد الحق، مقاصد الشريعة، فرجينيا، الجامعة الأمريكية المفتوحة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٤ ـ ابن حنبل، الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٤٥ ـ حنفي، عبد الغفَّار، السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد، بيروت، الدار الجامعية، (د.ت.).

٤٦ ـ حوى، سعيد، جند الله تخطيطاً، القاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٧ ـ الخاطر، عبد الله، سنن التعامل مع الناس، لندن، المنتدى الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤٨ ـ الخاطر، عبد الله، الهزيمة النفسية عند المسلمين، الرياض، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٤٩ ـ خطَّاب، محمود شيت، بين العقيدة والقيادة، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، (د.ت.).

٥٠ ـ الخطيب، عبد الكريم، المسلمون ورسالتهم في الحياة، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٥١ ـ ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد، المقدمة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٢ ـ ابن خلكان، أحمد بن محمد، وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار القلم، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٥٣ ـ خليل، عماد الدين، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٥٤ ـ الخِن، مصطفى، وعلي الشربجي، ومصطفى البُغا، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دمشق، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٥٥ ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م.

٥٦ ـ دوبو، رينيه، إنسانية الإنسان، ترجمة صبحي الطويل، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٥٧ ـ دُورلِنغ كِندَرسلي، القيادة الإدارية الفعَّالة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، بالتعاون مع دُورلنغ كندرسلي، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٥٨ ـ الذهبي، سِيَر أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م.

٥٩ ـ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، القاهرة، المطبعة البهية المصرية، (د.ت.).

٦٠ ـ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير، طهران، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (د.ت.).

٦١ ـ الرافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثامنة، (د.ت.).

٦٢ ـ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٣ ـ ابن رشد، محمد بن أحمد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق محمود قاسم، القاهرة، دار الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٦٤ ـ رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت.).

٦٥ ـ رقيط، حمد حسن، المسؤولية الإدارية في الإسلام، العين، الإمارات العربية المتحدة، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٦ ـ زرزور، د. عدنان محمد، التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف ـ مفهومه وأهدافه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٦٧ ـ سعيد، جودت، اقرأ وربك الأكرم، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٨ ـ سعيد، جودت، حتى يغيّروا ما بأنفسهم، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٦٩ ـ سعيد، جودت، مذهب ابن آدم الأوَّل، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٠ ـ سعيد، جودت، العمل قدرة وإرادة، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧١ ـ سعيد، جودت، الإنسان كَلاً وعدلاً، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٢ ـ السقَّا، السيِّد سلامة، الزمن ـ نظرة علمية وإسلامية، بيروت، دار النهضة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٧٣ ـ سلسلة الإدارة المثلى، تنظيم الوقت ـ برمجة وأولويات، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، بالتعاون مع دورلنغ كِندَرسلي، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٧٤ ـ سيباني، خليل فهد، إدارة الوقت، بيروت، دار الراتب الجامعية، (د.ت.).

٧٥ ـ الشنواني، صلاح، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية ـ مدخل الأهداف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٧٦ ـ الصَّافي، الشيخ عثمان عبد القادر، أسلمة العلوم الإنسانية، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٧ ـ صالح، محمد عثمان، العبادات وأثرها في ضبط الوقت، بحث: مجلة أبحاث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو ١٩٩٩م.

٧٨ ـ الطالب، هشام، دليل التدريب القيادي، الولايات المتحدة الأمريكة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧٩ ـ الطبراني، المعجم الكبير، بغداد، وزارة الأوقاف، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٨٠ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٨١ ـ الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٨٢ ـ الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٨٣ ـ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن العظيم، مع حاشية تفسير غرائب القرآن، ورغائب الفرقان، للنيسابوري، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٨٤ ـ ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٨٥ ـ عاشور، أحمد صقر، الإدارة العامة ـ مدخل بيئي مقارن، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٨٦ ـ العالم، يوسف حامد، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٨٧ ـ عبد الحميد، محسن، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٨ ـ عبد الحميد، محسن، الإسلام والتنمية الاجتماعية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٨٩ ـ عبد الرحمٰن، عائشة، القرآن وقضايا الإنسان، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.

٩٠ ـ ابن عبد السلام، العز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٩١ ـ ابن عربي، محيي الدين، شجرة الكون، دمشق، المركز العربي للكتاب، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٩٢ ـ العسقلاني، الحافظ أحمد بن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٩٣ ـ عقيلي، عمر وصفي، الوجيز في مبادئ وأصول الإدارة، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٩٤ ـ العلي، سليمان بن علي، تنمية الموارد البشرية والمالية في المنظمات الخيرية، مريلاند، الولايات المتحدة الأمريكية، مؤسسة أمانة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٩٥ ـ عمور، عبد الحي، النظرية الإسلامية للعقل، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٩م.

٩٦ ـ عيسوي، عبد الرحمٰن، دراسات في الشخصية الإسلامية والعربية وأساليب تنميتها، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٧ ـ أبو غدة، عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩٨ ـ أبو غدة، عبد الفتاح، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الرابعة، (د.ت.).

٩٩ ـ الغزالي، محمد، جدِّد حياتك، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٠ ـ الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثالثة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٠١ ـ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، القاهرة، دار مصطفى الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

١٠٢ ـ القاسم، عبد الملك، الزمن القادم، الرياض، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٠٣ ـ القاسم، عبد الملك، الوقت أنفاس لا تعود، الرياض، دار القاسم للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٠٤ ـ قاسم، عون الشريف، الإسلام الرسالة الخاتمة لمرحلة خاتمة، بحث: مجلة أبحاث الإيمان، الخرطوم، المركز العالمي لأبحاث الإيمان، العدد العاشر، محرم ١٤٢٠هـ ـ مايو ١٩٩٩م.

١٠٥ ـ القرضاوي، يوسف، الوقت في حياة المسلم، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٠٦ ـ القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، الدار البيضاء، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

١٠٧ ـ القرضاوي، يوسف، في فقه الأولويات، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٨ ـ القرضاوي، يوسف، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٠٩ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.).

١١٠ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مصر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١١١ ـ القرني، عوض بن محمد، حتى لا تكون كلاً، جدة، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٢ ـ قطب، سيد، الإسلام ومشكلات الحضارة، بيروت، دار الشروق، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١١٣ ـ قطب، سيد، العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، (د.ت.).

١١٤ ـ قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١١٥ ـ قطب، سيد، خصائص التصوُّر الإسلامي ومقوماته، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١١٦ ـ قطب، محمد، واقعنا المعاصر، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١١٧ ـ قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٨ ـ قنيبي، حامد صادق، الكون والإنسان في التصوُّر الإسلامي، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١١٩ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب، المطبعة المنيرية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٢٠ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العزِّي، جدة، دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الأولى، (د.ت.).

١٢١ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت.).

١٢٢ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمود حسن ربيع، الإسكندرية، مكتبة حميدو، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٢٣ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، القاهرة، مكتبة المتنبي، (د.ت.).

١٢٤ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، القاهرة، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٢٥ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تعليق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م.

١٢٦ ـ كارليل، ألكسيس، الإنسان ذلك المجهول، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٢٧ ـ الكتاني، محمد عبد الحيّ، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الثانية، (د.ت.).

١٢٨ ـ ابن كثير، أبو الوفاء عماد الدين إسماعيل، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الثامنة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.

١٢٩ ـ ابن كثير، أبو الوفاء عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مطبعة الاستقامة، الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

١٣٠ ـ كرانت، جون، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٣١ ـ كرزون، أنس أحمد، التخلف العلمي في واقع المسلمين المعاصر، بيروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣٢ ـ كوفي، ستيفن، العادات السبع للقادة الإداريين، ترجمة هشام عبد الله، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٣٣ ـ كينان، كيت، تنظيم وتفعيل الذات، ترجمة محمود الحلبي، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣٤ ـ كينان، كيت، فن تنظيم وبرمجة الوقت، ترجمة نعمت سليمان، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣٥ ـ ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، (د.ت.).

١٣٦ ـ محمود، د. صلاح الدين، الوقت هو الحياة، كيف تدير وقتك؟، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٧ ـ مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.).

١٣٨ ـ المصري، محمد أمين، المجتمع الإسلامي، الكويت، دار الأرقم، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣٩ ـ مطر، هنري، الوقت والتوقيت، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٠ ـ المطوّع، جاسم محمد بدر، الوقت عمار أو دمار، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الجزء الأوَّل، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤١ ـ المطوع، جاسم، الوقت عند المرأة، بيروت، مؤسسة الريَّان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٤٢ ـ المطوّع، جاسم محمد بدر، الوقت عمار أو دمار، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٤٣ ـ المطوّع، جاسم محمد بدر، خطّط لمستقبلك، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤٤ ـ المعجم العربي الأساسي، إصدار جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤٥ ـ المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن سلامة، مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٤٦ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان اللسان، تهذيب علي مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٧ ـ ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

١٤٨ ـ مَكرَم، عبد العال سالم، أثر العقيدة في بناء الجيل، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٩ ـ المؤمن، قيس، وآخرون، التنمية الإدارية، دار زهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٥٠ ـ المودودي، أبو الأعلى، منهاج الانقلاب الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٨١م.

١٥١ ـ مورسون، كريسي، العلم يدعو للإيمان، ترجمة صالح الفلكي، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٥٢ ـ موسى، علي حسن، التوقيت والتقويم، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥٣ ـ المُناوي، فيض القدير بشرح الجامع الصغير، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

١٥٤ ـ مونتكومري، لورد، السبيل إلى القيادة، ترجمة حسن مصطفى، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م.

١٥٥ ـ المرغيناني، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل، الهداية شرح بداية المبتدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٥٦ ـ ابن نبيّ، مالك، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٥٧ ـ ابن نبيّ، مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٥٨ ـ ابن نبيّ، مالك، من أجل التغيير، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥٩ ـ ابن نبي، مالك، مشكلات الحضارة، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٦٠ ـ النجَّار، عبد المجيد عمر، قيمة الإنسان، الرباط، دار الزيتونة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦١ ـ النجَّار، عبد المجيد عمر، مبدأ الإنسان، الرباط، دار الزيتونة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٦٢ ـ النسائي، أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.).

١٦٣ ـ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، دمشق، المكتبة الأموية، (د.ت.).

١٦٤ ـ النعيم، محمد بن إبراهيم، كيف تطيل عمرك؟، الدمام، دار الذخائر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦٥ ـ النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٦٦ ـ الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٧ ـ هاينز، ماريون، إدارة الوقت، ترجمة عبد الله بلال، الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٨ ـ همفري، جون، كيف تكون عملياً أكثر؟، ترجمة سامي بن تيسير سلمان، الرياض، مؤسسة المؤتمن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٩ ـ هونكة، زيغرد، أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، منشورات المكتب التجاري، (د.ت.).

١٧٠ ـ الياسين، جاسم بن مهلهل، الحركة الإسلامية والحاجة إلى التخطيط، مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٢٤٩، ٦ محرم ١٤١٨هـ.

١٧١ ـ يونغ، تريغور، أصول التخطيط للمشاريع، ترجمة مركز التعريب والترجمة، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

فهرس المراجع الأجنبية

1 - Appleby, Robert C., Modern Business Administration, London, Pitman Publishing Limited, 3rd Ed., 1984.

2 - Bennett, Robert F., Gaining Control Utah, Franklyn International Institute, 1987.

3 - Blanchard, Kenneth, and Spencer Johnson, The One Minute Manager, New York, Berkley Publishing Group, 1982.

4 - Bliss, Edwin C,. Getting Things Done, The ABC of Time Management, New York, Charles Scribner's Sons, 1976.

5 - Brandt, Dorothea, How to Acheive Your Goals, New York, Time Magazine With Cooperation With Success Strategies, Inc, 1996.

6 - Canfield, Jack, and Mark Victor Hansen, Chicken Soup for The Soul, Florida, Health Communications, Inc., 1993.

7 - Covey, Stephen R., The Seven Habits of Highly Effective People, New York, Simon & Schuster, First Ed., 1990.

8 - Covey, Stephen R., Principle Centered Leadership, New York, Simon & Schuster, First Ed., 1992.

9 - Covey, Stephen R., Roger Merrill, and Rebecca R. Merrill, First Things First, New York, Simon & Schuster, First Ed., 1995.

10 - Culp, Stephanie, How to Get Organized When You Don't Have The Time, Cincinnati, Ohio, Writer's Digest Books, First Ed., 1994.

11 - Davenport, Rita, Making Time, Making Money, New York, St. Martin's Press, 1982.

12 - Douglass, Kingman, and others, Successful Business Management, New York, HUME Publication Inc., 1992.

13 - Douglass, Merrill E., and Donna N., Manage Your Time, Manage Your Work, Manage Yourself, New York, American Management Association, 6th Printing, 1980.

14 - Drucker, Peter F., The Effective Executive, New York, Harper and Row Publishers, 1969.

15 - Drucker, Peter F., Management: Tasks, Responsibilities, and Practices, New York, Harper & Row Publishers, 1974.

16 - Ferner, Jack D., Successful Time Management, New York, Hohn Wiley and Sons, 1980.

17 - Fifteen key Concepts for Managerial Success, Harvard Business Review, Boston, Harvard Business School Publication Corp., 1991.

18 - Gordon, Thomas, Leader Effectiveness Training, New York, Wydem Books, 1987.

19 - Grant, John, The Book of Time, New York, West Bridge Books, 1980.

20 - Gray, Edmud, and Smeltzer, Larry, Management: The Competitive Edge, New York, Macmillan Publishing Co., 1989.

21 - Griessman, B. Eugene, Time Tactics of Very Successful People, New York, McGraw-Hill Inc., 1994.

22 - Haas, Howard G., and Bob Tamerkin, The Leader Within, New York, Harpercollins Publishers Inc., Fird Ed., 1992.

23 - Hanks, Kurt and Gerreld L., Pulsipher, Five Secrets to Personal Productivity, Utah, Franklyn Quest Co., 1993.

24 - Haynes, Marion E., Personal Time Management, Merlo Park, California, Crisp Publications, 1987.

25 - Haynes, Marion E., Project Management, Menlo Park, california, Crisp Publications, 1989.

26 - Honda, Soichiro, Pits and Pieces, Vol. R, No.18, 1997.

27 - Hopson, Barrie, and Mike Scally, Time Management: Conquering The Clock, San Diego, Pfeiffer & Company, 1993.

28 - Ivancevich, John, Management: Principles and Functions, Irwin, Illinois, 4th Ed., 1989.

29 - Jones, katie, Time Management, New York, Amacom,1999.

30 - Josephs, Ray, How to Gain an Extra Hour Every Day, New York, Penguin Books, First Printing, 1992.

31 - Kendrick, John W. and John B., Personal Productivity, New York, M.E. Sharpe Inc., 1988.

32 - Keys, Ralph, Timelock, New York, Harper-Collins Publishers, First Edition, 1995.

33 - Kiev, Ari, A Strategy for Daily Living, New York, The Free Press, 1973.

34 - Klein, Ruth, Where did The Time Go?, Rocklin, California, Prima Publishing, 5th Printing, 1997.

35 - Mackenzie, Alec, The Time Trap, New York, American Management Association, Sixth Printing, 1972.

36 - Mackenzie, R. Alec, Teamwork Through Time Management, Chicago, The Daotnell Corporation, 1990.

37 - Mackenzie, Alec, Time for Success, A Goal-Getter's Strategy, New York, McGraw-Hill Publishing Company, 1989.

38 - Mackenzie, R. Alec, New Time Management Methods, Chicago, Dartnell Corporation, 2nd Ed., 1990.

39 - Managing Multiple Projects, Objectives, and Deadlines, Kansas, USA, Skill Path Inc., 1994.

40 - Mayer, Jeffrey J., If You Haven't Got The Time to Do it Right, When Will You Find The Time to Do it Over?, New York, Simon and Schuster Inc., 1990.

41 - Mayer, Jeffrey J., Time Management For Dummies, Foster City, California, IDG Books Worldwide, 1995.

42 - McCormack, Mark, What They Still Don't Teach You at Harvard Business School, New York, Bantam Books, 1989.

43 - McRae, Bradley C., Practical Time Management, North Vancouver, Canada, Self-Counsel Press, 2nd Edition, 1992.

44 - Meyer, Paul J., The Dynamics of Personal Leadership, Waco, Texas, Success Motivation Institute, 1965.

45 - Mintzberg, Henry, The Rise and Fall of Strategic Planning, New York, The Free Press, 1994.

46 - Nightingale, Earl, Lead The Field, Niles, Illinois, Nightingale-Conant Corporation, 1992.

47 - Peters, Thomas, J., and Robert H. Waterman, In Search of Excellence, New York, Harper and Row Publishers, 1982.

48 - Raia, Anthony P., Management by Objectives, Glenview, Foresman Books, 1974.

49 - Roberts, Wess, Leadership Secrets of Attila The Hun, New York, Warner Books, 1987.

50 - Robertson, Arthur K., and William Proctor, Work A 4-Hour Day, New York, William Morrow and Company Inc., First Ed., 1994.

51 - Smith, Hyrum W., The Ten Natural Laws of Successful Time and Life Management, New York, Warner Books, 1994.

52 - Sprouse, Mary L., If Time is Money, No Wonder I'm Not Rich, New York, Simon & Schuster, 1993.

53 - Steiner, George A., Strategic Planning-What Every Manager Must Know, New York, The Free Press, 1979.

54 - Tassi, Nina, Urgency Addiction, Dallas, Taylor Publishing Company, 1991.

55 - Towers, Mark, Implementing Total Quality Management, Kansas, Skill-Path Inc., 1995.

56 - Tregoe, Benjamin B., and Zimmerman, John W., Top Management Strategy, What it is and How to Make it Work, New York, Simon & Schuster, 1980.

57 - Webber, Ross A., Guide to Getting Things Done, New York, The Free Press, 1980.

58 - Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of The English Language, New York, Gramercy Books, 1st Ed., 1983.

59 - Williams, Arthur L., All You Can Do is All You Can Do, but All You Can Do is Enough I., Nashville, USA, Oliver-Nelson Bookds, 1988.

60 - Winwood, Richard I., Time Management, An Introduction to The Frankly System, Utah, USA, Franklyn International Institute, 1990.

61 - Zuker, Elaima, How to Discover Your Opportunity, New York, Time Magazine With Cooperation With Success Strategies Inc., 1996.

62 - Zuker, Elaima, How To Master Your Future, Why Manage Time?, New York, Time Magazine With Cooperation With Success Strategies Inc., 1996.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة